

الأبناء والسلطة

ابناء الأنبياء

الخلفاء - الملوك - الرؤساء

تهامي منتصر



المكتبة الإسلامية



المكتب المصري للطباعة

منتصر، تهاى

الأبناء والسلطة : أبناء الأبناء-

الخلفاء - الملوك - الرؤساء / تهاى منتصر

القاهرة - المكتب المصرى للطبعات

٢٠١٤

ص ، سم

تدمك ١٢١٦ - ٤٠٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - الأبناء

أ - العنوان

٣٠١،٤٢

رقم الإيداع

٢٠١٤/١٦٩٤٧١

رئيس مجلس الإدارة

محمد حامد راضى

العنوان

122 أ شارع جسر السويس

امام عمارات الميرلاند ناصية

شارع نصوح - القاهرة

التليفون

22595845

22595846

مفتاح الدولى : 00202

البريد الإلكتروني

almaktab_almasry@yahoo.com

almaktabalmasry16@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين.. سيد الأنبياء وأستاذ العلماء ومعلم البلغاء الفصحاء.. وبعد، فهذا الكتاب نقحة أدبية أملت فكرته هذه الأحداث المتعاقبة عبر التاريخ وفيها تظهر صورة الأبناء واضحة في سيرة ومسيرة الأبناء منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا.. وقد لفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى أن الأبناء نعمة إن آمنوا واستقاموا

«ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما»..

وهم نعمة وأعداء لأبائهم إن كفروا وتولوا وانحرفوا إن من أموالكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم، وقد شهد الواقع هذه الحقائق القرآنية ماثلة في حياة الأمم.. فكان من الأبناء منحرف قاتل ومتأب عاص ومطيع متبتل وواعظ تاصح ومتمرد فاسق، ومنهم من رفض الملك والسلطة ومنهم من تورثها وورثها.. كل ذلك والقرآن شاهد على أن سنن الله لا تجامل وأن التقوى والإيمان لا يورثان ولا الكفر ولا الانحراف يورثان كذلك.. فالأمر على نحو «من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضل فلن تجد له ولما مرشدا».. لذا كان من مطلق عدل الله ورحمته ألا تورث النبوة مطلقا ولا الهداية ولا الذكاء، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.. في ظل هذه الحقائق قدمت كتابي هذا في سياق ورايط عام هو أن كل الأبناء عاشوا في كنف السلطة والسلطان.. فالأبناء وإن كانوا أصحاب رسالة روحية إلا أنهم كانوا بمثابة الزعماء والقيادات في الأمم وهكذا الخلفاء والملوك والرؤساء.. فحاولت أن أكشف اللثام عن هذه الحياة التي عاشها الأبناء ليس تقريرا ولا تحقيقا أكاديميا في سيرتهم الذاتية وإنما استلهام الوقائع والأحداث التي ذكرت بوضوح تكشف بها جوانب السلوك والأدب وما آلت إليه النتائج بعد هذه الحياة لتكون عبرة لمن يخشى وتذكرة لمن أراد أن يتذكر.. فضلا عن كونها تجربة في التأليف ومحاولة في التنوير لا ادعى كمالها ولا انتهاءها.. فله الكمال وحده.. فقط إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب..

المؤلف: تهاى منتصر





فاييل بن آدم (عليه السلام)

أول فائل في الفاييد



* نسيبة وحسبه

* الفطرة في الزواج

* خطوبه وخطوب

* حقيقة القربان

* الغراب أستاذ معلم

* الجريمة لانقياد



قبايل ابن آدم عليه السلام

هو قبايل أو قباين أو قباين ابن سيدنا آدم عليه السلام وأمه حواء ولدته هو وأخته إقليما فى بطن واحدة ثم ما لبثت أن ولدت فى البطن الثانية هابيل وأخته لبودا، وكانت حواء - كما يقول المفسرون - تلد كل بطن ولدين ذكرا وأنثى إلا شيت فقد ولدته منفردا، وعلى هذا فقبايل توأم إقليما وهابيل توأم لبودا التى كانت أقل حظا فى الجمال والرقرة وبهاء المنظر من إقليما شقيقتها توأم قبايل، ومرت السنوات وأدرك الجميع سن البلوغ فأوحى الله إلى آدم عليه السلام أن يزوج قبايل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل إقليما ذات الحسن والجمال وتوأم قبايل، وهكذا أراد الله عز وجل أن يرزق آدم بتوأم ليتزوج كل توأم بالتوأم المخالف له فى النوع من الحمل المختلف، أى يتزوج الذكر من الأنثى التى لم تولد معه فى بطن واحدة ليبين لنا أصل التكاثر بيانا رمزيا وهو أن التباعد الزوجى كان موجودا ولكنه التباعد الإضافى بمعنى أنهم جميعا أشقاء لأب وأم واحدة ولكن بينهما تباعد إضافى، فكل بنت ولدت مع غير زوجها وهذا ما كان متاحا فى ذلك الوقت، لأن العالم كان لا يزال فى بداية طفولته الواهية، وهذه سنة كونية نبه إليها المولى سبحانه ليكون فى هذه الزوجية مواهب، وقد فطن العربى قديما لها رغم بداوته وجهله بأصول القراءة والعلم وجعلها قضية عامة فطرية فلما أراد أن يمدح رجلا بالقوة والفتوة قال عنه:

فتى لم تلده بنت عم فيضوى..

وقد يضىوى سليل الأقارب

وقال آخر:

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة إلى..

مخافة أن يضىوى على سليلها

وهكذا تناول الشعراء - بفطرتهم - هذه القضية وأسدوها تصحا لأهلهم:

انصح من كان بعيد الهم

تزويج أولاد بنات العم

فليس ينجو من ضوى وسقم

ولعل العربي اهتدى إلى هذه الفطرة وتلك النتيجة من مشاهدات عاينها في ولادات قبيلته، وقد أنتج زواج الأقارب نسلا ضعيفا مريضا وربما وصلته من رواسب الديانات السابقة وبعض العظات التي ظل الإنسان محتفظا بها.

خطوبة وخطوب

واستجاب آدم لأمر الله تعالى ونادى فى أولاده فجمعهم وخطب لبودا لقبايل وإقليما لهابيل فهتل وجه هابيل فرحا وأطرق قبايل رأسه فى غيظ وضيق فقد كان طامعا فى حسن توأمه إقليما راغبا فى نضارتها وهلة طلعتها.. فقال آدم.. الأب.. عليه السلام: يا قبايل ما أمرنى الله إلا بهذا ولا يحل لك أن تعصيه فتزوج أختك فى البطن.. فرد قبايل أمر الله ورأى أبية قائلا: ماسمعت الله يأمرك بهذا وماهو إلا رأيك وحبك لابنك هابيل لأمر فى نفسك!

نظر آدم عليه السلام فى أمر أولاده وقد بدا الشقاق يطل برأسه ونفثات الحقد تهز قلب قبايل، فقلّب الأمر بين قلبه وعقله فرأى لكليهما متاعاً وثروة، وكان قبايل صاحب زرع وثمر وهابيل صاحب ضرع وغنم، فقال آدم عليه السلام: أقترح أن تقريا قريانا لله عز وجل «كان قريب العهد بالوحي ويعلم أن القريان سيكون فى صف التباعد» وراقت الفكرة لولديه وقام قبايل فأخذ حزمة سنبل وفيها سنبل عظيمة ففركها وأكلها وقدم هابيل جذعة سمينة من أسمن وأكرم غنمه.

وانتظرا النتيجة، وفى مشهد مثير نزلت النار فأكلت قريان هابيل وتركت السنابل قريان قبايل، فانفجر الحقد والحسد فى قلبه فهب ثائرا هائجا صارخا: لأقتلنك حتى لا تنكح أختى الجميلة إقليما.. فرد هابيل فى ثقة المؤمن وورع المطيع: «إنما يتقبل الله من المتقين». هدوء يواجه ثورة.. فهل كان رد هابيل مناسبا؟ نعم كان مناسبا لأن: لأقتلنك بسبب أن قريانك قُبل وقريانى لم يقبل، فجاء رد هابيل: وما دخلى أنا بهذه العملية؟ الدخلى للقابل للقريان.. وهو الله سبحانه. وأنا لا دخل لى فيها وربنا لم يتقبله لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين.. فلا تلمنى لأن هذا أمر الله الذى رددته بحمقك وحقدك فضلا عن معصية أبيك.. وبينما بعض القصاصين والمفسرين يميلون إلى تفصيل ملامح قريان هابيل

الكبش الأقرن الذى يتعهد هابيل برعاية خاصة ويحمه على ظهره من فرط حبه له، كما روى اسماعيل بن رافع القاص.. وأنه لم يكن له مال أحب إليه من هذا الكبش، فلما أمر بالقربان قرية لله عز وجل فقبله منه، فمزال الكبش حيا يرتع فى الجنة حتى فد الله به اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.. رواه ابن جرير. وهذا ماجاء فى قوله تعالى «وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» فى سياق قصة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل.

بينما هم كذلك أرى أن ما طواه القرآن عنا ليس من الأدب أن نسأل عنه أو نبحث فيه، وأهم منه أن نتوقف عند الحكمة والموعظة والعبارة.. وهى أن يكون الأخوان إنسانين من الناس، أحدهما مؤمن بالله مستقيم على طاعته يأتى أمره ويجتنب نواهيه والآخر لايرعى لله حرمة ولا يحفظ له عهدا وهذا واقع لا تنكره الحياة، ففى كل مجتمع أخيار وأشرار وفى كل أسرة مؤمن وكافر ومطيع وعاص.. وما جرى بين قابيل وهابيل فى هذا الصراع الدامى ماهو إلا شرارة من شرارات الحسد اندلعت فى صدر الأول ثم لم تلبث أن شب ضرامها فكانت فتنة وكان القتل وكانت خطيئة وكان هلاكاً.



وفعلها المجرم

ورغم أن هابيل رد أمر القبول لله عز وجل، فقد سلك معه أسلوب التحنين والترهيب والترغيب وأظهر له من نفسه القوة على مواجهته بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان، إلا أن قابيل مازال يستعد ويجهز لقتل أخيه، وأخوه يرد «لئن بسطت إالى يدك ليتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين» (المائدة ٢٨، ٢٩).

قابيل ثائر وهابيل يترقب غدر أخيه وهو الذى يردد من غير تمن له أن يكون عاصيا لربه فتعاقبه السماء ولكن نفس قابيل الشريرة تغلبت «فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين» المائدة ٣٠.

خسر قاييل دينه وديناه، والخسران قضية فى التجارة وفيها مكسب وخسارة يزيد رأس المال فنقول مكسب ويقل فنقول خسارة، فماذا خسر قاييل «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» خسر رأسماله وهو أخوه الوحيد الذى كان يأنس به فى الدنيا فلما قتله عساه يفوز بحبيبته إقليما.. فلم يتحقق له مكسب بفهم تجارى بقى أخوه وتزوج حبيبته لكنه خسر أخاه رأسماله الوحيد.

وفعلها المجرم واكتملت أركان الجريمة عمدا وإصرارا وترصدا وفعلا وأدوات وشهودا وجثة فماذا عساه أن يفعل فى هذه الجثة الهامدة التى تذكره كل طرفة عين بجريمته البشعة وغدره المبيت ونفسه الأمانة بالسوء والقتل؟

وقف قاييل المجرم أمام جثة أخيه لايعرف كيف يواريه ويستتره عن عينه وعين أبيه وشقيقاته وكلهم يفطر بكاء وحزنا على القتل المؤمن الحنون ضحية الغدر والحقد من أخيههم. ويقول سالم بن أبى الجعد فيما رواه الطبرى: لما قتل هاييل مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ثم جاءه هاتف يقول له: حياك الله ويياك أى أضحكك.. فضحكك.. وهكذا وقف قاييل ربما أسفا على قتله وربما سعيا لإخفاء معالم الجريمة حتى لا يعاقب عليها بمقتضى شريعة أبيه آدم عليه السلام.. وبينما هو حائر عاثر نادم بعث الله غرابين فحوما عند رأسه ثم اقتتلا فقتل أحدهما الآخر وبفطرة إلهية سريعة قام الغراب القاتل بحفر قبر مناسب لأخيه ثم التقطه بمنقاره وحمله وألقى به فى قبره ثم أهال التراب عليه ودفنه فى سابقة لاتعرف الفطرة البشرية لها تجربة مماثلة وكأنه درس جديد لبنى آدم.. يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب.. و(من) هذه فى (من يشاء) تستغرق الأجناس كلها من مخلوقات الله عز وجل.. إذن فقد وقف الغراب أستاذا معلما وإن كان مجرما بقتل أخيه لكنها إرادة الله ليعرف ابن آدم حكمة ربه فى العطاء بينما قاييل ينظر فى دهشة وأنهار لفظنة الغراب وذكائه متحسرا نادما على سفوه وغبائه ولسان حاله يقول: «يا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارَى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ

يقول مولانا الإمام محمد متولى الشعراوى: على أى شىء ندم قابيل؟ علينا أن ننتبه إلى الفارق بين (ندم) و(ندم) فمثلا هناك إنسان جرؤ على حدود الله وشرب الخمر ببعض مرتبه الذى هو حق الأسرة وكان عليه أن يشتري بهذه النقود طعاما لهم وعندما عاد وجد أهله فى انتظار الطعام فندم على شرب الخمر.. فهل كان ندمه على أنه عصى الله أو ندم لأنه ضيع النقود ولم يشتري الطعام لأهله؟ لقد ندم على عدم شراء الطعام وهو ندم مرفوض ليس من التوبة.. وقد يكون هذا الشارب قد لبس أفخر ثيابه وخرج فى زينته إلى رفقاء السوء فشرى الخمر وخرج سكرانا فوقع على الأرض فالتف عليه الناس عرفه بعضهم أو لم يعرفوه فندم لأن شرب الخمر أوصله إلى هذا الحال. فهل كان ندمه على معصية الله أو لأنه صار هزأة بين الناس؟ وهكذا كان ندم قابيل.. إذ لم يكن ندم توبة ولا حسرة على قتل أخيه ولكنه ندم على خيبتة لأنه لم يعرف ما عرفه الغراب الذى علمه كيف يوارى جثة أخيه.

وفى الكتاب المقدس

بنفس المعنى الذى فصله القرآن فى هذه القصة أورد الكتاب المقدس قصة الأخوين فيقول: وحدث من بعد أيام أن قابيل قدم من ثمار الأرض قريانا للرب، وقدم هايبيل من أبقار غنمه ومن سمانها.. فنظر الرب إلى هايبيل وقريانه، ولكن إلى قابيل وقريانه لم ينظر فاغتاظ قابيل جدا وسقط وجهه.. (التكوين ٤: ٢-٥).
فقام على أخيه هايبيل فى الحقل وقتله، فقال الرب لقابيل: أين هايبيل أخوك؟ فقال: لا أعلم، أحارس أنا لأخى؟! فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ من الأرض.. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك.. حتى عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها.. تأثها هاريا تكون فى الأرض. (تكوين ٤: ٩-١٢).

وهكذا سن قابيل المجرم سنة القتل فى بنى آدم فكان أول قاتل وأخوه أول قتيل فى الأرض.. وشاء الله أن يحمل قابيل كفلا ووزرا فى كل جريمة قتل على الأرض حتى تقوم الساعة.. كما جاء فى الحديث الشريف: «لاتقتل نفس ظلما إلا

كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل» أخرجه الشيخان.

وقوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» رواه مسلم.

هل أظلت قابيل بجريمته؟

حاشا لله وكلا.. فما من ظالم أو قاتل إلا وقد ترصده الله بعداب من عنده «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» النساء ٩٣.

وقال تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ..»

وقال تعالى: على لسان ذى القرنين: «قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا» الكهف ٨٧.

أورد ابن كثير في تفسيره: والظاهر أن قابيل عوجل في الدنيا بالعقوبة كما ذكره مجاهد وابن جبير: أنه علقت ساقه بفخذه إلى يوم القيامة وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتنكيلا به.. وقد ورد في الحديث «مامن ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يذخر لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم» وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا.. فبديهى أن ينتقم الله من المجرم القاتل في الدنيا ليكون عبرة لمن يخشى، يقول شيخنا الإمام الشعراوي:

علمتنا قصة ذى القرنين أن قانون المحاسبة للظالم والقاتل لا بد أن يسير في المجتمع بلا تفرقة ولا محسوبة فأما من ظلم فسوف نعذبه.. في الدنيا حتى لا أترك لمن لا يؤمن بالله ولا بأخرة أن يتمادى في ظلمه فليأخذ عقابه في الدنيا «وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك» أى قبل الآخرة لهم عذاب.. ولذلك حين يرى الناس مصرع ومضير الظالم فهم يتعظون ويرتدعون.. وجيلنا - والقول للشعراوي - عاصر ظالمين كثيرين.. نكل بعضهم ببعض ، ولو مكن المظلومون منهم ما فعلوا مثل ما فعله بعضهم ببعض من تنكيل وتعذيب بقدرتهم.. فإذا عاد الظالم إلى ربه

وحتمًا سيعود «ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا» الكهف ٨٧.

لا يتصوره عقل ولا تتصوره ملكة إبداع في التخيل لأنه عذاب قادر مقتدر.. شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو.. صيانة للنفس التى خلقها ويرأها وبنيناه الذى أقامه كما جاء فى الحديث.. «الإنسان بناء الله ملعون من هدمه» رواه أحمد وقد أظهر الرسول ﷺ حرمة النفس . عند الله فقال للكعبة وهو يطوف حولها: «والله إني لأعلم حرمتك عند الله والذى بعثنى بالحق لنفس المؤمن أشد حرمة عند الله منك» رواه البخارى.

• انتبه وتذكر

إن الجريمة لاتقيد والقتل ذنب لا يغتفر لو كان عمدا لا يكفره الحج «فَجَزَاءُ
جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا». النساء ٩٣.

وتذكر أن الله قال: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» المائدة ٣٢.

فالويل كل الويل لمن قتل نفسا بغير حق.. وكم قتل المجرمون أنفسهم بريئة فى
سجونهم أو تصفية لمعارضيهم أو تواطأوا مع زوجة خائنة «وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ
وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانِ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا
وَعْدَهُ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ مُزِيدُ ذُوِ الْإِنْتِقَامِ».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النبي المصطفى



* الفلام الحليم

* صاحب زمزم

* ابن هاجر المصرية

* النبيج الأول

* الجار بأبيه وربّه

* رفع القواعد من البيت

* جسد النبي محمد



كل أبناء الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم تجاوزوا سن الرشد تقريبا إلا أبا الأنبياء سيدنا إسماعيل عليه السلام فقد ذكر القرآن طفولته البريئة فى قصص يأخذ بالألباب ويجرى عاطفة الشفقة على حياته ومستقبله.. فمرة يأخذه أبوه إلى واد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ويتركه وأمه فى هذا المكان القفر بلا ماء وطعام ويتركهما والأم تهتف إن كان الأمر من الله إذن لا يضيعنا، وتتجلى العناية الإلهية لتسقى الوليد الصغير الضعيف من ماء زمزم.. ومرة يناديه أبوه ولا يزال فى مرحلة قبل الشباب والفتوة: يا بنى إننى أرى فى المنام أنى أذبحك، فانظر ماذا ترى..! وبنفس يقين أمه هاجر المصرية الأصيلة التى نسجت لنا صلة رحم قوية بسلسلة الأنبياء الذهبية التى انتهت بسيدنا محمد (ﷺ) الذى يعد (ﷺ) حفيدا لأمتنا هاجر المصرية عليها السلام وسيدنا إسماعيل عليه وعلى أبيه وحفيده وأحفاده الصلاة وأتم السلام.. بنفس اليقين فى الله الذى تشبثت به هاجر عندما عطش ولدها كان يقين إسماعيل فى رؤيا أبيه وأنها أمر من عند الله لاتزغه من الشيطان الذى فشل فى إقناع أمه أنها لمة بأبيه ذهب بقلبه وعقله.. فتجلت عناية الله ثانية «وفديناه بذبح عظيم». إن حياة إسماعيل ابن نبي الله إبراهيم عليهما السلام تهز القلوب هذا وتستدر الدمع إشفاقا على طفولته الناعمة الناضرة الواعية بالفطرة لمراد الله فى ابتلائه على هذا النحو وهو لم يعيش لحظات ابتلاء الله لأبيه وقد ولد فى جو من الوثنية واضطر أن يبيت مع الأصنام يحرسها حتى دفعه إيمانه بربه الواحد إلى تفسير الأصنام فأوغر صدور قومه فألقوه فى النار وقد جمعوا له حطباً بكل ما أوتوا من مزم ووقت وقوة.. لكن رحمة الله تداركته: ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾.. نفس العناية الإلهية التى تداركت الأب أدركت الابن ليس لأنه ابنه ولكن لأن الابن إسماعيل تلحف بدثار الإيمان بالله واليقين فى الله فانهقدت النبوة على حقيقتها برابطة العقيدة الجامعة التى انفكت بأمر الله فى نبوة نوح عليه السلام لابنه الذى خرج على المنهج ولم يؤمن بربه ولم يستجب لأمر الله ونداء أبيه الذى دعاه للنجاة

من الغرق ﴿يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين.. قال ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾.. والله إنه لأمر عجيب.. نوح يدعو ولده للنجاة من الغرق فيتأبى عليه ويتمرد وإبراهيم عليه السلام يدعو صبيه إلى الذبح فيسلم ويستسلم لأمر الله ونداء أبيه.. مفارقة عجيبة ونتائج إيمانية عادلة تضىء شمس الإيمان واليقين فى النفس المؤمنة المطمئنة.. وبأمر الله وحده ينال ابن سيدنا نوح جزاء عقوقه لأبيه ورب أبيه «وحال بينهما الموج فكان من المغرقين».. وفزع نوح عليه السلام، رب إن ابنى من أهلى.. فيرد عليه سبحانه: (يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم).. وبنفس الأمر من الله ينزل كبش أملح أقرن من الجنة أو من حيث هيا الله له أن ينزل.. وينادى فى الأب إبراهيم المستسلم لأمر الله والابن إسماعيل الموقن فى قضاء الله: خذ هذا واذبحه «قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين».. المؤمنين الصادقين الموقنين بوعد الله (وفديناه بذبح عظيم).

فهل نعد هذا الابن - إسماعيل على السلام - ابنا عاديا..؟ من الصعب ذلك فقد كان وحيد أبويه وقره عيونهما وقلدة كبدهما.. فما نال تدليلا.. ولا رضع الشهد ولا مس طيبا ولا كان مهده سندسا وحريرا.. ولا بيته قصرا منيفا.. ولا فتحت له الخزائن ينهبها والبنوك ليستفرغها فى حسابات حرام.. وإنما استفرغ شبابه وجهده فى بناء بيت الله الحرام - الكعبة - ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت، وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾..

ستكون إذن سيرة هذا الابن نبراسا لكل من يبحث البر بوالديه ويرب والديه، ونموذجا للطفولة الراشدة التى ضيعتها المدنية الخبيثة المنحرفة عن منهج الله، ومثالا رائعا لأبناء الأنبياء ليقتدى به أبناء الخلفاء والملوك الزعماء..!!

فمن هو إسماعيل عليه السلام؟..

ابن أبى الأنبياء

أبوه : هو نبي الله إبراهيم.. وقد ولد بالعراق لأب نجار - على اختلاف فيه - كان يصنع الأصنام ويبيعها من قومه من يعبدونها. فلما شب إبراهيم ورأى

الأصنام يصنعها أبوه - أو عمه - آزر ثم رأى قومه من بعد ذلك كيف يعبدونها .. وكيف يخلعون على هذه القطع من الخشب التي مرت بين يديه ویدی أبيه كل ذلك التقديس، ساوره الشك في أمرها وسأل أباه كيف يعبدها وهي من صنع يده؟! وهل آزر هو أبو إبراهيم على وجه الحقيقة واليقين؟

يقول الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى رضى الله عنه:

ورد في القرآن قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ وكلمة - لأبيه - وردت في القرآن عشر مرات.. واحدة فقط منها لسيدنا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾.. والآيات التسع الباقيات لسيدنا إبراهيم بداية من سورة الأنعام إلى سورة الممتحنة.. من هذه التسع موضوع واحد جمع فيه بين الاسم العَلَم والوصف فقال: (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة، إنى أراك وقومك فى ضلال مبين).

وفى الثمانى الباقيات جاءت كلمة - لأبيه - بدون ذكر آزر . فكان كلمة آزر جاءت فى هذا الموضع لتشعرنا بشيء.. هو أنك إذا جمعت بين الوصف والعَلَم فلا بد أن يكون الوصف مشتركا مع غيره من العَلَم.

مثلا: إذا أردت أن تسأل عن شخص ما وقابلك إبنه فى الشارع تقول له : أبوك موجود؟.. لأن هذا السؤال لاينصرف إلا إلى أبيه الحقيقى زوج أمه.. فإن قلت للولد: أبوك محمد موجود؟ فإنك لاشك تقصد عمه لأنك ميزته بأسمه لإزالة الاشتراك فى الأبوة. إذن آزر لم يكن الأب الحقيقى لسيدنا إبراهيم ولا الجد الحقيقى لسيدنا إسماعيل عليهما السلام. إنما هو عم إبراهيم بلاشك ولا غرابة فى ذلك فالقرآن يسمى العم أبا فى قوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى.. قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحد ونحن له مسلمون). وإسماعيل أخو إسحاق ومع ذلك أدخله فى جملة الآباء بالنسبة لسيدنا يعقوب غليهم السلام.

وابن هاجر المصرية

أمه : هاجر المصرية تزوجها بعد سارة وأنجب منها ولده إسماعيل وحيدا لا إخوة له حتى ولدت سارة إسحاق.. ذلك أن إبراهيم لم يتجح في هداية قومه وإقناعهم بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع وظل يسألهم: (هل يسمعونكم إذا تبعون.. أو ينفعونكم أو يضرون...؟) فأعرضوا عنه يسفهونه وفرغ الفأس وكسر أصنامهم فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم وهو بيت لإحراجهم.. فأصبحوا يسألونه: أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟.. فحانت فرصة الإقناع له فقال: بل فعله كبيرهم هذا.. فسألوهم إن كانوا ينطقون.. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا. ولا يضركم.. أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون.. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم.. إن كنتم فاعلين.. فجمعوا له ما يؤجج ناراً عظيمة والقوة في النار بلا شفقة ولا رحمة فتجلت له، عناية الله ورحمته تكسر رؤوس جهلهم وغطرستهم وكبرهم قلنا: يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين ونجيناها».. حينئذ فر إبراهيم إلى فلسطين مستصحبا معه زوجته سارة.. ومن فلسطين ارتحل إلى مصر. وبها يومئذ ملوك العماليق.. الهكسوس.. وكانت زوجته سارة جميلة.. وكان ملوك الهكسوس يأخذون الجميلات المتزوجات فأظهر إبراهيم أن سارة أخته خشية أن يقتله الملك ليتخذها زوجا له، وأراد الملك.. بالفعل ذلك.. فرأى في المنام أنها ذات بعل.. فردها إلى إبراهيم بعد أن عاتبه وأعطاه هدايا من بينها جارية تدعى هاجر.. ولما كانت سارة قد أمضت السنين الطوال مع إبراهيم ولم تلد.. دفعته ليدخل بها جردا.. فلم تبطن، أن ولدت له ابنه الأول إسماعيل وبعد أن شب إسماعيل وترعرع حملت سارة وولدت لإبراهيم ولده إسحاق شقيق إسماعيل الصغير.

إلى واد غير زرع

وشب إسحاق إلى جانب إسماعيل.. شقيقان.. وتساوى عطف الأب إبراهيم الحليم الأواه المنيب على الاثنين.. فأغضب ذلك سارة أن رأت هذه التسوية بين

ابنها - ابن السيدة الأولى - سارة وابن جاريتها هاجر غير لاثقة بها وأقسمت على زوجها إبراهيم لاتساكن - ضرتها - هاجر ولا ابنها إسماعيل. وقد رأته والصبا والجمال في وجهه، وكعادة الأشقاء في البيت الواحد تسابقا على شيء يرغبه كلاهما فدفع إسماعيل بإسحاق وأخذه وهو الأكبر فنضرت عروق سارة وغضبت وكررت القسم.. لن أساكن هاجر وابنها.. فأخرج بهما!! وأحس إبراهيم أن العيش لن يطيب وهاتان المرأتان في بيت واحد. عند ذلك ذهب بهاجر وابنها ميمما الجنوب حتى وصل إلى الوادي الذي وصفه الله في القرآن (بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم).. وهو مكة الآن.. وكان هذا الوادي مضرب خيام القوافل في الأوقات التي تفصل فيها القوافل - تستريح - من الشام إلى اليمن أو العكس.. ولكنه - في غير هذا الوقت - من أشد أوقات السنة خلاء فلا قوافل تمر ولا بشر يظهر فيه ولا حتى طير يحوم عليه. ولم؟ وهو مكان مقفر لا تلتمع فيه قطرة ماء واحدة.

وفي هذا المكان ترك إبراهيم ولده الصغير وزوجته هاجر وقد ترك لهما بعض ما يتبلغان به فيسد الرمق.. ورفع يده يودعهما عائدا إلى زوجته.. السيدة الأولى - سارة ومولودهما إسحق.. فتعلق بصر الطفل بأبيه وتشبث قلب الأم بزوجها وأمسكت بطرفه تسأله: لماذا هنا.. وفي هذا القفر المميت.. وبهذه الوحشة.. (الله أمرك بهذا؟).. فقال إبراهيم وقلبه مقمع بالحب والشفقة عليهما (نعم.. ذلك أمر الله).. فتنهدت الأم واحتضنت وليدها وقد أنزل الله سيكنته عليها وربط على قلبها بوثق الإيمان واليقين وقالت (إذن لا يضيعنا).. وعاد الأب إبراهيم أدراجه من حيث أتى.. فاتخذت هاجر عزيزشا بنته فأوت إليه من ابنها.. وهو أقرب إلى خيمة لاتصد ريحا ولا ترفع حرارة ولا تمنع زاحفة من الهوام.. ومضت أيام قليلة وقد نفذ الماء والزاد.. ومع إشراقات الصبح إذا تنفس طلب الوليد الصغير الماء.. لقد عطش حتى استبد به العطش، وأمه في وجل تجيل بصرها فيما حولها فلعلمها ترى طيرا يحوم حول بركة ماء.. فلا ترى شيئا.. فقامت تهرول حتى نزلت الوادي تلتمس ماء.. وجعلت تهرول بين الصفا والمروة ولسانها يلهج بالدعاء وقلبها

بالرجاء حتى أتمت سبعة أشواط، ولما لم تجد الماء عادت إلى وليدها وقد ملكها اليأس إلا من رحمة الله، وبينما إسماعيل يتعلق بحجز. ثياب - أمه ضربت قدمه الأرض فنبع الماء من الأرض مدرارا فسارعت الأم تسقى ولدها حتى ارتوى وشربت حتى الرواء وحرصا على هذه النعمة قامت تحوط الماء بسياج وهي تقول: زمى.. زمى .. إنها بلا شك ستحتاج إليه طويلا.. وكانت زمزم.



الذبيح إسماعيل وليس إسحاق

يقول الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : حياة محمد :

يختلف الرواة هاهنا فى مسألة إقدام إبراهيم على ذبح ولده إسماعيل والفداء وهل كانت قبل ميلاد إسحاق أو بعده؟ وهل كانت بفلسطين أو بمعنى بأرض الحجاز؟

يقول هيكل: إن مؤرخى اليهود ليذهبون إلى أن الذبيح إنما كان إسحاق لأ إسماعيل.. وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه (قصص الأنبياء) أن الذبيح هو إسماعيل ودليله من التوراة نفسها. أن الذبيح وصف فيها بأنه ابن إبراهيم الوحيد وكان إسماعيل هو الابن الوحيد إلى أن ولد إسحق شقيق إبراهيم لأبيه.. والتسليم بهذه الرواية - على استبعاد شديد حيث إن اليهود يلقون علاقة يستدرون بها عطف المسلمين - يقتضى أن تكون قصة الذبح والفداء بفلسطين وأن الذبيح إسحق فقد ظل مع أمه سارة ولم يذهب إلى الحجاز.

فأما الرواية - وهى الأوثق والأشهر - التى تذهب إلى أن الذبيح والفداء إنما كان فوق منى فتجعل الذبيح إسماعيل ولم يرد فى القرآن نص وذكر لاسم الذبيح مما جعل المؤرخين خاصة اليهود يقولون فيه ويشككون فى كونه إسماعيل.

وذكر القرطبي فى تفسيره ثلاثة أقوال ثالثهما قول الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح، وقد كان الزجاج أميل إلى أنه إسحاق.. لكن ابن كثير ساق أدلة الجميع وفند أدلة القائلين بأنه إسحاق وجزم بأن الصواب والصحيح أنه إسماعيل بنص التوراة من أن إسماعيل أكبر من أخيه إسحاق بـ ١٤ سنة وأن إبراهيم أمر بذبح

وحيد البكر.. فيكون هو إسماعيل وتم ذلك بأرض الحجاز - بمنى - وقد ورد فى الحديث الصحيح فيما أورده البخارى ومسلم: (أنا ابن الذبيحين) ولا ينصرف إلا إلى إسماعيل وعبدالله والد النبى (ﷺ).

الغلام الحليم

لما تأخرت سارة زوج إبراهيم فى الحمل وأبطأت أن تلد له ذرية طيبة توجه إبراهيم إلى ربه (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) أنصر دينه.. وتضرع إليه متمنيا أن يرزقه الله ذرية تقرأ عينه وتعينه على طاعته وتكمل رسالته فدعا ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ فأعقب الله دعاءه بالإجابة ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾، ونبى الله إبراهيم حين تمنى الذرية ماتمناها لتكون ذكرى أو عزوة أو امتدادا ينتقل إليه الميراث سيما ميراث الحكم والنبوة..! فالأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا وماتركوه صدقة بنص حديث النبى محمد (ﷺ) نحن معاشر الأنبياء لا نورث وماتركناه صدقة.. والأنبياء يريدون الولد ليحمل دعوة الله ويحرس دينه وينصره معهم ومن بعدهم.. فكان سيدنا إبراهيم عز عليه ألا يتسع عمره ليكون جنديا من جنود منهج الله فى الأرض فقال: يارب قر عيني بأن أرى ولدا لى يحمل مسئولية النبوة من بعدى وطلبه على نحو ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ ولم يقل هب لى الصالحين، فقد أراد إبراهيم عليه السلام من ذريته من هو صالح من ضمن صلاح غيره فهو يريد الصلاح لذريته وللآخرين. ولذا عجل الله بالإجابة فور فراغه من الدعاء.

﴿فبشرناه بغلام حليم﴾.. والبشرى إنما تكون بالشئ قبل وجوده فوصفه الله بأنه سيكون حليما وهو ما يزال غلاما.. يعنى سيجمع الوصفين معا لأن الحلم عادة يتكون لدى الرجل الواعى الذى يستطيع تقدير الأمور. فالميزة هنا أن يتصف الغلام بالحلم فى هذه السن الغضة وأنى له ذلك؟ فعلا ظهر حلم إسماعيل - الغلام - فى أول اختبار يتعرض له حين قال له أبوه.. يابنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى.. يقول الإمام محمد متولى الشعراوى:

أرى فى المنام أنه مطلوب منى أن أذبحك.. ولا دليل على أن عملية الذبح تمت

فعلا فى الرؤيا فى المنام فرآها إبراهيم صورا تتحرك حتى حز السكين فى رقبته.. لا لم يحدث هذا.. وإنما كانت الرؤيا طلبا للذبح فقط.. وقد نقل الأب رؤياه لابنه إسماعيل.. فتجلى حلم الغلام على حقيقته فقال: يا أبت افعل ما تؤمر.. ولم يقل افعل ماتريد.. لأن طاعته لأبيه هنا من باطن طاعته لله تعالى وامتناله لأمر ربه.. فهو يدرك أن أباه متلق الأمر من الله. وإن جاء فى شكل رؤيا.. إذن هو يعلم رغم صغره أن رؤيا الأنبياء وحى حق.. لقد أدرك إسماعيل بحلمه أن المطلوب منه أمران: بره أباه.. وبره برب أبيه فنظر ففكر وتدبر ثم قال: إفعل ما تؤمر.. لقد فاز ببر الوالد ورب الوالد وطمأن أباه ستجدنى إن شاء الله من الصابرين.

ولم يهتز قلب الأب الذى ألف الابتلاء منذ شبابه وقد ألقوه فى النار وهاهو يتلى هذه المرة وهو شيخ كبير جاءه الولد على كبر فهو أحب إليه من نفسه ويؤمر بقتله وهو الابن الوحيد.

الفرج مع الصدق

بنفس ثبات الأب تألق ثبات الابن وكلاهما أسلما.. واستسلما لأمر الله وأذعنا لحكمه وسلم كل منهما زمام حركته فى الفعل لربه.. فإبراهيم هم بالذبح وإسماعيل انقاد للطلب.. وكان بوسع إبراهيم أن يذبجه على حين غرة ودون أن يعلمه بمسألة الذبح هذه.. ولكنه أراد أن يشركه فى الأجر معه، وألا يوغر صدره من ناحيته وهو يذبجه دون داع.. وبدأ الفعل وتله للجبين.. فألقاه على وجهه أو على جنبه بمشورة الولد حتى لا يرى أبوه وجهه ساعة ذبحه فتأخذه الشفقة به فلا يذبجه.. وهاهو إسماعيل يعين والده على طاعة الله وتنفيذ أمره.. واستلقى على الأرض مستسلما.. والسكين فى يد أبيه يحاول بالفعل ذبح ولده.. وأى ولده؟ ولده الوحيد الذى رزق به على كبر!

ولكنه الابتلاء والتمحيص.. والابتلاء ليس بأن يموت الولد أو الحفيد على عين حياة أبيه وجده.. إنما أن يذبجه أبوه بيده. لا بيد شخص آخر.. ويذبجه بناء على رؤيا فى المنام لا أمر صريح بوحى من الله.. إنه ابتلاء مركب استحق عليه السلام

أن يقول الله فيه ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباها وهداه إلى صراط مستقيماً﴾.. واستحق عليه إسماعيل أن يصفه الله بالحلم فى هذا العمر الصغير وبشرناه بغلام حلیم.

رجما للشيطان وحزبه

ويذكر الدكتور محمد حسين هیکل فى (حياة محمد) تصويراً شعرياً لهذه القصة تدعونا روعته إلى أن نقصه هنا: ذلك أن إبراهيم لما تحقق من رؤياه قال لابنه: يا بنى خذ هذا الحبل والمديّة - السكين - وانطلق معى إلى هذه الهضبة لنحتطب لأهلنا.. وفعل الغلام وتبع والده.. فتمثل الشيطان رجلاً.. فجاء - هاجر - أم الغلام فقال لها: أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهباً يحتطبان لنا من هذا الشعب.. قال الشيطان.. لا يل ذهب به بعيداً ليذبحه.. قالت الأم: كلا؟ أبوه أشفق به وأشد حبا له.. قال الشيطان: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، فأجابت - هاجر - الأم: إن كان الله قد أمره بذلك فليطع أمر ربه. فانصرف الملعون خاسئاً.. ثم لحق بالابن وهو يتبع أباه، وألقى عليه إبليس ما ألقى على أمه.. قصده إسماعيل بعزيمة أشد من أمه: لئن كان أمر الله فقد استسلمت له.. فأقبل الشيطان على إبراهيم - الأب - يذكر له أن منامه خدعة وأضغاث أحلام من الشيطان ليذبح وحيداً ثم يندم ولات ساعة مندم.. فصرقه إبراهيم ولعنه بعد أن رجمه بحصوات.. حتى تابعه إبليس يحاول إقتاعه فرجمه بسبع أخرى.. ولا يزال إبليس على عزم أن يقنع إبراهيم أو ابنه فرجمه بسبع ثالثة، وهى مانراه الآن شعيرة فى الحج من رمى إبليس بالجمرات عند الشخوص.. الكبرى والوسطى والصغرى لتظل نسكا يتعبد به الحجاج المسلمون ويراه العامة مشهداً حياً.. يعلن العصيان على إبليس ويزفرض وساوسه متذكّرين ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

ويمضى العابدان إلى تنفيذ أمر الله وقد فهم إسماعيل من أبيه حقيقة الرؤيا فيقول: يا أبتاه اشدد وثاقى لئلا يصيبك شيء من دمي فينقص أجرى وإن الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدت مسه.. فاشحن شفرتك حتى تجهز

على.. واكبنى على وجهي فلعلك تنظر في وجهي فتدرك الرقة فتحول بينك وبين أمر ريك في.. وإن رأيت أن ترد قميصي إلى أمي فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى فافعل.. فقال أبوه: يا بني نعم العون أنت على أمر الله .. ثم إنه هم بالتنفيذ فعلا فشد كتاف الغلام وتله للجبين ليذبحه.. وبعدما وصلا إلى هذا الدرجة من الاستسلام لله ناداه الله ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ والله سبحانه كان معهما يرقب هذا الانقياد من عبيدين صدقا مع الله وردا كيد الشيطان عليه فجاءهما فرج الله القريب.

﴿قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين.. وفديناه بذبح عظيم﴾.. يعنى ارفع يدك يا إبراهيم عن ذبح ولدك الوحيد . إسماعيل . فما كان الأمر إلا بلاء مبينا قاسيا عليك وعلى ابنك وعلى أمه هاجر.. وقد أبان البلاء وأظهر قوة عقيدتكم جميعا فخذ هذا الفرج ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ يكبش يقول المفسرون: أنزله الله من الجنة فداء لإسماعيل أبى الأنبياء.. وآخرون يقولون: جاء به الله على أى نحو .. المهم أنه جاء وتمثل بين يدي إبراهيم فذبحه تحقيقا للرؤيا وفداء لإسماعيل.. وذكر الله حيثيات ذلك فقال: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين.. إنه من عبادنا المؤمنين.. وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحاق .. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾.. لقد تقرب إبراهيم وابنه وزوجه بأكثر مما فرض الله عليهم وقد عشقوا التكليف والمكلف وعلموا أن الله كلفهم بأقل مما يستحق فزادوا فكانوا من المحسنين.. وبالإحسان والاستسلام كان الفداء فعاش إسماعيل، ثم زاد الله إبراهيم وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين.. ثم زاده .. ومن وراء إسحاق يعقوب وكلاهما نبى.. إذن كل هذا الخير جاء ثمرة اليقين والصدق مع الله والاستسلام لأمره والرضا بحكمه وقد كتب الشيخ الشعراوي في هذا:

وحتى تستفيد وتسلم

إذ قال خالقه فلما أسلم

سلم لريك حكمه فلحكمه يقضى

واذكر خليل الله في ذبح ابنه

رد شبهات المستشرقين

المستشرقون هم نقر من العلماء الغربيين لا يدينون في الأصل بالإسلام وقد درسوا لغتنا العربية حتى حفظوها صرفا ونحو، ومن ثم قرأوا القرآن والسنة النبوية بحثا عن مطاعن يطعنون بها في القرآن والسنة والنبي (ﷺ) لعلهم يصرفون قلوب المسلمين عن دينهم أو يحولون بين من يفكر في الإسلام أن يقتنع به ويؤمن برسوله وكتابه.

وقد افترى المستشرقون على الله الكذب وسودوا كتبها آلاف الشبهات حول الإسلام قرآنا وسنة ونبيا بل ولغة.. وإن قيض الله لدينه من يرد عنه غيالاتهم ويفسد مكرهم.. ومن عجب أن نسمع اليوم من بعض مدعى السلفية من يقول: إن تعلم اللغة الإنجليزية وسائر اللغات الأجنبية حرام شرعا.. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا..!

فما أحوطنا إلى استقراب ندرس بموجبه لغة الغرب ومن شايعهم على الكفر وندرس منهجهم لنبين للناس فساد المنهج والاستدلال عندهم ونأمن مكرهم وشهرهم.. وفي أمر انتقال إبراهيم وإسماعيل إلى مكة شكك المستشرقون في ذلك وسبقهم المؤرخ الإنجليزي وليم موير فينقى قصة انعقد الإجماع على جملتها من ذهاب إبراهيم وإسماعيل إلى مكة.. ذلك أنه لما تفجرت زمزم تحت قدم إسماعيل الظمء ويعد أن شرب وأمه وأستقر بهما المقام هناك.. استهوت زمزم وماؤها بعض القبائل للمقام على مقربة منها و«جرهم» أولى القبائل التي أقامت بل ربما تكون موجودة أساسا قبل هاجر وابنها.. وشب إسماعيل وتزوج فتاة من «جرهم» وأقام وإياها مع الجرهميين في هذا المكان الذي شيد به البيت الحرام وقامت مكة بعد ذلك من حوله.. ولسوء استقبال زوجة إسماعيل لأبيه إبراهيم أبلغها أبوه برسالة تصله لدى عودته للبيت: إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولى له: غير عتبة بيتك! فسرحتها إسماعيل وتزوج جرهمية أخرى بنت مضاض بن عمر.. وقد أكرمت وفادة إبراهيم لما زارهما.. فأنصرف وقد ترك رسالته: أقرئى زوجك السلام وقولى له: الآن استقامت عتبة بيتك.. وولد لإسماعيل من هذا الزواج اثنا

عشر ولدا هم آباء العرب المستعربة وهم العرب الذين ينتمون من ناحية خؤولتهم في «جرهم» إلى العرب العاربة أبناء يعرب بن قحطان، فأما أبوهم إسماعيل بن إبراهيم فيمت من ناحية أمه إلى مصر بأوثق نسب ومن ناحية أبيه إلى العراق وإلى فلسطين.. هذه قصة انعقد الإجماع عليها، لكن وليم موير ينفيها من أساسها ويقول: إنها إسرائيليات ابتدعها اليهود قبل الإسلام بأجيال ليربطوا بينهم وبين العرب بالاشتراك في أبوة إبراهيم لهم أجمعين.. إن كان إسحاق أبا لليهود فإذا كان إخوه إسماعيل أبا العرب فهم إذن أبناء عمومة توجب على العرب حسن معاملة النازلين بينهم من اليهود وتيسر لتجارة اليهود في شبه الجزيرة.. ويحاول موير أن يلفق دليلا فيقول: إن أوضاع العبادة في بلاد العرب لا صلة بينها وبين دين إبراهيم فهم مغرّقون في الوثنية وإبراهيم كان حنيفا مسلما.. وهو تعليل غير كاف بل ساقط كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل: هذا التعليل لا يكفي لنفي واقعة تاريخية كهذه.. فوثنية العرب بعد موت إبراهيم وإسماعيل بقرون كثيرة تدل على أنهم كانوا كذلك حين جاء إبراهيم إلى الحجاز وحين اشترك إسماعيل في بناء الكعبة ولو أنها كانت وثنية يومئذ لما أيد ذلك سير وليم موير.. ويقول هيكل: كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام وحاول هو هدايتهم فلم ينجح.. فإذا دعا العرب إلى مثل مادعا إليه قومه فلم ينجح وبقي العرب على عبادة الأوثان لم يطعن ذلك في ذهاب إبراهيم إلى مكة ومعهم ولده إسماعيل بل إن المنطق ليؤيد رواية التاريخ.. فأبراهيم الذي خرج من العراق فارا من أهله إلى فلسطين وإلى مصر.. رجل ألف الارتحال وألف اجتياز الصحارى، والطريق مابين فلسطين ومكة كان مطروقا.. أصلا.. من القوافل منذ أقدم العصور فلا محل للريبة إذن في انتقال إبراهيم وإسماعيل إلى مكة.. والعجيب أن السير وليم موير ومن وافقوه يرون إمكانية انتقال جماعة من أبناء إبراهيم وإسماعيل بعد ذلك من فلسطين إلى بلاد العرب واتصالهم وإياهم بصلة النسب.. هذا الإمكان جائز عندهم فكيف.. بالله.. لا يكون جائزا في شأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.. وكيف لا يكون ثابتا قطعا ورواية التاريخ تؤكده.. وكيف لا يكون بحيث لا يأتيه الريب من بين يديه ولا من

خلفه وقد ذكره الله في القرآن وتحدثت به بعض الكتب المقدسة الأخرى..!

إبراهيم وإسماعيل رفعا قواعد البيت

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾.

ويتساءل فضيلة الشيخ الشعراوي: هل البيت هو ذات الكعبة؟

ويجيب على نفسه.. ولنا: نتأمل معا وإذ يرفع ونفهم ما هو الرفع.. الرفع هو الصعود والإعلاء.. فكل بناء له طول وعرض وارتفاع.. ومادامت مهمة إبراهيم هي رفع القواعد، فكان هناك طولاً وعرضاً - أصلاً - للبيت وإن إبراهيم سيحدد البعد الثالث وهو الارتفاع.. إن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم ثم جاء طوفان نوح عليه السلام فأخفى معالم البيت فأراد الله أن يظهره ويبين مكانه للناس ﴿وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.. إذن كان البيت موجوداً وإسماعيل طفل رضيع ولكن القواعد ارتفعت بعد أن أصبح إسماعيل شاباً يافعاً يستطيع أن يعاون أباه في بناء الكعبة فوق البيت الذي وجد قبل أن يخلق آدم عليه السلام مما يقتضى أن الملائكة هم الذين وضعوه بأمر الله وحيث أراد الله لبيته أن يوضع.

ولطفاً من الله جاء الفعل يرفع بصيغة المضارع لتصوير هذا الحدث المهم الآن وفي المستقبل وهو يقول لنبيه محمد (ﷺ) حفيد إبراهيم وإسماعيل تذكر طاعة أجدادك وتأمل كيف أخلصوا في إيمانهم لله وبذلوا الجهد وأفرغوه في بناء الكعبة التي ستكون قبله أمتك.. كما أن الله يريد من المؤمنين أن يتصوروا عملية الرفع، فلم يكن إبراهيم يملك سلماً أو آلة رفع حتى يرفعه ويقف فوقه.. ولم يكن يملك (سقالة) ولكن غياب هذه الآلات التي تيسر له تنفيذ أمر الله ومراده لم يمنعه إبراهيم من أن يتحائل ويأتي بالحجر ويرشد ولده.. إن الله يريد منا ألا ننسى هذه العملية.. وإبراهيم وابنه إسماعيل ينهبان للبحث عن حجر، ولا بد أن يكون الحجر خفيفاً ليسطيعا أن يحملاه إلى مكان البناء، ثم يقف إبراهيم على الحجر وإسماعيل يناوله الأحجار الأخرى التي سيتم بها رفع القواعد من البيت.. ورغم المشقة التي يتحملها الاثنان.. هما سعيدان.. وكل ما يطلبانه، ﴿ربنا تقبل منا إنك

أنت السميع العليم.. تسمع دعاءنا وتعلم إخلاصنا وصدق نيتنا فأجزل لنا الثواب وابلط لنا رحمتك وقد ارتفعت الآن القواعد من البيت.

الجد يدعو للحفيد (ﷺ)

ويستمر إبراهيم وإسماعيل عليهما في التضرع والابتهال إلى الله أن يثيبهم خيرا عن عملهم هذا.. فيدعوان لنفسيهما ولذريتهما من بعدهما أن يكونوا على ملة الإسلام وأن يرزقهم الله نبيا رسولا منهم يختم به الرسالات ويحافظ على نسك جديه إبراهيم وإسماعيل.. صلاة عند المقام وطوافا حول الكعبة وقد أجابهما الله فاستجاب.

إبراهيم كان يدعو الله بقلبه ولسانه وإسماعيل يردد نفس الدعاء مع أبيه ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك.. ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾..

هذا هو دعاء إبراهيم وإسماعيل يردد معه أن يتم الله نعمته على ذريته ويزيد رحمته على عياده بأن يرسل لهم رسولا منهم يبلغهم منهج الله حتى لا تحدث فترة ظلام وضلال ووثنية كما حدث قبل إبراهيم.

إن كلمة (رسولا منهم) ترد على اليهود الذين أحزنهم أن رسول الله خاتم النبيين والمرسلين من العرب وأن الرسالة يجب أن تكون فيهم ونحن نرد عليهم:

جدنا وجدكم إبراهيم وأنتم من ذرية يعقوب بن إسحاق.. ومحمد نبينا (ﷺ) من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وأخ لإسحاق.. ولا حجة لما تدعون أنكم شعب الله المختار الطاهر وأن ما دونكم بخس وخدم لكم.. لقد أراد الله أن يسلب منكم النبوة لأنكم ظلمتم في الأرض ونازعتم السماء والله وعد جدنا عليه السلام عندما سأل ربه إمامة ذريته معه فقال له ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾!

إذن هو رسول الله محمد (ﷺ) دعوة أبيه إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم القرآن ويعلمهم الكتاب أحكاما وشرعية ويشرح لهم السنة حكمة تنسر ما أجمله الله في آيات القرآن.

فهل بقى لليهود حجة يكذبون بها على الله.. لا.. لم تبق لهم حجة.

قصة جد النبي محمد (ﷺ)

اتم إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام مهمتهما فى رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة وفرغوا للعبادة والتسك.. بينما ذرية إبراهيم تنتشر وتزيد خاصة من ولده إسماعيل الذى تزوج الجرهمية بنت مضاض بن عمرو.. ويثبت التاريخ أن أمر البيت الحرام بقى بعد وفاة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى يد جرهم أخوال بنيه أجيالا متعاقبة أقاموها حوله فى جو من رحلات الشتاء والصيف من اليمن إلى الشام إلى نجد والحيرة فراجت تجارة مكة وتمدنت مكة بعض الشيء وظل أمر مكة لجرهم بعد أن غلبوا العماليق عليها إلى عهد مضاض بن عمرو بن الحارث وظهر المترفون ونسوا أنهم بواد غير ذى زرع وأنهم فى حاجة للدأب المتصل واليقظة الدائمة.. وبلغ من نسيانهم أن نضب ماء زمزم وأن فكر عرب خزاعة فى الوصول إلى مناصب البيت الحرام من حجابة وسقاية ورفادة ورئاسة الندوة وحمل اللواء.. ولم يجد تحذير مضاض قومه عاقبة ما انغمسوا فيه من ترف وأيقن أن الأمر زائل عنهم وعنه فعمد إلى زمزم فأعمق حفرها وإلى غزالتين من ذهب كانتا بالكعبة مع بعض الأموال التى أهديت للبيت الحرام فدفعها بقاع البئر وأهال عليها الرمال آملا أن يعود له الأمر يوما فيفيد من الكشف عنها.. وخرج ومعه بنو إسماعيل من مكة ووليت خزاعة أمرها وظلت تتوارثه حتى آل إلى قصة بن كلاب الجد الخامس للنبي محمد (ﷺ).. وكانت أم قصة فاطمة بنت سعد بن سهل قد تزوجت من كلاب فولدت له زهرة وقصيبا.. ثم مات كلاب وقصى طفل فى المهدي وتزوجت أمه من ربيعة بن حزام فرحل بها إلى الشام وهناك ولدت له (درجا) وكبزي. قصة وهو لا يعرف. لنفسه أبا غير ربيعة وفى شجار بينه وبين آل ربيعة عيروه أنه ليس منهم فشكا قصة إلى أمه ما عيروه به فقالت: يا بنى إنك والله لأكرم منهم أبا.. أنت ابن كلاب بن مرة.. وقومك بمكة عند البيت الحرام.

وقدم قصة مكة وأقام بها وعرف عنه فيها من الجد وحسن الرأى ما جعله

موضع احترام أهلها وأهله فيها وكانت سداً البيت في خزاعة (لحليل) بن حبشية وكان رجلاً ثاقب النظر حسن التقدير فما لبث حين خطب قصى إليه ابنته (حبى) أن رحب به خطيباً لابنته وزوجه منها واستمر دأب قصى في السعى والتجارة فكثر أمواله كما كثر أولاده وعظم بين قومه شرفه.. ومات (لحليل) بعد أن أوصى بمفتاح الكعبة (الحبى) زوج قصى واعتذرت (حبى) عن ذلك وجعلت المفتاح لأبى غبشان الخزاعى وكان سكيراً فأعوزه الشراب يوماً فباع مفتاح البيت الحرام لقصى بن كلاب مقابل قتيبة خمراً! ونأواته خزاعة وحشدت له نفراً تجبره على ترك سداً البيت فاستنقر قصى قريشاً حتى رأت بعض القبائل أنه أحكم المقيمين بمكة وأعظمهم قدراً فانضموا له وأجلوا خزاعة عن مكة واجتمعت مناصب البيت كلها لقصى بن كلاب وأقره القوم بالملك عليهم.. فأمرهم أن يبنوا بها دورهم وابتدأ هو فبنى دار الندوة يجتمع فيها كبراء أهل مكة تحت إمرته ليتشاوروا في أمور بلدهم.. فلم تكن تنكح امرأة ولا يتزوج رجل إلا في هذه الدار وبنيت قريش دورها حول الكعبة وتركوا مكاناً كافياً للطواف بالبيت وتركوا بين كل بيتين طريقاً ينفذ منه إلى المطاف.

وقد أنجب قصى عبد الدار وعبد مناف، وتفوق عبد مناف في تجارته وحاز ثقة الناس أكثر بكثير من عبد الدار.. فلما طعن أبوهم قصى في السن وضعف بدنه عن تولى أمور مكة.. جعل الحجابة لابنه الأكبر عبد الدار وسلمه مفتاح البيت كما أعطاه السقاية واللواء والرفادة.. وكانت الرفادة قسطاً تدفعه قريش من أموالها لقصى يصنع منه طعاماً للحجاج فكان هو أول من فرض الرفادة على قريش بعد أن بايعته ملكاً عليها.. وقد قال لهم: (يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وحرمة وإن الحجاج ضيوف الله وهم أحق الأضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم).

وتولى عبد الدار وأبناؤه من بعده مناصب البيت الحرام.. وأبناء عمومتهم - عبد مناف - يزدادون شرفاً ومكانة في قومهم، لذلك أجمع هاشم وعبد شمس والمطلب - جد النبي محمد (ﷺ) لأبيه عبدالله بن عبدالمطلب - ونوفل بنو عبد مناف على أن

يأخذوا مناصب البيت الحرام من أبناء عمومتهم وتفرق رأى قريش فى ناحيتين مالت كفة كادت ترجح ناحية أبناء عبد مناف.. وقبل أن تتصاعد حدة الخلاف تداعى العقلاء إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة.. وأن تبقى الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتراضى الفريقان بذلك.. وظل الأمر عليه إلى أن جاء الإسلام.. وكان هاشم كبير قومه وكان ذا يسار وغنى فولى السقاية والرفادة ودعا قومه إلى مثل ما دعاهم إليه جده قصى بن كلاب وظل هاشم هكذا حتى تقدمت به السن لا ينافسه أحد حتى مات بغزة أثناء رحلة الصيف فخلفه أخوة المطلب . عبدالمطلب بعد ذلك . فى مناصبه وهو ذو شرف فى القوم وفضل وكانت قريش تسميه (الفيض) لسماحته وفضله فصارت له القيادة فى قريش، وكانت العرب ما تفتأ تذكر زمزم التى طمها مضاض بن عمرو الجرهمى منذ قرون خلت وكان عبدالمطلب أسبقهم إلى هذا التفكير فألح باحثاً عن زمزم حتى اهتدى إليها بين الوثنين إساف ونائلة وجعل يحفر مستعيماً بابنه الحارث حتى نبع الماء وظهر المدفون، أسياف مضاض وغزالتان من الذهب.. وهمت قريش تريد مشاركته الكنز فقال لهم: بل نضرب القداح على ما استخرجنا نجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين.. فمن خرج قدحاه على شىء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شىء له فارتضوا وضربت القداح عند هبل فتخلف قدحا قريش وخرجت السيوف لعبد المطلب والغزالتان للكعبة فضرب عبدالمطلب السيوف بابا للكعبة وضرب فى الباب غزالتى الذهب حلية للبيت الحرام وأقام عبدالمطلب فى سقاية الحاج بعد أن يسرتها زمزم له.



فالكائنات ضياء

ولله الهدى

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل:

وأحس عبدالمطلب قلة حوله فى قومه لقلته ولده فتذر إن ولد له عشرة بنين ثم بلغوا معه أن يمنعوه من مثل ما لقى حين حضر زمزم لينحرن أحدهم لله عند الكعبة.. وقد رزق بعشرة وبقي الوفاء بالنذر.. ومرة أخرى يضرب القداح عند

الكعبة حتى يعين المنحور وفاء بنذرهم.. فإذا هي تقع على أصغر أبنائه وأحبهم إليه عبدالله.. وهم عبد المطلب بذبحه فانتفضت قريش كلها تهيب به ألا يفعل حتى قال المغيرة بن عبدالله المخزومي: إن كان فداؤه بالمال فدينا.. وأشار نضر إلى عرافة بيثرب لها رأى في مثل ذلك.. فجاءوها فقالت لهم: كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت فارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشرا من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت على صاحبكم - عبدالله - فزيدوا حتى يرضى ربيكم فتخرج عنه. وجعلت القداح تخرج على عبدالله فيزيدون في الإبل حتى بلغت مائة.. عند ذلك خرجت القداح على الإبل فأصر عبدالله أن يعيدها ثلاثة حتى يطمئن قلبه لرضى ربه ونحرت الإبل ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

ونجا عبدالله الذبيح الثاني وشب في بهائه وجماله تنهافت عليه نساء قريش وهو مستعصم مستمسك بالعفاف والشرف.. تقاديه فاطمة بنت مر الخثعمية.

يا مطرقا والأرض من حوله
تزينها حسن الوجوه الصباح
عرج علينا ساعة فعندنا
إن شئت روح وراح

فردها عبدالله الحر الكريم:

أما الحرام فالأمات دونه
يحمى الكريم عرضه ودينه
والحل .. لا حل فأستبيحه
فكيف بالأمر الذي تنوينه

ويمضى الذبيح الثاني في موكب الشرف حتى تفوز به أمنة بنت وهب حفيدة إسماعيل عليه السلام ويتزوجها عبدالله وبسرعة المشيئة تحمل بأشرف خلق الله محمد (ﷺ) فيموت أبوه وهو جنين في بطن أمه وفي موكب من الإشراق وتلقى المعجزات تضع أمنة ابنها محمد بن الذبيح الثاني عبدالله بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي يصل نسبه إلى الذبيح الأول إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.. ولذا كان النبي (ﷺ) بذلك يقول:

﴿أنا ابن الذبيحين .. إسماعيل وعبدالله رضى الله عنهما﴾



السيدة فاطمة الزهراء

وكانت رسول الله ﷺ



* أم أيها ..

* يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها

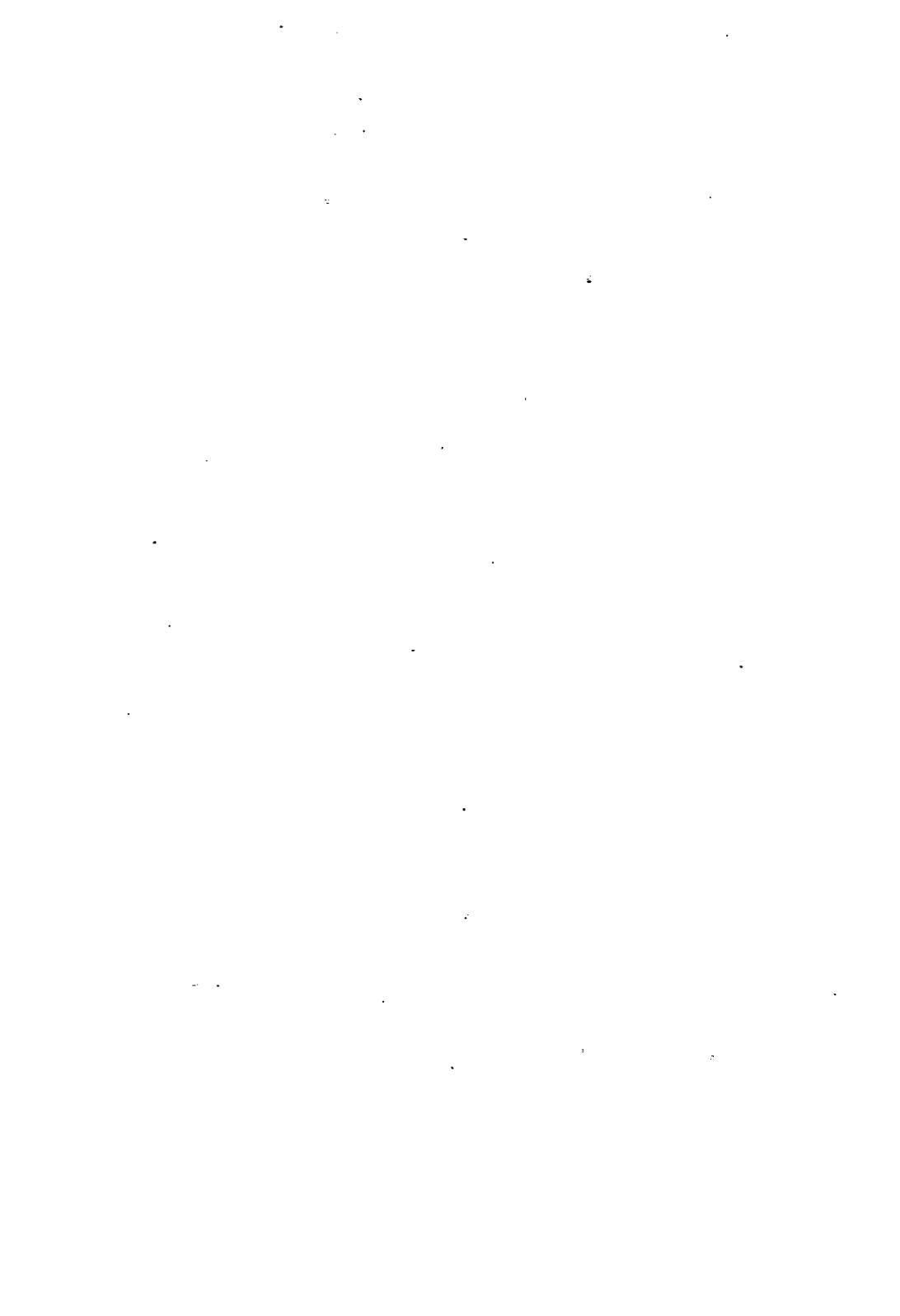
* من خير نساء العالمين

* أشبه الخلق سمنا وهديا برسول الله

* أصدق من تكلم بعد رسول الله ﷺ

* زوجة علي من غير ضرورة

* وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما ..



الزهراء سيرة عطرة

اكتب هذه السطور عن السيدة فاطمة الزهراء بعد عشر سنوات من التمنى أن اكتب كتابا يسجل سيرتها العطرة .. نعم تمنيت ذلك وبحثت عما كتب عنها فى كتاب أو مقال أو ديوان .. كنت ولا أزال مشغوقا بسيرتها محبا لشخصيتها أحبها طليبا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهأنذا أبدأ بتوفيق الله وقد تهلل وجهى وانتشر صدرى وانطلق قلمى يسابقنى شوقا إلى هذه السيرة وأظنه فرح مثلى وربما أكثر .. ولم لا .. وكل من يكتب عن السيدة فاطمة رضى الله عنها يشعر بسعادة غامرة وقد حدثت .. ولا تسأل لماذا وكيف ؟

لقد تخيلها عقلى المتبهر أنها أمامه واقفة فى حياتها الإسلامى وروحها الملائكية وطهارتها النادرة ووجهها الوضاء الجميل ولسانها العف وصوتها الذى يخيل إليك أنك تسمع نبرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيتها التى لا تفارق مشية أبيها شبيها ولا معنى .. فوجدتني أهتف مع قلمى : الله .. الله يا سيدتى ما أكملك قولاً وفعلًا .. وما أحسنتك خلقاً ومنبتاً ، يا زينة البيت النبوى الكريم ، وطبيبة القلب الحزين وحببية الأرامل والمساكين ..

• النظرة الأولى منك إلى رسول الله ﷺ كانت إيماناً برسائلته .

• والنظرة الثانية منك إلى رسول الله ﷺ كانت إيماناً بأبوته .

• والنظرة الثالثة منك إلى رسول الله ﷺ كانت إيماناً بمحبته .

• والنظرة الرابعة منك كانت إيماناً بصحبته ﷺ .

• والنظرة الخامسة منك كانت إيماناً بطاعته .

• والنظرة السادسة منك كانت إيماناً بالوفاء له ولدعوته .

♦ والنظرة السابعة منك إلى رسول الله ﷺ كانت يوم أن خفق قلبك حناناً ورقة

وتتمتم لسانك بكلام يحكى طهارة حصيرة قلبك ونقاوة أسوار نفسك فقلت لأبيك

المصطفى ﷺ «لبيك يا أحب والد وأكرم داع»

مولدها الشريف

زمنه :

لقد أقبل العام العاشر من زواج فتى قريش الأول محمد بن عبد الله من الطاهرة سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد وقد أنعم الله عليهما بثلاثة أبناء وهماما يستقبلان الثمرة الرابعة اليانعة للزوجية المباركة . وقد واکب هذا الميلاد حدث جليل فى تاريخ مكة والبيت العتيق وفى التاريخ الناصع للأب الكريم .. منذ احترقت ستائر الكعبة بشرارة طارت من مجمرة إحدى النسوة فتصدعت وأوهى بنيانها ثم انحدر سيل دافق من أعلى جبل حولها فانهارت من بعض أركانها ووقفت قريش أمام حرمها المقدس حائرة لا تدرى ماذا تفعل لتحتفظ بالبيت العتيق الذى جعل من مكة مثابة حج العرب جميعا ومهوى أفئدتهم وأنزل قريشا بحكم جوارها للحرم منزلة لا تدانيها منزلة قبيلة سواها ..

وتم الاستعداد لبناء الكعبة وقريش ما زالت تنهيب حتى قام الوليد بن المغيرة المخزومى ورفع المعول قائلا « اللهم لم ترع ! اللهم إنا لا نريد إلا الخير» وقومه ينظرون فى ترقب عساه ينال عقاب الآلهة .. فلما لم يصبه سوء قاموا فهدموا ما تبقى وتنافست القبائل فى جمع الحجارة لبناء الكعبة وشارك محمد فى ذلك العمل المجيد فكان يحمل الأحجار على كتفه وينقلها مع الناقلين حتى إذا اكتمل بناء الكعبة والحجر الأسود ما زال ينتظر مكانه بعد أن تخاضعت القبائل تريد أن تستأثر بشرف وضعه بعد رفعه .. وبعد خمس ليال قام أبو أمية بن المغيرة زاد الركب المخزومى والد أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها وهو يومئذ أكبرهم سنأ فقال : « يا معشر قريش كفى خلافا وعصية .. واجعلوا بينكم فيما تختلقون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد فيقضى بينكم فيه » .

فعلقوا الأمر فقبلوه وتعلقت أبصارهم بالباب تترقب أول داخل ومن سيكون وإنهم كذلك إذ ملأ عيونهم نور رجل شاب تام الفتوة متنن الخطا عن غير تكلف، رزين من غير فتور بهى الطلعة مع جد ووقار ، فهتفوا جميعا لما رأوه : « هذا الأمين .. هذا محمد بن عبد الله الهاشمى ، رضينا حكمه » وأقبلوا، عليه فحدثوه

بما شجر بينهم من خلاف وتسايق ، فطلب ثوباً ثم بادر فخلع عباءته وتناول بيده الحجر فوضعه فيها ثم نادى فيهم لتأخذ كل قبيلة بناحية من العباة ، ثم ارفوه جميعاً .. وهشت وجوه القوم وتلاقت أفئدتهم فرحا بتمام بناء الكعبة وأمسك نائب كل قبيلة بطرف حتى إذا وصلوا إلى البيت مدَّ محمد يده وأخذ الحجر فوضعه في مكانه ودعم بناءه وهو يومئذ عمره خمس وثلاثون سنة .. وتهلل الجميع بشرا وتبادلوا التحية فتركهم الأمين على هذا الحال وعاد إلى بيته مسرعاً .. لقد خرج الغداة وقد ترك زوجته خديجة في آلام المخاض ومقدمات الوضع بل ربما على وشك الولادة .. ولا تزال خطواته تسرع به وهو يفكر ترى ماذا حدث لخديجة .. وماذا عسى تكون قد وضعت ؟ .. حتى إذا دق الباب فانفتح اندفع ملهوفاً إلى زوجه فإذا بقمر تضوى أنواره بين يديها .. إنها ابنته الرابعة فاطمة الزهراء التي ولدت في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة .. بحنان بالغ وأبوة رائعة حمل الأب ابنته المباركة يهددها ويلطفها وخديجة يخفق قلبها مع قلب الأب فقد سرها أن ترى بشاشة محمد وهو يحمل الأنثى الرابعة في أولاده .. ولعلها ظنت فيه أنه ينتظر ولداً ذكراً .. ربما سرها أن رأته ملامح ابنتها تشبه ملامح أبيها فأدركت خديجة أن الله سوف يتعهد لها برعايته وعنايته لتكون مثلاً لأبيها محمد في خلقه وحُلقه .

مكان مولدها :

ولدت السيدة فاطمة الزهراء بدار أمها السيدة خديجة بنت خويلد وهي الدار التي تقع بزقاق الحجر بمكة ويقال له زقاق العطارين كما تعرف بمولد فاطمة لكونها ولدت وسائر أولاد خديجة من النبي بها .

وظل الرسول ساكناً فيها بعد وفاة خديجة حتى هاجر إلى المدينة وهذه الدار - شأنها شأن كل الأماكن العطرة كالدار التي ولد فيها أبوها محمد ﷺ .. لم يعد لها وجود ولا شهود فقد اختفت في باطن الأرض وانهايت عليها الأنقاض بفعل فاعل في تصرف غير مسئول وغير مقبول من دعاة سلفية متهوره وقد طمسوا كل المعالم لكل البقاع الطاهرة .. وإن تعجب .. فاعجب حين ترى بعض قصورهم

العتيقة التي واكبت فجر مملكتهم وقد أحاطوها بعناية فائقة لكانها بنيت بالأمس..!!

أم أبيها .. فاطمة بأمر الله

كانت تسميتها فاطمة بإلهام من الله تعالى لأن الله فطمها عن النار .
فقد روى الديلمي عن أبي هريرة رضی الله عنهما : أنه عليه السلام قال: «إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها وحجبها عن النار» .
إذن فتسميتها توقيفا لا توفيقا .. فقد ألهم الله أباه محمد بالاسم والمعنى فكانت نعم المسمى ونعم المسمى .

واشتهرت بهذا الاسم، لكن المحبين العاشقين لنورها وجمالها أضافوا الزهراء ، والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة، كما أضاف بعض كتاب السيرة أنها لقبت بالبتول فضلا عن أحب ألقابها إلى قلب النبي ﷺ فقد أطلق عليها أم أبيها .. فقد كانت أصغر بنات رسول الله ﷺ ولأنها كانت في البيت وحدها بعد موت أمها خديجة رضی الله عنها فتولت رعاية الرسول ﷺ والسهر عليه كأحسن وأحن ما تكون الأم .

خير النساء

الله .. الله يا زهرة بيت النبوة الكريم ، ويا ضوء إشراقة الأمل في كل قلب حزين .. ما أوفر حظك بالحنان والرفقة من إنسان عظيم وأب كريم قال الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فضمك ضمة الأب الحنون والدر المكنون .. حملك فتبسم ، واستبشر فتكلم وقلبه الشريف قرينة العلم والأسرار ، ولسانه لسان الصدق والاعتبار .. نظر الرسول ﷺ في وجه ابنته الحبيبة فاطمة وهو يقول «خير نساء العالمين أربع : مريم وآسية وخديجة وفاطمة» وتضحك الدنيا فرحا بمنزلة فاطمة وتظن أنها بلغت - بذلك ذروة الشرف والسؤدد - ولكن ما زال عند والدها ﷺ الكثير من منازل الشرف ومقامات المجد لفاطمة .. وهاهو ﷺ يناغيها ويلاعبها ويلاطفها ويمسك بحمرة خدودها المتوردة وهو يقول : «يا فاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك» . ألم أقل لنفسي إن من يكتب عن السيدة

فاطمة الزهراء يشعر بسعادة ورهبة.. وهأنذا تحت ستار هذا القول أحتمي وبطل هذا الرضا أستظل لعله يفتح لنا الباب لترضى وحتى يرضى الله عنى برضاها.



التسبب الطاهر

ولدت فاطمة الزهراء رضى الله عنها فى بيت من أعرق بيوت قريش.. فالأب محمد ﷺ الصادق الأمين لا يدانيه أحد من قريش فى شرفه وصدقه وأمانته وأما خديجة بنت خويلد ليس فى مكة كلها من تدانيها شرفا وعزة ورفعة.. وأما جد الزهراء لأبيها ﷺ فهو عبد المطلب شيبه الحمد أحسن قريش وجها وأمدهم جسما وأحلمهم حلما وأجودهم كفا وأبعد الناس موبقة تفسد الرجال. ولم يره ملك قط إلا أكرمه وشفعه وكان سيذا حتى مات، هكذا يذكره ابن سعد فى طبقاته ويقول: كان عبد المطلب على صلة عظيمة بالله، فكان يعبد الله على دين إبراهيم خليله عليه السلام. وجدتها لأبيها السيدة أمنة بنت المرأة الطاهرة التى اختارها الله من بين نساء الأرض لتكون أما لسيد البشر ﷺ.. إنها من بنى زهرة بن كلاب شقيق قصى وهى أشرف أصول قريش، وأبوها سيد زهرة شرفا وحسبا، وأما من بنى عبد الدار فهى من صفوة قريش أبا وأما.. هذه هى السيدة أمنة أم رسول الله ﷺ وجدة فاطمة رضى الله عنها.. وأما جدها لأما فهو خويلد بن أسد بن عبد العزى أخو عبد مناف أحد أجداد النبى ﷺ وأبوهما قصى بن كلاب، فخديجة أم فاطمة تلتقى مع زوجها محمد ﷺ فى الجد الرابع قصى بن كلاب.. والتاريخ لا ينسى موقف الجد الشهم الهمام حينما وقف فى وجه تبع عندما جاء من اليمن حاجا وسولت له نفسه أن ينتزع الحجر الأسود ويأخذه معه فتصدى له خويلد أبو خديجة رضى الله عنها وراح ينازعه فيما أقبل عليه ويخوفه من رب البيت وغضبه.. يقول السهلى: ونام تبع وكلمات خويلد تملأ عليه تفكيره فما لبث أن قام مفزوعا برؤيا روعته فى منامه ترويعا شديدا حتى ترك ذلك العزم على خلع الحجر وانصرف عنه.

إذن هو النسب العريق الطاهر يحيطها من كل ناحية وعرق، فما أطيبك يا

فاطمة بنت رسول الله ﷺ وما أطيب نسلك وأطهر نسبك وأعرق حسبك رضى الله عنك ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك على الحمائم.



"محيط من الحب"

وتبدأ فاطمة أولى خطواتها على الأرض ولا تزال طفلة صغيرة تزحف أحيانا وتحاول أن تقف أحيانا أخرى وعيون الأب والأم لا تفارقها خشية أن تقع فيصيبها أذى . . ومضت سنواتها تجرى وهى تكبر وتقف وقد اجتازت العتبة من غير مساعدة حتى بلغت سن الرابعة وهى محاطة بقلوب شقيقاتها الثلاث زينب ورقية وأم كلثوم .. يلاعبنها ويصحبونها وينثرن عليها شذرات الحب كما شرين من قلب أب رحيم وأم رعوم، وإذا كانت البنات الأربع قريبات حبيبات إلى قلب الوالدين فقد اختصت فاطمة بجزء أعظم من حبهن لسببين :

الأول : أنها أصغر البنات وهذا حق تفرضه العناية بالصغير.

والثانى : أنها أشبه بأبيها من حيث الجمال والجلال ..

ولعل فى هذا ما يفسر إصرار خديجة أن ترضع فاطمة لبنها من صدرها على عكس ، ما كان لأخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، فقد طبقت عليهن تقاليد البيوت القرشية العريقة فالتمست الأم لهن خير المراضع حتى إذا أدركن سن الفطام عدن إلى حضانة الأم .. إلا فاطمة فقد فازت وحدها بشرف الرضاعة من ثدى أمها خديجة رضى الله عنهما .

وأمضت فاطمة طفولتها سعيدة بحب أبويها وتدليل أخواتها وبخاصة كبراهن زينب التى كانت لفاطمة بمثابة أم صغيرة .. رضى الله عنهن جميعا.



وتفتتح الزهور

على مشاهد النور

وفى عامها الرابع بدأت فاطمة الزهراء أشبه ما تكون بزهرة رقيقة جميلة خرجت من أكمامها تنشر عبيرها فى أرجاء البيت .. وفى هذا العام كانت

إرهاصات النبوة تتبدى للأب محمد ﷺ فيكثر من رحلاته في الخلاء والأم خديجة تعد له الزاد وتحنو عليه ما أقام معها وترسل قلبها في إثره إذا غاب عنها وقد انتزعته تأملاته من دنيا الناس وبدأت الزهراء .. الزهرة المتفتحة تدرك بوعى وترقب ما يدور حولها وتشاهد عزلة أبيها في الخلاء . . وها هي قد اقتربت من تمام عامها الخامس وقد تكامل لأبيها ﷺ أربعون سنة ، وبدأت بشائر النبوة تلوح وتلمع له من وراء آفاق الحياة وتلك البشائر هي الرؤيا الصادقة تأتي مثل فلق الصبح . . وتفارق فاطمة هذا العمر يشهور وبينما أبوها في غار حراء إذ جاءه الملك يقول له اقرأ . . فيرد عليه . ما أنا بقارئ ثلاث مرات حتى قال له : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.

ويرجع الأب مرتجفا ينادى على خديجة وبناته « زملوني . . زملوني . . » فزملوه حتى هدأ قلبه وذهب عنه الروح . وفاطمة تقف عند رأسه تشاهد بشائر النبوة وتسمع الحوار بين أبيها وأمها . . يقول لها خشيت على نفسي، فتقول له : كلا والله لم يخزك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسى المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ويطمئن الأب ثم يعاود فيخرج إلى خلوته ويعود بنفس الحال مرتجفا وهو ينادى « دثروني . . دثروني » وفاطمة تحاول فهم الواقع . ما الذي يحدث لأبي . . أين يذهب . . ولماذا يعود مرتجفا . . ؟ لهذه الأحداث المثيرة أخذت فاطمة من طفولتها تحفها على التفكير والتدبير والترقب لما سيكون عليه أمر الأب عليه السلام .

وينتفض قلب فاطمة

وبدأت مسيرة الدعوة سرا في حيطه وحذر ومكة كلها تنحنى للأصنام وترفع أكف الضراعة، لا تقبل أن تسمع كلمة تسفهاها . . وعرض الرسول ﷺ دعوته على أقرب الناس إليه آل بيته وأصدقائه . . فصدق من صدق وفي مقدمتهم زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها فقد كانت تنتظر تلك اللحظة . . ثم مولى النبي ﷺ زيد بن حارثة ثم على بن أبى طالب . . أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام

الدعوة وتبعهم أبو بكر رضى الله عنهم الذى نشط فى تبليغ دعوة النبى ﷺ بما كان يحمل من سماحة وخلق فى تجارته فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله . . ثم أسلم بلال وأبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبى الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه عبدالله وعبيدة وسعيد بن زيد وامراته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر . . أسلم هؤلاء سرا . . وتتابع الوحى على رسول الله ﷺ آيات قصيرة ذات فواصل رائعة وإيقاعات هادئة خلابة تتناسق مع الجو الهامس الرقيق . . وتشربت فاطمة الزهراء هذا الجو الروحانى الطاهر وامتلاً قلبها وقد أقبلت على السادسة من عمرها بخلال فاضلة على خلقها وحسن خلق على حسنها .

• يقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى فى كتابه فقه السيرة :

ترامت الأنبياء هذه على قريش فلم تعرها اهتماما ولعلها حسبت أن محمدا أحد أولئك الموحدين الذين يتكلمون فى الألوهية وحقوقها كأمية بن أبى الصلت وقيس ابن ساعده إلا أن قريشا توجست خيفة من ذبوع خبره وامتداد أثره وأخذت ترقب مصيره ودعوته . . وتطوى السنون أيامها وتمر ثلاث سنوات من عمر فاطمة لتقبل على الثامنة والدعوة لم تزل سرية وإن أصبح لها جماعة من الموحدين . . كما أن قريشا ما زالت تدبر أمرها . . ترى ماذا ستفعل بهذا الرجل (وكان الحدث الأجل الذى هز فاطمة وانتزعها من طفولتها البريئة وألقى بها فى أتون الأحداث الجسام فانتفض قلبها حزنا وألما . . فقد طلق عتبه وعتيبة ابنا أبى لهب أختيها رقية وأم كلثوم وكانت أم جميل الحاقدة وراء القرار . . وقد لعبت بعقل أبى لهب وداست بنعلها نخوته انتقاما من الهاشميين وقد استأثروا بالمجد والشرف وقد بزغ فيهم فجر النبوة بينما تراءت لها قبيلتها وقومها بنو عبد شمس فى حضيض الحضيض . . وقد نجت زينب الكبرى من هذه المؤامرة وأبى أبو العاص بن الربيع أن يطلقها ولو زوجه أجمل نساء قريش جميعا . . وعاشت فاطمة تسبكها هذه الأحداث المتلاحقة فيضوى معدنها بريقا رغم الألم والمعاناة فى هذه الطفولة الغضة البريئة . . وظلت بجوار أبيها لم تفارقه بحبها وحنانها وخوفها عليه حتى

بعد زواجها من على رضي الله عنه .

وتشهد الجريمة ..

بدأت فاطمة تتحرك نحو ميدان المعركة تتبع أباهما حيث ذهب وتشاهده وهو يتغشى محافل قريش وأنديتها داعيا ومبشرا ونذيرا ويلقى فى سبيل ذلك ما يلقي من أذى السفهاء . . وتمضى فاطمة خلف أبيها حتى استلم الركن بالكعبة وإذا بثلة آثمة من المشركين يحيطون به فى غضب ويسألونه : أنت الذى تقول كذا وكذا . . فيرد فى ثبات النبوة : أنا الذى يقول ذلك . . ويتقدم أبو جهل صدارة المشهد ويأخذ بتلابيب أبيها رضي الله عنه وتصرخ فاطمة فى زعر : اتركوا أبى . . دعوه.. لا يهدئ من صرعتها إلا ظهور أبى بكر رضى الله عنه الذى وقف يفك قبضة أبى جهل ويصرخ فيه « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله .. » وما تركوا أبى بكر ومحمد إلا وقد نالوا منهما . . فغادر رسول الله رضي الله عنه إلى بيته وفاطمة خلفه حتى دخل حجرته وتدثر . . فجلست فاطمة تكلم نفسها متسائلة: أليس أبى الصادق الأمين . . فلماذا يكذبونه ويضربونه الآن . . ١٩

لم تمض أيام على هذه الجريمة فى حق أبيها حتى خرج رسول الله رضي الله عنه مرة ثانية بنفس الخطوات إلى نفس المكان، وقلب فاطمة يتبعه وعينها ترعاه لم يوقفها عن الخطو إلا امتثال أبيها للصلاة فوقفت غير بعيدة تترقب ماذا عساه أن يحدث . . وبينما أبوها رسول الله رضي الله عنه ساجد فى الحرم وحوله ناس من مشركى قريش أسرع إليه عقبة بن أبى معيط « لعنه الله » يحمل سلى جذور « أحشاء جمل قد ذبح » فقدفه على ظهره عليه الصلاة والسلام فصرخت فاطمة وهرولت مسرعة إلى أبيها وألقت بالسلى بعيدا عنه وقلبها ولسانها وحواسها تدعو على هذا المشرك حتى سمع النبى رضي الله عنه صوتها المتهدج بالبكاء فرفع رأسه وأمسك بيدها ثم احتضنها وهو يدعو : اللهم عليك بالملأ من قريش . . اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعقبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبى معيط وأبى بن خلف . . فما أبه المشركون لدعائه وغضوا أبصارهم حتى أتم صلاته واحتضن فاطمة وعاد بها إلى بيته يطمئننها أن الله لن يتركه وأن الله سينصره وستبلغ دعوته مدى

الآفاق . . وسيصرع كل من دعا عليهم.. ولم تتأخر النهاية كثيرا فقد صرع كل من دعا عليهم رسول الله ﷺ حول ماء بدر إلا عقبة بن أبي معيط فقد قتله الرسول ﷺ فى طريق العودة من بدر وقد تهللت فاطمة بشرا وأملا وقد رأت السماء تقتص لأبيها . .

محن.. ومنح

بقدر ما لقيت فاطمة رضى الله عنها من عناية ونعمت بحب والديها إلا أن حياتها تقلبت بين المحن والمنح منذ أدركها الوعى فى سن الخامسة.. وها هى تعيش مع والديها محنة جديدة فى شعب أبى طالب وقد حاصر المشركون الشعب ثلاث سنين لا يتركون طعاما يدخل مكة ولا يبيعا إلا بادره فاشتروه حتى أصاب الجهد بنى هاشم فأكلوا مضطرين أوراق الشجر وجلود الأنعام " بان أثر الحصار على خديجة رضى الله عنها وقد تربت فى منابت العز والرفاهية وها هى تشارك النبى وأهله آلام المحنة والجوع وتدفع لابن أخيها حكيم بن حزام أموالاً يشتري ما تطولته همته من زاد للمحاصرين فى الشعب برغم إحكام الحصار ويقظة الحراس ..

وعاشت فاطمة أحداث المحنة وهى تخطو نحو الثانية عشرة من عمرها لا تزيدها إلا إيماناً وتسليماً، حتى شاء الله أن يفرج الهم وينفك الحصار رويداً رويداً وخديجة تحتضن فاطمة وأختها أم كلثوم وهى تحكى فضلها على المؤمنين واستعبرت خديجة رضى الله عنها وبكت.. فتسألها فاطمة لم البكاء يا أماه ؟ فترد عليها: لقد نالت السنون منى يافاطمة ولا بد للأجل المحتوم أن يأتى قريباً .. فتلقى فاطمة قلبها على قلب الأم وخدها على خدها وهى تبكى وتقول: لا بأس عليك يا أماه .

موت أبى طالب

وتفعل الأيام ما شاء الله لها أن تفعل ويمرض أبو طالب الذى كان ركنا ركينا فى منعة النبى ﷺ والمسلمين ويلقى برأسه على وسادة لا تفارقها إلا وقد ومات، وتسابق سادة قريش إليه يعودونه فاعتدل فى نومته وتفكر ملياً ثم قال: وإنى

أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قریش والصديق في العرب. يامعشر قریش . ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحريه حماة والله لا يسلك فيكم أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لأجل تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي بكل هذا الحب أوصى أبو طالب بابن أخيه وأسرتة خيرا.. وهو لا يزال على شركه وقلوب بيت النبي تدعو له بالهداية وأن يسلم .. ولكن الله يهدي من يشاء وتسلم روح أبي طالب نفسها لبارئها ويموت والحزن يعتصر قلب بيت النبي ﷺ عزيز الجانب مرهوب الكلمة قوى الشكيمة ..

عام الحزن

لم تهدأ نفس رسول الله من حزنها على فقد عمه أبي طالب حتى بدأت وطأة المرض تشتد على أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها وهى تصبر على آلامها فتبتسم حين يدخل عليها النبي ﷺ وتمد يدها فتمسح عنه آثار الغناء والتعب. لقد كانت فى مكانة الأم له ﷺ تحنو عليه وتمسح عن جبينه مرارة اليتيم. ولبت الرسول الكريم الحنون إلى جوار خديجة المريضة يرعاها ويؤنس وحشتها ويقف إلى جوارها لحظة الاحتضار ويبشرها ببيت فى الجنة. لقد أتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) وبشرها الرسول ﷺ بتلك البشرى التى ربطت على قلبها وروحها. وعلى قدر أشبار جلست فاطمة وأخواتها تبكى.. وجلس الرسول ﷺ وفوه الشريف عند أذنها ويده تتشبث بيدها ودمعة تترقرق فى عينه ﷺ وهو يسمعها (بالكره ما أرى منك ياخديجة .. وقد يجعل الله لى فى الكره خيرا ...). ثم أسلمت الروح لبارئها وهى بين يدي رسول الله، واجتمع كل المؤمنين فى بيت خديجة ليكونها وهى الحسينية النسبية الكريمة ...

وفاطمة تشاهد هذا الموقف المهيب وتبكى بكاء الصابر المحتسب. وحمل القوم خديجة إلى مقابر الحجون وقد أنزلها ﷺ بيده الشريفة فى حفرتها ولم تكن صلاة الجنائز قد شرعت بعد ووسدتها ﷺ بنفسه ودعا لها كثيرا وسكب العبرات

راضيا مرضيا .. وعادت فاطمة إلى مخدع أمها تحتضنه وهى تبكى الحبيبة وتذكر بشرى أبيها لأمها (اقرأ عليها السلام من ربها ومنى) وداعا يا أم المؤمنين .. يا زوج الحبيب .. يا أم الإسلام .. وسمع الرسول ﷺ فاطمة تجهر بقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

زواجه بعد خديجة ﷺ

ويمضى الرسول ﷺ فى دعوته حتى ذهب إلى الطائف وتآمر القوم على قتله، فلما عاد ﷺ جلس إلى فاطمة وقد بلغت الخامسة عشرة من عمرها الآن .. جلس يحدثها كأنما خديجة لم تفارق بيتها بعد وأخبرها بما عرض عليه من زواج سودة بنت زمعة وقد أسلمت قديما بمكة وتوفى عنها زوجها السكران بن عمرو فى أرض الحبشة .. فلم تعترض فاطمة .. إنها تعرف مكانة أمها عند أبيها لا تتزحزح أبدا .. ولعل الزواج من سودة يكون فاتحة خير على أبيها .. وفعلا فى نفس العام انفرج الهم وفاز رسول الله ﷺ برحلة الإسراء والمعراج وفى نفس العام أمر الله محمدا ﷺ أن يتزوج بعائشة بنت الصديق أبى بكر ﷺ .. ف عقد عليها وهى بنت ست سنين ثم بنى بها وهى بنت تسع ولم تعترض فاطمة رضى الله عنها ...

خطبة الزهراء رضى الله عنها

برغم الأحداث والخطوب التى مرت ببيت النبى وآله ﷺ وبرغم الأحزان التى أنهكت فاطمة لا تزال ريحانة نضرة لكأنها زهرة تفتحت بالأمس وقد ملأ عبيرها أرجاء البستان .. ولهذا تسابق الخطاب نحوها، كل يأمل أن ينال الشرف الأعظم وقد سبقهم أبو بكر رضى الله عنه وعمر لكن رسول الله ﷺ قال لهما بلطف: أنتظر القضاء ... إذن الله فى ذلك.

وفهم الشيخان، وبروح إيمانية وثابة ذهبا إلى على بن أبى طالب ﷺ وسألاه : لم لا تخطب فاطمة وحرصاه على ذلك وانصرفا وما إن عاد إلى متكنه حتى أقبلت جاريته تقول له : لقد علمت أن فاطمة تخطب فما يمنعك أن تأتى ابن عمك فتخطبها ؟..

إنه يتمنى .. ولكن لا يمنعه إلا أنه فقير لا يملك مهر فاطمة ..!

طال تردد على ﷺ حتى حسمه قراره بأن يذهب إلى رسول الله ... وأمامه وقف صامتا لا يستطيع الكلام جلاله وهيبته لرسول الله ﷺ ولفطنته ﷺ

- سأله في رفق: ما حاجة ابن أبي طالب ؟
- فأطرق رأسه خجلا وقال: ذكرت فاطمة يا رسول الله .
- فأجابه ﷺ ولا يزال على بشره وتلففه .. أهلا مرحبا بك يا على ..
- فقال على : وهل تزوجني يا رسول الله ؟
- تهلل وجه النبي ﷺ وقال: هل معك شيء تصدقها يا على ؟
- فازداد خجلا وتورد وجهه حمرة وقال في انكسار: والله ما يخفى عليك حالي ولا شيء من أمري .. غير سيفي وناضحي

- فقال له النبي ﷺ: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا .. ؟
- قال على : تقصد الحطيمة ..؟ هي عندي يا رسول الله .
- قال ﷺ: فأعطها إياها ..

فانطلق على وجاء بالدرع فأمره ﷺ أن يبيعها ليجوز العروس بثمنها .
وتقدم عثمان بن عفان ﷺ فاشتراها بأربعمائة وسبعين درهما .. فقال النبي ﷺ لعلى: اجعل ثلثيها في الطيب وثلثها في المتاع ..

وأخذ على بيتا متواضعا ليبدأ فيه رحلة الطهر والعفاف والنور في صحبة الزهراء فاطمة رضی الله عنها .. فيه حجرة فرشت بالوحد الناعم .. وفراش حشوه ليف .. ووسائد حشوها ليف .. وجلد شاه للجلوس عليه ورحاية ومنخلا ومنشفة وقدحا وقرية لتبريد الماء وحصيرا .. هذا هو جهاز بنت النبي ﷺ فاطمة الزهراء رضی الله عنها .. فهلا تعلمتم ..!!

زفافها رضی الله عنها

وحان موعد الزفاف المتفق عليه . وحضر المهنتون يتقدمهم حمزة بن عبد المطلب وفي يده جملان أمر بذبحهما وتقديم الولائم للحضور فلما شعبوا وحمدوا الله . أخذ رسول الله ﷺ بلجام بغلته الشهباء وثنى عليها قטיפه وقال لفاطمة اركبي .. وأمر سلمان أن يقودها ومشى الركب يتقدمه والد العروس ﷺ مشهرين

سيوفهم وبنات الأنصار يقنين مع أم سلمة رضى الله عنها:

سرن بعون الله جاراتي واشكرته في كل حالات

سرن مع خير نساء الورى تفتدى بعمات وخالات

يا بنت من فضله ذو العلا بالوحي منه والرسالات

ثم أدخلها ﷺ بيت على وقال يا على: لا تحدثن لأهلك شيئاً حتى آتيك !
وأذن بلال لصلاة العشاء فصلوا بالمسجد وانصرف الجميع وسبقه على إلى بيته
ليكون في استقبال صهره ﷺ وانصرفت كل النساء إلا أسماء بنت عميس .. فقال
لها ﷺ: على رسلك من أنت ؟

قالت : أنا التي أحرس ابنتك .. إن الفتاة في مثل هذه الليلة لا بد لها من امرأة
قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أمرا أفضت إليها به ...

ومرت لحظات ورسول الله ﷺ يطوف بخاطره لكانه تذكر خديجة ولكم تمت
أن تقف إلى جوار فاطمة في هذه اللحظة .. ثم عاد من بعيد ونظر ﷺ إلى أسماء
وموقفها ودعا لها قائلاً: أسأل الله أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك ومن
يمينك وشمالك من الشيطان الرجيم، ثم خرج بفاطمة من حجرتها وقال لأسماء
آتينى بالمخضب . إناء لشرب الماء . فأمليه فمج فيه ثم دعا فاطمة فأخذ كفا من
ماء فضرب على رأسها وبين قدميها ثم قال: (اللهم إنها منى وإنى منها .. اللهم
كما أذهبت عنى الرجس وطهرتنى فطهرها ..) وفعل مثل ذلك مع على ثم قال
لها .. قوما جمع الله شملكما وأصلح بالكما . ثم قام وأغلق عليهما الباب.

بيت العز

انتظمت حياة الزوجين الكريمين رضى الله عنهما عيشة كفاف وخدمة وتعاون
راضين فرحين بما قسم الله، ولم تكن حياتهما مترفة ولا ناعمة وهى من هى ؟
بنت رسول الله ﷺ .. بل كانت حياتهما أقرب إلى الخشونة والتقصف، فعلى ﷺ
لم ينل حظاً من المال المكتسب أو الموروث .. فلم يسعه إلا أن يهون عليها بكلمات
ترضيها وهى المتفانية فى خدمة بيتها من غير خادم يعينها .. وأتعبت الخدمة
جهد فاطمة فشكت على استحياء وعلى يسمع فلا يملك جواباً .. حتى جاءت

الفرصة وقدمت السبابا بين يدي رسول الله ﷺ من إحدى السرايا فأسرع على إلى فاطمة فوجدتها في إعياء وتعب من شدة العمل فطلب منها أن تذهب إلى أبيها تلتمس عنده خادمة..

فقالت: أفعل إن شاء الله .. وتلفعت بخمارها وذهبت إلى أبيها فلما رآها تبسم لها وسألها : ما بك يا فاطمة؟..

قالت: جئت أسلم عليك .. لقد منعها حياؤها أن تسأله خادمة.

فعاد بها على إلى أبيها ﷺ وتطوع أن يتحدث بلسانها وهي مطرقة من الحياء.

فقال: يا رسول الله .. أريد خادمة لفاطمة تعينها على عملها. فقال النبي ﷺ: لا والله لا أعطيكمما وأدع أهل الصفة «الفقراء» تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيع وأطعمهم .

جبر الخاطر

وعاد على وفاطمة يقدران موقف الأب وحكمة النبي ﷺ من غير ضجر ولا تبرم.

حتى إذا جن الليل دخل رسول الله ﷺ عليهما وكان البرد قارسا، فطرق الباب ففتح على ﷺ وأقبل عليهما ﷺ، وهبت فاطمة تستقبل أباهما فقال ﷺ: مكانكما.

وأ تبع في رفق وحنو يقول: ألا أخبركما بخير ما سألتمانى ؟

قالا : بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان الله دبر كل صلاة عشرا .. وتحمدان عشرا .. وتكبران عشرا .. وإذا أتيتم إلى الفراش تسبحان الله ثلاثة وثلاثين وتحمدان ثلاثة وثلاثين وتكبران أربعاً وثلاثين .

ثم ودعها ومضى ﷺ وقد جبر خاطرهما بكلمات تثقل الميزان وتملاً ما بين السماء والأرض .

على يطلب الزواج

وهكذا كانت الحياة بالزهراء رضى الله عنها وهي قانعة صابرة على الرغم مما

تعانى من شظف العيش وكان على ﷺ يحس بهذا ويرى ما تعانیه زوجته الزهراء فى خدمة بيتها، فكان لا يألو جهداً فى أن يخفف عنها وهو يتذكر دائماً ما قاله لها (والله لا آتى شيئاً تكرهينه أبداً ..)

وأى شىء أكرهه وأبغض إلى فاطمة الزوجة الرقيقة الجميلة الزهراء من أن يتزوج بضرة تشاطرها زوجها وتحيا معها ١٩

ولقد هم على أن يفعلها وفى ظنه أنه لا حجر عليه من حلال مباح شرعاً.. وأنه يجوز على بنات النبى ما يجوز على سائر النساء فيما أحله الشرع للمسلمين من تعدد الزوجات .

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ فى تراجم سيدات بيت النبوة : جرى الأمر على غير ما توقع على ﷺ فلم يكن يبدى رغبته فى خطبة بنت عمرو بن هشام « أبو جهل عدو الله ورسوله» أملاً فى الزواج منها حتى غضبت فاطمة وغضب أبوها ﷺ وكان الموقف بالغ الحرج والدقة . فهل تبصر عاقل أن تجتمع بنت حبيب الله ورسوله فاطمة مع بنت عدو الله ورسوله تحت سقف واحد... ١٩ وهذا بالفعل ما قاله المصطفى ﷺ: «إن فاطمة بضعة منى، وأنا أخوف أن تفتن فى دينها ، وإنى لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل وأحد أبداً .»

وهل كانت معارضة الأب - النبى ﷺ - لكونها بنت أبى جهل وحسب . . ١٩ لا بل كان حفظاً لقدر فاطمة ومكانتها عند الله وعنده.. أليس هو القائل ﷺ : «فاطمة بضعة منى يؤذنى ما يؤذيها» . وقوله ﷺ «يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك».

إن فاطمة ليست كسائر النساء بخصائصها . فهى بنت النبى ﷺ وأمها خديجة ماتت وليس لها ضرة، وهى التى لبست قلادة من ذهب تزين بها جيدها، فغضب رسول الله ﷺ وأمرها أن تبيعها وتبشترى عبداً تعتقه لوجه الله تعالى، ومن قبل منعها أن يعين لها خادماً يعينها فى أعمال البيت وأمرها بذكر الله تستعين به .

حينئذ وقف على ﷺ يعلن تراجعته عن الفكرة وندمه إذ تسبب في غضب زوجته الريحانة وقد أوشك أن يغضب رسول الله ﷺ وعاد يلاطمها معتذرا يكرر قسمه ﷺ «والله لا أتى بعد اليوم شيئا تكرهينه أبدا».

أولاد فاطمة رضى الله عنها

الحسن الطفل النائر : حدثت تلك الجفوة وفي أحشاء الزهراء رضى الله عنها جنين من صلب على رضى الله عنه فلما انقشعت تلك السحابة عاد البيت أصفى قبل . . ومضت الحياة في جو من المودة والرحمة والتعاون، فالماء يجلب بالسقاء ويحمل في القرب والطحن والعجن يحتاجان إلى طاقة وجهد فضلا عن خدمة على نفسه كزوج . . وفاطمة تقوم بكل هذا وهي حامل لا تشكو ولا تتبرم حتى اقترب موعد الولادة وبدأت الاستعدادات في منزل الزهراء ترقبا للمولود المنتظر وفي النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة استقبلت الزهراء رضى الله عنها مولودها الأول . . وسعى البشر إلى أبيها ﷺ بالنبا السعيد فمشى عليها مشوقا فرحا بحفيد وحمله بين ذراعية وتلا الأذان في سمعه ثم أقبل عليه يتأمله في غبطة وحنان.

يقول على ﷺ : لما ولد ابني هذا جاء رسول الله ﷺ فقال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟

قلت : سميته حريا . . فقال جده ﷺ : لا . . بل هو حسن . .

واحتفل ﷺ بمولده فصنع عقيقة في يوم سابعه وحلق شعره وتصدق بزينة شعره فضة . . وكان الحسن رضى الله عنه أشبه خلق الله برسول الله ﷺ في وجهه . فعن هانئ عن على رضى الله عنه :

«الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما أسفل ذلك.. وكان ﷺ يحبه ويقبل زيبته ويمص لسانه . . فإن ركب ظهره وهو يصلى أطلال وانتظر وربما أصعده على المنبر أو نزل فحمله ﷺ».

روى عن الحسن عليه السلام وهو بعد طفل صغير.

رووا أن الصديق رضى الله عنه قام على المنبر يخطب ، فما هو إلا أن حمد

الله وأخذ في خطبته حتى سمع وسمع الحاضرون معه صوتاً . نحيلاً يهتف به " ليس هذا منبر أبيك ، انزل عن منبر أبي . "

والتفتوا فإذا بالصائح هو الحسن بن علي ، ولما يبلغ الثامنة ، فابتسم الصديق والحنو يشيع نفسه " ابن بنت رسول الله ﷺ صدقت والله . . وما كان لأبي منبر ، وإنه لمنبر أبيك " . .

وسمع علي بالخبر فأرسل إلى أبي بكر رسولا يقول له : " اغفر ما كان من الغلام ، فإنه حدث ، لم نأمره "

وقال أبو بكر : " إنني أعلم . وما اتهمت أبا الحسن "

وليست الزهراء ولا ريب التي أمرت الغلام الصغير أن يقول هذا المقال . . ولكن الطفل يفهم عن أمه في هذه السن ما يغنيه عن الأمر والإيحاء ، ولعل الحسن كان قد سمع نقاشا يتكرر بين أبويه في هذا الأمر فوقر في نفسه أن يثور تلك الثورة الصغيرة ثم نهى عنها فلم يعاودها . . لكنها على أيه حال دلالة وصدق خبر على أن الجرأة والشجاعة قد ورثها عن أمه الزهراء رضی الله عنها .

الحسين :

مضت الأيام سريعة وحملت فاطمة رضی الله عنها جنينها الثاني وبدأ الحسن يدب على الأرض ويمشى . وأوشك حمل الزهراء أن تكتمل أيامه وبدأ البيت يستعد لاستقبال المولود الجديد . وحوانت ساعة المخاض والوضع يقترب وذلك في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة . . ووقف على رضی الله عنه يتذكر أحداثا كادت تفسد وده وحبه عند فاطمة وأبيها ﷺ . . لمعت في ذاكرته هذه الكلمات المعتذرة حينما بكت فاطمة من خبر طلب خطبته بنت أبي جهل ، فوقف عند صدرها نادما على فكرته وقال : هنيئي أخطأت في حقك يا فاطمة . . فمتملك أهل للعفو والمغفرة . . مرت هذه الخيالات سريعة في ذاكرة على ثم أفاق على صرخة الوليد الجديد وقد شاء الله أن ينزل في خير منزل . . إنه ذكر . . فماذا أسميه؟ أسميه حربا حتى يكون حرباً على الكافرين . . نفس الاسم الذي اختاره لأخيه الحسن ورفضه ﷺ وبينما على لا يزال حائراً ذهب البشير إلى

رسول الله بالبشرى . . وأسرع ﷺ إلى بيت ابنته وحمل الحفيد بين ذراعيه وأذن في أذنيه . . ثم قال : ما سميتوه ؟ قال أبوه : حريا . . فاحمر وجه النبي ﷺ وقال له : بل هو حسين . . وابتهجت المدينة فرحاً بمولد حسين ﷺ . وعق النبي ﷺ عنه بكبشين أملحين وتصدق بزنة شعره فضة كما فعل مع أخيه من قبل .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحمل الحسن على عاتقه . والحسين فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام . . فقال النبي ﷺ : ونعم الراكب هو . . وقال عليه الصلاة والسلام : هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

زينب وأم كلثوم رضى الله عنهما :

وبعد أن من الله على فاطمة وزوجها بولدين كريمين حبيبين جميلين أضاء جنبات حياتهما لكأنما شمس السعادة أشرقت لا تغيب فقد شاءت قدرة الله أن ترزق فاطمة وعلى زوجها بقميرين منيرين هما : زينب وأم كلثوم على الترتيب . . وقد سميت الأولى تيمنا بخالتها زينب بنت النبي ﷺ وكذا الثانية تيمنا بخالتها أم كلثوم رضى الله عنهما . . فأما زينب فقد تزوجت عبد الله بن جعفر وتزوجت أم كلثوم بعمربن الخطاب رضى الله عنه . . والحديث عن هاتين قليل، لماذا لا أعرف! .! والمؤكد أن جدهما ﷺ . . أحبهما حبا شديدا وفرح بهما فرحا عظيما أليستا بنتى فاطمة الحبيبة الأثيرة . . ؟ ولعلمها تذكرا أنه ﷺ بابنتيه الحبيبتين زينب وأم كلثوم رضى الله عنهما .

وفاة النبي ﷺ :

في العام العاشر للهجرة خرج النبي ﷺ للحج ومعه معظم آل بيته ﷺ وفيهم فاطمة الزهراء رضى الله عنها . . ومضى ﷺ في مناسك الحج يعلم أصحابه ويدعوهم : خذوا . . عنى مناسككم . . حتى إذا كان يوم عرفة ضربت له قبة بنمرة، فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء -ناقته- فرحلت له فأتى بطن الوادى وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وأربعون ألفا من الناس فقام فيهم خطيبا وألقى خطبة الوداع . . وفيها قال ﷺ :

«أيها الناس اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . . . حتى قال : أيها الناس : إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاتكم طيبة بها أنفسكم وتحجون بيت ربكم وأطيعوا أولى أمركم تدخلوا جنة ربكم . . . وبعد أن فرغ ﷺ من خطبته نزل قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فلما سمعها عمر رضي الله عنه بكى بكاء المكثوم، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : إنه والله ليس بعد الكمال إلا النقصان . .

وبكت الزهراء رضی الله عنها كأشد ما يكون البكاء على فقد حبيب وهل هناك أحب وأعز وأكرم وأقرب إلى قلب فاطمة من أبيها الحبيب ﷺ . . وقد عاشت تستظل بحبه وحنانه ورعايته ﷺ . . بكت فاطمة وهي تسأل نفسها : هل أوحى إلى رسول الله ﷺ أنه سوف ينتقل إلى الرفيق الأعلى؟ هل يحس إحساسا أكيدا بدنو أجله؟ وأحس على ﷺ ما تعانيه فاطمة فهي لا تنام ولا تكف عن البكاء . . ودائما ما تردد : أخشى أن يكون هذا العام آخر حياة أبي ﷺ .

ومضت السنة العاشرة من الهجرة وقد بعث ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن معلما وقاضيا وودعه بكلمات : «يا معاذ إنك عسى ألا تلتقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري هذا . . ﷺ» وكلما تذكرت فاطمة هذه الكلمات انتحبت بكاء وما زالت طلائع التوديع للحياة والأحياء تظهر على ملامح المصطفى ﷺ وتتضح أكثر في عباراته وأفعاله ، فقد اعتكف في رمضان في السنة العاشرة عشرين يوما بينما كان لا يعتكف قبله إلا عشرة أيام وكأنه يحس أن رمضان القادم في السنة الحادية عشرة سيكون في رحاب ربه مع الرفيق الأعلى ودارسه جبريل عليه السلام القرآن مرتين وفي كل مرة يخرج فيها النبي ﷺ زائرا للشهداء عند أحد أو زائرا لأهل البقيع يستغفر لأهلها يعود وحاله يئنئ عن دنو أجله ﷺ حتى كانت بداية مرض الوداع في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر ١١، وهو كان يوم الاثنين وفيه شهد ﷺ جنازة في البقيع وفي طريق العودة أخذه صداع في رأسه

واتقدت الحرارة حتى أن الصحابة كانوا يجسسون أثرها فوق عمامته ﷺ كل هذا ورسول الله صلى به المسلمين أياما ومرت ٢ أيام عدتها فاطمة ثلاثة عشر يوما وثقل المرض برسول الله ﷺ فجعل يسأل أزواجه أين أنا غدا؟ ففهم مراده . . فأذن له زوجاته فانتقل إلى حجرة عائشة رضی الله عنها فقضى بها آخر أسبوع من حياته . . ويوم الأربعاء قبل خمسة أيام من وفاته اشتدت به العلة واتقدت الحرارة فطلب ممن حوله (أهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . . ففعلوا وخرج النبي ﷺ إلى المسجد معصوب الرأس وجلس على المنبر وخطب الناس وهم في حزن وغم لمرضه ﷺ، حتى قال لهم : (من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه . . ثم نزل فصلى الظهر وعاد فوعظ الناس وفي يوم السبت قبل الوفاة بيومين خرج ﷺ بين رجلين لصلاة الظهر وأبو بكر بين المصلين فأمره الرسول ﷺ أن يتقدم للصلاة بالمسلمين . . وأبو بكر يتأخر . . فعاد فأمره : تقدم يا أبا بكر وأمر الصحابييين : أجلساني إلى جنبى فأجلساه على يسار أبى بكر فكان أبو بكر يقتدى بصلاة رسول الله ﷺ . . وفي يوم الأحد أعتق النبي غلماناه وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده ووهب أسلحته للمسلمين . .

إلى الرفيق الأعلى

وكان آخر يوم في حياة النبي . . يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١١ هـ . . حتى إذا ارتفع الضحى وأحس النبي ﷺ أن فاطمة ابنته قد أبطأت عليه في هذا اليوم دعائها فأنت إليه مهرولة . . فقال : مرحبا بابنتى وأجلسها عن يمينه، ثم أسر إليها شيئا فبكت ثم أسر شيئا فضحكت . . فسألها عائشة : أى شيء أسر إليك . . فقالت الزهراء : ما كنت لأفشى سره . . فلما قبض ﷺ عادت تسألها عائشة نفس السؤال . . فقالت فاطمة : قال لى أبى إن جبريل كان يأتينى كل عام فيعارضنى بالقرآن مرة وإته أتانى العام فعارضينى مرتين ولا أظن إلى قد حضر أجلى . . ونعم السلف أنا لك . . وأنت أول أهل بيتى لحاقا بى . . قالت : فبكيك لذلك .

ثم قال : يا فاطمة أما ترضى أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين ؟
قالت : فضحكت ..

لحظات وتصعد الروح الطاهرة الندية إلى ربه راضية مرضية وفاطمة تقول :
يا أبتاه أجاب ربا دعاه .. يا أبتاه فى جنه الفردوس مأواه .. يا أبتاه إلى جبريل
ننعا .. يا أبتاه من ربه أدناه .. واكرياه على أبى .. فينظر إليها الحبيب آخر
نظرة ويقول لها آخر كلماته :

لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة .. قولى : إنا لله وإنا إليه راجعون ..
وصعدت روح النبي ﷺ وأغمضت عيناه الشريفتين ﷺ .. واستعبرت فاطمة باكياً
وبكى الصحابة والناس لبكائها وتقطعت قلوبهم وهم يرونها تقلت التراب من بين
أناملها ثم تحدى فى يدها الفارغتين وتمضى كمن فرغت من الدنيا.

الزهراء تطالب بميراثها

ولما كان اليوم الذى توفى فيه صلى الله عليه وسلم بويج لأبى بكر ﷺ -
بالخلافة وقد رأى الصحابة فى تقديم أبى بكر للصلاة فى مرضه إشارة من
رسول الله ﷺ فى تقديمه فى الخلافة بعدهم ﷺ . وفى سقيفة بنى ساعدة بويج لأبى
بكر وإن تأخر على بن أبى طالب فى مبايعته إلى حين .. فلما كان من الغد جاءت
السيدة فاطمة رضى الله عنها إلى أبى بكر ﷺ ومعها على ﷺ فقالت : ميراثى
من رسول الله أبى .. فقال أبو بكر : أمن الرثة أو من العقد؟ قالت فاطمة : فدك
وخبير وصدقاته بالمدينة أرثها كما يرث بناتك إذا أنت مت يا أبا بكر ..

فقال أبو بكر ﷺ : يا فاطمة .. أبوك والله خير منى ، وأنت والله خير من
بناتى .. وقد قال رسول الله ﷺ " نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة "
فيعلمن أن أباك أعطاكها ، فوالله لئن قلت نعم لأقبلن قولك .. فقالت : قد
أخبرتكم ما عندى يا أبا بكر ..

فأعاد أبو بكر ما سمعه من . أبيها . رسول الله ﷺ بحضور على والعباس : إنى
سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا نورث معاشر الأنبياء ، ما تركناه صدقة . وطابت
نفس فاطمة رضى الله عنها بما كان من قضاء أبى بكر ﷺ وأن الأنبياء لا يورثون

مالا كما أخبر بذلك الحبيب المصطفى قبل وفاته ﷺ .. وعاشت السيدة الزهراء
راضية مرضية لا تنازع أبا بكر أو تسخط عليه كما قال بعض علماء الشيعة الذين
جعلوا من فدك ترانيم سب وتناول على خليفة رسول الله أبي بكر، وقد دبجوا
المقالات بأحبار النحقد والنقمة على الصحابي الكريم الذى أثنى عليه ربه " ثانى
اثنين إذ هما فى الغار" وقال فيه النبى ﷺ: لو وزن إيمان أبى بكر فى كفة وإيمان
الأمّة فى أخرى لرجح إيمان أبى بكر .. " ..

فبأى روح إيمانية تحب الله ورسوله يمنع أبو بكر حقا لفاطمة وآل بيت النبى
ﷺ، هذا محض افتراء من حمقى الشيعة الذين خلطوا عملا صالحا . بحب
النبى ﷺ وآل بيته . وآخر سيئا . بسب أبى بكر وأبنته السيدة عائشة أم المؤمنين .
رضى الله عنها والصحابة عمر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وكل من بايع أبا
بكر بالخلافة ، بل إن خطبة الزهراء التى طبعوها فى كتيبات بالملايين منسوبة
إلى السيدة فاطمة الزهراء . رضى الله عنها . وفيها أنها وقفت أمام أبى بكر
تواجه وتشهد على جوره نفرا من الصحابة وتثبت عليه تدليسه وبغضه لآل بيت
النبى مجاملة لابنته السيدة عائشة رضى الله عنها وترفع يديها إلى السماء تدعو
على أبى بكر وأصحابه بالهلاك .. ثم تبكى والمسلمون يبكون لبكائها .. هذه
الخطبة المزعومة لو تأملتها بروية لضبطت القوم يجربون قريحتهم فى إنشاء
السجع من القول وتلفيق البليغ من العبارات ولا محل لتصديقهم أن السيدة فاطمة
الرقيقة بنت النبى متمم مكارم الأخلاق ﷺ يمكن أن تقترب هذا الذنب بسب أبى
بكر وبغضه على نحو ما ألفوا وجمعوا فى الخطبة من أقذع السباب .. حاشا
للزهراء أن ترتكب مثل هذه الحماقات !!

عمر يقضى وعلى يشهد

وقد قالها ﷺ " لا تجتمع أمتى على ضلالة " فإذا كان سيدنا أبو بكر قد رأى
ما رأى وقضى بما قضى فى أرض فدك وما بقى من خمس خبير فقد قضى به
سيدنا عمر بن الخطاب وهو خليفة وقضى به سيدنا عثمان بن عفان وهو خليفة
المسلمين ثم قضى به سيدنا على بن أبى طالب وهو خليفة المسلمين وزوج فاطمة

الزهرء المطالبة بحق الميراث فلم يعطها ولم يأخذ ... !
 وفى كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى حديث ابن شهاب عن عروة بن
 الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أخبرت أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ
 سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك
 رسول الله ﷺ فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: " .. لا نورث ما تركناه
 صدقة " فأبى عليها ذلك وقال: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا
 عملت به فإنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ ..

فى كتابه فاطمة الزهراء والفاطميون يقول الأديب العملاق عباس محمود العقاد:
 وخالصة الحديث فى أمر "فدك" أنها قرية كان النبى يقسم فيها بين آل بيته
 وفقراء المسلمين، فلما قضى عليه السلام أرسلت فاطمة إلى أبى بكر تسأله
 ميراثها فيها وفيما بقى من خمس خيبر! .. فقال أبو بكر: " إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان يقول: إننا معشر الأنبياء لا نورث .. ما تركناه صدقة .. وإنى
 والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حالها التى كان عليها" .. ويقال إن
 الزهراء احتجت عليه بقوله تعالى عن نبى من أنبيائه -زكريا- " يرثى ويرث من
 آل يعقوب " وقوله تعالى: " وورث سليمان داود " .. وأن أبا بكر قال لها: " يا بنت
 رسول الله ! أنت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يد لى بجوابك ولا أوقعك عن
 صوابك ، ولكن هذا أبو الحسن بينى وبينك هو الذى أخبرنى بما تفقدت ، وأنبأنى
 بما أخذت وتركت".

وجاء فى شرح ابن أبى الحديد على نهج البلاغة أن أبا بكر قال: " يا ابنة
 رسول الله ! والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهما ، وإنه قال: إن الأنبياء لا يورثون
 . فقالت: " إن فدك وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فمن يشهد
 بذلك ؟ فجاء على بن أبى طالب فشهد وجاءت أم أيمن فشهدت أيضا فجاء عمر
 بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يقسمها . فقال أبو بكر: صدقت يا ابنة رسول الله ، وصدق على ، وصدقت أم
 أيمن ، وصدق عمر، وصدق عبد الرحمن بن عوف، وذلك أن مالك لأبيك، كان

رسول الله يأخذ من فذك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها ؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبى ! قال: فلك على الله أن أصنع كما يصنع فيها أبوك، قالت : الله لتفعلن ؟ قال: الله لأفعلن. قالت: اللهم اشهد.. وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك ثم كان على كذلك " .

وفي خلال الخلاف على هذه القضية قال عمر لأبى بكر : " انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها " . انطلقا فاستاذنا عليها فلم تأذن لهما ، فأتيا عليا فكلما، فأدخلهما، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ، فتكلم أبو بكر فقال: " يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي، وإلى عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنى مت ولا أبقى بعده، افتراى وأعرف فضلك وشرfk وأمنعك حقم وميراثك من رسول الله ؟ إلا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة " فقالت: " رأيت حدثكما حديثا عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ " قالا : "نعم" . فقالت : " ألم تسمعا رسول الله يقول" رضاء فاطمة من رضائى وسخطها من سخطى؟ " قالا " سمعناه من رسول الله" . قالت " فإنى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى ، ولئن لقيت النبى لأشكونكما إليه " . فقال أبو بكر : " أنا عاىذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة" : ثم انتحب يبكى حتى كادت نفسه تزهب .. فاجتمع إليه الناس فقال لهم : " يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا وتركتمونى وما أنا فيه ؟ لا حاجة لى فى بيعتكم أقياونى بيعتى" .



والحديث فى مسألة فذك هو كذلك من الأحاديث التى لا تنتهى إلى مقطع للقول عليه. غير أن الصدق فيه لا مرأ أن الزهراء أجلّ من أن تطلب ما ليس لها من الصديق من أجل أن يسلبها حقها الذى تقوم البيّنة عليه، ومن أسخف ما قيل أن منعها فذك مخافة أن ينفق على من غلتها على الدعوة إليه، فقد ولى الخلافة أبوبكر وعمر وعثمان وعلى ولم يسمع أن أحدا بايعهم لمال أخذه منهم ، ولم يرد

ذكر شيء في إشاعة ولا في خبر يقين، وما نعلم من تزكية لذمة الحاكم في عهد الخليفة الأول من حكمه في مسألة فذك. فقد كان يكسب برضا فاطمة ويرضى الصحابة وما أخذ من فذك شيئاً لنفسه فيما ادعاه عليه مدع. وإنما هو الحرج في ذمة الخليفة أقصاه بهذه القضية بين هؤلاء الخصوم الصادقين المصدقين ، رضوان الله عليهم أجمعين.



ولعلنا نجمل ما وقر في أذهان المسلمين الثقات من أمر فذك بكلمة قالها عمر أعظم العدول بعد ثمانين سنة أو نحوها، بعيداً من الخصومة بعيداً من زمانها. بعد من الشبهة فيها لأنه قال كلمته وفذك في يديه ينزل عنها باختياره، لا يدعوه إلى ذلك غير وحى ضميره.

ذلك هو عمر بن عبد العزيز القائل في مستهل عهده بالخلافة: " إن فذك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فسألته فاطمة إياها فقال: ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك ، فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثم ولى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك، فصارت لي وللوليد وسليمان، فلما ولى الوليد سألته حصته منها فوهبها لي، وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي ، فاستجمعتها ، وما كان لي من مال أحب إليّ منها، فاشهدوا أنني قد رددتها إلى ما كانت عليه " .

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة إلى أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أعطيا آل النبي من الورثة من مال الله أضعاف هذا الميراث .. وقال: وإنما أخذ منهم قرية ليست كبيرة لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة.. وقال ابن تيمية: وقد تولى الإمام على بن أبي طالب الخلافة بعد ذلك وصار أمر الولاية والرئاسة إليه وصارت فذك وغيرها من الغنائم تحت حكمه رضى الله عنه ولم يثبت أن علياً رضى الله عنه أعطى - للورثة - أولاده من فاطمة ولا زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه.

فهل لا يزال عند بعض حمقى الشيعة ما يتقولونه فى شبهة فذك التى جعلوا منها قميص عثمان على كرههم له .. يتمسحون فيها لسب الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين؟

وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها

أعود فأكرر لقد طابت نفس فاطمة الزهراء رضى الله عنها بما كان من قضاء أبى بكر رضى الله عنه ثقة فى ورعه وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته .. وعاشت زاهدة راضية مرضية وهى تتذكر قول أبيها صلى الله عليه وسلم: " أنت أول أهل بيتى لحاقا بى "

فبقيت تستعد لليوم المحتوم يوم أن تلحق بأبيها ملبية نداء ربها .. وبعد رحلة طويلة عاشت فيها الزهراء تشرب من رحيق حنان أبيها صلى الله عليه وسلم وتتمتع بحبه وتدليله لطفولتها وتشهد فيها انبلاج فجر الوحي والنبوة وتعاين إجرام المشركين وإيذاءهم -لأبيها- النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته .. وزواجها من على وولادتها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وقد فرح بهم جدهم صلى الله عليه وسلم، خاصة الحسينيين اللذين حملا نسل النبي وامتداده صلى الله عليه وسلم.. وعلى مشارف نهاية الرحلة مرضت السيدة فاطمة الزهراء مرضا لم يطل أمده فلما اشتد بها دغث زوجها وقالت: "يا ابن عم إنه قد نعت إلى نفسى.. وأرى حالى لاحقة بأبى ساعة بعد ساعة، وإنى أوصيك بأشياء فى قلبى". فقال زوجها على رضى الله عنه: "أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله .. وأخرج من كانوا فى البيت وأخذ يضم فاطمة ورأسها بين يديه.. فقالت: "أوصيك أن تتزوج -بعدى- بأمامة بنت أبى العاص بن الربيع وبنت أختى زينب فستكون لولدى- أما- مثلى فى حنوتى ورؤومتى وأوصيك أن تتخذ نعشا تحملونى فيه إلى قبرى.. وأن أدفن ليلا بالبقيع ". وحفظ على وصيتها وهو يردد: أنت أعلم بالله تعالى وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله. وقد عز على مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر الله قضاء .والله لقد جددت على مصيبة فقد رسول الله أخى صلى الله عليه وسلم.. وجل فقدك يا فاطمة فإن لله وإنا إليه راجعون ...

وفى ليلة الثلاثاء .. يوم الإثنين من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة سعدت روح الزهراء إلى بارئها راضية مرضية وهى بنت تسع وعشرين سنة " ولم يمض على وفاة أبيها تمام ستة أشهر .. كما أخبرها وبشرها بذلك وقيل إنها كانت قبل وفاتها بلحظات فرحة مسرورة فقد كانت ترى مقعدها إلى جوار أبيها صلى الله عليه وسلم ... فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وسرى الخبر فى المدينة واجتمع الناس مقبلين على على كرم الله وجهه وهو جالس بين الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما يبكيان فراق الأم وعلى يبكى لبيكائهما والناس يبكون لفقد الطاهرة بنت النبى صلى الله عليه وسلم .وبينما الناس ينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها .. وقد فرضت. إذ خرج أبو ذر الغفارى وقال : انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخرجها هذه العشيّة . تنفيذاً لوصيتها أن تدفن ليلاً بالبقيع . فقام الناس وانصرفوا .. فلما حان موعدها حملت فاطمة الطاهرة النيرة الزاهرة الريحانة الحبيبة إلى الله وإلى أبيها على أعناق الرجال بين دموع أعيون وأنات القلوب .. حتى إذا صلى عليها على صلاة الجنازة أسرعوا بها إلى البقيع ونزل على فى قبرها فأرقدتها ثم وقف على حافة القبر يذرف الدمع ساخنا ويقول مسترجعاً: إنا لله وإنا إليه راجعون .. وعاد كرم الله وجهه ويديه ولداه الحسن والحسين محزون القلب دامع العين مستوحش البيت بدونها وهو يقول:

أرى علل الدنيا على كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الضراق قليل
وإن افتقادی فاطما بعد محمد
دليل على ألا يدوم خليل..

فلئن بكى على والحسينان وبكتك المدينة وأهلها .. فما زلت ومازلنا نبكى ففقدك
يا حبيبة الله وحبيبة أبيك .. فهلا دعوتنا للجوار معك ۱۱۹

عبد الرحمن بن أبي بكر
أشجع معارض لتوريت الحكم

* البطل الشجاع

* نسيبه وحسبه

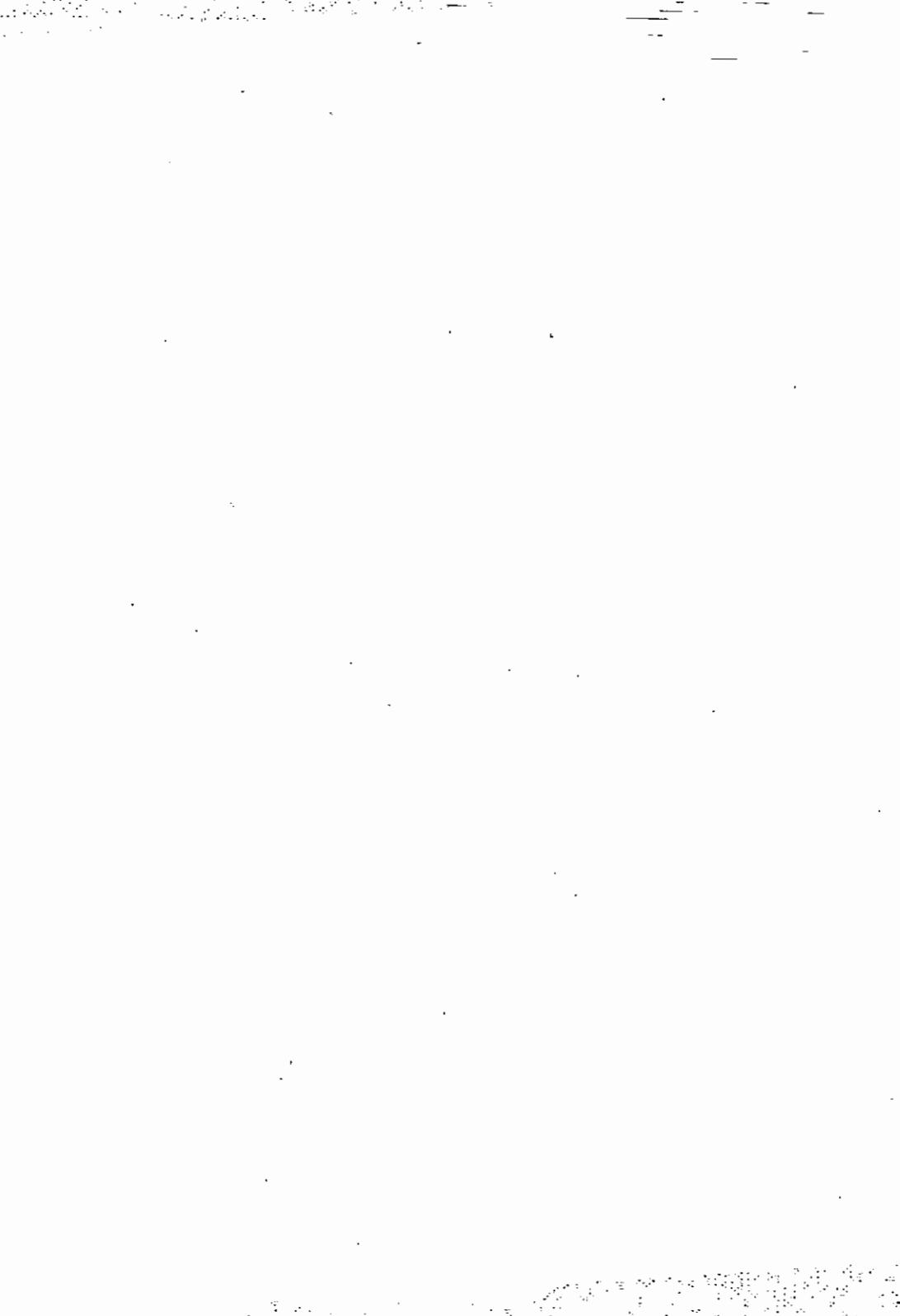
* اسلامه وجهاده

* بطل حتى النهاية

* أشجع من عارض توريت الحكم

* بالحق يواجه جبروت معاوية

* الأمة تودعه إلى الجنة



شخصية عربية فذة تجسد شهامة والمسلم.. وقف في وجه معاوية بن أبي سفيان يعارض حيلته ويرفض فكرته في توريث يزيد ابنه الخلافة من بعده وقال قولته المشهورة: (والله ما الخيار أردتم لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل)..

كلمة حق في وجه سلطان حاكم قوى شاكم قلما يثبت أمامه معارض أو يهزمه مقاتل. لقد كان عبد الرحمن رجلا في كضره ورجلا بعد إسلامه فلا طمع يدفعه عن رأيه ويثنيه عن موقفه ولا خوف يسوقه نحو الخنوع والمالأة والمداهنة.. فمن هو.. وما قصته؟

هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.. عبد الله بن أبي قحافة أول من صدق رسول الله (ﷺ) من الرجال وصاحبه في الهجرة، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وأول خليفة للمسلمين بعد رسول الله (ﷺ).. سن لرعيته قانونا يحاسبه (إني وليت عليكم ولست بخيركم. فإن أطعت الله ورسوله فأطيعوني وإلا فلا طاعة لي عليكم).

تزوج أبو بكر بأربع نساء: قتيلة بنت عبد العزى فولدت له عبد الله وأسماء، ثم تزوج أم رومان فأنجبت عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما كما تزوج حبيبة بنت خارجه بن زيد الأنصارية فولدت أم كلثوم وأخيرا أسماء بنت عميس أرملة الشهيد جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة فولدت لأبي بكر ابنه محمد.

عبد الرحمن إذن هو شقيق السيدة عائشة أم المؤمنين وأكبر منها وأمهما السيدة العظيمة أم رومان بنت عامر بن عويمر، وكانت ذات أدب وبلاغة أسلمت بعد أبي بكر رضى الله عنه وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم هاجرت إلى المدينة مع أهل النبي صلى الله عليه وسلم وأهلها.. وقفت إلى ظهر ابنتها عائشة في محنة الإفك كخير أم تثق في عفة بناتها وروت أحاديث صحيحة عن رسول الله (ﷺ).

هذه أسرة البطل فمن هو؟

بطل حتى النهاية

يقول أستاذنا المفكر الإسلامى الكبير خالد محمد خالد فى كتابه رجال حول الرسول (ﷺ) إن عبد الرحمن بن أبى بكر أوضح صورة مبينة للخلق العربى بكل أبعاده وأعماقه فبينما كان أبوه أول المؤمنين والصديق الذى آمن بالله ورسوله إيماناً ليس من طراز سواه.. وثانى اثنين إذهما فى الغار.. كان صامدا كالصخر مع دين قومه وأصنام قريش؟! فقد خرج مقاتلا فى غزوة بدر مع جيش المشركين.

وفى غزوة أحد كان على رأس أمهر الرماة الذين جندتهم قريش لمعركتها مع المسلمين.. وقبل أن يلتحم الجيشان بدأت كالعادة جولة المبارزة.. وقف عبدالله مبارزاً من صفوف المشركين يدعو إليه من المسلمين من يبارزه.

■ هل من مبارز..؟

وكان أبوه أبو بكر رضى الله عنه على الجانب الآخر فى صفوف المؤمنين وفى مواجهته.. سمعه فأغاظه فتهض فى همة مندفعاً نحوه ليبارزه.. وكاد الابن يرفع سيفه فى وجه أبيه.. فأسرع رسول الله (ﷺ) بحكمته وأمسك بيد أبى بكر وهمس فى وعيه وآل بينه وبين مبارزة ولده.



عبد الرحمن إذن يحمل جينات العربى الأصيل.. شهامته، وشجاعته، وولاءه المطلق لدينه واقتناعه به اللهم إلا إذا أزاحه عن مكانه اقتناع جديد يملأ عقله ونفسه بلا زيف وبلا خداع.

فعلى الرغم من إجلال عبد الرحمن أباه وثقته الكاملة برجاحة عقله وعظمة نفسه وخلقه فإن ولاءه لأصنامهم بقى فارضاً سيادته عليه، ولم يفره إسلام أبيه باتباعه. وهكذا بقى واقفاً مكانه حاملاً مسئولية اقتناعه وعقيدته ينزود عن آلهة قريش.. ويقااتل تحت لوائها بشجاعة وبساله.. شأن الأقوياء الأصلاء من هذا الطراز الذى لا يخفى عليهم الحق وإن طال المدى.

إسلامه

عاش عبد الرحمن في معسكر الشرك ردحا من الزمن حتى شاءت إرادة الله فدقت ساعة الأقدار يوما، معلنة ميلادا جديدا لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضی الله عنهما.

توقف عبد الرحمن مليا يفكر فيما حوله من أصنام وكيف هي لانتحرك فتتقد موروطا ولا تجير مستجيرا ولا تنصر محاربا والدماء تسيح على أرض المعركة.. وذهب بعقله بعيدا يفكر ويسأل نفسه: ترى كيف ولماذا أسلم هذا العقل الراجح والقلب الطاهر لأبيه بمحمد وكيف لأمة الأديبة الفصيحة البليغة أن تعلن إسلامها بدون تردد.. ودار ببصره في السماء يتأمل كل شيء حوله بنفس الثقة التي أحبها في نفسه وماهى إلا لحظات حتى أضاءت مصابيح الهدى نفس عبد الرحمن، فكتست منها كل ماورثته عن الجاهلية من ظلام وضلال وزيف.. لقد رأى بفطرته آثار وحدانية الله الخالق الباريء المصور.. ورأى الله الواحد الأحد في كل ما حوله من كائنات وسموات وأرض لقد غرست هداية الله ظلها في نفسه.. وقلبه فخرجت كلمة التوحيد على لسانه رقراقه كالسلسيل حلوة كالشهد المصفى: (أشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمدا رسول الله ﷺ).

وقف أبو بكر يستمع إلى ابنه في غبطة والسرور يملأ قلبه وابتسامة تضيء وجهه ونور الرضا يشع من عينيه حمدا لله على إسلام ابنه فلذة كبده الذي كثيرا ما عذبه أن يراه في سعيهم مع آلهته وقومه.. ولعله تضرع لله ساعة أن يهدى عبد الرحمن لدينه الحق فاستجاب الله له.

وتمر ساعات الاحتفاء بالبطل المسلم الجديد وبينما الجمع كذلك نهض عبد الرحمن من فوره مسافرا إلى الله ورسوله، أوابا إلى دينه الحق محبا لرسول الله ﷺ مدافعا عنه وعن دينه بنفس القوة والشجاعة والولاء الذي أظهره في كفره وجاهليته.. لقد انطلق يعوض ما فاتته من جهاد في سبيل الله ورسوله والمؤمنين.. فبذل أقصى الجهد والشجاعة فلم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ولم يقعد عن جهاد مشروع.

بطل اليمامة

هزت وفاة رسول الله (ﷺ) كل القلوب هزة أذهبت العقول بعضها عاد والبعض تهادى فى الردة والعناد.. فعمر بن الخطاب تعرض للهزة حتى هدد بقتل من يقول بموت رسول الله (ﷺ) حتى واجهه أبو بكر رضى الله عنه:
من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت.

واستفاق عمر رضى الله عنه حتى هدأ قلبه واستقر عقله وثبت إيمانه.. بينما البعض ارتدوا عن دينهم وجأهروا بذلك حتى بلغ عددهم نحو تسعين ألفا اجتمع بهم مسيلمة الكذاب وبنى جيشا يحارب به أبا بكر ودين الله.. وراع الأمر أبا بكر (ﷺ) فتحمل المسؤولية كاملة وقرر أن يسير جيشين، جيش على رأسه عكرمة بن أبى جهل والآخر على رأسه شرحبيل بن حسنة وانهزم جيش عكرمة لضعف عدده مقارنة بعدوه فقد كان المسلمون ثلاثة آلاف والمتردون مائة ألف.. وقاد أبو بكر المعركة قائدا مخططا يختار من يراه الأجدر بقيادة الجيش واستمرت المعارك حتى قتل من حفظة القرآن نضر غير قليل، فلما عاد خالد بن الوليد من معركته التى انتصر فيها على أسد وتميم أمره أبو بكر على جيش وأمره أن يخرج إلى قتال مسيلمة الكذاب مساندا لجيش شرحبيل بن حسنة وخرج المسلمون بإيمانهم ومسيلمة الكذاب يتحصن خلف أكبر خصومه وأشدّها أسوارا وأكثرها نخيلا وثمارا وكان يسمى الحديدية.. وازدادت الحمية فى قلوب المسلمين وعلموا أن مسيلمة الكذاب ليس منصورا من الله وأن النصر معهم فالله لا يخلف وعده (وكان حقا علينا نصر المؤمنين). فإن قتلوا فهم شهداء أحياء عند ربهم يرزقون.. هنالك هجم المسلمون هجوم الأسود على المشركين حتى استطاعوا أن يقتحموهم إلى اتجاه الحصن الكبير . الحديدية . وقتلوا منهم عددا كبيرا حتى نادى فيهم محكم بن الطفيل: يا قوم مسيلمة عليكم بالحديقة تتحصون بها وقاتلوا جيش المسلمين.. وتحصنوا خلف الأسوار المنيعة.. والمسلمون يفكرون كيف يقتحمون !.. ظهر من بين الصفوف صحابى عظيم قال فيه الرسول (ﷺ) (رب أشعث أغبر لا

يؤبه به إذا استأذن لا يؤذن له لو أقسم على الله لأبره) إنه البراء بن مالك رضي الله عنه وأشار بفكرة عجيبة جريئة لفتح باب الحصن.. قال ضعوني على درع وأحملوه بأسنة الرماح وارفعوني حتى إذا بلغت فوق السور اقتذفوني داخل الحديقة فأسرع إلى فتح باب الحصن ولو قتلوني.. وما إن وقع البراء إلى جانب الباب حتى تلقى ثمانين طعنة وقبل أن يلفظ نفسه الأخير طالت يده المزلاج ففتح باب الحصن واقتحمه المسلمون، وأسقط في يد المرتدين وأحاطت بهم هزيمة نفسية مروعة من هول ما رأوا.. بينما محكم بن الطفيل وزير مسيلمة وخطيب جيشه الذي تلهب خطبه وأشعاره حماس المقاتلين يقف محفزا داعيا إلى سحق جيش خالد بن الوليد.. وقف من بعيد البطل عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه وقد جهز سهمه وصوب رمحه فسده وقلبه ينطق.. (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فسكن السهم عنق ابن الطفيل فخر صريعا غارقا في دمه فاهتزت قلوب المشركين وضعفت نفوسهم وانهارت معنوياتهم وهزمهم الخور والجبن من شدة ما رأوا.. وبينما سيوف المسلمين تحصد أرواح المرتدين وتخطب على رقابهم إذا بعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يخطف يد شقيقه البطل عبدالرحمن فيقبلها مهنتا له بمهارته في الرمي والقنص قائلا له: هذه يد يجيها الله ورسوله.

إذن كان لثبات عبدالرحمن واستبساله ومهارته دور كبير في كسب معركة اليمامة بقتله وزير الإعلام وقائد الميمنة في جيش مسيلمة محكم بن الطفيل. الذي كان يقود أقوى كتيبة مجهزة لحماية أهم مواطن حصن الحديقة حتى أرداه عبدالرحمن بسهمه قتيلا.

لا لتوريث الحكم

ويقول أستاذنا خالد محمد خالد:

ازدادت خصال عبدالرحمن في ظل الإسلام مضاء وصقلا، وقد عرفنا ملامح شخصيته وقوة عزمته وتفانيه في خدمة عقيدته وثباته على قناعته.. كل هذا الخلق ظل جوهر شخصيته وحياته لم يتخل عنه قط تحت إغراء رغبة أو تأثير رهبة حتى في ذلك اليوم الرهيب يوم قرر الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يأخذ

البيعة لابنه يزيد بحد السيف (طوعا وكرها).. فكتب إلى مروان عامله على المدينة كتاب البيعة وأمره أن يقرأه على المسلمين في المسجد وفعل مروان ولم يكذب يفرغ من قراءة كتاب معاوية الذي تشتم منه الحاضرون رائحة الوعد والوعيد حتى نهض الشجاع المقدم عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه ليحول الوجوم الذي ساد المسجد والخوف من وعيد معاوية إلى احتجاج مسموع ومقاومة صادقة فقال: يا مروان إني والله أعرف أمرك وأمر معاوية (ووالله ما الخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية.. كلما مات هرقل قام هرقل)..

لقد رأى عبد الرحمن ساعتها كل الأخطار التي تنتظر الإسلام لو أنجز معاوية أمره ونفذ مراده وبويع ولده وحول الحكم في الإسلام من شورى تختار بها الأمة حاكمها بحسب ما ترى فيه من إخلاص لدينه وحب لوطنه وجهاد في سبيله وبسطة في علمه وجسمه وحب الشعب له إلى قيصرية أو كسروية تفرض علي الأمة بحكم الميلاد والصدفة قيصرا.. وراء قيصر.. فتكون أسوأ ما سن الخلفاء في تاريخ الإسلام!!

لن أبيع ديني بدنيا

لم يكذب عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه يصرخ في وجه مروان بهذه الكلمات القوارع وتسفيه كتاب معاوية وفضح مخططة لتوريث ابنه يزيد خلافة المسلمين بعده، حتى التف فريق من المسلمين على رأسهم سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر رضي الله عنه.. وتحت وطأة التهديد والوعيد طرأت ظروف قاهرة حملت الحسين وابن الزبير وابن عمر على الصمت تجاه مخطط التوريث المفضوح والبيعة التي قرر معاوية أن يأخذها طوعا وكرها ولو بحد السيف.. لكن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ظل وفيأ لقناعته ثابتا على رأيه رافضا إهدار سنة حسنة ومبدأ قرآني عظيم.. «وأمرهم شورى بينهم» فظل يجهر ببطلان هذه البيعة ويحرض على ذلك فبعث إليه معاوية يتألفه ويفريه فقدم إليه رسول معاوية ومعه صندوق به مائة ألف درهم وهدايا.. نظر ابن الصديق إليها محتقرا حاملها ومن أرسله بل والصندوق ومافيه وقال له يا هذا:

ارجع إلى معاوية وقل له: ﴿إن عبدالرحمن لا يبيع دينه بدنياه﴾.. وعاد عبدالرحمن يتأمل حوله ويقلب بصره بين السماء والأرض وهو يحمد الله أن هداه للإيمان وثبته على يقينه حتى جاءه خبر قدوم معاوية إلى المدينة ليظفر به ويقتله . فاستخار الله وحمل متاعه وغادر المدينة مسافرا إلى مكة.. وأراد الله أن يكفيه فتنة هذا الموقف وسوء عقباؤه.. فلم يكذب يبلغ مشارف أم القرى ويستقر بها قليلا ويطوف حول الكعبة شكرا لله على نعمائه.. نعمة الإسلام.. ونعمة النصر.. ونعمة الصبر والثبات في المواجهة حتى فاضت روحه لبارئها وحمله الرجال على الأعناق في فخر واعتزاز ببطولته وشجاعته وقلوبهم تدعو له : ﴿يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية.. فادخلي في عبادي وأدخلي جنتي﴾.





عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)

واحد من الشعب



- * نسبه ومولده
- * الصبي المجاهد
- * أخو الليل صديق السحر
- * الغنى الذي لم يشبع ٤٠ عاما..
- * في مواجهة معاوية والحجاج
- * رفض الخلافة والإفتاء
- * موقفه من الفتنة درس في الحكمة



عبد الله بن عمر

عبد الله بن عمر.. أبوه عمر بن الخطاب وأستاذه محمد رسول الله ﷺ، تعلم من أبيه عمر خيرا كثيرا وورث عنه شجاعته في الحق وصدق إيمانه بالله ورسوله ﷺ وتعلم مع أبيه من رسول الله ﷺ الخير كله والعظمة كلها.. فكان أخو الليل.. صديق السحر.. عالما متواضعا، جوادا كريما.. قلما يأكل طعاما وحده فإذا مد السماط فلا بد أن يكون للفقراء والمساكين واليتامى مكان إلى جواره.. عاش حيناً من الدهر وعمل تاجرا أمينا وريح مالا وفيرا ورغم ثرائه ما شبع من طعام أربعين سنة.. زهد في الدنيا ورغب فيما عند الله فتعلم في مدرسة رسول الله ﷺ وتأسى به فما ترك عملا ولا مكانا ولا سفرا إلا وتحرى فعل الرسول ﷺ فيه وإن ركب ناقته آملا متأملا «لعل خفا يقح خف»..

إن شخصية عبد الله بن عمر الذي ولد في كنف الإسلام قرأى الرسول وصحبه ثم عاش خلافة أبي بكر فما شذ ولا نقض وعدا.. حتى إذا كانت خلافة أبيه عمر عاش كأحد الناس لا يميزه شيء عن أبناء المسلمين إلا أنه بز في شجاعته وتفوق في علمه وتواضعه ثم بلغ به العمر فأدرك خلافة عثمان وعلى رضى الله عنهما وعاش الفتنة بمرارتها ولهيبتها فسلك طريق الحق الذي رآه حتى نجاه الله منها. هذه الشخصية، لهى جديرة بالإعجاب وتتبع سيرتها الغنية بأغنى قيم ومبادئ الرجال والعلماء الذين يعرفون للكلمة مغزاها ومعناها ورهبتها ورسالتها.. فتهيب أن يفتى خشية أن يخطئ في اجتهاده.. ورفض القضاء وقد ألح عليه الخليفة عثمان بن عفان أن يشغل منصب القضاء فاعتذر وثابر على اعتذاره متعللا بخوفه من أن يقضى بجهل فيهوى في النار.. بهذه الروح المؤمنة والقدرة النفسية الهائلة ربما ورثها من شجاعة أبيه عمر، وقف عبد الله بن عمر يزار في وجه الحجاج بن يوسف الثقفي. وهو من هو في جبروته. يرد هجومه على عبد الله بن الزبير واتهامه بتحريف كتاب الله فإذا بابن عمر يقف على ملأ من المحتشدين بالمسجد ويصرخ في وجه الحجاج: (كذبت.. كذبت.. كذبت)..

فمن أى ناحية أبدأ الحديث عن عبد الله بن عمر ومناحيه كلها غنية بالصعب!

نسبه وعائلته

أبوه،

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن فرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.. ويجمع نسب عمر بن الخطاب بالرسول محمد ﷺ فى كعب بن لؤى.. وقد لقب بالفاروق لعدله وكنيته أبو حفص وقد قالها الرسول ﷺ يوم بدر.. وقد ولد عمر وولد عبد الله بعد مولد الرسول ﷺ فى عام الفيل بثلاث عشرة سنة وأسلم فى السنة الخامسة من البعثة النبوية بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام استجابة لدعوة رسول الله ﷺ: اللهم اعز الإسلام بأحد العمرين: عمرو بن هشام. أبو جهل. أو عمر بن الخطاب.. فاختر الله عمر ﷺ.

❖ أم عبد الله بن عمر ﷺ

زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخت عثمان بن مظعون.. وهى الزوجة الثالثة لعمر بن الخطاب فى الجاهلية.. فقد سبقتها قريبة بنت أبى أمية. الأولى. ثم أم كلثوم أو (مليكة) بنت جرويل الخزاعية.. وقد تزوج عمر ﷺ بأم عبد الله زينب فى الجاهلية فى مكة ثم أسلما وهاجرا معا إلى المدينة..

❖ إخوته ﷺ

إخوته من أمه زينب بنت مظعون:

❖ حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها

❖ عبد الرحمن بن عمر ﷺ

وأما إخوته من غير أمه:

❖ عاصم. وأمهم جميلة بنت أبى الأقلح الأنصارية طلقها عمر بعد ولادته.

❖ عياض. وأمهم عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد..

❖ فاطمة وأمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن مخزوم.

❖ زيد ورقية وأمهما أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب تزوجها عمر (رضي الله عنه) في السنة السابعة عشرة للهجرة وهي آخر زوجاته حتى نال الشهادة (رضي الله عنه) .. هذه هي أسرة عبدالله بن عمر.. فمن هو؟

الصبي الجاهد

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب ويكنى بأبي عبدالرحمن.. ولد بعد بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعامين - على الأرجح - وأبوه عمر لم يسلم بعد فلما بلغ الثالثة من عمره أسلم عبدالله مع أبيه فأخذ ينهل من الإسلام ويأخذ عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد تبعه كظله.. كان عبدالله بن عمر رجلاً آدم - أسمر - جسيماً ضخماً.. متقد الذكاء منذ طفولته جريئاً حتى في صباه، حسن العشر في رجولته، طيب القلب لين الجانب مع الضعفاء والفقراء..

❖ هاجر عبدالله بن عمر إلى المدينة مع والده وعمره عشر سنوات، وفي المدينة عكف عبدالله على حفظ القرآن الكريم والتفقه فيه حتى علم حرامه وحلاله وقد أفتي ستين سنة من أربع وثمانين سنة عاشها هذا العبقرى الفذ وهو آخر من مات من الصحابة بمكة.. وقد بدأ جهاده في سبيل الله وهو لا يزال صبياً، فقد شارك في غزوة الخندق عندما سمح له الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو آنذاك ابن خمسة عشر عاماً من العمر، كما شارك في بيعة الرضوان وخرج مجاهداً إلى العراق وشهد القادسية ووقائع الفرس وورد المدائن وشهد اليرموك وغزا إفريقية مرتين، يقول عبدالله بن عمر - عن نفسه - :

«عرضت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فردني (صلى الله عليه وسلم) ثم عرضت عليه يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني (صلى الله عليه وسلم) .. ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني (صلى الله عليه وسلم)»..

واصطف عبدالله مع جند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقاتل ويقدم روحه فداء للإسلام حتى رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال... وجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. آييون، تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق وعده

ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده..

ومن ذلك اليوم إلى اليوم الذى يلقي فيه ربه بالغيا من العمر خمسة وثمانين عاما.. سنجد عبدالله بن عمر المثابر الأواب الذى لا ينحرف عن نهجه قيد شعرة.. وقد بذل نفسه فى سبيل الله ونذر روحه لتكون كلمة الله هى العليا.

أخوال الليل.. صديق السحر

لقد كان عبدالله بن عمر أخا الليل.. يقومه مصليا.. وصديق السحر يقطعه مستغفرا وبأكيا تأسيا برسول الله ﷺ الذى استجاب لأمر ربه «يأيها المزملم قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا».. بهذا الصدق فى التأسى برسول الله ﷺ جعل ابن عمر قيام الليل منتهى آماله ومناط غبطته وسروره.. وقد أنعم الله عليه برؤيا صالحة يقول عنها: (رأيت على عهد رسول الله ﷺ كأن بيدي قطعة استبرق، وكأنتى لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت بى إليه.. ورأيت كأن اثنين أتياى، وأرادا أن يذهبا بى إلى النار، فتلقاهما ملك فقال: لا ترع، لا تخف.. فخلينا عنى.. فقصت حفصة.. أختى.. أم المؤمنين رضى الله عنها على النبي ﷺ رؤياى، فقال عليه السلام: «نعم الرجل عبدالله لو كان يصلى من الليل فيكثر».. ومن ذلك اليوم إلى أن مات عبدالله.. أو قتل.. لم يدع قيام الليل فى حله ولا فى ترحاله.. فكان ﷺ يصلى ويتلو القرآن الكريم ويذكر ربه كثيرا بالعشى والإبكار وكان كأبيه عمر ﷺ تهطل دموعه حين يسمع آيات النذير فى القرآن ويهش ويبتسم إذا قرأ آيات فى وصف الجنة يقول عمر ﷺ: كنا نتحلق حول القرآن نقرأه ولنا صوت كدوى النحل.. فإذا مررنا بآية تنذر بعذاب الله شهق شهقة كأنها زفير جهنم بين أذنى.. فإذا قرأنا آية تبشر بالجنة بكيت وبكوا شوقا إليها..

يقول عبيد بن عمير: قرأت يوما على عبدالله بن عمر هذه الآية: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا..» فجعل عبدالله بن عمر يبكى حتى نديت لحيته من دموعه..

وفى حلقة من حلقات التلاوة قرأ عبدالله بن عمر قوله تعالى: «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين..» فانهطت دموعه كالطرر حتى وقع من كثرة وجده وبكائه وهو يردد: يوم يقوم الناس لرب العالمين..»

على خطى الحبيب ﷺ

كل هذه الفضائل والخصال الحميدة صاغ ابن عمر منها وبها شخصيته الفذة وحياته الطاهرة الصادقة.. وقد أحسن كأبيه عمر الإيمان بالله وبرسوله ﷺ ومن ثم كانت متابعتة خطى - الحبيب - الرسول ﷺ أمرا يبهير الأبواب..

تقول السيدة عائشة رضی الله عنها: «ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منزله، كما كان يتبعه عبدالله بن عمر..» فهو ينظر في حال رسول الله ﷺ إن جلس أو قام وإن صلى أو صام وإن غزا أو قام الليل أو طعم وشرب أو حل أو ارتحل فيحاكيه في دقة وإخبات.. فهنا كان رسول الله ﷺ يصلي.. فيصلى ابن عمر في نفس المكان.. وهنا كان الرسول ﷺ يدعو واقفا فيدعو ابن عمر واقفا، وهنا وعلى هذا الطريق سافر رسول الله ﷺ وتحت هذه الشجرة نزل فاستظل بها قليلا، فسلك عبدالله نفس الطريق وينزل في نفس المكان ويستظل تحت نفس الشجرة.. بل إنه ليذكر أن ناقه رسول الله ﷺ دارت به دورتين في هذا المكان بمكة قبل أن ينزل من فوق ظهرها، ويصلي ركعتين لله.. وقد يكون فعل الناقة تلقائيا وهي تهيئ لنفسها مناخها، لكن عبدالله بن عمر يمضى على خطى الحبيب ﷺ فلا يكاد يبلغ هذا المكان يوما حتى يدور بناقته دورتين ثم ينخها، ثم يصلي ركعتين لله رب العالمين.. تماما كما رأى رسول الله يفعل ويصلي في حله وترحاله، حتى رأى الصالحون فيه نعم المتأسى والمقتدى برسول الله ﷺ فكانوا يتضرعون إلى الله.. «اللهم ابق عبدالله بن عمر ما أبقيتنا، تقتدى به، فإننا لا نعلم أحدا على الأمر الأول غيره.. لقد صدق الله ورسوله.. حتى وقف بناقته في مكان رأى الرسول ﷺ يقف فيه وهو يبكي ويقول: «لعل خفا يقع على خف»..»

تجارته مع الله

إن جهاد عبد الله بن عمر في سبيل الله مقاتلا يذود عن الإسلام ودولته الجديدة وحسن تأسيسه واقتدائه بالرسول ﷺ في كل حاله، وقيامه الليل بلا انقطاع.. إن كل هذا لم يمنع عبد الله أن يعمل ويكد ويتاجر بأمانة حتى أصبح من ذوى الدخول الرغيدة الحسنة كما كان راتبه من بيت المال وفيما ولكنه لم يدخر هذا العطاء والثراء لنفسه قط، إنما كان يرسله غدقا على الفقراء واليتامى..

ويذكر المؤرخون أن عبد الله بن عمر ما استفاد في خلافة أبيه ولا شرى نقيرا ولا أصاب قرضا على غير ما سمح لعامة المسلمين ولا رعى إبلا في مراعى تمنع عنها إبل المسلمين.. ولا أحدا من أبناء الخليفة عمر أصاب شيئا من ذلك.. فقد أخذهم أبوهم الخليفة العادل بالشدّة والمراقبة والتسوية بينهم وبين عامة المسلمين، ولا يتنافى هذا مع كون عمر - الأب - حنونا عطوفا فقليل من الآباء من أحب أبناءه، كما أحب عمر أبناءه.. فقد كان أبا يعرف وجد الأبناء بالأبناء بل وينزع الثقة من وال لا يحنو على صغاره من رعيته وأهله.. ومع ذلك كان عمر بن الخطاب أكثر ما يكون اعتصاما بقوته وقدرته في أمس الأمور بقلبه وسريرة طبعه وخشية الخديعة من ناحية أولاده وأهله فهو يجفل.. من أن يرى لهم ثروة ورزقا لا يعرف مصدره ومآتاه ويجفل أن يرى لأولاده إبلا سمانا بين إبل المسلمين - العجاف.. مخافة أن يسمتها الناس لهم في مراعيهم نفاقا أو خوفا من بطش والدهم أمير المؤمنين أو لأنها إبل أبناء أمير المؤمنين عمر.. بهذه الشدة وأكثر أخذ عمر أهله وأبناءه وفيهم عبد الله وعبد الرحمن.. وما أصاب أحدهم ريحا حراما ولا مغنما مشبوها بسلطان أبيهم الذى أقام العدل بين المسلمين رعيته فسوى بين أبعد الناس وأقربهم في التجارة وقضاء الحقوق وإقامة الحدود.. وليس أقرب للخليفة الحاكم من ابنه.. فإذا سوى الخليفة بين ابنه وسائر المسلمين فذلك عدل مأثور يقتدى به الملوك والأمراء والرؤساء إن هم أرادوا رضى الله والشعب.. ولقد فعلها الفاروق العادل عمر رضي الله عنه فسوى بين أبنائه وأبناء المسلمين فبلغ ذروة العدل وسنام الورع والتقوى..

عمر يجعلك ابنة

وحتى نفهم موقف عبدالله بن عمر من البثوة واستغلال النفوذ.. وقد أخذه ورعه وتقواه فنأى عن الحرام بجانيه.. نسوق هذه الرواية عن عمرو بن العاص وإلى مصر في خلافة عمر رضي الله عنه يقول: بينما أنا في دار الولاية بمصر دخل عليّ رجلان هما عبدالرحمن بن عمر خليفة المسلمين وأبوسروعة منكسران.. فقالا: أقم علينا حد الله فقد أصبنا البارحة خمرا فسكرنا.. يقول عمرو: فزجرتهما وطردتهما.. فقال عبدالرحمن بن عمر: إن لم تفعل أخبرت أبي إذا أقدمت عليه.. فقلبت الأمر أفكر فيه حتى رأيت أنني إن لم أقم عليهما الحد غضب عليّ عمر وخالفه ما صنعت فعزلني، وبينما نحن على ذلك دخل علينا عبدالله بن عمر فقمتم إليه فرحبت به وأردت أن أجلسه في صدر المجلس فأبى.. عبدالله.. عليّ وقال: أبي نهاني أن أدخل عليك إلا أن أجد من ذلك بدا.. إن أخي عبدالرحمن لا يحلق على رؤوس الناس.. فأما الضرب فاصنع ما بدا لك.

قال عمرو بن العاص: وكانوا يحلقون الرأس مع الحد.. فأخرجت عبدالرحمن وأبوسروعة.. إلى صحن الدار فضربتاهما الحد. ودخل عبدالله بن عمر بأخيه إلى بيت من الدار وأخذ برأسه فحلقتها كما حلق لأبي سرورة.. ووالله ما كتبت إلى عمر بشيء مما كان من ابنه وصاحبه حتى جاءني كتابه وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله أمير المؤمنين عمر إلى العاصي بن العاص. عجبت لك يابن العاص لجرأتك عليّ وخلاف عهدي.. فما أراي إلا عازلك فمسيء عزلك. تضرب عبدالرحمن وتحلق رأسه في بيتك.. وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما ابني عبدالرحمن ما هو إلا رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكنك قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت يابن العاص أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباة علي قتب. رحل صغير علي قدر سنام البعير. حتى يعرف سوء ما صنع.

يقول عمرو: فبعثت به كما قال أبوه يلبس عباة ويرتحل حملاً هزيلاً، وأقرأت

ابن عمر كتاب أبيه وكتبت إلى أمير المؤمنين كتابا اعتذر فيه وأخبره أنى ضريرته فى صحن دارى وبالله إنى لأميم الحدود فى صحن دارى على الذمى والمسلم.. وبعثت بكتابى مع عبدالله بن عمر.

قال أسلم - رفيق الركب - فدخل عبدالرحمن على أبيه عمر وعليه عباءة رثة ولا يستطيع المشى من سوء مركبه ووعشاء السفر. فسأله أبوه: يا عبدالرحمن فعلت كذا..؟ وعبدالرحمن يومئ برأسه منكسرا مرتعدا.. نعم فعلت.. فتدخل عبدالرحمن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين، قد أقيم عليه الحد مرة فى مصر.. فلم يلتفت إلى هذا عمر وزجره.. فجعل عبدالرحمن بن عمر يصيح أنا مريض يا أبى.. وأنت قتلتى.. فما نال من عطف أبيه شيئا فضريره وحبسه.. فلما قضى عقوبته أخلى سبيله فما عليه إلا شهر وقد أصابه قدره فمات.

الغنى الفقير

أردنا بهذه الرواية أن نوضح عدل عمر وشدته بأولاده حتى لا يستقوا بسطان أبيهم يتريحون ويكتسبون مالا حراما بظلم الناس وهضم حقوقهم وقد أبانت رواية عمرو بن العاص ورع عبدالله بن عمر الذى أخذ برأس أخيه يجره ويحلقه من غير أن تأخذه به رافة فى دين الله وشرعه.. ألم نقل إنه تلميذ أبيه عمر..؟

والذى يذهب فى بر أبيه والإعجاب به فى عدله وورعة واقتدائه برسول الله ﷺ لا ينبغى له أن يصبح للمال عبدا لا يبالى من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فلقد كانت الأموال تأتيه وافرة كثيرة، ولكنها تمر به مرورا.. وتعبر داره عبورا.. فقد كان يخص به الفقراء والمحتاجين واليتامى.. وقلما كان عبدالله بن عمر يأكل طعاما وحده.. فلا بد أن يكون معه أيتام أو فقراء يشاركونه مآدبته وطالما كان يعاتب بعض أبنائه حين يولمون للأغنياء دون الفقراء ويقول لهم: «تدعون الشباع وتدعون الجياع».. لقد عرف الفقراء عطفه وذاقوا بره وحنانه فكانوا يجلسون فى طريقه كى يصحبهم إلى داره حين يراهم وكانوا يحفون به.. كما تحف أسراب النحل بالأزاهير ترتشف منها الرحيق.. لم يكن جود عبدالله وسخائه سبيلا إلى الزهو وطلب الشهرة بل كان المال بين يديه خادما للفقراء لاسيدا عليهم وبتعبهم..

ولم يكن ماله وحده. بل كان للفقراء فيه حق معلوم للسائل والمحروم.. وقد أعانه على هذا الجود والبذل زهده فما كان يرجو من دنياه إلا لقمة تقيم أوده.. ولباسا يستر عورته.

قدم إليه صديقه من سفر من خراسان وأهداه حلة ناعمة وقال له: خذها وانزع عنك ثيابك الخشنة والبسها فإنها لينة..

فسأل عبدالله: أحرير هذا..؟

قال له صاحبه: لا.. إنه قطن..

فتفكر عبدالله مليا ثم أعاد الثوب إلى صديقه متشكرا صنيعة.. ثم قال له خذ ثوبك هذا يا أخي.. أخاف والله أن يجعلني مختالا فخورا.. والله لا يحب كل مختال فخور..!!

٤٠ عاما لم يشبع

وقد تجرى سيرة الأمراء والملوك والرؤساء فتصور لنا أبهة القصور وأضواء العروش وامتلاء الكروش بما لذ وهنا وطاب من الطعام.. لكن عمر ما فعل ذلك وما رآه حتى سمع صوت بطنه يقرقع حتى أسمع الحاضرين فنادى عليها: قرعى أولا ترعى لن تذوقى اللحم حتى يشبع فقراء المسلمين.. وعبدالله لا يزال معجبا مولعا بشخصية أبيه.. فيأتيه صديقه ويهديه دواء جاء به من العراق..

فسأل ابن عمر: ما هذا؟

قال: دواء من العراق..

قال ابن عمر: وماذا يطيب هذا..؟

قال له صاحبه: يهضم الطعام..

فانفجرت أسارير ابن عمر وضحك وتساءل في استنكار: يهضم الطعام؟

فوالله لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما.. مخافة أن يردنى ربى:

«أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها..» وردده إليه.

يقول ميمون بن مهران: دخلت على عبدالله بن عمر في بيته فتظرت فراشه ومتاعه فسولت لى نفسى أقومه وقلت كم يساوى هذا.. فإذا كله فراش ولحاف

ويساط.. ومن كل شيء فيه لا يساوى مائة درهم..!!
ولم يكن ذلك عن فقر.. فقد كان عبدالله تاجرا أميناً ثريا وعطايها من بيت المال
كافية لعيش رغد.. ولا عن بخل وإنما كان عن زهد فى الدنيا وازدراء للترف
والتزام لمنهجه فى الصدق والورع.. ولقد عاش ابن عمر رضي الله عنه حتى أدرك العصر
الأموى الذى فاضت فيه الأموال وغطى البذخ الدور والقصور ومع ذلك نأى ابن
عمر عن زينة الدنيا وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لولا مخافتك لزاحمنا قومنا
قريشا فى هذه الدنيا».. ولو أرادها لكانت له وكان من الظافرين.

كريم بلا منافس

يصور أيوب بن وائل الراسبى صورة لكرم بن عمر فيقول: حضرت مجلسا
لعبدالله بن عمر وقد جاءه أربعة آلاف درهم وقطيفة..
وفى اليوم التالى رأيتة فى السوق يشتري لراحلته علفا نسيئة - أى بالدين -
فذهبت إلى أهل بيته فسألتهم: أو ليس قد أتى لأبى عبدالرحمن - ابن عمر -
بالأمس أربعة آلاف وقطيفة؟
قالوا: بلى.

قلت: فإنى رأيتة اليوم بالسوق يشتري علفا لراحلته ولا يجد ثمنه.. فقال أهل
بيته: لم بيت عبدالله بالأمس حتى وزعها على الفقراء.. ثم أخذ قطيفته وألقاها
على ظهره وخرج.. ثم عاد وليست معه، فسألناه عنها، فقال: إنه كسا بها فقيرا..
فخرجت أضرب كفا بكف حتى أتيت السوق فارتقيت مكانا عالميا وصحت فى
الناس: يامعشر التجار.. ما تصنعون بالدنيا؟.. وهذا ابن عمر تأتته آلاف الدراهم
فينفقها على الفقراء ثم يصبح فيستدين علفا لراحلته؟!..

لقد اكتسب عبدالله بن عمر هذه الخصال الكريمة من صدق تأسيسه برسول
الله صلى الله عليه وسلم وإعجابه بعدل أبيه الخليفة عمر الذى لوح فى أخريات أيامه أنه كان ينوى
النظر فى تصحيح النظام الاقتصادى وعلاج مشكلة الفقر والغنى على نحو غير
الذى وجدها عليه فقال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت - لو رجع من عمرى
ما فات - لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء..

فعمر أمير المؤمنين - أبو عبد الله هذا - على حبه للمساواة بين الناس كان يفرق أبدا بين المساواة في الآداب النفسية والمساواة في السنن الاجتماعية فكتب إلى أبي موسى الأشعري: «بلغنى أنك تأذن للناس جما غفيرا - الشريف مع الوضيع - فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة». ولكنه - أى عمر - لما رأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع ساداتهم فى مكة غضب غضبا شديدا وقال لساداتهم مؤنبا: ما تقوم يستأثرون على خدامهم..؟ ثم دعا بالخدم فأكلوا مع السادة فى جفان - قصعة - واحدة.



سئل فقال: لا أعلم؛

بعدما أقسم عبد الله بن عمر على نفسه ألا يجيد عن سنة رسول الله ﷺ قيد أنملة وأن يسير على خطاه عملا عملا.. وحركة حركة.. وقد أبرر الله بقسمه - وبعدما عاش معجبا بأبيه فى حزمه وعلمه وورعه وعدله.. فقد تحصلت له علوم ومعارف بز بها عبد الله إخوانه من الصحابة وتفوق عليهم بفقته المقتدى بالحبیب ﷺ حتى رفعوه منزلة فوق ذرى الأتقياء الأصفياء بعدما رأوه لا يروى حديثا عن رسول الله ﷺ إلا إذا كان ذاكرة كل حروفه، حرفا.. حرفا..

وقالوا فيه: (لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أشد جذرا من ألا يزيد فى حديث الرسول ﷺ أو ينقص منه من عبد الله بن عمر) لقد كان عبد الله خوافا أن يزيد أو ينقص حرفا فى حديث رسول الله (ﷺ). وقد سمعه يقول من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وعلى هذا التحوط وهذا العلم كان شديد الحذر فى الفتيا..

جاءه يوما سائل يستفتيه فلما ألقى على عبد الله سؤاله، أجابه قائلا: «لا علم لى بما تسأل عنه».. وذهب الرجل إلى سبيله.. ولا يكاد يبتعد خطوات عنه حتى يفرك عبد الله بن عمر كفيه جذلانا فرحا ويقول لنفسه: (سئل ابن عمر عما لا يعلم، فقال لا أعلم)..!

وعلى الرغم من أنه يعيش ويحيا وفق دين عظيم يجعل للمخطئ أجرا وللمصيب

أجرين فإن ابن عمر كان يخاف أن يجتهد في فتياه.. لقد كان ورعه يسلبه الجسارة على الفتيا، وكذلك كان ينأى به عن مناصب القضاء وكانت من أرفع المناصب في الدولة والمجتمع وكانت تضمن لشاغلها ثراء، وجاها، ومجدا.. وهو أحق الفقهاء بها.. ولكن ما حاجة ابن عمر الورع للثراء، وللجاه، وللمجد..؟
دعاه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهو يومئذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وطلب إليه أن يشغل منصب القضاء، فاعتذر عبدالله وألح عليه أمير المؤمنين فتأبر عبدالله على اعتذاره..

وسأله عثمان: أتعصيني يا ابن عمر؟
فأجابته: (كلا والله ما كان لي أن أعصى أمير المؤمنين وقد أمرنا الله «بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»).. ولكن بلغني أن القضاة ثلاثة:

قاض يقضى بجهل، فهو في النار
وقاض يقضى بهوى، فهو في النار
وقاض يجتهد ويصيب، فهو كفاف، لا وزر، ولا أجز..
وإني لسائلك بالله.. يا أمير المؤمنين.. أن تعفيني..

وأعفاه عثمان (رضي الله عنه) بعد أن أخذ عليه العهد ألا يخبر بهذا أحدا.. ذلك أن عثمان (رضي الله عنه) كان يعلم مكانة ابن عمر في أفئدة الناس، وأنه ليخشى إذا عرف الأتقياء الصالحون عزوفه عن القضاء أن يتابعوه وينهجوا نهجه وعندئذ لا يجد الخليفة تقيا يعمل قاضيا..

ولم يكن في تخلى ابن عمر تعطيل لوظيفة القضاء ولا إلقاء بها إلى أيدي الذين لا يصلحون لها.. ومن ثم فقد أثر البقاء مع نفسه، ينميها ويزكيها بالمزيد من الطاعة والعبادة سيما أن الدنيا في هذه الفترة قد فتحت على المسلمين وفاضت الأموال وكثرت المناصب والإمارات، وشرع إغراء المال والمناصب يقترب من بعض القلوب المؤمنة، مما جعل بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنهم عبدالله بن عمر يرفعون راية المقاومة لهذا الإغراء والعزوف عن المناصب الكبيرة وقهر فتنتها

وإغرائها.. ولو طلبها عبد الله في خلافة أبيه وهو محل ثقته لربما أحرزها عن استحقاق.. لكنها العفة والتعفف.. والتقوى والورع.. وصدق الإيمان بالله ورسوله كلها منعمته أن يختال علي الناس في خلافة أبيه، أو يمشي في الأرض مرحاً أو يطلبها إرثاً.. حتى وإن طلبها فهل كان سيجيبه - أبوه - عمر..!! ومضى في حياته يتهبب من الكبر والملف ونفسه تحدثه: يا ابن عمر.. إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً.. كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً.. واقصد في مشيك.. واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.. فما رأى ابن عمر يوماً مختالاً فخوراً.. وكيف يكون منه ذلك والرجل تشكلت فضائله في جوده وزهده وفقهه وورعه في فن عظيم صور هذه الشخصية العظيمة التي سعت الدنيا إليه تطارده بطيباتها ومغرياتها فتمثل قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (يا دنيا غرى غرى.. أمني تقريت، أم إلى تشوقت)..!!

ورفض الخلافة

وهل هناك كمنصب الخلافة إغراء..؟

لقد عرض على عبد الله بن عمر مرات وهو يعرض عنه.. وهدد بالقتل إن لم يقبل، فازداد له رفضاً، وعنه إعراضاً..!

أى طراز هذا من الرجال..؟ وأي تربية هذه..؟ وأي نفوس أبيه مؤمنة تلك..؟ تمر الخلافة وتسكن بيت أبيه فلا يعرها اهتماماً.. ويطلبه عثمان للقضاء فيعتذر عنه واليوم يدعونه للخلافة فيعرض.. أن لنا الآن أن نصرخ: لقد ذهبت مروءة الرجال وعدل الحكام وقد سلبتهم الدنيا جل إسلامهم وكل عدلهم وأغراهم السلطان بحلاوته فعملوا على توريثه أبناءهم ملكاً عضوداً..!

يقول الحسن بن علي (رضي الله عنه): لما قتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قالوا لعبد الله بن عمر: إنك سيد الناس وابن سيد الناس، فاخرج نبايح لك الناس..

قال عبد الله: (إني والله لئن استطعت، لا يهراق بسببي محجمة من دم)..

قالوا: لتخرجن أو لنقتلنك على فراشك..

فأعاد عليهم قوله الأول..

فأطمعوه.. وخوفوه.. فما استقبلوا منه شيئاً..!!
 وبينما كان الزمان يمر والفتن تكثر كان ابن عمر دوماً هو الأمل.. فيلج الناس
 عليه كي يقبل منصب الخلافة.. ويسطوا أيديهم له بالبيعة، ولكنه كان دائماً يأبى
 ومعه منطقته وحجته.. فإنه لا يستطيع بل لا يقبل أن يحمل واحداً من الناس على
 بيعته بحد السيف.. فهذا ما يرفضه ويرفض الخلافة معه.. لقيه رجل يوماً فقال
 له: ما أحد شر لأمة محمد منك..!!

قال ابن عمر: ولم؟ فوالله ما سفكت دماءهم ولا فرقت جماعتهم ولا شققت
 عصاهم.. قال الرجل: إنك لو شئت ما اختلفت فيك اثنان..

قال ابن عمر: ما أحب أنها انتنى، ورجل يقول: لا، وآخر يقول: نعم.. وظل ابن
 عمر زاهداً فيها ينأى بجانبه عن مطامعها وأضوائها حتى بعد أن استقر الأمر
 لمعاوية بن أبي سفيان.. ثم لابنه يزيد من بعده.. ثم ترك معاوية الثاني ابن يزيد
 الخلافة التي ورثها عن أبيه عن جده زاهداً فيها بعد أيام من توليها.. حتى في
 ذلك اليوم وهو شيخ مسن كبير، كان لا يزال أمل الناس وأمل الخلافة الراشدة..
 فقد ذهب إليه مروان بن الحكم وقال له: هلم يدك تباع لك يا ابن عمر فإنك سيد
 العرب وابن سيدها..

فسأله ابن عمر: كيف نصنع بأهل المشرق..؟

قال مروان: نضربهم حتى يبايعوا..

قال له ابن عمر: (والله ما أحب أنها تكون لى سبعين عاماً، ويقتل بسببى رجل

واحد)..!!

فانصرف مروان عنه وهو ينشد:

إنى أرى فتنة تغلى مراجلها

والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

يعنى يزيد بن معاوية..

كلمة حق عند سلطان جائر

قد يتسلل إلى نفوس مريضة فكرة تتهم ابن عمر بالسلبية تجاه الأحداث

الجسام فقد انصرف عن القضاء وهم في ميسر الحاجة إليه.. ورفض البيعة وفي قبوله لها حقن للدماء.. لكن الحقيقة سافرة كشمس الضحى.. فالرجل يعرف حرمة الدماء وعاقبة الفتنة ومغبة الفتوى بغير علم وشدة العذاب في جهنم وهي تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها.. ألم يأتكم نذير.. لذا جعل شعاره:

من قال: حى على الصلاة أجبته..

ومن قال: حى على الفلاح أجبته..

ومن قال: حى على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا..

إن ابن عمر رضي الله عنه رغم عزلته وحيائه لم ولن يمالئ باطلا.. فطالما جابه معاوية في أوج عزته وسيلطانه بتحديات أوجعته وأريكته حتى توعد بالقتل.. وربما هو من أغرى بقتله مسموما..

وذاث يوم وقف الحجاج بن يوسف الثقفي على المنبر خطيبا وهجا عبدالله بن الزبير قائلا: إن ابن الزبير حرف في كتاب الله..

فوقف له عبدالله بن عمر وصرخ في وجهه على رؤوس الأشهاد:

كذبت.. كذبت.. كذبت يا حجاج!!

وأسقط في يد الحجاج وصعقته المفاجأة وهو الذي يصيح في البرية:

«إنى لأرى رؤوساً قد أينعت حان قطافها».. وتوعد ابن عمر بشر جزاء..

ولوح ابن عمر بذراعه في وجه الحجاج.. وأجابه والناس منبهرون بشجاعته

ورجولته: (إن تفعل ما تتوعدنى به يا حجاج، فلا عجب، فإنك سفیه مسلط)..!!

الله.. الله.. ما أروع كلمة الحق عند سلطان جائر..!

طبول الفتنة توقظه

وبحكمة المؤمن ونباهة الفقيه الحاذق وصدق الانتماء في الوطن رفض عبدالله ابن عمر أن يقر الحرب الأهلية بين الأمة المؤمنة.. وظل حريصا على ألا يكون له في الفتنة المسلحة دور ونصيب.. رافضا.. رغم جرأته.. أن ينحاز فيها لأى فريق.. وكان يقول لنفسه: (واضعين سيوفهم على عواتقهم، يقتل بعضهم بعضا يقولون:

ياعبدالله بن عمر، ابسط يدك).. لقد اعتزل ابن عمر الفتنة بين علي معاوية رضي الله عنهم أجمعين.. فقد كانت أقوى منه.. وإن كان قلبه مع علي (رضي الله عنه) حتى روى عنه أنه قال في أخريات أيامه: (ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أنى لم أقاتل مع علي الفئة الباغية.. وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لعلي: يا علي تقتلك الفئة الباغية)..

وهو وإن فعل ذلك ورفض أن ينحاز إلى جانب الحق مع علي فقد أوضح ذلك الموقف وفسره حين سأله مولاه نافع: (يا أبا عبد الرحمن، أنت ابن عمر وأنت صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنت وأنت فما منعك من نصره على ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوج فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟

فأجابه عبدالله: يمنعني أن الله حرم على دم المسلم.. فقال عز وجل: (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله).. ولقد فعلنا وقاتلنا المشركين حتى كان الدين كله لله.. أما اليوم فقيم نقاتل..؟

قاتلت والأوثان تملأ الحرم من الركن إلى الباب حتى أزاحها الله من أرض العرب..

فأقاتل اليوم من يقول: لا إله إلا الله..؟

هكذا كان منطقته وكانت حجته، وكان اقتناعه..

فهو إذن لم يكن سلبيا ولا جبانا ولا خائرا.. بل رافضا لإقرار حرب أهلية بين الأمة المؤمنة مهما كانت بواعثها..

رحم الله ابن عمر

نعم حق للدنيا كلها أن تقف إجلالا لوفاة عبدالله بن عمر.. أليست روحا أبية، ونفسا طاهرة زكية، جمعت أطراف الفضائل وغيرت كيمياء الزمن وتحدثت لحجج الإغراء وجيشان العصر المفتون بالمباهج، والمغانم ومن قبله عاش في كنف أبيه الخليفة لا يشذ عن عوام المسلمين.. ولم يطلب منصبا ولم يحقق ثروة ولا مغنما بسلطان أبيه، بل لم يشتر ولو بكلمة يسأل توريث الخلافة والزمن في صالحه لولا ورع وتقوى أبيه، وزهده هو في مباهج الدنيا والخلافة..

آن الأوان للدنيا ملوكا وشعوبا قيل أن نسدل الستار على حياة هذا العبقري الزاهد المثابر أن تتعلم الدرس وتصحح المسار وتعيد للإيمان صدقه وللحق قوته وللشعوب حريتها وعزتها وكرامتها.. وأن يعلم الزعماء والرؤساء وأصحاب الفخامة أن نهايتهم محتومة وأن الشعوب لا تنسى ولا تغفر.. وكم من رجل مات والناس تزجى إليه اللعنات وتشيعه بسوء الدعوات.. ولكن مع نفس مؤمنة كعبدالله بن عمر هيهات.. هيهات.. لقد مات ابن عمر وهو مثل «عمر» في الفضل.. وظل الناس يقارنون بينه وبين والده العظيم «عمر» فيقولون:

(كان «عمر» في زمان له فيه نظراء.. وكان «ابن عمر» في زمان ليس له فيه نظير)..

وفي العام الثالث والسبعين للهجرة مالت الشمس للمغيب وكما يقول شيخنا المفكر الإسلامي الكبير خالد محمد خالد في كتابه رجال حول الرسول: «ورفعت إحدى السفن الأبدية مراسيها مبحرة إلى العالم الآخر والرفيق الأعلى حاملة جثمان آخر ممثل لأيام الوحي في مكة والمدينة. عبدالله بن عمر بن الخطاب».. الذي كان آخر الصحابة بمكة رحيلاً عن الدنيا.. فقد توفي رضي الله عنه بعد منصرف الناس من الحج عام ٧٢ للهجرة.. وقد نفذ الحجاج بن يوسف الثقفي وعيده له يوم رده عن الهجوم على عبدالله بن الزبير وقال له: كذبت يا حجاج.. فتوعده بشر قتل.. فلما تهيأ للحجاج ذلك ولعت له الفرصة أمر رجلاً من شيعته.. فسمم زج رمح. حديدة في أسفل الرمح. وزحمه حتى رشقها في ظهر قدمه.. فما لبث أن عمل السم في جسمه الطاهر حتى أسلم روحه الطاهرة إلى ربها.. فحملة المسلمون ودموعهم ترسل الدمع مدرارا وقلوبهم تستغفر له استغفاراً وتدعو على من قتلوه وبالا ودماراً.. وصلوا عليه بالمسجد الحرام ثم شيعوه إلى حيث دفن بالمحصب. مقابر بمكة. وما إن ووري جسده التراب.. حتى علا نشيج القوم حزناً على فقد إمام فقيه زاهد مثابر.. وحناجرهم تصادف دعاء الملائكة التي شيعته ونداء ربه:

«يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»..



يزيد بن معاوية

أول وريث للعرش



- * نسبه ونشأته
- * صفاته ومواهبه
- * أعماله في عصر والده
- * أمير بغزو القسطنطينية
- * معاوية يجهز لبيعة يزيد
- * معارضة قوية للبيعة
- * هل قتل الحسن مسموماً؟
- * هل كان يزيد أهلاً للخلافة
- * خلافة يزيد وموقف أهل السنة

يزيد بن معاوية.. لماذا؟

التقيت مع شخصية يزيد بن معاوية وأبيه معاوية بن أبي سفيان . لأول مرة منذ ٣٥ عاماً عندما درست كتاب «في صدر التاريخ الإسلامي». وكان مقررا دراسيا علي طلاب الصف الرابع بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وفيه تناول المؤلف موضوعات شتي بدأت مع حادثة الإفك تم خلافة أبي بكر رضي الله عنه وما حدث فيها من إشكالات أثناء بيعته بالخلافة وموقف الإمام علي منه وأيضا موقف السيدة فاطمة الزهراء من أبي بكر الخليفة عندما طلبت ميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. فقال أبو بكر رضي الله عنه: «إني سمعت من أبيك قوله: «نحن معشر الأنبياء لا تورث وما تركناه صدقة». واستمر المؤلف يناقش قضايا الخلافة ومواقف بعض الصحابة المتباينة أحيانا والمثيرة للجدل أحيانا أخرى حتي وصل بنا إلي الفتنة الكبرى ومقتل عثمان بن عفان ثم الصراع بين الإمام علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وما حدث في قضية التحكيم والخداع الذي أثار رغبة المحللين والمفكرين وكيف انقسم الصحابة فريقين بين علي ومعاوية الذي تمكن من قتل الإمام بتحريض أحد الخوارج عليه (عبدالرحمن بن ملجم).. حتي إذا بوبع الحسن بن علي ناوأه معاوية حتي تنازل له الحسن رضي الله عنه.. وصار معاوية خليفة للمسلمين عشرين سنة وقبل أن يسلم مقاليد الحكم لرئيس منتخب من الشعب إذا به يطلب البيعة لولده علي عين حياته جبرا واختيارا، ترغيبا وترهيبا بالجزرة والسيف.. أذكر أنني بعدما قرأت الكتاب. المقرر. ثلاث مرات حتي كدت أحفظه أصبت بلوثة عقلية بسبب الأحداث التي ارتبطت بأمر المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وبعض الصحابة الذين شاركوا في كل الأحداث وهم. كما نعدهم. صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم أكن أتخيل شأن كل الطلاب أن صحابيا جليلا يمكن أن يقول أو يفعل شيئا يصدم العقل المسلم سواء خذل أو قتل أو أسرته شهوة الحكم.. فوقفت لأستاذي الدكتور عبدالفتاح مصطفى شحاتة أستاذ التاريخ الإسلامي ومؤلف الكتاب أشكو إليه ما أصابني من ذهول وريبة وصدمة وقلت له: أنا علي أبواب الكفر يادكتور..!!

مد الأستاذ يده وأخذ مني الكتاب.. وريت علي ظهري بحنان الأب وقال: يا ابني كيفيك هذا..! وعلي أن أعطيك أعلى درجة في المادة.. وصدق وعده.. وتخرجت وأنا مازلت أبحث عن عقلي وأرتاد المحافل والندوات لعلني أجد جوابا شافيا لحالتي.. حتي إذا عملت بالصحافة وبدأت أتابع الملف الإسلامي وموقف العلمانيين منه وقفت علي نفس الدرجة فهاهو المستشار محمد سعيد العشماوي ود. فرج فودة كلاهما يشن حربا شعواء علي الإسلام والتاريخ الإسلامي والإسلام السياسي وبعض الصحابة مستندين في كل فورة وثورة علي نفس المواقف السابقة التي أذهلتني وأدهشتني خاصة الفتنة الكبرى التي بدأت بقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي أسست للحرب بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان وحتى مقتل الحسن والحسين رضي الله عنهما في عهد يزيد بن معاوية.

من هنا بدأت وإلي هنا انتهيت وأنا أحاول أن أعرف شخصية يزيد بن معاوية أول من ورت العرش والحكم في دولة دنيوية هرقلية أو كسراوية بعدما أخذ له أبوه معاوية الصحابي الكريم البيعة علي نحو ما ذكرنا ترهيبا وترغيبا وسط رفض من الصحابة أبناء الصحابة كعبدالله بن عمر وعبدالرحمن بن أبي بكر والحسين بن علي رضي الله عنهم وغيرهم ظنا منهم أن في الصحابة من هم أولي بالخلافة لنسبهم للإسلام ولعدالتهم وفقههم وسيرتهم بين الناس خاصة أن سيرة يزيد بن معاوية تآرجحت في كفة الصحابة والمحلمين ما بين مأخذ عنيفة مخجلة علي شخصية يزيد وأخري تراه فاتحا مجاهدا قائدا.. خاصة لدي الباحثين من أهل نجد الذين رأوا في هجوم الشيعة علي معاوية ودولته وولده حربا ضروسا علي الإسلام والصحابة.. لكنني استمعت بأذن صاغية وقلب واع إلي كتاب أهل السنة المفكرين من أمثال الأستاذ عباس العقاد فوجدته مندهشا متسائلا: بأي حق يورث يزيد الخلافة وهو من هو في مواطن اللهو والعبث، فضلا عن رأيه في معاوية وأنه ليس متأكدا من أنه من كتاب الوحي كما تذكر بعض الروايات وإنما مجرد كاتب عمومي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشتان بينهما..

كل هذه الانفعالات النفسية لدي حالت بيني وبين شخصية يزيد وجعلتها أكثر

غموضاً وإثارة.. بل وأكثر بعداً مني كلما حاولت أن أقترِب منه انصرفت خشية الوقوع في المحذور.. لكنني استخرت الله وقررت أن أخوض غمار شخصية يزيد بن معاوية وأسبر أغوارها خاصة أنها ألهمتني فكرة هذا الكتاب عندما لاحظت وجه شبه واضح بين بيعة يزيد ومحاولة توريث أبناء رؤساء الأمة العربية بدءاً من جمال مبارك وسيف الإسلام البقذافي.. وأحمد نجل علي عبدالله صالح وأخيراً بشار الأسد الذي نجح أبوه فعلاً في توريثه عرش سوريا ناهيك عن عبدالله بن الحسين ملك الأردن.. هؤلاء الذين ما ورثوا الحكم وما ورثوه لأبنائهم إلا اعتماداً على البدعة السيئة التي استنّها معاوية في أمة محمد ﷺ.. إذن هي محاولة جادة وسباحة في المحيط، ما أردت بها شهرة ولا مغنماً إنما أردت أن أذكر بأن سنن الله لا تجامل وأن العيب ليس في المنهج وإنما في التطبيق، وأن قدرة الله مطلقة وعدله كذلك، فأبناء الأنبياء بين قاتل ومتبتل وأبناء الخلفاء بين أواب وسفاح.. وأما أبناء الرؤساء والملوك فلا حاجة لشهادتنا عليهم فقد رأيتم وسمعتهم.. الهداية إذن لا تورث ولا النبوة تورث ولا الكفر يورث وإنما قل: إن الهدى هدى الله.. والله يهدي لنوره من يشاء.. وضع الله المنهج صراطاً مستقيماً وعلم أزلاً من يستقيم ويهتدي ومن يضل ويشقى..

والآن أبدأ السباحة في محيط يزيد بن معاوية.. فاستغفروا لأخيكم:!

يزيد بن معاوية

ولادته:

كانت ولادة يزيد بن معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنه، في سنة خمس وعشرين أو ست وعشرين.. وقيل إن ولادته وولادة عبدالملك بن مروان في سنة واحدة، سنة ست وعشرين من الهجرة.

نسبه:

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صحز بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، يكنى «أبا خالد».

فأبوه معاوية بن أبي سفيان، أشهر من يعرف به، استمر والياً للخلفاء الراشدين

علي بلاد الشام لمدة عشرين سنة، ثم خليفة للمسلمين عشرين سنة. وجده أبوسفیان صخر بن حرب أحد زعماء قريش في الجاهلية، وقاد الحرب ضد رسول الله ﷺ، وأسلم عام الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله ﷺ، وفي حصار الطائف فقد إحدَي عينيه، ثم شهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد، وفقد عينه الثانية ﷺ.

وجدته من جهة أبيه: هند بنت عتبة بن ربيعة، أسلمت يوم الفتح، وكانت من أعقل النساء، حازمة، ذات نفس وأنفة.

وأمه: ميسون بنت بحدل الكلبية، شاعرة من شاعرات العرب، وكانت امرأة لبيبة، وأبوها من أشرف قبيلة كلب.

نشأته:

لم تزودنا المصادر التاريخية بأخبار كافية عن نشأة يزيد بن معاوية، ولعل الاستمرار في حملة التعقيم علي أخباره، والتشهير بسيرته، سبب رئيسي في هذا الشأن.

ولكن نستطيع من خلال النصوص القليلة والإشارات البسيطة أن نكون تصورا - حتي ولو كان جزئيا - عن حياة يزيد بن معاوية، وذلك قبل أن يتولي الخلافة. تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسون.. بنت بحدل الكلبية، ونقلها من بادية بني كلب في جنوب بلاد الشام إلي دمشق، وأسكنها قصرا من قصور الإمارة، فكانت تكثر الحنين والتذكير لمسقط رأسها.

فأنصت عليها معاوية يوما، فسمعها تنشد شعرا تقول في مطلعها:

وليس عباءة وتقر عيني

أحب إلي من لبس الشقوف

وتمضي في الأبيات تصف فيها حياة البداوة وتقارنها بحياة القصور والحضارة وتفضلها عليها، إلي أن قالت:

وخرق من بني عمي ثقيف

أحب إلي من علج عنيف

- العليج هو الرجل القوي الضخم .
فقال لها معاوية؛ ما رضيت ابنة بحدل حتي جعلتني عرجا، فالحقي بأهلك ..
فمضت علي كلب وابنها يزيد معها ..
ولا نعلم كم كان سن يزيد حين طلقها معاوية، ولكن البلاذري والطبري ذكرا أنها
ولدت مع يزيد بنتا فماتت وهي صغيرة .
والغريب أن ابن عساكر ذكر بإسناده أن ميسون كانت ترجل ولدها يزيد وهي
حينئذ مطلقة، فذكر قصة تفضيل معاوية ليزيد علي أخيه عبدالله .
وهذا لعله لغط من النسخ فريما كانت المريية هي التي كانت بدل ميسون، لأن
يزيد كان في هذه القصة كبير السن نسبيا، وذلك من خلال مطالب والده له، ثم
كيف ترضي امرأة مطلقة من عائلة معروفة بزعامه كلب بأن تعيش مع مطلقها،
علاوة علي الحكم الإسلامي في العيش معه .
وقد يكون معاوية أقطع ميسون وولدها يزيد أحد القصور، وبعد أن عاد ولدها
من البادية عاشت معه في قصره .
وتذكر المصادر التاريخية أن ميسون بنت بحدل كانت صاحبة عفاف وتستر،
وروت عن معاوية بعض الأحاديث .. وكانت امرأة لبيبة عاقلة، دخل عليها معاوية
يوما ومعه حديج الخصي فاستترت منه، فقال لها: إن هذا بمنزلة المرأة فعلام
تسترين منه؟ فقالت له: كأنك تري أن المثلة أحلت له مني ما حرم الله .
وبعدها انتقل يزيد مع أمه إلي أخواله وعاش فترة من حياته في البادية، بين
أخواله وهم زعماء قبيلة كلب، فأثرت في طباعه تلك النشأة؛ فتراه يتميز
بالفصاحة، والخطابة، والكرم، والشجاعة .
ولا أعتقد أن معاوية رضي الله عنه كان حريصا علي أن يستمر ولده في البادية، لأن
البادية لا يمكن أن تعلمه فن السياسة والتعامل مع الشعوب، كما أن البادية يغلب
علي أهلها الجفاء وقلة العلم .
ولكن يزيد استمر متعلقا بالبادية، حتي أنها أثرت في لباسه وعدم التكلف في
حياته، فقد تلقاه أهل الشام بعد موت أبيه عائدا مع أخواله ليس له عمامة ولا

سيف، فقال الناس: هذا الأعرابي الذي ولي أمر هذه الأمة.
ولا نعلم متي عاد يزيد من البادية، ولكنه استمر في الإقامة مع والده يحضر مجالسه، ويستفيد من سياسته وتديره للملك.
وأراد معاوية أن يوفر ليزيد تعليماً يناسب مكانة ابن الخليفة، فاختر له دغفل ابن حنظلة السدوسي الشيباني . ت ٦٥هـ . مؤدياً لولده يزيد .
قال عنه ابن سيرين: «كان دغفل رجلاً عالماً، ولكنه اغتلبه النسب» .
وكان من شهرته أن يضرب به المثل فيقال: «أعلم من دغفل» .
كما أن معاوية استقدم عبيد بن شربة الجهمي من صنعاء اليمن، وكان عارفاً بأيام العرب، وأحاديثها، وله كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين .
ولا شك أن يزيداً استفاد من هذا الشيخ الحكيم الذي حنكته التجارب والسنون، وقد توفي عبيد بن شربة سنة ٧٠هـ .
وقد أثرت هذه الدراسة في الأنساب علي مستوي يزيد، وجعلته يتحدث عن الأنساب تحدث الخبير .
ولا يستغرب اهتمام معاوية بالعلم، وخاصة إذا عرفنا أن أباه أبا سفيان وجده حرباً نقلوا الخط العربي إلي الحجاز .. وهذا من أعظم مآثر بني أمية علي العرب، بل إن السنة . أي أحاديث الرسول ﷺ . لم تدون آخر المائة الأولى إلا بأمر أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الأموي .
إن نوعية الانتقاء هذه لا شك أن لها أكبر الأثر في تكوين شخصية هذا الشاب، فقد توفر ليزيد ما لم يتوفر لغيره، إضافة إلي أن أباه هو أحد الصحابة، وكتب الوحي لرسول الله ﷺ .. عند بعض المحدثين ..
وقد روي عن أبيه أحاديث منها «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ..
وقد كان معاوية رضي الله عنه يحاول دوماً أن يوجه يزيد نحو الاستفادة من مجالس الوفود التي تفتد عليه، فقد ذكر ابن المبارك: أن معاوية قال لبعض رجالات الوفود: «ما تعدون المروءة فيكم؟ قالوا: العفاف في الدين والإصلاح في المعيشة، فقال معاوية: اسمع يا يزيد» ..

«إن معاوية منذ أن استقر له الأمر في الشام، كان شديد الاهتمام بتربية ولده، فأشركه منذ وقت مبكر في الصوائف - حملات الغزو في الصيف - وفي تحمل المسئوليات الجسام»..

صفات يزيد بن معاوية:

صفاته الخلقية:

يبدو مما وصف به المؤرخون يزيد أنه كان ضخم الجسم، سمينا طويلا، غليظ الأصابع، كثيف الشعر، جعدة، أسمر البشرة، في وجهه أثر الجدري، أحور العينين، حسن اللحية خفيفها.

صفاته الخلقية:

إن المصادر التاريخية والأدبية علي حد سواء تزودنا بأخبار قليلة عن صفات يزيد المكتسبة والموروثة، إلا أنها تحدد لنا بعض الملامح من شخصية يزيد بن معاوية.. فمنها:

القوة والشجاعة:

لعل عيشة يزيد الجزئية في البادية وبين أخواله أكسبته طبيعة البادية القائمة علي قوة التحمل والشجاعة في آن واحد، علاوة علي أنه من سلالة أسرة اشتهروا بالقوة والشجاعة والحزم.

قال عنه الذهبي: «كان قويا شجاعا، ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة...»..

وكان يتمني أن يوليه أبوه في الغزو علي الصائفة بالمسلمين.. وكان يحرص علي إقامة السباقات بين الخيل، ويجعل الجوائز، لرفع مستوي الضروسية عند المسلمين..

علاوة علي تمكنه من قيادة الجيش الإسلامي الذي حاصر القسطنطينية، وسيطرته علي مجريات القتال..

وذكر صفوان بن عمرو أن المسلمين لما جاوزوا بالأساري من الروم، ضرب أعناقهم يزيد بن معاوية والروم تنظر إليهم.

كما أن من حزمه ما حكاه العتبي بإسناده أن أبا أيوب الأنصاري مرض في غزوة

القسطنطينية، فأتاه يزيد عائدا فقال: ما حاجتك يا أبا أيوب؟ قال: ادفني عند أسوار القسطنطينية، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح أرجو أن أكون هو.

فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل علي سريره، ثم أخرج الكتائب، فجعل قيصر يري سريرا والناس يقتتلون فأرسل إلى يزيد: من هذا الذي أري؟ قال: صاحب نبينا وقد سألنا أن ندفنه في بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله. قال: العجب.. كيف أن ينسب أبوك للدهاء ويرسلك فتأتي بصاحب نبيك، وتدفنه في بلادنا، فإن وليت أخرجناه إلي الكلاب، فقال يزيد: إني والله ما أردت إيداعه بلادكم حتي أودع كلامي آذانكم، فإنك كافر بالذي أكرمت هذا له، لئن بلغني أنه نبش من قبره أو مثل به، لا تركت بأرض العرب نصرانيا إلا قتلته، ولا كنيسة إلا هدمتها.

فبعث إليه قيصر: أبوك كان أعلم بك، فوحق المسيح لأحفظنه بيدي.. وقد نالت شجاعة يزيد في حصار القسطنطينية إعجاب الأدياء، لذلك تراهم يتناقلون ذكر شجاعته ويسالته.

ولقد أشار المؤرخون إلي شجاعته ويسالته في حصار القسطنطينية.

الفصاحة والشعر:

لقد ذكر كل من ترجم ليزيد أنه مشتهر بالفصاحة والشعر، ولقد أرجع القلقشندي فصاحة يزيد وتعلمه الشعر لأمه ميسون بنت بحدل الكلبية.

ولقد مكنته هذه الفصاحة من إعجاب أبيه به، فقد ذكر العتبي: (أن زيادا قدم بأموال كثيرة ويسفط مملوء جواهر علي معاوية، فسر معاوية بذلك، فقدم زياد فصعد المنبر، ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية، فقام يزيد فقال: إن تتعل ذلك يا زياد فتحن نقلناك من ولاء ثقيف إلي قريش، ومن القلم إلي المنابر، ومن زياد بن عبيد إلي حرب بن أمية. فقال له معاوية: اجلس فذاك أبي وأمي.

ولما تكلم الخطباء عند معاوية قال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق، قم يا

يزيد، تكلم.

ومن الدلالة علي فصاحته تلك الخطبة الرائعة التي استهل بها توليه الخلافة. وقد ذكر المدائني أن رجلاً قال لسعيد بن المسيب: أخبرني عن خطباء قريش، قال: معاوية، وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، وابنه عبد الملك، وسعيد بن العاص وابنه، وما ابن الزبير يدونهم.

ولقد قرب يزيد بن معاوية الإخباريين، وجعل بعضهم من خاصته، وممن اصطفاه منهم وقريه: علاقة بن كرشم الكلابي، وكان مشهوراً في زمنه. وقد وصفه ابن النديم بأنه: «عارف بأيام العرب وأحاديثها، وهو أحد من أخذت عنه المآثر والأخبار وأحاديث العرب، وأدخله يزيد بن معاوية في سماره». وقال ياقوت الحموي: (له علم بالأنساب، والأخبار، وأحاديث العرب).

شعر يزيد:

وأما شعره فقد كان شاعراً مجيداً جعل الناس يقولون بديء الشعر بملك، وختم بملك، إشارة إلي امرئ القيس وإلي يزيد بن معاوية. وكان يزيد وعبدالرحمن بن حسان يتقاولان الشعر.

وذكر ابن خلكان في ترجمة المرزباني: «أنه هو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية، واعتني به وإن جودة شعر يزيد جعلت ابن خلكان يحفظ ديوانه (لشدة غرامه به).

ولكن مع قلة شعر يزيد إلا أنه في نهاية الحسن علي حد تعبير ابن خلكان، وقد كان الشافعي يستشهد بشعره. ولذا قال ابن حجر: (وكان يزيد شجاعاً جواداً شاعراً مجيداً).

الحلم والكرم:

ليس غريباً أن يعرف عن يزيد الحلم، فهو من عشيرة عرفت بالحلم، وقال علي رضي الله عنه (أرزننا أحلاماً لإخوتنا بنو أمية..).

وبالتأكيد فإن مصاحبة يزيد لوالده كان لها أثر كبير في طباعه وسلوكه. لقد شهد حبر الأمة (عبدالله بن عباس ليزيد بالحلم، فلما أتاه يزيد معزياً له

في موت الحسن وخرج من عنده، قال ابن عباس إذا ذهب بنو حرب ذهب حلماء الناس).

كرم يزيد:

اشتهر عن يزيد الكرم، فكان يجزل العطاء لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب. وليس غريبا عنه وهو الذي يقول: (حفظ النديم والجليس وإكرامهما من كرم الخليفة وقضاء حق النعمة).

ولقد حازت هذه الأعطيات علي إعجاب عبدالله بن جعفر، وقال له: (فداك أبي وأمي، فوالله ماقلتها لأحد قبلك).

أعمال يزيد في عصر والده

غزو القسطنطينية:

بعد أن رأى معاوية في ولده ما رأى من الفصاحة، والبلاغة، والقوة، والشجاعة، وقام علي تعليمه وتثقيفه، واستجلب له أشهر أهل زمانه من علماء النسب، أصبح يتطلع في ولده النجابة، وحمل بعض الأعباء عنه.

فاختاره أول ما اختاره لأن يحمل أغلي وأثمن راية في حياة المسلمين، وهي راية الجهاد في سبيل الله.

فأراد من يزيد أن يكون قائدا للقوة الجهادية التي ستتجه نحو الروم، تلك الجبهة المهمة والواضح خطرها علي المسلمين آنذاك.

فمن المعلوم أن الدولة الرومانية قد انحسرت أمام الفتوح الإسلامية، فبعد معارك اليرموك، وأجنادين، وغيرها، وتحرير دمشق، والقدس، وبقية المدن الشامية، أصبحت جميع بلاد الشام محررة من السيطرة الرومانية. وذلك في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم تابع المسلمون الروم في مصر، وبرقة، وطرابلس الغرب.

هذا من جهة الغرب، أما الجهة الشمالية، فبعد أن تراجع الروم من بلاد الشام أصبحت منطقة أرمينية والحدود الشمالية لسوريا مع آسيا الصغرى. إقليم (الأناضول). منطقة ثغر، وظل الروم يغيرون بين الفينة والأخرى علي بلاد الشام،

وبالأخص علي السواحل الشامية، وذلك نتيجة لتطور أسطولهم، ولعدم وجود أسطول قوي يحمي المسلمين من عدوهم.

فبدأ المسلمون يتجهون للتفكير في بناء أسطول حربي يوازي أو يفوق أسطول الروم البحري.

ولعل الدافع الذي حدا بالمسلمين أن يفكروا تفكيراً جدياً في إنشاء الأسطول البحري، إنما كان بسبب استيلاء الروم علي الإسكندرية حوالي عام ٢٤هـ.

ثم أصبحت الإسكندرية بعد استردادها مكاناً لتصنيع السفن، ولقد انتشرت أحواض بناء السفن حتي علي الساحل الشامي، وأصبحت صور (لبنان) الثانية في الأهمية من حيث بناء السفن بعد الإسكندرية.

فكان أول من ركب البحر هو معاوية رضي الله عنه عندما فتح قبرص عام ٢٨هـ.

كما اشترك أسطول الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان مع أسطول الإسكندرية بقيادة سعد بن أبي السرح في المعركة البحرية الشهيرة، والمعروفة بغزوة (ذات الصواري) سنة ٢٥هـ.

وقد اشتهرت في المصادر الأوروبية بموقعة (فونيكه) لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكه غربي الإسكندرية.

ولكن هزيمة الروم في البحر لم تجعلهم يكفون عن تهديد بلاد الشام، سواء من البر أو البحر، أو منهما جميعاً، جعل معاوية يكون شديد التيقظ لمحاولاتهم.

وإن كان هناك من كلمة حق في معاوية، فإننا نقول إن معاوية رضي الله عنه قد قام بالدفاع عن بلاد الشام حق القيام، وأصبح يتابع الغزوات علي منطقة الثغور حتي أصبحت الروم ترهب جانب المسلمين.

ويعد أن وقعت الفتنة بين الصحابة - رضوان الله عليهم - بسبب الحقد اليهودي السبئي، انشغل معاوية رضي الله عنه بالمطالبة بثأر الخليفة المقتول ظلماً عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وتوقف الجهاد علي الجبهة الرومية وغيرها، قال سعيد بن عبدالعزيز: لما قتل عثمان واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتي اجتمعت الأمة علي

معاوية سنة أربعين، وسموها سنة الجماعة.

ويذكر اليعقوبي: أن طاغية الروح زحف علي بلاد الشام خلال هذه الفتنة. فصالحه معاوية.

فلما استقام الأمر لمعاوية: أغزا الصوائف، وشتاهم بأرض الروم، ست عشرة صائفة، تصيف بها وتشتوا بها، ثم تقفل وتدخل معبقتها. ولم يقبل معاوية رضي الله عنه صلحا مع الروم.

والمتتبع للقائمة التي أوردها اليعقوبي. لأمرء الصوائف، يجد معاوية رضي الله عنه اهتم بتلك الجبهة اهتماما واضحا لخطرها علي المسلمين، وجعل أنجب القواد في تلك الجبهة، أمثال بسر بن أبي أرطأة، وعبدالرحمن بن خالد، وفضالة بن عبيد وسفيان بن عوف.. وغيرهم.

وقام معاوية في سنة ٤٩هـ بتهديد عاصمة الروم المنيرة (القسطنطينية) فأرسل جيشا ضخما بقيادة ولده يزيد بن معاوية لمحاصرة القسطنطينية، ومعه القواد المشهورون: بسر بن أبي أرطأة قائد الأسطول البحري، وسفيان بن عوف، وفضالة بن عبيد الأنصاري، قائد الجيش البري.

ويبدو أن أخبار تجهيز هذا الجيش الضخم قد انتشرت، بدليل أن كثيرا من أكابر الصحابة وسادات المسلمين وأبنائهم قد اشتركوا في هذه الغزوة. وربما اشترك فيها الصحابة وأبنائهم طلبا للمغفرة الثابتة لأهل غزو القسطنطينية.

وقد اشترك في هذه الغزوة أبو أيوب الأنصاري، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، والحسين بن علي، وأبو ثعلبة الخشني، وغيرهم من سادات المسلمين.. وكانت هذه الغزوة ما بين سنة ٤٩هـ، وسنة ٥٢هـ.

الشروع في غزو القسطنطينية

تقدم الجيش الإسلامي نحو القسطنطينية بشقيه: البري والبحري، وكان الجالس علي عرش الدولة البيزنطية يومئذ: الإمبراطور قسطنطين الرابع، وكان قد وقف علي أنباء هذه الغزوة منذ إعدادها، واستعد لردّها بكل ما وسعه من

وسائل الدفاع.

وهكذا بدأ المسلمون أعنف معاركهم البحرية بمحاصرة القسطنطينية فطوقوها من البر والبحر بصقوف كثيفة من السفن والجند، ولبثوا عدة أيام من الفجر إلى المساء، يهاجمون واجهتها الشرقية حتى القرن الذهبي، دون أن يظفروا بالدنو من أسوارها وأبراجها المنيعة.

ولقد حاول المسلمون محاولات جادة لفتح ثغرة في سور القسطنطينية، ولكن بسالة المدافعين حالت دون ذلك، ولم يكن القتال علي الأسوار فقط، بل تعداه إلى القتال في عرض البحر، فقام عبدالله بن قيس بإنزال ضربة قاسية بحرقات الروم، وجاؤوا بالأسري من الروم إلى يزيد.

فحاول يزيد أن يوهن من قوة المدافعين عن المدينة، فقام بضرب أعناق الأسري والروم تنظر إليهم.

ومع ذلك كله فإن المسلمين لم يستطيعوا إحراز أي تقدم في محاصرتهم للقسطنطينية، والسبب كما يقول محمد عبدالله عنان: (أن المسلمين أخطأوا في تقدير منعة القسطنطينية، ومنعة وسائل الدفاع الرومانية). وقال السيد الباز الغريني: (إن نجاة القسطنطينية وخلاصها إنما جاء نتيجة استخدام ماهو معروف بالنار الإغريقية (النابالم)، هذا السلاح جري استخدامه ضد الأسطول الذي يحاصر المدينة، وهذه النيران عبارة عن مخلوط كيميائي قابل للانفجار، ويجري قذفه بأنابيب خاصة، فإذا احتك بسفينة العدو اشتعل واحترق، ومن خصائص هذه النيران أيضا أنها تستعمل بالماء، وظل سر تركيب هذه النيران مكتوما لمدة طويلة، لما حققته من فائدة، وما أحرزته من انتصارات بحرية عديدة).

وقد مرض أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزوة، وأثناء اشتداد المعارك عاده يزيد بن معاوية، وطلب من يزيد إذا مات أن يوغل في أرض العدو ما يستطيع إلى ذلك ثم يدفنه.

وسار يزيد به بعدما توفي، فأوغل في أرض العدو يوما أو بعض يوم، ثم نزل فدفنه.

قال ابن كثير عن جيش يزيد.. فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد.

وبعد أن استمر المسلمون في حصار المدينة من أبريل إلى سبتمبر، ارتدوا عند اقتراب الشتاء إلى جزيرة كيزكوس الواقعة علي قيد ثمانين ميلا من القسطنطينية، حيث أنشأوا مراكزهم العامة، فقضوا بها الشتاء.

غير أنهم عاودوا الحصار في صيف العام التالي، وعاودوا الارتداد في الشتاء إلى كيوكوس، واستمروا كذلك يعاودون حصار القسطنطينية كل صيف، ويرتدون عنها كل شتاء، ستة أو سبعة أعوام متوالية قبل أن يفكروا في العدول عن مشروعهم الضخم.

هذا بالنسبة للجيش، أما بالنسبة ليزيد فيبدو أنه قد رجع بعد الحصار الأول، بدليل أنه أقام الحج في تلك السنة التي غزا فيها القسطنطينية.

وتكمن أهمية هذه الغزوة في ذكرها في الحديث الشريف، وفضيلتها، وفضيلة أهلها المجاهدين، فقد ثبت في الصحيح أن (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم).

قال ابن كثير في تعليقه علي هذا الحديث: (وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين مع معاوية، حين استأذن عثمان في غزو قبرص فأذن له، فركب المسلمون في المركب حين دخلها وفتحها قسرا، وتوفيت أم حرام في هذه الغزوة في البحر، وكانت مع معاوية زوجته؛ فآخته بنت قرظة).

وأما الثانية فكانت في سنة اثنين وخمسين في أيام ملك معاوية، بعث ابنه يزيد ومعه الجنود إلى القسطنطينية، ومعه في الجيش جماعة من سادات الصحابة، منهم: خالد بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فمات هناك، وأوصي إلي يزيد بن معاوية، وأمره أن يدفنه تحت سنابك الخيل، وأن يوغل إلي أقصى ما يمكن أن تنتهي به إلي نحو جهة العدو، ففعل ذلك.

والحقيقة أن هذه الفضيلة ليزيد جعلت الذهي مع شدة حمله علي يزيد يقول: «يزيد بن معاوية، أبو خالد الأموي له هنات حسنة، وهي غزو القسطنطينية،

وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري». وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث يقول: «ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب، ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا للخوارج والمعتزلة، ومن وافقهم».

ويبدو أن يزيدا قد قام ببعض الحملات حتي وصل إلي خليج القسطنطينية ومعه زوجته أم كلثوم.

تفكير معاوية في أخذ البيعة ليزيد .. والخطوات التي اتبعها لذلك

يحمل كثير من الباحثين المغيرة بن شعبة المسؤولية عن بيعة يزيد بن معاوية، وذلك باعتباره العقل المدبر، وصاحب الفكرة الأولي، حين عرض علي معاوية أن يتولي يزيد الخلافة من بعده، وتكفل بالدعوة ليزيد، وتهيئة أهل الكوفة لتقبل خبر اختيار يزيد لولاية العهد.

وكل من اتهم المغيرة بن شعبة كانت حجته في ذلك تلك الرواية التي أوردتها بعض المصادر القديمة، ومفادها: أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه دخل علي معاوية، واستعفاه من ولاية الكوفة فأعفاه، وأراد معاوية أن يولي بدلا منه سعيد بن العاص، فبلغ ذلك أحد المواليين للمغيرة، وتأثر المغيرة عند ذلك، وتمني العودة للإمارة، فقام فدخل علي يزيد وعرض له بالبيعة، فأخبر يزيد والده بما قال له المغيرة، فاستدعي معاوية المغيرة بن شعبة، وأمره بالرجوع واليا مرة أخرى علي الكوفة، وأن يعمل في بيعة يزيد.

الخطوات التي اتبعها معاوية لبيعة يزيد:

المشاورات:

في البداية حاول معاوية أن يتحسس ردة الفعل عند بعض زعماء المسلمين، فاستشار زياد بن أبي سفيان، فكتب إليه زياد يأمره بالتريث والتهمل، وألا يعجل، وأرسل إلي يزيد يطلب منه أن يكون قدوة للمسلمين، وأن يترفع عن التساهل في اتباع الصيد والاهتمام به ومفارقة أماكن اللهو والشبهات!

ثم شاور ابن الزبير فأبشار عليه بإمعان التفكير في ذلك، وأجاب عليه إجابة مبهمة كأنها تحمل في طياتها الرفض.

ثم شارو الأحنف بن قيس، فلم يشر عليه بشيء.

إن اختبار معاوية لهذه الشخصيات الثلاثة يدل علي دراية وحكمة سياسية. وكان معاوية رضي الله عنه يهدف من خلال هذه المشاورات إلي التعرف علي نظرة الناس ليزيد، ومدى تقبل كبراء القوم لهذا العهد بالولاية.

بيعة أهل الشام:

أراد معاوية رضي الله عنه أن يعرف ميول أهل الشام ورأيهم في بيعة يزيد، فقام وأعلن لهم أنه اختار يزيد بن معاوية ولياً لعهد من بعده؛ وذلك بعد رجوع يزيد من غزو القسطنطينية، وقد أدي طرح هذه الفكرة إلي قبول وإجماع من أهل الشام بالموافقة علي بيعة يزيد، ولم يكن هناك أي معارض.

٣- بيعة الوفود:

عقد معاوية رضي الله عنه اجتماعاً موسعاً في دمشق بعدما جاءت الوفود من الأقاليم، وكانت هذه الوفود تضم مختلف رجالات القبائل العربية، فمثلاً من بلاد الشام: الضحاك بن قيس الفهري، ثور بن معن السلمي، عبدالله بن عضاة الأشعري، عبدالله بن مسعدة الفزاري، عبدالرحمن بن عثمان الثقفي، حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وغيرهم.

كما حضر عن أهل المدينة عمرو بن حزم الأنصاري. وذلك في وقت متأخر. وحضر عن أهل البصرة الأحنف بن قيس التميمي ثم تكلم كل زعيم من هؤلاء الزعماء ورحبوا بالفكرة لحقن الدماء وحفاظ الألفة والجماعة.

وتكلم الأحنف بن قيس فقال: «أنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليلة ونهاره، وسره وعلايته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالي وللأمة رضي فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا، وأنت صائر إلي الآخرة»، ثم تمت المبايعة ليزيد بولاية العهد.

علي أن الشيء المؤكد أن عمرو بن حزم الأنصاري، لم يحضر هذا الاجتماع،

وذلك لأحد أمرين:

الأمر الأول: هو أن أهل المدينة لم يوافقوا في الأصل علي البيعة، وعارضوها بشدة، فلم يرسلوا أحدا منهم.

الأمر الثاني: هو أن معاوية قد رفض الالتقاء بعمرو بن حزم، وما ذلك إلا لأنه بلغه معارضة أهل المدينة، وعرف أن عمرو بن حزم مندوب عن أولئك المعارضين، فخشي إن حضر الاجتماع أن يشتم الآراء، ويحدث بلبلة من خلال معارضته، ولهذا استجاب له أخيرا فالتقي به علي انفراد، وحصل بالفعل ماكان يظن معاوية، ولكن معاوية تقبل الانتقاد والرفض علي مضض!

وفاة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد:

لقد حاول بعض الإخباريين أن يوجدوا علاقة بين وفاة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وبين يزيد بن معاوية، فذكر البعض أن معاوية رضي الله عنه لما رأي مكانة عبدالرحمن بن خالد عند أهل الشام - بسبب مآثر عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، ولغناؤه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه - خافه معاوية فأمر ابن أثال الطبيب النصراني قدس إليه السم.

ويقول جورجي زيدان: «إن معاوية كان إذا خاف عدوا لايقدر عليه بالسيف، ولايستطيع اصطناعه بالمال، احتال علي قتله بالسم، كما فعل بعبد الرحمن بن خالد».

أما المستشرق فلهاوزن فأرجع هذا الأمر إلي الجاهلية، وإلي تلك العلاقة المتأزمة بين بني مخزوم وبين بني أمية، وذلك عندما استطاع الأمويون أن يزيحوا بني مخزوم من زعامة قريش علي حد زعمه.

ثم قال: «وأما علاقة معاوية بأشراف المسلمين وبيت الرسول، وبآل الصحابة الأولين وبالأَنْصار أيضا، فكانت بطبيعة الحال علاقة ريبة وعداوة».

طلب البيعة من أهل المدينة:

المدينة هي عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وموطن الأنصار والمهاجرين، وفي المدينة تكونت الدولة الإسلامية، وانتشر الإسلام مشرقا ومغربا.

وتكمن أهميتها - ذلك الحين - في أن كثيرا من الصحابة يعيشون فيها، إضافة إلى عدد كبير من أبناء الصحابة، من المهاجرين والأنصار. وكان أهل المدينة علي عهد معاوية، يمثلون ثقلا سياسيا كبيرا، وبسبب تلك الشخصيات المرموقة في قلوب المسلمين، ونظرا لوجود مثل سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وهما من المهاجرين ومن كبار صحابة النبي ﷺ، وكانا من المبشرين بالجنة، ووجود الحسن بن علي سيد المسلمين، فإن معاوية لم يفكر بالبيعة ليزيد إلا بعد رحيل هؤلاء الثلاثة الكبار.

ويذكر أن معاوية ﷺ قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرض بها، ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن.

معاوية ﷺ وبيعة أهل المدينة:

مثما أرسل معاوية ﷺ إلى الأقاليم يطلب منهم البيعة ليزيد، أرسل إلي المدينة يطلب من أميرها أخذ البيعة ليزيد.

فقام مروان بن الحكم أمير المدينة خطيبا فحضر الناس علي الطاعة، وحدثهم الفتنة، ودعاهم إلي بيعة يزيد.. وقال مروان: (سنة أبي بكر الراشدة المهدية). واستدل مروان علي ذلك بولاية العهد من أبي بكر لعمر.

فرد عليه عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ونفي أن تكون هناك مشابهة بين هذه البيعة وبيعة أبي بكر، وقال: «فقد ترك أبو بكر الأهل والعشيرة، وعمد إلي رجل من بني عدي بن كعب، إذ رأي أنه لذلك أهل فبايعه».

ثم قال: «هذه البيعة شبيهة ببيعة هرقل وكسري ثم حدث بينه وبين مروان نزاع شخصي والله ما الخيار أردتم لأمة محمد ﷺ ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل».

ولم يبايع أحد من أهل المدينة، فأهل المدينة تبع لكبرائهم، أمثال: ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر الصديق، والحسين بن علي، وغيرهم، وهؤلاء معارضون للبيعة.

ثم حاول معاوية ﷺ أن ينثي أهل المدينة عن هذا التمادي في الرفض، فأرسل

لهم شخصية مهمة، هو زياد بن أبي سفيان، فقدم زياد المدينة، وخطبهم وقال: «يا معشر أهل المدينة، إن أمير المؤمنين حسن نظره إليكم، وأنه جعل لكم مفضعا تفرعون إليه، يزيد ابنه».

وكرر عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه اعتراضه بشدة، وطلب منهم أن يقتفوا في ذلك الرسول ﷺ أو أبا بكر أو عمر رضي الله عنه وهكذا يتبين من محاولات معاوية رضي الله عنه في أخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة، أنها وصلت إلى طرق مسدودة.

حجة معاوية الثانية وأخذ البيعة من أهل الحجاز:

أدرك معاوية رضي الله عنه من خلال تلك المحاولات مع أهل المدينة أن بيعتهم لن تتم بتلك السهولة، وقد جعلوا هناك عدة أمور يجب علي معاوية أن يسلك واحدا منها، كما أنهم وقفوا من فكرة توليه يزيد وقفة مضادة تماما لما كان يرجوه معاوية رضي الله عنه. هذه الأمور دعت معاوية رضي الله عنه إلي أن يقوم في سنة ٥١ هـ بالحج، وهي السنة التي تلت بيعة أهل الشام وباقي الأنحاء.

وكان يريد من خلال الحج أن يتعرف علي وجهات نظر أبناء الصحابة، وأسباب الاعتراض علي البيعة، والدوافع التي تحرك ذلك الشعور بعدم الموافقة علي هذه البيعة.

وكان معاوية رضي الله عنه يعرف أن هناك طموحا شخصيا عند بعض أبناء الصحابة لتولي الخلافة، وهم أهل لذلك، فخشي إن تهاون في أخذ البيعة أن تستغل من قبل بعض الأطراف الأمر الذي سيترتب عليه كثير من الفتن بحسب ظنه!! توجه معاوية رضي الله عنه من الشام في ركب يضم ألف رجل، ويبدو أن يزيدا كان مصاحبا له في هذه الرحلة، الشيء الذي جعل الطبري وغيره يذكرون أن أمير الحج هو يزيد بن معاوية.

فلما علم عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير خرجوا من المدينة واتجهوا إلي مكة.. فلما قدم معاوية المدينة خطب الناس وحثهم علي البيعة، وبين أن يزيد هو أحق الناس بالخلافة، ثم قال: (قد بايعنا يزيداً فبايعوه).

وذكر نافع أن معاوية قال: (والله ليبياعن ابن عمر أو لأقتلنه).

فلما بلغ الخبر عبدالله بن صفوان غضب وعزم علي مقاتلة معاوية - إن ثبت هذا - فلما سأل معاوية أنكر ذلك.

لقد ظن معاوية أن خروج أولئك النضر إلي مكة إنما يريدون من ورائه فتنة وخروجا عن الطاعة، فقال ذلك متوعدا لمن يسق عصا المسلمين.

فلما قدم معاوية مكة، وقضي نسكه بعث إلي ابن عمر فقدم عليه، فتشهد معاوية وقال: «أما بعد يا ابن عمر فإنك قد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء وليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وأن تسعي إلي فساد ذات بينهم».

فرد ابن عمر علي معاوية، وبيّن له كيف كانت طريقة بيعة الخلفاء الراشدين، وذكر له كيف أن لهم أبناء خيرا من يزيد، فلم يروا في أبنائهم مايري معاوية في يزيد.

ثم بيّن له أيضا أنه لا يريد أن يشق عصا المسلمين وأنه لن يبايع له.

فخرج ابن عمر، واستدعي عبدالرحمن بن أبي بكر، فأخذ معاوية في الكلام، فقاطعه عبدالرحمن ورد عليه بلهجة شديدة، وذكر أنه يمانع بيعة يزيد، وطلب أن يكون الأمر شورى، وتوعد معاوية بالحرب، ثم قام فقال معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت، وطلب منه أن يتمهل وألا يعلن رفضه أمام أهل الشام فيقتلوه، حتي إذا ما بايع الناس يكون بعد ذلك علي ماعنده من رأي.

ثم استدعي ابن الزبير، واتهمه معاوية بأنه السبب في منع البيعة، وأنه وراء ما حدث من ابن عمر وابن أبي بكر. فرد عليه ابن الزبير، وطلب منه أن يتتحي عن الإمارة إن كان قد ملها.

ثم طلب من معاوية أن يضع يزيد خليفة بدلا منه فيبايعه، واستدل علي عدم موافقته علي المبايعه بما استنبطه من حديث الرسول ﷺ بأنه لا يجوز مبايعه اثنين في آن واحد، ثم قال: وأنت يا معاوية أخبرتنى أن رسول ﷺ قال: إذا كان في الأرض خليفتان فاقتلوا أحدهما».

وهكذا اتصح لنا من خلال الحوار الذي دار بين معاوية وأبناء الصحابة أنهم يمانعون البيعة لسببين:

السبب الأول: اعتراضهم علي تولية يزيد للعلاقة بين الأب والابن، وأن هذه لم تكن طريقة الخلفاء الراشدين.

السبب الثاني: الاستدلال علي بطلان هذه البيعة ورفضها لمخالفتها للنص الصريح الذي ورد في الحديث النبوي، الذي لا يجيز البيعة لشخصين في آن واحد.

فضلا عن قول بعضهم في يزيد أنه كان سكيراً خماراً متلاعباً بأمر الصلاة، وهم الذين لا يخافون في الله لومة لائم.

والحقيقة أنه كان هناك شعور قوي بين كثير من الناس - خاصة بين أبناء المهاجرين - وهو: كيف أن معاوية الذي أسلم في فتح مكة (أحد الطلقاء) يتولي خلافة المسلمين، وهناك من هو أقدم إسلاماً وأحق منه. وكان البعض من هؤلاء يطعن أصلاً في خلافة معاوية.

فلما رأى معاوية أوجه الانتقادات التي انتقد فيها أبناء الصحابة بيعة يزيد، قام فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له».

فقال أهل الشام: «لا والله لا نرضي حتي يبايعوا علي رؤوس الناس وإلا ضررنا أعناقهم. ثم نزل فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر وهؤلاء ويقولون: لا والله ما يبايعنا ولن نبايع. ويقول الناس: بلي لقد بايعتم، وارتحل معاوية ولحق بالشام.. وهو حائق علي من رفضوا البيعة.

الحسن بن علي رضي الله عنه وعلاقته بالبيعة ليزيد:

حري بنا قبل أن نترك بيعة أهل الحجاز أن نناقش ما تناقله الرواة والإخباريون من سم معاوية للحسن بن علي، حتي أنهم جعلوا هناك سبباً مشتركاً بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن رضي الله عنه.

لقد اتهموا معاوية رضي الله عنه بأنه دس للحسن السم لكي يموت، ويتفرغ لبيعة يزيد.. والتسليم بهذه التهمة، وإمرارها بدون نقد وتمحيص، جعل أحد المؤرخين المعاصرين يقرر ما يأتي:

«وكان هدف معاوية الأساسي العمل علي منع الاتصال بين القاعدة والقيادة، وذلك حتي يتمكن من ضرب الطرفين كل علي حدة، ولقد كان وجود الحسن في المدينة مصدر قلق لمعاوية، فهو منافسه الأول علي الخلافة، كما أن بقاءه حيا كان يتعارض مع مخططاته الرامية إلي تحويل الخلافة إلي ملك وراثي في البيت الأموي...».

والسبب الذي أكد هذا الاتهام لديهم هو تلك المعاهدة (الصلح) التي تمت بين الحسن ومعاوية، واعتمدوا علي تلك الرواية التي تذكر أن الحسن اشترط علي معاوية الخلافة من بعده، فكان أمام معاوية هذه العقبة الكأداء عندما بدأ يفكر في بيعة يزيد، ففسد إليه السم.

أسباب الصلح:

لقد كان الحسن بن علي رضي الله عنه معارضا لخروج أبيه من المدينة.. ثم رأي تلك المعارك التي لاشك أنها تركت في نفسه جرحا بليغا، ورأي كيف تحول المسلمون من فاتحين ومجاهدين ضد أعداء الله إلي جماعات متناحرة، شاهرين الرماح في وجوه بعضهم البعض.

فلما نظر في عاقبة الأمر، وما يؤول إليه، خلف نفسه، وسلم الأمر إلي معاوية، وباع له، وكان هذا الفعل من الحسن رضي الله عنه أحد ما استدل به بعض المسلمين علي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عما يكون فكان، ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد، وعسي الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

صلحه مع معاوية

كادت أن تندلع الحرب بين الحسن ومعاوية وأنصاره من الشام ؛ فقد سار الجيشان حتى التقيا في في موضع يقال له (مسكن) بناحية الأنبار ؛ كان حريصاً على المسلمين وعدم تفرقهم، فتنازل عن الخلافة لتكون الخلافة واحدة في

المسلمين جميعاً، ولإنهاء الفتنة وإراقة الدماء وقيل كان تسليم الحسن الأمر إلى معاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الأولى؛ فلما تنازل عن الخلافة أصلح الله بذلك بين الفئتين كما أخبر بذلك رسول الله حين قال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» البخاري. وسمي العام الذي تنازل فيه الحسن عن الخلافة لمعاوية بعام الجماعة، وكان ذلك سنة (٤٠هـ). روى عن النبي أنه قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يعود ملكاً عضوضاً وكان آخر الثلاثين يوم انحرف الناس عن الإمام الحسن وبويع معاوية.

وقد جاء في (الكامل في التاريخ) لابن الأثير أن الحسن سلم الأمر إلى معاوية، لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشببت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطالبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فتائر، ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل، بطبي السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية! وأمضى الصلح.

وقال البخاري في كتاب الصلح: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تُولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين - : إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضعفتهم؟ من لي بنسائهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر، قال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلتا

عليه فتكلما وقال له وطلبا إليه».

شروط الصلح

ما يذكره المؤرخون في هذا الشأن هو صحيفة كتب عليها الإمام الحسن شروطه مقابل الصلح، ولم يذكر أي من المؤرخين كل ما كتبه عليها، إنما تعرضوا لبعض ما فيها، إلا أنه يمكن أن نصل إلى عدد جيد من الشروط بتتبع المصادر والتوفيق فيما بينها، ويمكن تقسيم هذه الشروط إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشروط المتعلقة بالحكم مثل:

- ١- العمل بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ).
- ٢- أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن ثم الحسين (رضي الله عنهما).
- ٣- ألا يقضي بشيء دون مشورته.

القسم الثاني: الشروط الأمنية والاجتماعية والدينية:

- ١- ألا يُشتم على وهو يسمع، أو ألا يذكره إلا بخير.
- ٢- ألا يلاحق أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق مما كان في أيام أبيه.
- ٣- ألا يناله بالإساءة.

القسم الثالث: الشروط المالية:

- ١- ألا يطالب أحداً مما أصاب أيام أبيه.
- ٢- أن يعطيه خراج داربجرد فارس.
- ٣- إعطاؤه ما في بيت مال الكوفة.

ولأنه كان رجلا سكيئا يكره المنازعة ويجنح إلى العزلة، فقد صالح معاوية على تلك الشروط.. وقى له معاوية بالمعجل منها والتوى عليها بمؤجلها. وزاد على ذلك كما تواتر في شتى الروايات أنه أغرى امرأته جعدة بنت الأشعث بسمه، ووعدا أن يزوجها يزيد ويعطيها مائة ألف درهم، فوقى بوعد المال ولم يف بوعد الزواج. وقد أوصى الحسن (رضي الله عنه) أن يدفن عند قبر جده إلا أن تخاف فتنة فلما توفي أرادوا دفنه حيث أوصى، فقام مروان بن الحكم وجمع بنى زمية وزمرتهم ومنعوا مشيعيه.. فأنكر الحسين عليهم منع سبط النبي أن يدفن إلى جوار جده،

فقال له: «إن أخاك قال: إذا خفتم الفتنة فقى مقابر المسلمين سعة.. وهذه فتنة».. فسكت على مضض.

وكتب الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الحسن أبو الشهداء».. عن أهداف معاوية:

وقد كان معاوية - ولا ريب - ينوى أن يجعلها دولة أموية متعاقبة في ذريته من بعده، منذ تصدى للخلافة وخاله له المجال من أقوى منافسيه، إلا أنه كان يتردد ويتكتم ولا يفضى بنيته إلى أقرب المقربين إليه، ثم كبرت سنه وخاف أن يعجل عن قصده، فمهد لبيعة ابنه يزيد بعض التمهيد وتوصل إلى ذلك بما طاب له من وسيلة.. فلباه أهل الشام وكتب بيعته إلى الآفاق، ثم همه أمر الحجاز فكتب إلى مروان بن الحكم عامله أن يجمع من قبله لأخذ البيعة منهم ليزيد، فأبى مروان وأغرى رموس قريش بالإباء، لأنه كان يتطلع إلى الخلافة بعد معاوية ويحسبه أقدر عليها من يزيد، لما اشتهر به من نقص وعبث.. فعزله معاوية وولى سعيد بن العاص مكانه فلم يجبه أحد إلى ما أراد.. فكتب معاوية إلى عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر، والحسين بن علي، وأمر عامله سعيدا أن يوصل كتبه إليهم ويبعث إليه بجواباتها، وقال لسعيد: «فهمت ما ذكرت من إبطاء الناس، وقد كتبت إلى رؤسائهم كتباً فسلمها إليهم.. ولتشد عزيمتك وتحسن نيتك، وعليك بالرفق وانظر حسينا خاصة فلا يناله مكروه، فإن له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة.. وهو ليث عرين، ولست آمنك إن ساورته ألا تقوى عليه».



فأعيت سعيد بن العاص كل حيلة في إقناع وجهاء الناس وعامتهم بهذه البيعة البيغضية، وخف معاوية إلى مكة ومعه الجند وحقائب الأموال، ودعا بأولئك النفر فقال لهم:

«قد علمتم سيرتى فيكم وصلتى لأرحامكم. يزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموا يزيد باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسموناه». فأجاب عبدالله بن الزبير، وخيرة بين أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ إذ لم

يستخلف أحدا، أو كما صنع أبوبكر، إذ عهد إلى رجل ليس من بنى أبيه، أو كما صنع عمر إذ جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بنى أبيه.

فقال معاوية مغضبا: «هل عندك غير هذا؟».

قال: «لا».

والتفت إلى الآخرين يسألهم قائلا: «فأنتم؟» فوافقوا ابن الزبير.

فقال متوعدا: «أعذر من أنذر.. إنى كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني على رءوس الأشهاد فأحمل ذلك وأصفح، وإنى قائم بمقالة.. فأقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة في مقامى هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه».

ثم أمر صاحب حرسه أن يقيم على رأس كل منهم رجلين مع كل واحد منهما سيف، وقال له: «إن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب، فليضرباه بسيفيهما».

ثم خرج بهم إلى المسجد ورقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبرم أمر دونهم، ولا يقضى إلا على مشورتهم، وإنهم قد رضوا وباعوا ليزيد فبايعوه على اسم الله.

فبايع الناس..

وهكذا كانت البيعة ليزيد في الحجاز..



ومات معاوية وهو يعلم أن بيعة كهذه لا تجوز ولا تؤمن عقباها.. فأوصى ابنه «أنه لا يخاف إلا هؤلاء من قریش: الحسين بن على، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير».. قال: «فأما عبدالله بن عمر فرجل قد وفذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك.. وأما الحسين بن على فلا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه.. فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة وحقا عظيما.. أما ابن الزبير فإنه خب ضب فإذا أمكنته فرصة وثب فإن فعلها فقدرت عليه فقطعه إربا

إلا أن يلتبس صلحا منك فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك»..

خلق يزيد:

ويقول المفكر الإسلامي عباس العقاد:

ويقف خصمه أمامه موقف المقاتلة والمنافضة لا موقف المقارنة والمعادلة في معظم خلائقه وعاداته وملكاته وأعماله.

فيزيد بن معاوية عريق النسب في بنى عبد مناف ثم في قريش، ولكن الأصدقاء والخصوم والمادحين والقادحين متفقون على وصف الخلائق التي اشتهر بها أبناء هذا الفرع من عبد مناف، وأشهرها الأثرة، وأحمد ما يحمد منها أنها تنفع الناس من طريق النفع لأصحابها. وندر من وجوه الأمويين في الجاهلية أو الإسلام من اشتهر بخصلة تجلب إلى صاحبها ضررا أو مشقة في سبيل نفع الناس..

وبيت أبي سفيان بيت سيادة مرعية لا مرء فيها..

ولكن الحقيقة التي ينبغي أن نذكرها في هذا المقام أن معاوية بن أبي سفيان لم يكن ليرث شيئا من هذه السيادة التي كان قوامها كله وفره المال، لأن أبا سفيان على ما يظهر قد أضع ماله في حروب الإسلام ولم يكن له من الوفر ما يبقى على كثرة الوارث.. وروى أن امرأة استشارت النبي عليه السلام في التزوج بمعاوية فقال لها: «إنه صعلوك..»



كذلك ينبغي أن نذكر حقيقة أخرى في هذا المقام، وهي أن معاوية لم يكن من كتاب الوحي كما أشاع خدام دولته بعد صدور الإسلام، ولكنه كان يكتب للنبي عليه السلام في عامة الحوائج في إثبات ما يجبي من الصدقات وما يقسم في أربابها، ولم يسمع عن ثقة قط أنه كتب للنبي شيئا من آيات القرآن الكريم.

وعرفت لمعاوية خصال محمودة من خصال الجد والسيادة كالوقار والحلم والصبر والدهاء ولكنه على هذا كان لا يملك حلمه في قلتات تميد بالملك الراسخ، ومنها قتله حجراً بن عدى وستة من أصحابه لأنهم كانوا ينكرون سب علي وشيعته، فما زال بقية حياته يندم على هذه الفعلة ويقول: «ما قتلت أحدا إلا وأنا

أعرف فيم قتلته ما خلا حجرا فأنى لا أعرف بأى ذنب قتلته..»
 وأم يزيد هي ميسون بنت مجدل الكلبية من كرائم بنى كلب المعرقات في النسب،
 وهي التي كرهت العيش مع معاوية في دمشق وقالت تتشوق إلى عيش البادية:
 للبس عباءة وتقر عيني.. أحب إلى من لبس الشفوف
 وبیت تخفق الأرواح فيه.. أحب إلى من قصر منيف..
 ومن هذه الأبيات قولها:
 وخرق من بنى عمى فقير
 أحب إلى من عالج عنيف..
 فأرسلها وابنها يزيد إلى باديتها، فنشأ يزيد مع أمه بعيدا عن أبيه.



وقد أفاد من هذه النشأة البدوية بعض أشياء تنفع الأقوياء، ولكنها على ما هو
 مألوف في أعقاب السلالات القوية تضييرهم وتجهز على ما بقى من العزيمة
 فيهم..

فكان ما استفاده من بادية بنى كلب بلاغة الفصحى، وحب الصيد وركوب
 الخيل، ورياضة الحيوانات ولا سيما الكلاب.
 وهذه صفات في الرجل القوى تزينه وتشحذ قواه، ولكنها في أعقاب السلالات -
 أو عكارة البيت كما يقال بين العامة - مدعاة إلى الإغراق في اللهو والولع بالفراغ
 لأنها هي عنده كل شيء وليست مددا لغيرها من كبار الهمم وعظائم الهموم.
 وهكذا انقلبت تلك الصفات في يزيد من المزية إلى النقيصة.. فكان كلفه بالشعر
 الفصيح مغريا له بمعاشرته الشعراء والندماء في مجالس الشراب، وكان ولعه
 بالصيد شاغلا يحجبه عن شواغل الملك والسياسة، وكانت رياضته للحيوانات
 مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرادين والفهادين، فكان له قرد يدعو «أبا
 قيس» يلبسه الحرير ويطرز لباسه بالذهب والفضة ويحضره مجالس الشراب،
 ويركبه أتاناً في السباق ويحرص على أن يراه سابقا مجليا على الجياد، وفي ذلك
 يقول يزيد كما جاء في بعض الروايات:

تمسك أبا قيس بفضل عناتها.. فليس عليها إن سقطت ضمان
 إلا من رأى القرد الذى سبقت به.. جياذ أمير المؤمنين أتان
 وقد يكون عبدالله بن حنظلة مبالغاً فى المذمة حين قال فيما نسب إليه: «والله
 ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء.. إن رجلاً ينفك
 الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معى أحد
 من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً».



ولكن الروايات لم تجمع على شىء كإجماعها على إدمانه الخمر، وشغفه
 باللذات، وتوانيه عن العظائم.. وقد مات بذات الجنب وهو لما يتجاوز السابعة
 والثلاثين، ولعلها إصابة الكبد من إدمان الشراب والإفراط فى اللذات.. ولا يعقل
 أن يكون هذا كله اختلاقاً واختراعاً من الأعداء لأن الناس لم يختلفوا مثل ذلك
 على أبيه أو على عمرو بن العاص، وهما بغيضان أشد البغض إلى أعداء
 الأمويين.. ولأن الذين حاولوا ستره من خدام دولته لم يحاولوا الثناء على مناقب
 فيه تحل عندهم محل مساوئه وعيوبه، كأن الاجترأ على مثل هذا الثناء من وراء
 الحسبان.

ولم يكن هذا التخلف فى يزيد من هزال فى البنية أو سقم اعتراه كذلك السقم
 الذى يعتري أحياناً بقايا السلالات التى تهتم بالانقراض والذئور، ولكنه كان هزالاً
 فى الأخلاق وسقماً فى الطوية.. قعد به عن العظائم مع وثوق بنيانه وضخامة
 جثمانه واتصافه ببعض الصفات الجسدية التى تزيد وجاهة الأمراء كالوسامة
 وارتفاع القامة.. وقد أصيب فى صباه بمرض خطير.. وهو الجدرى.. بقيت آثاره
 فى وجهه إلى آخر عمره، ولكنه مرض كان يشيع فى البادية ولم يكن من دأبه أن
 يقعد بكل من أصيب به عن الطموح والكفاح.



وعلى فرط ولعه بالطراد حين يكون الطراد لهواً وفراغاً، كانت همته الوانية تفتقر
 به عن الطراد حين تتسابق إليه عزائم الفرسان فى ميادين القتال، ولو كان دفاعاً

عن دينه وديناه.

فلما سير أبوه جيش سفيان بن عوف إلى القسطنطينية لغزو الروم ودفعهم عن بلاد الإسلام - أو بلاد الدولة الأموية - تتأقل وتمارض حتى رحل الجيش وشاع بعد ذلك أنه امتحن في طريقه ببلاء المرض والجوع، فقال يزيد:
 ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم
 إذا تكأت على الأنماط مرتفقا بدير مران عندي أم كلثوم
 فأقسم أبوه حين بلغه هذان البيتان ليلحقن بالجيش ليدراً عنه عار النكول
 والشماتة بجيش المسلمين بعد شيوع مقاله في خلواته.



ومن أعجب عجائب المناقضة التي تمت في كل شيء بين الحسين ويزيد أن يزيداً لم يختص بمزية محمودة تقابل نظائرها من مزايا الحسين، حتى في تلك الخصال التي تأتي بها المصادفة ولا فضل فيها لأصحابها ومنها مزيد السن وسابقة الميلاد. فلما تنازعا البيعة كان الحسين في السابعة والخمسين مكتمل القوة ناضج العقل وفي المعرفة بالعلم والتجربة، وكان يزيد في نحو الرابعة والثلاثين لم يمارس من شؤون الرعاة ولا الرعية ما ينفعه بين هؤلاء أو هؤلاء.

ومزية السن هذه قد يطول فيها الأخذ والرد بين أبناء العصور الحديثة ولكنها كانت تقطع القول في أمة العرب حيث نشأ الأسلاف والأخلاف على طاعة الشيوخ ورعاية الأعمار.. وهذا على أن السابعة والخمسين ليست بالسن التي تعلق بصاحبها في الكبر حتى تسلبه مزية الفتوة ومضاء العزيمة.

كذلك لا يقال إن «الوراثة المشروعة» في الممالك كان لها شأن يرجح بيزيد على الحسين في ميزان العروبة والإسلام.. فقد كان توريث معاوية ابنه على غير وصية معروفة من السلف بدعة هرقلية كما سماها المسلمون في ذلك الزمان، ولم يكن معقولاً أن العرب في صدر الإسلام يوجبون طاعة يزيد لأنه ابن معاوية، وهم لم يوجبوا طاعة آل النبي في أمر الخلافة لأنهم قرابة محمد عليه السلام.

فقد شاعت عجائب التاريخ إذن أن تقيم بين ذينك الخصمين قضية تتضح فيها

النزعة النفعية على نحو لم تتضح قط فى أمثالها من القضايا، وقد وجب أن ينخذل يزيد كل الخذلان . لولا النزعة النفعية التى أعانته وهو غير صالح . لأن يستعين بها بغير أعوان من بطانته وأهله .. ولئن كان فى تلك النزعة النفعية مسحة تشوبها من غير معدنها الوضيع لتكونن هى عصبية القبيلة من بنى أمية، وهى هنا نزعة مواربة تعارض الإيمان الصريح ولا تسلم من الختل والتلبيس.



لهذا شك بعض الناس فى إسلام ذلك الجيل من الأمويين، وهو شك لا نرتضيه من وجهة الدلائل التاريخية المتفق عليها . فقد يخطر لنا الشك فى صدق دين أبى سفيان لأن أخباره فى الإسلام تحتمل التأويلين، ولكن معاوية كان يؤدى الفرائض ويتبرك بقرات النبى ﷺ ويوصى أن تدفن معه أظافره التى حفظها إلى يوم وفاته .. وليس ببسير علينا أن نفهم كيف ينشأ معاوية الثانى على تلك التقوى وذلك الصلاح وهو ناشئ فى بيت مدخول الإسلام، يتصارع أهله أحيانا بما ينم على الكفر به أو التردد فيه .

إنما هى الأثرة، ثم الخرق فى السياسة، ثم التمدادى فى الخرق مع استشارة العناد .

خلافة يزيد

يقول العقاد: وآل الأمر على هذا النحو إلى يزيد فى سنة ستين للهجرة، وهو بين الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين، ولكنه دون أنداده فى تجارب الأيام، وليس حوله من المشيرين والنصحاء أمثال المغيرة، وزياد، وعمرو بن العاص، وغيرهم من القروم الذين كانوا حول أبيه .. فتهيب ما هو مقدم عليه، وكتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان: «أن خذ حسيناً، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام» .

فبعث الوليد إلى مروان بن الحكم يستشيريه .. وكان مروان يريد الخلافة لنفسه ولكنه علم بعد موت معاوية وقيام يزيد أن الأمر اليوم أمر بنى أمية، فإن خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين .. فتصح للوليد نصيحة ذات وجهين: ظاهرها الشدة

فى الدعوة ليزيد وباطنها السعى إلى الخلاص من يزيد ومناضيه.. فقال: «أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة.. أما ابن عمر فلا أراه يرى القتال، ولكن عليك بالحسين وعبدالله ابن الزبير، فإن بايعا وإلا فاضرب عنقيهما..».

وضرب عنق الحسين وابن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد ثم الخلاص من يزيد نفسه بإثارة النفوس وإيغار الصدور عليه.

وقد ذهب رسول الوليد إلى الحسين وابن الزبير، فوجدهما فى المسجد.. فعلم الحسين ما يراد منه، وجمع طائفة من مواليه يحملون السلاح، وقال لهم وهو يدخل بيت الوليد: «إن دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا فافتحموا علىّ بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم».

فلما عرضوا عليه البيعة ليزيد قال: أما البيعة فإن مثلى لا يعطى بيعته سرا، ولا أراك تقنع بها منى سرا.

قال الوليد: «أجل!»

قال الحسين: «فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحدا».

ثم انصرف وهو.. غاضب صامت لا يتكلم.. وما هو إلا أن توارى الحسين حتى صاح بالوليد: «عصيتنى والله! لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتل بينكم وبينه».

فأنكر الوليد لجأته وقال له: «أتشير علىّ بقتل الحسين! والله إن الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله».



وهكذا انتهت المنافسة بين بنى أمية وبنى هاشم إلى مفترق طريق لا سبيل فيه إلى توفيق، ولم تتقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ أجيال وإن غلبها الإسلام فى عهد النبوة، وفى عهد الصديق والفاروق.

وكفى بالإسلام فضلا فى هذا المجال أنه غلب العصبية بالعميقة، فجعلها تابعة

لها غير قادرة على الجهر بمخالفتها ولكن العصبية المكبوحه عصبية موجودة غير معدومة.



وكثيرا ما يقلت المكبوح من عنائه، وإن طالبت به الرياضة والانقياد. ومن عجائب الحيل التي تحاول بها الغرائز الإنسانية أن تبقى وجودها وتمضى لطلبها أن بنى أمية انتفعوا من حرب الإسلام للعصبية فى تعزيز عصبيتهم، فجعلوها حجة على بنى هاشم أن النبوة لا تحصر الأمر فيهم وأن الأنبياء لا يورثون.. وإذا نهضت هذه الحجة على بنى هاشم، فبنو أمية أقوى المنتقمين بها من بطون عبد مناف!

وقد أوجبت الضرورة قبول المجاملة فى هذه المنافسات فترة من الزمن على عهد معاوية بن أبى سفيان، فكان يلطف القول إلى أبناء على ويواليهم بالهدايا والمجالات ولكنه كان مضطرا إلى مجاملة آل على، ومضطرا إلى تنقص على والغض من دعواه فكان بذلك مضطرا إلى التقيضين فى آن.

إنه ملك وبائع بالملك ليزيد وهو يعلم أنه غالب بالسلاح والمال، مغلوب بالسمعة والشعور، فكان الناس يفضلون عليا عليه وهو لايمك أن يفاضله بقرابة النبى ﷺ ولا بالسابقة إلى الإسلام، ولا بالعراقة فى قريش. فتجنب النسب والسابقة، وعمد إلى شخص على فى منازعات الخلافة فاتهمه بتفرقة الكلمة بين المسلمين، وأمر بلعنه على المنابر عسى أن يضعف من تلك المكانة التى هو مغلوب بها ويستبقى الدولة التى هو بها غالب.. ولج فى ذلك حتى قتل أناسا لم يطيعوه فى لعن على واتهامه، وأبى أن يجيب الحسن بن على إلى شرطه الذى أراد به أن يرفع اللعن عن أبيه.. وكان معاوية على حصافته يجهل أنه قد أضعاع سمعة وشعورا من حيث حارب عليا فى مقام السمعة والشعور.

وإن مجاملة كهذه التى تحيى الرجل وتغض من قدر أبيه لهى أضعف مجاملة بين متلاقيين، فضلا عن خصمين متنافسين قد آل بهما التنافس بعد أجيال إلى مفترق الطريق.

موقف أهل السنة والجماعة من بيعة يزيد بن معاوية:

أهل السنة والجماعة يقولون: إن البيعة صحيحة ولكنهم عابوا هذه البيعة لأمرين اثنين:

الأول: أن هذه بدعة جديدة وهي أنه جعل الخلافة في ولده فكأنها صارت وراثية بعد أن كانت شورى وتنصيبا على غير القريب، فكيف قريب وابن مباشر، فمن هذا المنطلق رفضوا المبدأ بغض النظر عن الشخص، فهم رفضوا مبدأ أن يكون الأمر وراثية.

الثاني: أنه كان هناك من هم أولى من (يزيد) بالخلافة كابن عمر وابن الزبير وابن عباس، والحسين، وغيرهم كثير.

قال ابن العربي: إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى وألا يخص فيها أحدا من قرابته فكيف ولداه؟ وإنه عقد البيعة لابنه يزيد وبايعه الناس فانعقدت شرعا.

أما من وجهة نظر الشيعة فإنهم يرون الإمامة والخلافة في علي وأبنائه فقط، فهم لا يعيبون بيعة (يزيد) بذاتها وإنما يعيبون كل بيعة لا تكون لعلي وأولاده، وعلى هذا الأساس فهم يعيبون بيعة أبي بكر، وعمر وعثمان، ومعاوية كلها بغض النظر عن المبايع له، لأنهم يرون أنها نص لعلي وأبنائه إلى أن تقوم الساعة.

هل كان يزيد أهلا للخلافة؟

ذكر ابن كثير قصة عبدالله بن مطيع وأصحابه وأنهم مشوا إلى محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب، أخو الحسن والحسين من أبيهما فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، قال ابن مطيع: إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر، ويترك الصلاة.

فقال محمد: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيت مواعظا على الصلاة، متحريا، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة.

قالوا: إن ذلك كان منه تصنعا لك.

قال محمد بن الحنفية: ما الذي خافه مني أو رجاه؟ فأطلعكم على ماتذكرون

من شرب الخمر؟ قلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأينا.

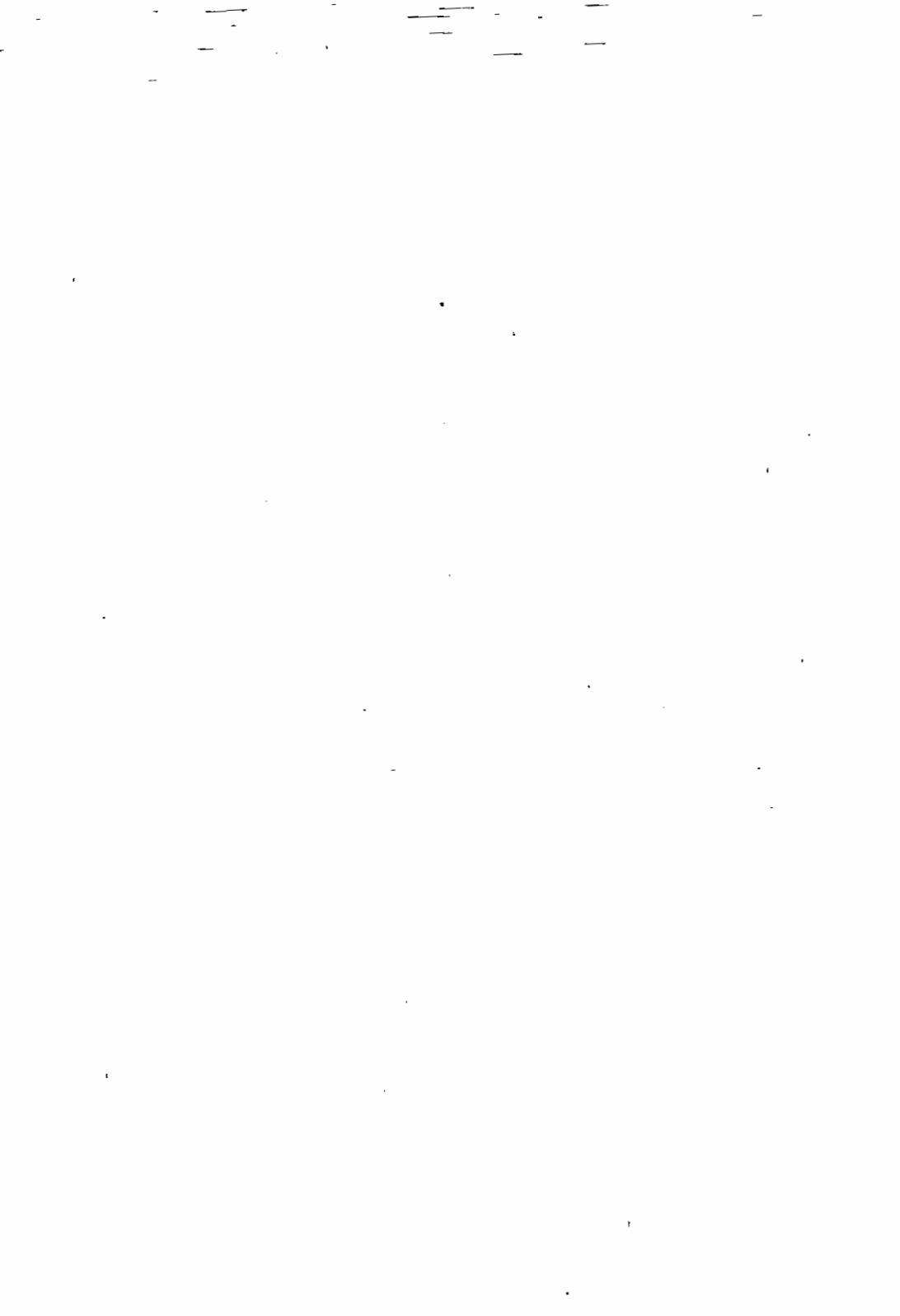
قال محمد بن الحنفية: أبى الله ذلك على أهل الشهادة ثم قرأ عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ الزخرف ٨٦.

وكذا ما نقل عن يزيد أنه قال بعد مقتل الحسين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلتاه ببدر فاعتدل، ولعت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل فهذا أيضا لم يثبت عنه.

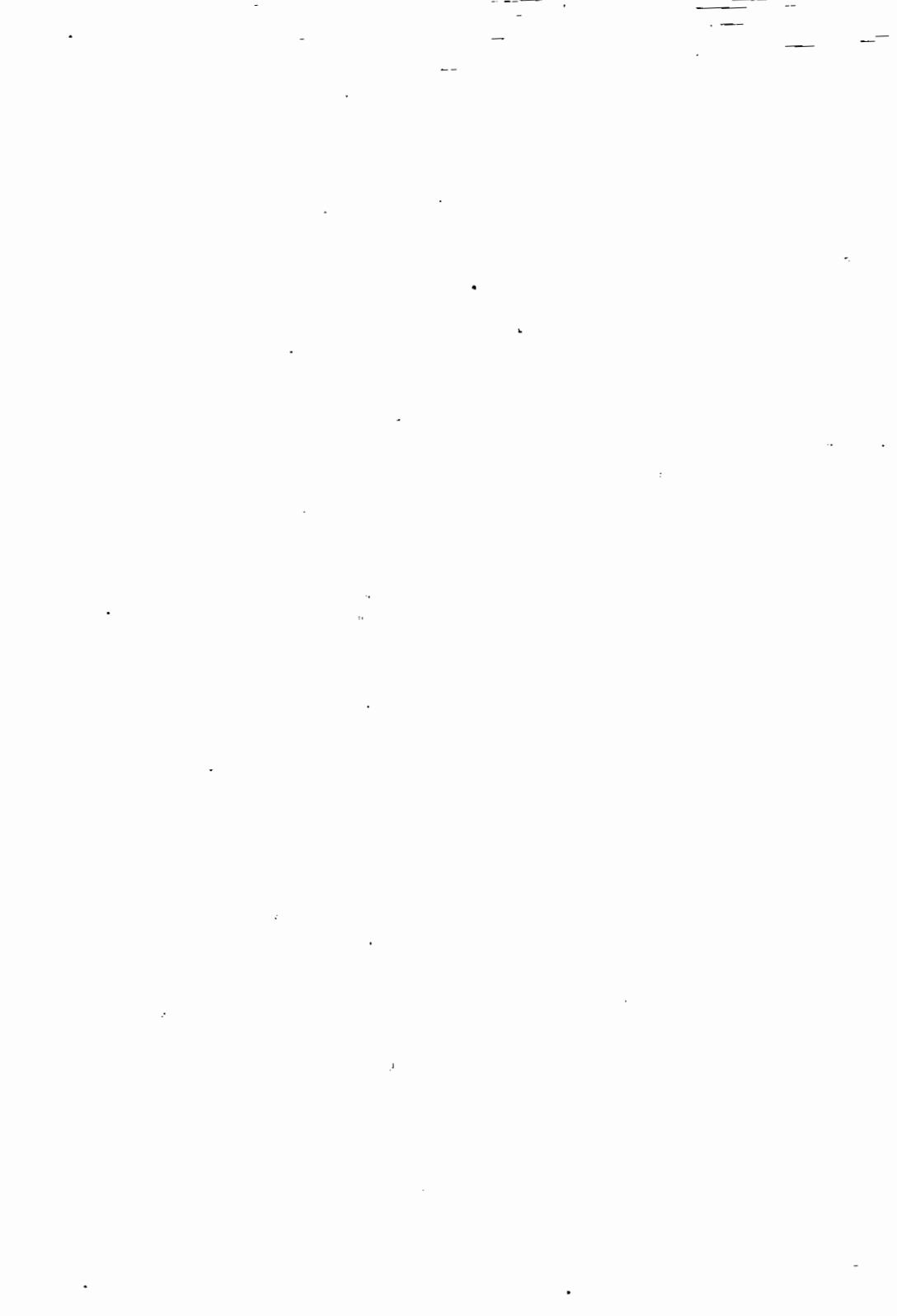
فالفسق الذى نسب إلى يزيد فى شخصه كشرب خمر، أو ملاءمة قردة أو فحش أو ما شابه ذلك لم يثبت عنه بسند صحيح فهذا لا نصدقه، والأصل السلامة ونقول علمه عند ربه سبحانه وتعالى، ولكن ظاهر رواية محمد بن الحنفية أنه لم يكن فيه شيء من ذلك فالعلم عند الله تبارك وتعالى فى حال يزيد، وهذا لا يهمنى فهو بينه وبين ربه تبارك وتعالى.

ولو فرضنا أن الأمر كان كذلك فإن كون الإمام فاسقا لايعنى أنه يجب الخروج عليه.



عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
حفيد الخلفاء ابي الخليفة

- * حفيد الفاروق عمر
- * أهمله التاريخ فخلدته السماء
- * الشجبل ومن الأسد
- * زهد في الحكم فورث الورع
- * مستشار أبيه الخليفة
- * أدبه في شجاعته



الشبل والأسد

يرى المفكرون والمؤرخون أن عمر بن العزيز يعد خامس الخلفاء الراشدين بعد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين رغم الفاصل الزمني الذي قارب قرنا من الزمان بخلافة الدولة الأموية التي بدأت بمعاوية بن أبى سفيان الذى ورث الخلافة لابنه يزيد كرها رغم معارضة.. كبار أبناء الصحابة المعاصرين وظل الحكم وراثه بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد وهكذا عضت بنو أمية على الملك فى جو تفوح منه رائحة الدماء والظلم فى كثير من زمانها حتى مات سليمان بن عبد الملك بعد أن أفقر الأمة وجوعها وغلبت أعداد المحتاجين والمعوزين فولى عمر بن عبدالعزيز خلافة الأمة فبكى والقوم يتسابقون لتهنئته فيسأله مولاة مزاحم عن سبب اغتنامه فيقول الخليفة الذى لم يجلس على كرسى العرش بعد: مثل ما أنا فيه فليغتم. يامزاحم. ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه، غير كاتب إلى فيه ولا طالبه منى.. ثم يغادر المسجد إلى بيته فيدخل فى صلاة ويجهش بالبكاء فتسأله زوجته لم كل هذا؟ فيقول: إني تقلدت من أمر أمة محمد ﷺ أسودها وأحمرها.. فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمال المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذوى العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم فى بقاع الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سألنى عنهم يوم القيامة، فخشيت ألا تثبت لى حجة، فبكيت.. بهذه الدموع استهل عمر بن عبدالعزيز خلافته التى استمرت سنتين وشهورا فقط وحواله أولاده على كثرتهم حتى عددهم بعض المؤرخين.

فما انتصف العام الثانى من خلافته حتى انفرجت أسارير البلاد وعم الخير وانزاح الفقر وعاد عماله من الأقطار بكامل الزكاة بعد أن لم يجدوا فقيرا يأخذ الزكاة.. هذه القيادة المؤمنة لعمر بن عبدالعزيز والخلافة الراشدة لم يعترض سبيلها تسلط زوجة على قرار زوجها ولا طمع أبناء فى وراثه الملك. والجو يسمح. وإنما فرض ورع الخليفة عمر بن عبدالعزيز وتقواه على بيت الخليفة أن يكون

وسواد البيوت سواء وأن يلتزم كل فرد في الأسرة بمهامه التي تيسرت له.. فكانت الزوجة زوجة وأما مربية وسكنا يسع قلق زوجها الذي بات مغموما بهموم الرعية ولم يسمع في خلافته أن زوجته تقدمت سيدات الأمة فكانت السيدة الأولى في عموم الحياة السياسية التي تشغل بيت الخلافة وإنما كانت السيدة الأولى في طاعة الله ورعاية بيتها وإعانة زوجها على حسن الرعاية للأمة بعدم التدخل في سياسته من قريب ولا بعيد، كما أن أولاده كانوا نجوموا في التقوى والورع وقد برز فيهم عبد الملك أكثر من ورث الورع عن أبيه وأحب الفقراء وكره أن يتهم أبوه بالظلم والجور فكان لسان صدق لأبيه الخليفة يذكره بالموت والبلى ووحشة القبر، وعاقبة الظلم ولم يسجل كاتب واحد ولا مؤرخ أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حدثته نفسه يوما أن يطلب البيعة في حياة أبيه ولا بعد وفاته.. وكان لو أراد أن يرث عرش أبيه لتمكن منه وقد نعم الشعب في الأمة بخلافة أبيه وسعد وذاق الخير وشرب الحرية حتى في الاعتقاد فما أسعدهم وأحب إليهم لو طلبها عبد الملك.. وأظنه لو خرجت جماهير الأمة تبايعه وتدفعه وتجبره على الخلافة لرفضها أو مات دون رفضه..

إن عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس بعد الراشدين أسد بحق، مثلت قوته في الحق حصنا منيعا لصيانة حقوق الشعب.. كما أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز شبل ورث عن أبيه ورعه وتقواه وزهده في الخلافة فكان الشبل من هذا الأسد..

وكانا . عمر وعبد الملك . درة تاج بنى أمية ..

فمن هو هذا الابن عبد الملك ..؟

أمير النصيحة عبد الملك بن عمر

لم تذكر لنا كتب التاريخ والتراجم شيئا يذكر عن مولد عبد الملك ونشأته في طفولته وصباه بقدر ما ذكرت مواقف من حياته في الزهد والعفة والنصيحة الصادقة لله ولرسوله ولأبيه الخليفة ولعامة المسلمين..

إن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ابن شابه أباه في زهده وورعه فكان قدوة

لأبناء جيله من الشباب ولكل شاب يريد أن ينشأ في عبادة ربه ليكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..

قال عنه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: كان عبد الملك للحق نافذا.. وللباطل واقفا..

وقال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت أخير من عمر بن عبدالعزيز وابنه عبد الملك، ومولاه مزاحم..

عاش ابنا للخليفة - مسموع النصيحة لله - فلم يستغل عبد الملك منصب أبيه ومكانة أسرته، ليعيش حياة الترف والتعم دون إحساس بالمسئولية تجاه ما يحدث حوله من أحداث.. بل على العكس من ذلك عرف عبد الملك زهدا أكثر من أبيه، وكان نعم الناصح لأبيه خوفا عليه من عظم المسئولية وتبعية الخلافة ودعاء الرعية.. وقد روى عن عبدالله بن يونس الثقفي عن سيار أبي الحكم.. قال: دخل عبد الملك على أبيه يوما وهو أحب أبنائه إليه وأسمع له فقال له - وهو يحتضنه - يا أبت أقم الحق ولو ساعة من نهار.. يا أبت ماذا تقول لريك إذا أتيت، وقد تركت حقا لم تحيه، وباطلا لم تمته، فأقعد عمر إلى جواره وقال له: يا بني: إن آباءك وأجدادك خدعوا الناس عن الحق فانتهدت الأمور إلى وقد أقبل شرها وأدبر خيرها، ولكن أليس حسبى جميلا ألا تطلع الشمس على في يوم إلا أحييت فيه حقا وأممت باطلا حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك..؟

قال: يا أبت ما منعك أن تمضى لما تريد من العدل؟ والله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدر في ذلك.. فقال عمر: يا بني إنما أنا أروض الناس رياضة الصغب.. إنى لأريد أن أحيى الأمر من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا فينتفروا من هذه ويسكنوا لهذه..



حسبه ونسبه

حفيد الضاروق:

أبوه: هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية

ولد بحلوان في مصر سنة ٦٢ هجرية وأبوه عبدالعزيز بن مروان والى مصر وقد طالت ولايته أكثر من عشرين عاما..

وأمه: فاطمة بنت الخليفة . عبدالمك بن مروان وأخت الخليفة سليمان بن عبدالمك، ربيبة القصور، والقصور مرتعها وهى التى قال فيها الشاعر:

بنت الخليفة والخليفة جدها .. أخت الخلائف والخليفة زوجها .. عاشت فاطمة . أم عبدالمك . يحوطها عز السلطان من كل جانب فلما ولى زوجها الخلافة تنازلت عن كل ذلك بنفس راضية ورضيت بخس العيش معه .. بل ذهب العدل والورع إلى حد بعيد فقد خيرها زوجها أن ترد الجواهر النفيسة التى أهداها لها والدها الخليفة عبدالمك يوم زفافها وكانت ثروة لا تقدر إلى بيت المال أو تفارقه، فقد كره الورع عمر بن عبدالعزيز أن يكون هو وهى وذآك الذهب فى بيت واحد فقالت بنت الغر والترف: بل أختارك يا أمير المؤمنين، وعلى أضعافه لو كان لى ..!! وأرسل عمر جواهر زوجته فاطمة إلى بيت المال .. وظلت جواهرها محفوظة حتى مات عمر واستخلف يزيد بن عبدالمك فعرض عليها أن يرد إليها جواهرها وحليها التى صادرها زوجها، فقالت: أطيعه حيا، وأعصيه ميتا..؟ لا والله لن يكون..!

جدته: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .. إنها حفيدة القاروق رضي الله عنه الذى خرج يعس ليلا بالمدينة كعادته فوقف يستريح عند باب وإذ ذاك سمع أما تقول لابنتها: قومي فاخلى اللبن بالماء .. فقالت البنت لأمها: أما سمعت أمير المؤمنين عمر يأمر ألا يشاب اللبن بالماء؟ فقالت أمها: إنك فى موضع لا يراك فيه عمر .. فأجابت الصبية أمها: والله ما كنت لا أطيعه فى المأ وأعصيه فى الخلاء .. فأعجب الخليفة عمر بهذه البنت وخلقها فجمع أولاده فحرضهم على أن يتزوج أحدهم هذه البنت التقية الورعة، فتزوجها من لا زوجة له وهو عاصم فولدت له أم عاصم التى ولدت عمر بن عبدالعزيز والد عبدالمك الذى نحن بصدده ..

ووراثة كهذه مع سمعة عمر بن الخطاب فى عدله وورعه وقوة خلافته، جديرة بأن تشير فى نفس متلقيها غير قليل من الحرص على أن يكون الحفيد خلفا صالحا .

وكان أبوه صالحاً:

خشيت أن يطول الحديث عن عمر بن عبدالعزيز الأب فتنطفئ الأضواء عن عبد الملك الابن لما يحوط بأبيه من هالات النور والأضواء في سيرته وخلافته.. ولكني آثرت. هنا. أن أذكر طرفاً من سيرة الأب لنرى كيف ينتفع الأبناء بصلاح الآباء مع ثقتنا بأن ذلك من فضل الله وهدايته ورضاه وتوفيقه، وإلا فلماذا انصرف ابن سيدنا نوح عن صلاح أبيه وورعه فتأكد لنا عدل الله في خلقه وقسمته وأن النبوة لا ثورت ولا الصلاح ولا التقوى ولكن يهدى الله لنوره من يشاء. فأما عمر فقد ولد بمصر بمدينة حلوان. عام ٦٢هـ. ونشأ بها وأتم ما يشبه التعليم الابتدائي بها ثم أرسله أبوه إلى المدينة فدرس بها العلم الديني واللغة والشعر، ولعله قد تأثر ببيئة المدينة الغنية المعروفة فتقهم شيئاً من الغناء رق به حسه وفي حياته ظواهر لهذا التأثير الفني، وأما بيئته المادية والمعنوية في مصر والمدينة فهي عامل واضح في رقة طبعه..

ولعل فساد الحكم من أسرته الأموية قد كان مثيراً عكسياً لنفسه.. فقد رأى فيهم الضراوة القاسية في اغتيال مخالفهم، وفي صراعهم على ولاية العهد طين عليته الوليد فكانما دفنه حياً.. حتى شقق فيه بعد ثلاثة أيام فأخرج وقد كاد يموت.. وعمت قسوة الحجاج وظلمه.. فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الوليد ليشكوه، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد: إن المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة.. يعني عمر بن عبدالعزيز إذ كان واليها.. فأصاغ الوليد لذلك وعزل عمر عن ولاية المدينة.. وظل عمر ينهى عماله عن مثل ما كان يفعله الحجاج، بل استقر في أعماق نفسه من سوء صورة الحجاج وقبح مصيره ما جعله وقد أغمى عليه مرة يبكي بكاء عالياً، يفسره بعد إفاخته بأنه رأى القيامة والميزان، ومر بجيفة ملقاة سأل عنها. فأجابته بأنها الحجاج بن يوسف، قدمت على ربها شديد العقاب فقتلها بكل قتلة قتلت بها مثلها.. فإذا ما رأى عمر مع ذلك خيراً من سليمان بن عبد الملك وقد كان عمر وزيراً له في خلافته، استجاب لتوليته عهده راجياً أن يكون في ذلك صلاح حال الناس..

الفتان الزاهد

عاش عمر بن عبدالعزيز حياة تنعم ورفاهية فقد كان شابا مترقا من بنى مروان .
يغير في اليوم الواحد ثيابه أكثر من ثلاث مرات، فإذا مر بطريق شم الناس طيبه
وعرفوه به، كان يسكن قصرا بالمدينة وعند والده قصر بالشام وقصر بمصر
وقصر بالعراق وقصر باليمن.. فلما قدم المدينة واليا عليها حمل متاعه على
خمسین جملا وغلته أربعون ألف دينار وكان حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في
التنعم والاختيال في المشية.. تحدث عن نفسه مرة فقال: إنى لى نفس ذواقة
تواقة.. فأما الأولى فقد عبرت عن دور حياته الأولى قبل الخلافة وقد تجلت رقة
طبعه وفنية ذوقه حتى لقد كانوا يعدونه في طبقات المغنين، بل إنه ربما بكى
لحسن صوت يغنى.. وأما وصفه نفسه بأنها تواقة.. فقد فسرها هو نفسه بأنه لما
وصل إلى الخلافة ولم يكن شىء في الدنيا فوقها تاقته نفسه إلى ما عند الله في
الآخرة وذلك ما لا ينال إلا بترك الدنيا، وقد تركها عمر مختارا، وقد أثر في
نفسه مشهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو بمنطرح على سرير الملك كالطفل
يعصره الموت عصرا.. وسمعه عمر يقول: يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه..
ويكى سليمان وأبناؤه في خياله يقول: أفلح من كان له كبار.. إن بنى فتية صغار..
ياليت أبنائى كبار يتولون الملك بعدى.. فأطرق عمر رأسه من جلال ما يراه من
هيبة الموت وقال للخليفة: لا والله.. قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى
واستغفر له.. وقضى سليمان وشيعه القوم حتى دفنوه.. فلما عادوا إلى المسجد
صعد المنبر رجاء بن حيوة وهو إذ ذاك أحد العلماء الكبار فأعلن أن خليفة
المسلمين وأمير المؤمنين عمر بوصية تركها سليمان في كتاب لم يعلن..

الشعور بالمسئولية

ما إن سمع عمر بمبايعته خليفة حتى انخرط في البكاء.. وقال لهم: بيعتكم
بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فيكى الناس وقالوا: إلا أنت.. يقول رجاء بن حيوة:
والله كنت أنظر إلى جدران المسجد أظنها تبكى.. ثم خرج الخليفة فإذا المراكب
والمواكب عند باب المسجد تصطف كما كانت لسليمان، فرفضها عمر وقال: إنما

أنا رجل من المسلمين غير أنى - الآن - أكثركم حملا ومسئولية أمام الله، قربوا لى بغلتى وحسب نركبها، وانطلق إلى البيت فتنازل عن قصره، وتصدق بثلاث متاعه وأثاثه على فقراء المسلمين وصادر جواهر وحلى لزوجته وأضافها لبيت المال.. وطلب لنفسه بيتا مثل بيوت المسلمين قريبا منهم..

وهو من خشية هذه المسئولية، يقيم عالمين ورعين يجلسان فى مجلس إمارته فلا يكون لهما عمل إلا النظر إليه فإذا سمعا منه رأيا لا يوافق الحق خوفاه وذكراه بالله إن هذا الشعور بعظم المسئولية وهموم الشعب أضناه وأمراضه وقد سئل عنه طبيبه يوما وهو مريض.. هل رأيت بوله؟ فقال الطبيب.. ما ببوله ببأس إلا الهم بأمر الشعب..

عاش عمر قريبا من شعبه وأمه يؤمن بحرية الرأى والاعتقاد وأن صلاح الرعية من صلاح الخليفة.. وفى العراق خرج بعض الخوارج يتظاهرون ويتقولون.. فعلم فكتب إلى واليه: لا تحركهم إلا أن يسفكوا دما، أو يفسدوا فى الأرض فإن فعلوا فخل بينهم وبين ذلك.. ثم كتب إلى زعيم هؤلاء الخوارج يدعوه ويسأله عن سبب خروجهم.. أنه بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولنبيه ﷺ ولست بأولى بذلك منى، فهلم أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرنا فدخلنا معك.. فكتب إليه زعيم الخوارج: « قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك، ودخل الرجلان عليه وناظراه حتى سلموا له بالحق..

وظل عمر يتفقد رعيته، من جاع ومن شبع ومن مرض ومن شفى، وسياسته أن توجه أموال الخزينة العامة إلى سد حاجة الناس.. وذات يوم كتبت الحجة - السكرتارية - أن يأمر للكعبة بكسوة عملا بما كان عليه الخلفاء قبله فرد مكتوبهم وقد كتب عليه: إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة فإنه أولى بذلك من البيت.

عبد الملك يتألق

فى هذا الجو الإيمانى وفى هذا البيت المتواضع شب عبد الملك عن الطوق،

وقرب نفسه إلى مجلس أبيه كلما وجبت في ذمته نصيحة تعين والده الخليفة على طاعة الله وحسن رعاية شعبه، وكان عبد الملك وأقر الحب في قلب أبيه يأذن له ويسمع له.. وفي كل هذا لم تسمع الرعية شبهة استغلال لمنصب أبيه فلا حاز قصورا.. ولا نهب ديناراً ولا استولى على أملاك الدولة زورا وبهتانا، ولا أملى على أبيه قراراً ولا اقتحم مجلسه رغم حاجب ولا أسس حزياً يدعو لأبيه ثم يورثه من بعده رقاب البلاد والعباد وهو أمر.. كما سبق أن ذكرنا - سهل ميسور، فالخلافة وراثية من بنى أمية منذ خلافة معاوية جده الأعلى واليوم أبوه على سدة الحكم يأمر فيطاع.. يطلب البيعة لعبد الملك أو يطلبها عبد الملك فيرضى ويرضى الرعية لرضاه، كل شيء من هذا كله لم يحدث ولم يثبت التاريخ شائبة واحدة من هذه، فعاش عبد الملك قدوة لأبناء جيله من الشباب وقد أحبوه وولعوا به وهو يهرب من جوهم خشية أن يفتن في ذلك.. ولبت سيرته وصلت إلى أجيالنا سيما أبناء الأمراء والملوك والرؤساء الذين استغلوا مناصب آيائهم وتسلط أمهاتهم وخنوع آبائهم فشرّبوا دماء الشعب مصاً ونهبوا ثروات البلاد غدرا وققرّزوا على العروش قهرا وباعوا كرامة الأمة وعدوه نصرا.. وأظهروا الفساد أرضاً وجوا وبحراً وأصبحت الأخلاق والدين والعلوم والفنون والصناعة والزراعة والصحة بفسادهم.. وكفرا.. وققرّا!!

تطهر عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز من كل هذه الخصائص والنقائص.. وعلم أن أباه خليفة كل المسلمين وحظه منه مثل حظ كل نفر من عامة المسلمين، فوقر في نفسه احترام مجلسه فلا يدخل إلا بإذن ولا يجلس إلا بإذن.. سمع من وزير أبيه مزاحم ما أغضبه فهرع إلى مجلس الخلافة - بيت الحكم - ووقف يستأذن ليدخل على أبيه.. فقال له الأذن: إنما للخليفة من الليل والنهار هذه الساعة.. يخلو بربه أو ينظر مكاتيب الناس.. قال عبد الملك: الأمر أشد من ذلك.. ولا بد من لقائه.. فسمع الخليفة صوتاً لم يتبينه فسأل: من هذا؟ فقال الأذن: عبد الملك بن عمر.. قال: إذن له.. فدخل عبد الملك في أدب فسلم.. فقال الخليفة: ما جاء بك هذه الساعة: قال شيء ذكره الوزير مزاحم.. قد قال لي: إنك سألته: كم أصبنا

من أموال المؤمنين؟ فقال لك: أتدري ما عيالك يا أمير المؤمنين؟ نعم الله لهم كسائر المسلمين.

فسأل عمر عبد الملك: وما رأيك؟

قال بئس الوزير مزاحم.. أرى أن تمضيه وترده أن أبناء الخليفة ليسوا بأفضل من أبناء المسلمين.. قال أبوه: أخرج عند الصلاة فأرده على رؤوس الأشهاد.. فقال عبد الملك: وهل تضمن لنفسك أن تعيش حتى تأتي الصلاة، وخرج عمر إلى المسجد فنودي في الناس فاجتمع من دخل فصعد المنبر وحمد الله وصلى على رسوله (ﷺ) وقال أما بعد: فإن أبنائي لأفضل لهم ولا سبق في نعم الله وحظهم مثل حظكم.. ولا عطايا لهم ولا هدايا، ومن أعطوا ما كان ينبغي لهم أن يفعلوا وما ينبغي لنا أن نقبلها.. وإنى قد رأيت ذلك ليس على فيه دون الله محاسب.. وإنى قد بدأت بنفسى وأهلى، اقرأ يا مزاحم كتب العطايا والهدايا أرسلها الولاية.. فجعل مزاحم يقرأ كتابا.. كتابا ثم يأخذه عمر فيقطعه وعبد الملك يحفظه في سلة حتى نودي للصلاة فصلوا ثم خرجوا فأحرق عبد الملك ما قطعه أبوه.. فنظره أبوه فرفع يده للسماء مبتهلا: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعيننى على أمر دينى وخلافتى.

رد المظالم إلى أهلها

ولكم سلبت حقوق من الناس وقهرهم أبناء الملوك والرؤساء حتى مات أصحاب الحقوق من اليأس في استرداد حقوقهم وفي ظلمات الزنازين أو حتى عنابر المجانين لو تجرأوا بالهمس عن مظالمهم.. وقد عشنا ورأينا وسمعناهم يقولون للرعية من الشعوب: إن أنتم إلا عبيد إحساننا وملك يميننا، فهبت شعوب تنتفض وتعترض حتى أجلتهم عن العروش وذبحت غطرتهم وداست كبرياءهم بأخذية حداد.. لقد طمعوا ونهبوا وأقهرهم سلطان أبيهم على ظلمهم فاستحقوا الخزي والعار هم وآباؤهم وأمهااتهم إن شئت.

اختلف الأمر عند عبد الملك بن عمر فقد أبى على نفسه وعلى أبيه أن يصم أذنه عن أنين مظلوم ودمعة مقهور اغتصبت منه أرضه أو ماله أو تجارته.

عن ميمون بن مهران . وزير بالبلاط . قال : بعث إلى الخليفة عمر أنا ومكحول وأبى قلابية .. فقال : ماترون في هذه الأموال التي أخذت قبلى من الناس ظلما وقهرا ؟

فقال مكحول قولاً ضعيفاً : وهل نحمل أوزار من سبق ؟

فنظر إلى الخليفة كأنه ينكر على .. ثم قال : ابعث إلى عبد الملك فأحضره .. فلما حضر عبد الملك أجلسه الخليفة أمامه وسأله : يا عبد الملك تعلم ما كان من أمر خالك . سليمان بن عبد الملك الخليفة السابق . ووزرائه .. وهذه شكايات الخلق نهبت أموالهم ودورهم فما ترى في هذه الأموال التي أخذت ظلماً وقد حضروا يطلبونها وعرفنا مواضعها .. وقد سبقك مكحول فقال : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

قال عبد الملك : يا أبت أرى أن تسارع الليلة بردها فإن لم تفعل كنت شريكاً لمن أخذها .. فأمر الخليفة بالتصرف في شكايات الخلق ورد مظالمهم وحقوقهم إليهم فلم تمض أيام حتى رضى الناس ودعوا له بالبركة وحسن الختام ..!

عبد الملك إذن عاش مستشار صدق لأبيه برغبة أبيه لما علم من ورعه وتقواه وخوفه على أبيه من النار وأبوه لا يفتأ يتذكر نصيحة ابنه له : يا أبت ما منعك أن تمضى لما تريد من العدل ، والله ما كنت أباً لى لوغلت بهى وبك القدور فى ذلك .. تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ..! لذا كانت كلمة عبد الملك مسموعة ونصيحته موثوقة ، فالوزير يداهن ويرائى ويخشى غضبة الخليفة فيسلك عن قوله قد تروح به .. لكن عبد الملك ابن بار بأبيه ويرب أبيه ، يعرف حق الله عليه وحق والده عليه وحق مستشيريه عليه فلا تراه إلا ناصحاً أيضاً .. وإلا إينا بارا كريماً فأين جمال مبارك وسيف الإسلام القذافى وأحمد على عبد الله صالح وبشار الأسد وكل أبناء ملوك ورؤساء الشعوب فى عصرنا من هذا الابن التقى النقى الورع الصالح وقد عاثوا فى الأرض فسادا بسلطان آبائهم ..!



شجاع فى أدب

لم تكن حاجة الخليفة عمر بن عبدالعزيز لمشورة ابنه الذى يثق فى حلمه وعلمه مدعاة للابن أن يستغل ذلك فى جرأة تطيح بأركان الأدب وتهز جوانب هيبة الخليفة الأب.. لقد كان عبد الملك يصبغ شجاعته بأدب جم وحياء عذرى حتى لتستحى منه الخلائق.. إذا رأى الخليفة غاضبا منفعلا يتوعد من فرط ما يرى من الرعية كان عوننا له على الهدوء والحلم وسعة الصدر.

قال إسماعيل بن أبى حكيم: رأيت عمر بن عبدالعزيز وقد غضب يوما فاشتد غضبه وكان فيه حدة لم نعهد لها من قبل وعبد الملك واحد فى المجلس يسمع مثلنا وينصت.. فلما سكنت عن أبيه الغضب قال له فى حلم: يا أمير المؤمنين أنت فى قدر نعمة الله عليك، وموضعك الذى وضعك الله به، وما ولاك من أمر عباده.. يتبلغ بك الغضب ما أرى، ورأى الناس.. ١٩.

قال الخليفة: كيف يا عبد الملك.. ٢٠.

فأعاد عبد الملك مقالته..

فقال الخليفة: أما تتغضب يا عبد الملك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، ما تغنى سعة جوفى إن لم أردد فيها الغضب حتى لا يظهر منه شيء يكرهه الناس.

فقال الخليفة: مازال يعلم أباه.. ١.

وما ضير ابن أن يكون له خلق يعجب أباه فينسجم معه حتى يعتنقه إذ كان الله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا..).

والأدب فى موضعه من الحكمة..

عن ابن أبى عبيدة قال: جلس الخليفة عمر يوما بطول نهاره يستمع شكاة الناس ويقضى مصالحهم حتى ضجر وكل ومل.. فقال للناس: مكانكم حتى أستريح ساعة فأعود إليكم.. فأذنوا له، فجاء ابنه عبد الملك فسأل: أين الخليفة.. ٢.

قالوا: دخل حجرته.. فاستأذن عليه فأذن له.. فلما دخل وجد أمير المؤمنين مستلقيا من غير نوم.

فسأله: ما أدخلك الآن يا أمير المؤمنين؟

قال أبوه: يا بني إنما أردت أن أستريح ساعة..

قال عبد الملك: يا أبتى أوأمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك

وأنت محتجب عنهم؟

فقام عمر يستغفر الله وخرج إلى رعيته..

وتغرب شمس الأصيل

وفاته:

عشرون عاما تزيد أياما أو تقل هي عمر هذا الرجل الذي نال قصب السبق في أخلاقه وحلمه وعلمه وورعه وأمانته وصدق مشورته وشجاعته، ودأبه وأدبه حتى طارت بها البلابل تتغنى في سماء الدنيا فما من أذن إلا سمعت بعبد الملك ولا من قلب إلا أحبه فكيف بقلب أبيه الذي شهد مصرعه والطاعون يقطف زهرة شبابه ويطغى فجر تألقه لتنتوى صفحة من تاريخ الأمة تروى وتحكى أعطر سيرة لأبناء الخلفاء وتقدم لنا شخصية عبد الملك على نحو يعجب كل الشعوب التي ذاقت ويلات الحكام وأنت تحت سياط أبنائهم الذين بالغوا في القهر والإذلال إلى حد حلق رؤوس لاعبي فريق كرة القدم وإذلالهم.. شهورا عندما خسر فريق كرة القدم العراقى تأمله في كأس العالم فأصدر عدى نجل الرئيس صدام حسين قرارا بإذلالهم.. ناهيك عن اغتصاب الأعراض في العراق ومصر وليبيا وسائر بلاد العرب بعدما انطلق أبناء الملوك والأمراء والرؤساء كالكلاب المسعورة تنهش أعراض الرعية.

دموع الخليفة

تغسل عبد الملك

لم يطل مرض عبد الملك بعد أن أصابه الطاعون.. وقد عجز أبوه أن يطببه أو يدرأ عنه الموت.. مؤمنا أنه لاراد لقضاء الله، وأن الأجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر فاستسلم الابن لقضاء الله وسلم الأب لأمر الله.

ساعات وتصعد الروح إلى خالقها.. وعبد الملك يطلب زوجه فجاءته.. وقد

ترجلت ولبست إزارا ورداء ونعلين.. فتأملها عبد الملك ببصيرة نافذة وقال لها:
اعتدّي .. اعتدّي..!

ومرت ساعات قليلة ولقى عبد الملك ربه راضيا مرضيا وبدأت زوجته عدتها
الشرعية كما أمرها عبد الملك.

وتعالت أصوات البيت ونحيب الأهل وعموم المسلمين بينما وقف أبوه وقد تحجر
الدمع في مقلتيه واهتزت أطرافه من شدة الحزن على ولده ومستشاره الأمين.

يقول أبو النعيم: والله ما من أحد أعز عليّ من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
ولأن أكون سمعت بموته أحب إليّ من أن أكون كما رأيته ساعة وفاة عبد الملك.

وروى عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حيث دفن ابنه
عبد الملك قال لما دفنه وسوى عليه قبره بالأرض وضعوا عنده خشبيتين من زيتون
إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى
قائما وأحاط به الناس فقال: رحمك الله يا بني لقد كنت بارا بأبيك والله ما زلت
منذ وهبك الله لى مسرورا بك ووالله ما كنت قط أشد بك مسرورا ولا أرجى
بحظى من الله فيك منذ وضعتك فى هذا المنزل الذى صيرك الله إليه فرحمك
الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من
شاهد أو غائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمر الله والحمد لله رب العالمين ثم
انصرف.

وقال على بن حصين: شهدت عمر تتابعت عليه مصائب، مات أخ له ثم مات
مزاحم ثم مات عبد الملك فلما مات عبد الملك تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
لقد دفعته إلى النساء فى الخرق فما زلت أرى فيه السرور وقرّة العين إلى يومى
هذا فما رأيته فى أمر قط أقر لعينى من أمر رأيته فيه اليوم.

وروى أن عمر كتب فى رثاء عبد الملك إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فى شأن
ابنه عبد الملك حين توفى: أما بعد فإن الله تبارك اسمه وتعالى ذكره كتب على خلقه
حين خلقهم الموت وجعل مصيرهم إليه فمات فيما أنزل من كتابه الصادق الذى
حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ثم

قال لنبية عليه السلام «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون» ثم قال «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» فالموت سبيل الناس في الدنيا لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيء فيها خلا ولم يرض ما أعجب أهلها ثوابا لأهل طاعته ولم يرض ببلائها نعمة لأهل معصيته فكل شيء منها أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئا متروك. لذلك خلقت حين خلقت وسكنت منذ سكنت ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملا، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى أهل طاعته ورضوانه من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم خالد في دار المقامة من فضله لا يمسه فيها نصب ولا يمسه فيها لغوب، ومن كانت مفارقتها الدنيا إلى غيرهم وغير منازلهم فقد قابل الشر الطويل وأقام على ما لا قبل له به، أسأل الله برحمته أن يبقينا ما أبقانا في الدنيا مطيعين لأمره متبعين لكتابه، وجعلنا إذا خرجنا من الدنيا إلى نبينا ومن أمرنا أن تقتدى بهداه من المصطفين الأخيار وأسأله برحمته أن يبقينا أعمال السوء في الدنيا والسيئات يوم القيامة، ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين كان عبدا من عباد الله أحسن الله إليه في نفسه وأحسن إلى أبيه فية أعاشه الله ما أحب أن يعيشه ثم قبضه إليه حين أحب أن يقبضه وهو فيما علمت بالموت مغتبط يرجو فيه من الله رجاء حسنا فأعوذ بالله أن تكون لى محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله فإن خلاف ذلك لا يصلح في بلائه عندي وإحسانه إلى ونعمته على وقد قلت فيما كان من سبيله والحمد لله ما رجوت به ثواب الله وموعده الصادق من المغفرة إنا لله وإنا إليه راجعون ثم لم أجد والحمد لله بعده في نفسى إلا خيرا من رضى بقضاء الله واحتساب لما كان من المصيبة فحمدا لله على ما مضى وعلى ما بقى وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة أحببت أن أكتب إليك بذلك وأعلمك من قضاء الله فلا أعلم ما نيج عليه في شيء من قبلك ولا اجتمع على ذلك أحد من الناس ولا رخصت فيه لقريب من الناس ولا لبعيد واكفنى ذلك بكفاية الله ولا ألومك فيه إن شاء الله والسلام عليك.

سلام عليك يا عبد الملك يوم نلتاك في جنات عدن في مقعد صدق عند مليك



أحمد بن هارون الرشيد

الأمير الزاهد



* نسبه ومولده *

* ركعت له الدنيا . فركع لله *

* عامل محارة وأبوه الخليفة *

* شخصية نسيها التاريخ *

* حاتم من الياقوت يدل عليه *

* ويكاه هارون يكاه النساء *



أحمد بن هارون الرشيد

شخصية نسيها التاريخ

قصته عجب بل أعجب من العجب.. وأغرب من معظم ما يستغرب منه، وقلما يطالع الإنسان مثل هذا الموقف أو يصادف شخصية كهذه إلا على فترات متباعدة من عمر الزمن.. إذ من ذا الذى يستطيع وهو فى عنفوان الشباب رفض زينة الدنيا ومباهجها وعز الخلافة وزهوها وأمجادها ومكاسبها؟ نعم من ذا الذى يقوى على هجر القصور ومقارن الحرير ويتعالى عليها ويترفع عن ترف أهله فلا يخالطهم وهو الأمير ابن الخليفة، فلا يتحرك قلبه نحو شيء من تلك المغريات والمباهج التى تركت الناس صرعى على عتباتها، هلكت من اللهاث وراءها طمعا فى الوصول إلى شيء من فتاتها.. إنه أحمد بن هارون الرشيد، صنف مميز وطراز فذ فى دنيا الناس أنعم الله عليه بالرضا والقناعة فبلغ القمة فى الورع والزهو وودع الإمارة ليعيش بين عمال البصرة الحدادين والبنائين والطيارين، عامل محارة يكسب القليل يتعيش منه ويعبد ربه بلا انقطاع حتى مات غريبا عن قصر أبيه فمن هو هذا الزاهد.. وما هى قصته..؟

نسبه

أبوه:

هارون الرشيد الخليفة العباسى الخامس واسمه هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، أكثر خلفاء الدولة العباسية جهادا وغزوا واهتماما بالعلم والعلماء، وعرف عنه أنه الخليفة الذى كان يحج عاما ويغزو عاما، ويعتبر هذه العصر الذهبى للحضارة العربية والإسلامية فقد تولى الخلافة نحو ثلاث وعشرين سنة، ولعله يوبع بالخلافة فى ١٤ ربيع الأول عام ١٧٠ هجرية - ١٤ سبتمبر عام ٧٨٦ ميلادية بعد وفاة أخيه موسى الهادى فى دولة مترامية الأطراف تمتد من وسط آسيا حتى المحيط الأطلنطى وقد أمسك الخليفة هارون الرشيد بزمام

الدولة وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره فأخذ بيدها إلى ما أبهر الناس من مجدها وقوتها وازدهارها وحضارتها بعدما أنشأ بيت الحكمة في بغداد وزودها بالكتب والمؤلفات وخصص غرفاً للتاسخين والترجمين والمجلدين. وأصبحت بغداد قبلة طلاب العلم من كل البلاد، وتألقت ندوات الحوار في حرية مشهودة جذبت إليها الفقهاء والأدباء والأطباء والمهندسين، وكان هارون الرشيد نفسه يميل إلى أهل العلم والفقهاء فقربهم وحفزهم وشجعهم إلى حد العطاء بكل كتاب مثل وزنه ذهباً، بنفس الأهمية كان هارون حريصاً على حماية دولته وتأمين حدودها فخاض حروباً شرسة ضد الروم بشجاعة واستبسال يسجلها التاريخ بحروف من نور. فقد تجرأ نقفور ملك الروم على نقض معاهدة أبرمتها إيريني ملكته السابقة وأرسل خطاباً إلى هارون الرشيد يهدده كتب فيه (من نقفور ملك الروم إلى ملك العرب.. أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلى أقامتك مقام الرخ (طائر يشهب النسور) وأقامت نفسها مقام البيدق (طائر صغير) فحملت إليك من أموالها ماكنت حقيقاً يحمل أضعافه إليها، ولكن ذاك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها - الجزية - واقتد نفسك وإلا بالحرب مهلكة لك).

فلما قرأ هارون الرسالة ثارت ثورته وغضب غضباً أفزع من حوله فتفرقوا بعيداً عنه دون أن ينظر أحدهم في وجهه ثم أمر بدواة وريشة وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: (من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كذب الروم والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام).. وفي عام ١٨٢ هجرية خرج هارون إليه حتى بلغ هرقله فاستسلم نقفور وطلب الصلح ووافق على دفع الجزية، وهكذا امتدت خلافة هارون الرشيد والد أحمد في عز ومنعة وأبهة وقصور وحريم وجوار وملك لا تغيب عنه الشمس حتى أنه كان ينظر إلى السحابة ويقول لها: (إذهبى حيث شئت فسوف يأتينى خراجك).. حتى مات في ٣ جمادى الآخرة عام ١٩٢ هجرية - ٤ أبريل ٨٠٩م ميلادية.

أبناء الرشيد

ولد لهارون الرشيد عدد من الأبناء هم:

محمد الأمين

عبدالله المأمون

القاسم بن الرشيد

أحمد بن هارون

أبو إسحاق محمد المعتصم بالله

وليسوا جميعا من أم واحدة.

تروى كتب التاريخ أن هارون تزوج بامرأة قبل الخلافة وأنجب منها أحمد. وتزوج بأخرى فأنجبت عبدالله المأمون وتزوج زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية ابنة عمه في حفل أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع عام ١٦٥ هجرية فأنجبت له ابته محمد الأمين.

ولأننا لا نؤرخ لكل أبناء الرشيد فمحل ذلك كتب التاريخ والحضارة، فنكتفى بذلك لنعود إلى شيخنا أحمد بن هارون العابد الزاهد الذي فضل حياة الناسك العابد العامل على حياة الأمير ابن الخليفة.

أم أحمد

تروى بعض المصادر أن زبيدة هي نفسها أم أحمد بن هارون لكن ابن كثير صحح الرواية في كتابة البداية والنهاية بالصفحة ١٩١ بالجزء العاشر فقال: ليست زبيدة أمه وأنه ابن امرأة كان الرشيد قد أحبها وتزوجها قبل توليه الخلافة، ويبدو أن ذلك لم يكن عن أمر والده أو مشورته فلما حملت منه ب أحمد أرسلها إلى البصرة وأعطاهها خاتما من ياقوت أحمر وأشياء نفيسة وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتيه. وكان الرشيد يتابع أخبارها ويرسل إليها ما يصلح حالها، وبلغه أنها وضعت مولودا سمته أحمد، فلما صارت إليه الخلافة لم تأته ولا ولدها أحمد وبلغه أنها ماتا ولم يكن الأمر كذلك ويحث عنهما فلم يطلع منهما على خبر وكان أحمد يعمل بيده ويأكل من عرق جبينه.

العودة إلى بغداد

رجع أحمد إلى بغداد وما أدراك ما بغداد.. إنها حاضرة العالم وعاصمة العواصم، لم يكن لها نظير في الدنيا في جلاله قدرها وفخامة منظرها وتميز خواصها وعوامها وعظم دورها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها وطيب هوائها وعذوية مائها ويرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها وصحة ربيعها وخريفها حتى ليقال: إن الدنيا أقبلت على أهلها برخائها ونعيمها ومباهجها ومسراتها ورغدها وفتنتها حتى لكأن الدنيا كلها في بغداد ولكأن بغداد هي الدنيا كلها وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في زمن الرشيد.

وكان بوسع أحمد أن يعيش حياة البذخ في القصور بين الخدم والحشم، وتحت أفياء النعيم تمد له الدنيا أفانين المتع وتركع تحت قدميه زخارف الحياة وتبتسم له الأيام وتأنس به الليالي ولكنه أثر طاعة الله واستغرق في عبادته واكتفى من الدنيا بكسرات الخبز والملبس الخشن، وتأبى حياة الكسل والخمول، ورفض أن يأكل من جهد غيره ولو كان عز أبيه وموائد قصره فراح أحمد يعمل بيده ويقفات من قمرة جهده وكدحه فعاد إلى البصرة وابتنى لنفسه كوخا متواضعا لا أثاث فيه ولا خدم ولا طعاماً شهياً وجعل أنسه كله بالله يغنيه عن صخب القصور ومتاعها الزائل ويجعله في نشوة روحية لوعرفها الملوك لقاتلوه عليها.

ابن الخليفة الزاهد

هذا هو أحمد بن هارون الرشيد الذي لم يحفل به التاريخ كما حفل بالأمين والمأمون ونسج حولهما الأساطير، ولو أنصف المؤرخون لوضعوا أحمد في أعلى قمم التاريخ وأشمخ ذراه وعدوه أسطورة عصره وأعجوبة زمانه.. إن القاريء لسيرة هذا الأمير الزاهد يشعر بمهابة تسرى في عقله وقلبه ووجدانه من قدرته على كبح جماح الشهوة وحب الدنيا، وقد ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

وكلها كانت رهن إشارته وطوع بنانه لكنه أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو

مؤمن فكان سعيه مشكورا .

ويبدو أن أحمد حفظ القرآن مبكرا ووعى سنة رسول الله (ﷺ) وعرف أن الدنيا ليست دار قرار وأن الآخرة خير وأبقى وأن الإنسان محاسب على كل درهم ودانق يكسبه أو ينفقه بل محاسب على كل نفس يتسفه وعلى كل خطوة يخطوها فودع حياة القصور تتلألاً بالمتع وتحفل لياليها بالبهجة والحبور والقيان والمعازف ورقص الجوارى، فتركها مودعا إلى البصرة عاملا مجاهدا يفتersh الأرض ويلتحف السماء لأنه لا يجد ما يفترشه ولا ما يتغطي به ولا ثوب له إلا جبه قديمة ونعل أقدم منها وينفق كل يوم دانقا على طعامه وشرابه، ولو أنه ولد فى بيت فقير لقلنا هذا حظه وقدره ولكنه ولد على مهد النعيم والرغد وعان فى قصر أبيه المجد والعز. بيد أنه ودع هذه الحياة وانطلق بهمته وإيمانه إلى حياة العمل والزهد والورع والتقوى والفقير.

عامل محارة

وفى سوق البصرة كان أحمد يجلس مع الحرفيين كل يوم سبيت وأدواته (مر) والمر هو المسحاة التى يستعملها عمال المحارة وتعرف فى مصر بـ(البروة والكالوش) و(زبيل) ويعرف (بالقفة) أو القصعة التى يحمل فيها الطين إلى مكان العمل.. وفى صبر ينتظر من يعرض عليه العمل كطيان مقابل درهم ودانق فى هذا اليوم. ويرسم عبدالله بن الفرغ من رجال البصرة صورة عن حياة أحمد وكيف كانت نهايته فيقول: احتجت يوما إلى عامل يرم لى شيئا فى حائط الدار فذهبت إلى السوق فرأيت شابا شاحب الوجه بين يديه (مر) و(زبيل) فسألته: هل تقبل أن تعمل عندى فتسوى حائط الدار وتطينه. فوافق بشرط أن يتوقف عن العمل فى وقت الصلاة ليؤديها فى المسجد كما اشترط أجرا درهما ودانقا لقاء عمله.

يقول ابن الفرغ: فصحبته إلى الدار فشد حزاما حول وسطه وراح يعمل بجذ ونشاط دون أن يكلمنى بشئ حتى إذا أذن المؤذن للظهر قال يا عبدالله : أذن للصلاة.. فأذنت له فخرج وصلى ثم عاد مسرعا وظل يعمل إلى آخر النهار.. وعندما أردت أن أعطيه أجره زدته فرفض الزيادة فألححت عليه فضجر وتركنى

ومضى فأسرعت خلفه وأعطيته الأجر الذى اشترطه فقط وكان يستحق أكثر منه لدقة صنعة!

وبعد فترة احتجت إليه لشغل جديد فذهبت إلى السوق فى يوم الأحد فلم أجده فسألت عنه فقالوا: لا يعمل إلا يوماً واحداً ويتعبد الله بقية أيام الأسبوع ويتعيش على أجر يوم السبت - درهم ودأق - فرجعت حزينا على فقده واصطحبت آخر من العمال فوالله لم يكن فى صنعة ولا مهارته.. ثم مضت الأيام وظهرت عيوب بالدار فذهبت إلى السوق أتلمس أحمد العامل الأمين فلم أجده.. سألت عنه فقالوا: مريض ودلونى على كوخه فذهبت ودخلت عليه فإذا هو نائم على الأرض وتحت رأسه قالب طوب.. فقلت السلام عليك ورحمة الله.. هل لى أن أساعدك؟ ألا تريد شيئاً؟.. فرد فى صوت متهدج أنهكه المرض: يا عبدالله إننى سأموت فإذا قضى الله أجلى فأغسل جبتي ومئزرى ثم غسلنى ثم كفى فيهما. وافق جيب الجبة فإن فيه خاتما من الياقوت فخذها واذهب به إلى الخليفة هارون الرشيد وأعطه له، وما لبثت روحه الطاهرة أن فاضت إلى بارئها والمكان كله يفوح برائحة كرائحة المسك.. وكأنما الملائكة ألبسته حلة من الرضوان.. فعلت ما طلب ودفنته مع نقر من الجيران فى مقبرة الفقراء بعد أن أخذت الخاتم من جيبته فإذا هو من ياقوت أحمر.. وبعد أيام سافرت إلى بغداد وانتظرت اليوم الذى يخرج فيه الخليفة وجلست له فى الطريق فلما مر بالقرب منى ناديت: يا أمير المؤمنين عندى لك وديعة.. فتوقف ونظر فى وجهى مليا ثم أمر الحرس فأدخلونى إلى القصر بعدما انقض الزوار منه.. فلما أصبح وحده استدعانى وسألنى عن الوديعة وما طبيعتها.. فبأدرته بالخاتم.. وما كاد يراه حتى استولت عليه الدهشة وأفصح وجهه عن ذهول عارم وتنفس بحرارة وهو يسألنى: من أين أتيت بهذا الخاتم؟ فحكيت له حكاية الشاب العامل الطيان.. فإذا بالخليفة يسقط على البساط ويضرب الأرض برأسه وكاد يغشى عليه وانخرط فى البكاء حتى النشيج وقال: إنه ابنى أحمد تركنى بعد أن ابتليت بالخلافة فأعطيته هذا الخاتم يتزين به أو يستعين بثمنه إذا احتاج إليه.. ثم تمت الخليفة بكلمات لكأنه يحدث نفسه (كان

أحمد ينصحنى ويقول لى: يا أبتى أخشى عليك من سكرة السلطة.. وهاهو قد أفضى إلى ربه دون أن يأخذ منى درهما واحدا وأنا خليفة المسلمين.. لقد ترك حياة الأمراء وعاش عيشة الأجراء).

الخليفة على قبر أحمد

ويتم عبد الله بن الفرّج آخر زاوية فى الصورة التى رسمها لنا عن أحمد ونهايته فيقول: وبعد أن جف دمع الخليفة هارون الرشيد وسكت نحيبه طلب منى أن أصحبه ليلا إلى قبر ولده أحمد وهناك وقف خاشعا متأملا على القبر فعادو البكاء فيكى بكاء المكلوم المصدوم.. فقلت هون عليك يا أمير المؤمنين.. فأطرق برأسه إلى الأرض وقال: أنا الذى أقول لكل سحابة تمر ببغداد أمطرى فى أى مكان من الأرض فسوف يأتينى خراجك والله إنى لأخجل أن يعيش ابنى كهذا وأنا أملك خزائن الأرض.. لقد أثر أحمد طاعة ربه وطلب جنته فعاش عاملا أجيّرا بدلا من أن يعيش مترقا أميرا فطوبى له فى منازل الأبرار والصديقين.

ويقول ابن الفرّج: قربنى الخليفة منه وصرت أصحبه بين الحين والحين إلى قبر أحمد يزوره وعيناه جدول من الدمع وقلبه شعلة من الحزن ونفسه تذوب حشرات على ولده الزاهد.. حتى حسبت أن الخلافة بجلالها وفخامتها لم تعد تساوى عند هارون الرشيد جناح بعوضة.

ألا يا أبناء الملوك وأصحاب الفخامة هل لكم فى هذا الأمير الزاهد العابد العامل القانع الورع من مثل يحتذى..!





السلطان سليم الأول

خادم الحرمين الشريفين



* حفيد المجاهد محمد الفاتح

* السلطان العباسي

* السلطان سليم الأول في مصر

* تمرد على أبيه وقتله باسم



• هزم الشيعة.. ودخل مصر.. وشنق طومان باي

ليس من شهوة أقوى غلبة على النفس من شهوة الحكم والإمارة، ذلك أنها جماع الشهوات التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة آل عمران: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ آية (١٤).

فإذا تمكن الحكم وضعفت النفس وتملكت الشهوات زمام الحاكم أهلكته وشعبه باستبداده واستغراقه في الترف والنعيم منصرفا عن رعاية حقوق الرعية والقيام على أمرها بما يحقق مراد الله في خلقه: «هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها.. فلما أمرت الشهوات وضيع الحكام وأترفوا كان أمر الله قدرا مقدورا.. وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا.. وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى تريك بذنوب عباده خبيرا بصيرا» الإسراء ١٦، ١٧.

ويهذه الدوافع الشهوانية تسابق بعض الخلق على السلطة والإمارة وتكالبوا وتدافعوا وتقاتلوا إلى حد قتل الولد أباه أو اعتقاله وطرده خارج الإمارة أو اتهامه بالجنون وحبسه وكل ذلك كائن، وكان وقد سطره التاريخ شاهدا ونذيرا.. وقد فعلها السلطان العثماني سليم الأول عندما انتهى الإمارة وغالب أباه بقوته حتى تنازل له عن الحكم فطرده ونفاه ثم أجهز عليه بالسم فقتله. ولم يكن آخر المتأمرين ولن يكون.

فقد فعلها من بعده سلطان عمان في السلطنة البوسعيدية عندما اعتقل أباه بتهمة الجنون وانقلب عليه وسلب سلطته وسلطانه وولى نفسه من بعده، ولم يمض التاريخ بعيدا حتى تكرر ذات السيناريو في إمارة قطر فانقض الإبن «الشيخ حمد» على العهد - على أبيه الشيخ خليفة أمير قطر المريض فطلب له العلاج ببريطانيا وما إن حطت قدماه بالغربة حتى أعلن خلعه وأمر نفسه ومنعه من

دخول البلاد ثانية.. هذا النموذج من طلاب السلطة تحت دعوى مصلحة البلاد والعباد.. من أسوأ النماذج التي عرفها التاريخ منذ الخلافة العباسية التي شهدت أفظع المؤامرات بين أبناء هارون الرشيد وزوجاتهم فانسابت الدماء تجرى ودفع الشعب ضرائب الفساد وخراب الذمم وإفك الحكام واستبدادهم..

وهو وإن نجح في بعض الحالات كما ذكرنا من أمر سليم الأول وقابوس بن سعيد وحمد بن خليفة.. فقد شاءت عناية الله أن يفشل في مصر بعدما أعد مبارك وزوجته وعصابته من وزير الداخلية حبيب العادلي «قراقوش» وكاهن السلطان «صفوت الشريف» والجوقة؛ على الدين هلال ومفيد شهاب والأراجوز أحمد عز كل هؤلاء تبادلوا الأدوار من أجل توريث جمال ابن السلطان حسني مبارك وكادت المؤامرة تكتمل وتؤتى ثمارها حتى ثار الشعب المصري العظيم وأفسدها وحبس الجميع بعد ثورة فضحت شهوات الحكام وطلاب السلطة.. الذين عمدوا حيناً من الدهر يخضون الحقائق ويفيَّبون الشريعة حتى لا تزعجهم أجراس الوعيد وحديث النذير من بغية الاستسلام لشهوة الحكم وطلب الإمارة بغير حق أو توريثها للأبناء..

قال رسول الله ﷺ

- «لن نستعمل على عملنا من أراده». رواه مسلم
- «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله.. لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» رواه أحمد.
- «من استعمل رجلاً من عصابة - جماعة - وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين». رواه أحمد والحاكم

• «الإمام الضعيف عن الحق ملعون» رواه أبو يعلى

ولأن الإمارة أمانة وللمشتهين ندامة، ولأنها للمؤمنين تكليف وللعابثين تشريف وتخريف وتهريف فقد حذرنا الله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون».. ولأن الرسول بأمرته رءوف رحيم. فقد نادى في عبدالرحمن بن سمرة: «يا بن سمرة.. إياك والإمارة! فإنك إن أعطيتها

عن مسألة وُكِّت إليها وإن جاعتك عن غير مسألة أعانك الله عليها». والآن من هو السلطان سليم الأول.. الذى نازع أباه واستلب منه الحكم ثم دس له السم فقتله!!

حفيد محمد الفاتح

وُلد سليم الأول للسلطان "بايزيد الثانى بن محمد الفاتح" وعائشة كلبهار خاتون، الأميرة من سلالة ذى القدر التركمانية، فى ١٠ أكتوبر سنة ١٤٧٠م، الموافقة سنة ٨٧٢ هـ، فى مدينة أماسيا على ساحل البحر الأسود فى الأناضول. وهو أحد الأولاد الذكور الثمانية للسلطان بايزيد، الذين توفى منهم خمسة فى صغرهم وبقي اثنان إلى جانب سليم هما "كركود" و"أحمد". وكان هؤلاء الأمراء يختلفون فى المشارب والآراء، فكان "كركود" محباً للعلوم والآداب والفنون ومشتغلاً بمجالسة العلماء والدراسة، لذا كان يمقته الجيش لعدم ميله للحرب، وكان "أحمد" محبوباً لدى الأعيان والأمراء، وكان الصدر الأعظم "على باشا" مخلصاً له. أما سليم فكان محباً للحرب شرس الطباع ومحبوباً لدى الجند عموماً والإنكشارية خصوصاً. وخوفاً من وقوع الشقاق بين الأمراء لاختلافهم فى وجهات النظر وتباينهم فى الآراء، قام السلطان بايزيد بالتفريق بين أبنائه وعيّن "كركود" والياً على إحدى الولايات البعيدة، و"أحمد" على أماسيا، وسليماً على طرابزون.

حكم طرابزون

تولّى سليم إدارة سنجق طرابزون وهو ما زال فى ربيع الحادى عشر، واستمر يديره بحزم ودراية طيلة ٢٩ سنة، من عام ١٤٨١ حتى عام ١٥١٠ فعاصر الأيام الأولى لبروز السلالة الصفوية فى إيران وأذربيجان، وأدرك أن نفوذ الصفويين المتوسع شيئاً فشيئاً قد يُشكل خطراً على الدولة العثمانية فى المستقبل. أتقن سليم اللعبة السياسية خلال حكمه طرابزون وبرع فيها، فحسّن العلاقات العثمانية مع دول الجوار، وجمل على جورجيا عدّة حملات عسكرية لمعاينة حكّامها على ما أطلقوه من الدعاية المعادية للعثمانيين، فغزا مدن قارص وأرضروم وأرتفين الخاضعة للسيادة الجورجية، وضمها للدولة العثمانية سنة ١٥٠٨ وكان من نتيجة

ذلك أن اعتنق جميع الجورجيين المقيمين في تلك المدن الإسلام ديناً، وازداد تعلق الجنود بسليم وإخلاصهم له على ما أظهره من الشجاعة وحسن التنظيم في تلك الحملات. وخلال هذه الفترة تزوج سليم بوالدة وليّ العهد، كما كان يُطلق على زوجات السلاطين، "عائشة حفصة خاتون" التي اختلف المؤرخون في تحديد أصلها ونسبها، وأنجب منها ولداً ذكراً هو "سليمان"، في ٢٧ أبريل سنة ١٤٩٥م، الموافق في أول شعبان سنة ٩٠٠هـ.

أبوه:

السلطان بايزيد الثاني المولود في القرن التاسع الهجري وعاش بين عامي ١٤٤٧ و ١٥١٢ ميلادى وكان أكبر أبناء أبيه السلطان محمد الثانى - الفاتح - وقد دربه أبوه على الحكم فحكم «أماسيا» - مقاطعة من أجمل وأقدم المدن التركية - فى عهد أبيه وهو ثامن السلاطين العثمانيين وكان شاعرا مجيدا ومؤلفا موسيقيا بارعا مرهفا وخطاطا عربيا فنانا .

وجده:

السلطان محمد الثانى بن مراد الثانى بن محمد الأول ولد فى رجب سنة ٨٢٣هـ - أبريل - نيسان ١٤٢٩ ميلادية تولى الحكم سنة ١٤٥١ م وهو شاب لم يتجاوز عمره ٢٢ سنة وحكم البلاد ٣٠ سنة واشتهر فى التاريخ بلقب محمد الفاتح لفتحته القسطنطينية - عاصمة الدولة الرومانية الشرقية - وهو من بين الفاتحين فى التاريخ الإنسانى فى هذه السن المبكرة ومن بناء الحضارة الراقية والمجد الرفيع.. ولم يكن السلطان محمد الفاتح - جد سليم الأول - مجرد قائد مغوار وفاتح عظيم بل إنه جمع بين القيادة العسكرية العبقريّة وتذوق العلوم والفنون والآداب ، وقال المؤرخ ابن إياس حين بلغه نبأ وفاته: «توفى السلطان المجاهد صاحب القسطنطينية محمد بن مراد الذى حاز الفضل والعلم والعدل والكرم وسعة المال وكثرة الجيوش التى حققت أمجاد الاسلام».

صراع الأشقاء على السلطة

في أواخر عهد السلطان بايزيد أضرم أولاده نار الحروب الداخلية لأسباب متعددة، ولم تخمد إلا بعد وفاته. فقد أقدم السلطان على تعيين الأمير سليمان بن ابنه سليم والياً على "كافا" من بلاد القرم، فلم يرض سليم بهذا التعيين، بل ترك مقر ولايته وسافر إلى كافا بالقرم، وأرسل إلى أبيه يطلب منه تعيينه في إحدى ولايات أوروبا، فلم يقبل السلطان بل أصرَّ على بقاءه بطرابزون. وفي ذات الوقت خشي "أحمد" أكبر أولاد السلطان من أن سليماً يسعى إلى العرش، فاغتم مسألة انتصاره حديثاً على جيش مكوّن من تحالف تركماني-صقوي في آسيا الصغرى، وسار إلى القسطنطينية على رأس جنوده ليستعرض قدرته العسكرية أمام والده وأشقائه على حد سواء. وما إن علم سليم بفعل أخيه حتى أثار فتنة في تراقيا وعصى والده جهاراً، وسار بجيش جمعه من قبائل التتار إلى بلاد الروملى، فأرسل والده جيشاً لإرهابه، لكنه لما وجد من ابنه التصميم على المحاربة وعدم ارتداعه، قبل تعيينه بأوروبا حقناً للدماء، وعينه والياً على مدينتي "سمندرية" و"فيدن" في الصرب، ورفض السماح لابنه الآخر "أحمد" بالدخول إلى العاصمة خوفاً من أن يُقدم الأخير على خلعه أو قتله ليتولى مقاليد السلطنة.

ولما وصل إلى "كركود" خبر نجاح أخيه سليم في مسعاه، انتقل إلى ولاية صاروخان واستلم إدارتها بدون أمر أبيه ليكون قريباً من القسطنطينية عند الحاجة. وفي ذلك الوقت كان السلطان بايزيد قد دعا ديوانه للانعقاد والتشاور في مسألة تنصيب أحد الأمراء خلفاً له، فاستقر الرأي على تنصيب الأمير "إحمد" سلطاناً، فغضب سليم ما إن وصله الخبر، وأعلن الثورة على والده، فسار إلى مدينة أدرنة واستولى عليها وأعلن نفسه سلطاناً، فأرسل والده إليه جيشاً قوامه ٤٠٠٠٠ رجل فهزمه في الثالث من أغسطس سنة ١٥١١ وألجأه إلى الفرار ببلاد القرم. وأرسل جيشاً آخر لمحاربة "كركود" بآسيا الصغرى، فهزمه أيضاً وفرَّق جيشه، ثم كتب إلى "أحمد" يطلب منه المجيء إلى القسطنطينية فوراً وتولى مقاليد الحكم، فدخل المدينة في اليوم التالي وأعلن سلطاناً، ويُقال إن من أشاد

بضرورة تنصيب "أحمد" على العرش كان الصدر الأعظم "على باشا"، الذى لم يؤمن بأحقية سليم أو كركود فى خلافة بايزيد.

ثار الإنكشارية فى المدينة بعد أن تمّ تنصيب الأمير أحمد على العرش العثماني، ورفضوا الاعتراف به حاكماً عليهم وطالبوا السلطان بايزيد بالعمو عن ابنه سليم وإعادته إلى ولاية سمندرية لشدة تعلقهم به، واعتقادهم بأنه هو الوحيد المؤهل لدء الخطر الصفوى عن الدولة العثمانية، لاسيما أن شاه الصفويين، "إسماعيل الأول بن حيدر"، كان يناصر الأمير أحمد فى نضاله للوصول إلى سدة الحكم، فخاف الإنكشارية من أن يبدأ الصفويون بالتدخل فى الشؤون التركية وينشروا المذهب الشيعى فى البلاد كما فعلوا فى إيران وأذربيجان، وكان سليماً يشاطرهم هذا الخوف ويحمل كرهاً شديداً للشاه بفعل دعمه لأخيه. وبناءً على إلحاح الإنكشارية، عفا السلطان عن ابنه سليم وسمح له بالعودة إلى ولايته، وفى أثناء توجهه إليها قابله الإنكشارية وأتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وسازوا به إلى سراى السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور، فقبل وتنحى عن العرش فى يوم ٢٥ أبريل سنة ١٥١٢م، الموافق فى ٨ صفر سنة ٩١٨هـ، وتولّى سليم مقاليد الحكم رسمياً فى الثالث والعشرين من مايو من نفس السنة.

وبعد أن تنازل بايزيد عن الحكم، سافر للإقامة ببلدة "ديموتيقا"، فتوفى فى الطريق يوم ٢٦ مايو سنة ١٥١٢م، الموافق فى ١٠ ربيع الأول سنة ٩١٨هـ، ويدعى بعض المؤرخين أن سليم دس إليه السم خوفاً من رجوعه إلى منصة الملك، بينما جاء فى رسالة بعث بها الأمير أحمد إلى سلطان المماليك أن والده توفى لأسباب طبيعية بهذه العقلية العسكرية والتسلط غير المحدود الذى تمتع به سليم الأول، استطاع أن يصل إلى تخت السلطنة، رغم ما وُضع فى وجهه من عوائق.

اعتلاؤه العرش ومحاربة إخوته

أقدم سليم بعد أن توج سلطاناً على توزيع المكافآت على الإنكشارية كما جرت العادة قبل عهده، وزاد من ضرورتها فى أيامه أنه لم يكن ليترعب على العرش لولا مساعى هؤلاء وضغطهم على والده. وما إن تولّى سليم مقاليد الحكم حتى أعلن

أخوه أحمد العصيان ورفضه الخضوع له، ونصب نفسه حاكماً على أنقرة، وأرسل ابنه "علاء الدين" فاحتل مدينة بورصة في ١٩ يونيو سنة ١٥١٢ وراسل الوزير "مصطفى باشا" يخبره عن عزمه توطيد نفوذه وخلع أخيه ووعد بمتصب كبير إن نقل إليه جميع تحركات سليم ونوابه.

وكان السلطان سليم قد عقد العزم على القضاء على إخوته وأولاد إخوته حتى يهدأ باله بداخليته ولا يبقى له منازع في الملك، فعين ابنه سليمان حاكماً للقسطنطينية، وسافر بجيوشه إلى آسيا الصغرى، فاقتفى أثر أخيه أحمد إلى أنقرة، ولم يتمكن من القبض عليه لوصول خبر قدومه إليه عن طريق الوزير "مصطفى باشا". لكن علم السلطان بهذه الخيانة فقتل الوزير شر قتلة جزاءً له وعبرة لغيره، ثم ذهب إلى بورصة حيث قبض على خمسة من أولاد إخوته بمن فيهم "علاء الدين" سالف الذكر، وأمر بقتلهم جميعاً.

وبعد ما توجه بسرعة إلى صاروخان مقر أخيه كركود ففر منه إلى الجبال، ويعد البحث عنه عدة أسابيع قبض عليه وقتل. أما أحمد فجمع جيشاً من محاربيه وقاتل الجنود العثمانية، فانهزم وقتل بالقرب من مدينة يكي شهر في يوم ٢٤ أبريل سنة ١٥١٢م، الموافق ١٧ صفر سنة ٩١٩هـ.

وبهذا استفرد سليم بالحكم واطمأن خاطره من جهة داخلية، فعاد إلى مدينة أدرنة حيث كان بانتظاره سفراء من قبل جمهورية البندقية ومملكة المجر ودوقية موسكو والسلطنة المملوكية، فأبرم مع جميعهم هدنة لمدة طويلة بما أن نظامه كانت متجهة إلى بلاد فارس التي كانت أخذت في النمو والاتساع في عصر ملكها، الشاه "إسماعيل الأول بن حيدر الصفوي".

الحملة الصفوية

ظهرت السلالة الصفوية الشيعية في إيران على يد الشاه "إسماعيل الأول بن حيدر الصفوي" عام ١٤٩٩ واستطاعت بزعامته أن تهدد بالخطر إمبراطورية العثمانيين في الشرق، حيث كان إسماعيل قد وسع من نفوذه وضم إلى ملكه عدداً من البلدان، فكان قد فتح ولاية شيروان، وجعل مركزه مدينة تبريز سنة ١٥٠١.

وبعدما فتح العراق العربى وبلاد خراسان وديار بكر سنة ١٥٠٨ وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد. وفى سنة ١٥١٠ كان قد ضم إلى أملاكه كل بلاد فارس وأذربيجان، وبذلك امتدت مملكته من الخليج العربى إلى بحر قزوين، ومن منابع الفرات إلى ما وراء نهر جيحون.

وكان إسماعيل قد فرض المذهب الشيعى على شعبه، وأعلنه مذهباً رسمياً للدولة فى إيزان، وكانت ردود الفعل عنيفة خاصة أن كثيراً من سكان المدن الرئيسية فى إيران مثل تبريز كانوا سنة. فقام باستمالة قبائل القزلباش التركية علوية المذهب إلى جانبه مما جعلهم عماد جيشه، وهى كانت بالأساس متذمرة من التدايير المالية والإدارية العثمانية بل وهيات السبيل لحدوث اضطرابات كبيرة فى الأناضول، مما جعله يعتمد عليهم بالقضاء على جميع معارضيه، وفرض المذهب الشيعى بالقوة، ففضى على دولة الخروف الأبيض وقد كانت تشكل حاجزاً بينه وبين العثمانيين. فباتت الدويلات الكردية والقبائل التركية فى جبال طوروس الصغرى، والأقليات المسيحية فى أرمينيا كلها من ممتلكات الشاه حسب ادعائهم. وعندما احتل بغداد عام ١٥٠٨ هدم ما كان فيها من قبور أئمة سنة وذبح جماعة من علمائهم، فسرت شائعة فى البلاد التركية بأن مذبحه عظيمة أصابت السنة ببغداد على يد الصفويين.

وفى ذات الوقت اتسمت العلاقات بين الصفويين والعثمانيين بالفتور، فبعد أن تسلّم السلطان سليم الحكم لم يصله سفير من إيران كما باقى الدول، فأدرك الجميع فى هذا الوقت بالذات أن الحرب ستقع بين سليم وخصمه الشاه إسماعيل. وكان سليم الأول ينظر بعين الارتياب إلى تحركات الصفويين، لاسيما بعد إرسال الشاه إسماعيل وفداً ضخماً إلى قنصوه الغورى سلطان المماليك، ضم ٢٠٠ عبد لإبلاغه عن تلك الحرب المتوقعة ودعوته للتحالف معه ضد السلطان سليم، حيث بين له أنه إن لم يتفقاً حاربت الدولة العثمانية كلاً منهما على حدة وقهرته وسلبت أملاكه، فعزم سليم على مهاجمة خصمه الصفوى وتسييد ضربة قوية قبل أن يستعد للنزال. لذلك أرسل هو الآخر وفداً إلى المماليك دعاهم إلى

التحالف، لكن بعد مباحثات طويلة أثار المماليك التزام الحياد، وإن كانوا يميلون لجانب الصفويين. أضف إلى ذلك أنه لما عصى السلطان سليم وإخوته والدهم السلطان بايزيد الثاني، ساعد الشاه إسماعيل الأمير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده واستقبل من فر من أولاده عنده، فكان هذا سبباً إضافياً جعل السلطان سليم يعتبر الشاه إسماعيل خصمه الألد ويقرر الانتقام منه.

السبب الرئيسي والاستعداد للحرب

بعدما فرغ السلطان سليم من مشاكله مع إخوته، وعقد الصلح مع جيرانه الأوروبيين لا سيما مع المجر، سعى لإيجاد سبب للحرب، فأمر بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد فارس بشرق الأناضول وقتلهم جميعاً، ويُقال إن عددهم كان يبلغ نحو الأربعين ألفاً من القزلباش رداً على مجازر الصفويين لسنة بالعراق وتبريز وأذربيجان، وحتى يقضى على أي تمرد قد يحدث مستقبلاً. عندئذ هبّ الشاه إسماعيل يطالب بتأثر هؤلاء، وهاجم آسيا الصغرى، فجمع السلطان سليم رجال الحرب والعلماء والوزراء في مدينة أدرنة بتاريخ ١٦ مارس سنة ١٥١٤م، الموافق ١٩ محرم سنة ٩٢٠هـ، وذكر لهم خطورة إسماعيل الصفوي في إيران، وأنه اعتدى على حدود الدولة العثمانية، وأنه عامل أهل السنة والجماعة بعنصرية في دولته وفي آسيا الوسطى والهند وأفغانستان وإنه يجب الذب عن إخوانهم في تركيا والعراق ومصر. ولهذا يرى ضرورة إعلان الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية. ولم يجد السلطان العثماني صعوبة في إقناع الحاضرين بضرورة محاربة الصفويين، وخرج بعد ٢ أيام من هذا الاجتماع على رأس جيش كبير من أدرنة إلى القسطنطينية متجهاً إلى الأناضول الشرقي فتبريز بعد أن أوكل أمر العاصمة لابنه سليمان.

وفي أثناء مسيره، تبادل السلطان سليم والشاه إسماعيل رسائل مقعمة بالسباب مرفقة بعدد من الأغراض، هدف كل منهما إلى التأثير على الآخر من خلالها. ولم يبد إسماعيل الصفوي حماساً للمعركة بسبب التفوق العددي للعثمانيين، وحاول أن يتجنب ملاقاته سليم فأرسل إليه بطلب الهدنة وتجديد علاقات السلم

والصداقة بين الدولتين، فلم يقبل سليم وقتل الرسول وأرسل إليه برسالة إعلان الحرب بشكل رسمى يقول فيها وباللغة التركية: «إن كنت رجلاً فلاقتى فى الميدان، ولن نمل انتظارك». وأرفقها بمجموعة من الألبسة النسائية والعمود وأدوات الزينة وذلك استهزاءً بشخص الشاه لتعريضه وتقاعسه من المسير إليه ويستعجله بالحرب، وكان الشاه عازماً على سحب العثمانيين إلى الجبال الإيرانية حيث تمكنه طبيعة الأراضى ومشاكل التموين من موازنة القوتين، ولكن ضغط قبائل القزلباش التى أغضبها اتهام العثمانيين لهم بالجبن ومطالبتها له بخوض غمار القتال جعله يقبل تحدى السلطان سليم وواعده بسهل "جالديران" فى أنديجان الغربية قائلاً له: وأنا أيضاً أعد العدة للحرب.

معركة جالديران

عسكر الجيش العثمانى فى صحراء "ياس جمن" على مقربة من سهل جالديران، ووصلت السلطان سليم أنباءً من جواسيسه تقول إن الشاه إسماعيل لا يترى القتال وأنه يؤخره إلى أن يحل الشتاء كى يهلك العثمانيون برداً وجوعاً فيكونوا لقمة سائغة للجنود الصفوية. فأسرع السلطان بالمسير إلى جالديران ووصلها فى شهر أغسطس من سنة ١٥١٤م واحتل المواقع الهامة بها واعتلى الأماكن الهضبية فيها، مما مكنه من السيطرة على مجرى المعركة بعد ذلك. فى صبيحة يوم الأربعاء ٢٣ أغسطس سنة ١٥١٤م، الموافق فى ٢ رجب سنة ٩٢٠هـ، كان الطرفان قد أعدا العدة للحرب واصطفا استعداداً لبدء المعركة. وما إن أعلنت ساعة البدء حتى هدرت المدافع العثمانية وتعالق أصوات الجند من كلا الفريقين. ويعد معركة جامية الوطيس، انتصر العثمانيون، وانكسر جيش القزلباش وسقط أقوى قائده "محمد خان استاجلو" صريعاً فى أرض المعركة ووقع الكثير من قادته بالأسر، وأسرت أيضاً إحدى زوجات الشاه، وتسمى "تاجلو خانم"، فلم يقبل السلطان أن يردّها لزوجها بل زوجها لأحد كتابه تشفياً بالشاه، وأما الشاه فقد جرح فى ذراعه وفر من المعركة متجهاً صوب تبريز بعد أن أنقذه أحد ضباطه ويدعى "الميرزا سلطان على" من الأسر، مما حدا بالسلطان بأمر قائده "أحمد باشا دوقاين

أوغلو" بتعقب الشاه، الأمر الذى جعله يترك تبريز ويلوذ بخوى. أما من وقع بالأسر من قوات الشاه إسماعيل، فقد أمر السلطان بإعدامهم جميعاً، وأن يصنع من جماجم القتلى هرما لينصب فى ساحة المعركة.

ما بعد چالديران

بعد انتصار العثمانيين فى معركة چالديران، فتحت مدينة تبريز أبوابها ودخلها السلطان منصوراً فى يوم ٤ سبتمبر سنة ١٥١٤ الموافق ١٤ رجب سنة ٩٢٠هـ، واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية. وبعد أن استراح ثمانية أيام، قام بجنوده وأخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤونة الكافية لجيوشه بها مقتفياً أثر الشاه إسماعيل، حتى وصل إلى شاطئ نهر أراس، ولم يستطع التقدم أكثر من ذلك، فقد لقي معارضة شديدة من أمراء جيشه، وكان المحرض الأول لهم قاضى عسكر الإنكشارية "جعفر چلبى"، بسبب اشتداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤونة اللازمة لهم، خصوصاً بعد أن أحرق جنود القزلباش المنسحبين من المعركة، وبأمر من الشاه إسماعيل، جميع المؤن والأرزاق والمحصولات الزراعية فى تبريز وضواحيها، وكذلك أثمرت الغارات الليلية التى كان يشنها جنود القزلباش على القوات العثمانية، ودخولهم تبريز لخطف وقتل الجنود العثمانيين، لذلك قرر السلطان إخلاء المدينة بعد أسبوع فقط من احتلالها ناقلاً معه آلاف من أبرز تجارها وحرفييها وعلمائها إلى الأستانة.

عاد السلطان سليم إلى مدينة أماسيا بآسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب فى أوائل الربيع، ومرّ فى أثناء عودته ببلاد أرمينيا لكنه لم يفتحها لعدم وجود الوقت الكافى لذلك. وعندما أقبل الربيع، رجع السلطان إلى بلاد فارس ففتح قلعة "كوماش" الشهيرة، وإمارة ذو القدر التركمانية سنة ١٥١٥ ثم رجع إلى القسطنطينية تاركاً لقواده مهمة فتح الولايات الفارسية الشرقية. ولما وصل السلطان إلى عاصمة ممالكة، أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الإنكشارية الذين كانوا سبب الامتناع عن التقدم فى بلاد فارس، وفى مقدمتهم قاضى العسكر "جعفر چلبى" سالف الذكر، خشية من امتداد الفساد وعدم الإطاعة فى

الجيوش. وبعد عودة السلطان للقسطنطينية، فتحت الجيوش العثمانية مدن ماردين وأورفة والرقّة والموصل وسنجار وحصن كيفا والعمادية وجزيرة ابن عمر، فخضع بهذا الجزء الأكبر من إقليم كردستان للدولة العثمانية، وأصبح الصفويون وجهاً لوجه مع العثمانيين، فبات من الصعب عليهم التوسع على حساب العثمانيين. وأطاعت كافة قبائل الكرد باختيارها، ونهض رؤساؤها لمساندة العثمانيين وأعلنوا ولاءهم للسلطان سليم، ولم يمض وقت طويل حتى انضمت ٢٣ مدينة للحكم العثماني، على الرغم من الاستحكامات العسكرية التي أقامها الصفويون بها، فعقد السلطان مع الأكراد اتفاقية صداقة وتحالف وذلك بفضل جهود الشيخ "إدريس البديسي"، الذي نصبه السلطان كمفوض للإدارة الأهلية بتلك الأقاليم مكافأة له على ما قدمه من خدمات للسلطنة.

الحملة المملوكية

كان لهذه الحملة أسباب عديدة منها الصراع على الحدود بين الدولتين وموقف المماليك من الصفويين وإيوائهم لأمراء عثمانيين فارين من السلطنة العثمانية واستغاثة أهل الشام بالعثمانيين من ظلم المماليك حيث كتبوا رسالة باسم العلماء والفقهاء والقضاة يطلبون من سليم الأول تخليصهم من ظلم المماليك الذي طال المال والنساء والعيال، كما عطلوا تطبيق الشريعة الإسلامية في حكم البلاد، وطلبوا أن يرسل السلطان وزيراً ثقة ليلتقى بكبار الرجال ليؤمن ويطمئن قلوب الشعب.

كان السلطان سليم، في أثناء حملته على الصفويين، قد اتصل بحاكم مرعش وألبستان، "علاء الدولة" أمير سلالة "ذى القدر" التركمانية التي كانت تسيطر على وادي طوروس من مرعش إلى ألبستان وملطية، حيث تلتقى منطقة نفوذ المماليك الشراكسة بالفرس، طالباً منه المساهمة في حرب الصفويين، لكن علاء الدولة اختلق الأعذار في عدم المجيء إليه، متعللاً بكبر سنه وأنه لا يستطيع القيام بأى مجهود لكونه تحت الحماية المملوكية. وما إن مضى السلطان في طريقه حتى هاجم علاء الدولة ساقّة الجيش بإيعاز من السلطان قنصوه الغوري، فأرسل

السلطان للغورى يخبره بما فعل علاء الدولة، فزد عليه الغورى بكتاب: "إن علاء الدولة عاص فإن ظفرت به فاقتله"، وفى نفس الوقت أرسل إلى علاء الدولة يشكره على فعله ويغريه بالاستمرار بتصلبه تجاه العثمانيين. وبسبب ذلك ترك السلطان سليم ٤٠ ألفاً من جنده ما بين سيواس وقيصرية، للحفاظ على الأمن بالأناضول من أى اختراق قد يحصل من أى جهة من الجهات التى تنافسه، ولحماية مؤخرة الجيش من أنصار الشاه وقوات ذى القدر. كذلك أرسل السلطان إلى قنصوة الغورى، قبل وصوله لجالديران، رسالة فيها تهديد مبطن يخبره بأن الدولة الصفوية غدت قاب قوسين أو أدنى من الزوال. ولم ينس السلطان فعلة علاء الدولة، فانتقم منه عند عودته، وذلك بأن أرسل الصدر الأعظم وابن أخى علاء الدولة "على بن شاهسوار" للقضاء عليه من جهة، ولإتمام السيطرة العثمانية على التخوم الشمالية للشام من جهة أخرى، ولم يعد الصدر الأعظم للسلطان إلا بعد قتل علاء الدولة فى أرض المعركة. ولما كان علاء الدولة قد اعترف قبل ذلك بسيادة المماليك عليه، فقد بدأ النزاع بين السلطان سليم وبين المماليك الذين كانوا يحكمون آنذاك الشام ومصر.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت هناك أسباب للنزاع بين سليم والمماليك أعمق من هذا بكثير. ذلك أن السلطان سليم كان يطمح - على ما يظهر - فى توحيد جميع البلدان السنية تحت تاجه، وانتزاع المدينتين المقدستين، مكة والمدينة المنورة، من أيدى المماليك. وقد خشى المماليك سياسة سليم التوسعية هذه، فعقدوا المحالفة سائلة الذكر مع الشاه إسماعيل الصفوى.

فتح الشام

أخذ السلطان سليم بالاستعداد لمحاربة المماليك بكل ما أوتى من قوة بعد أن تغلب على أمير سلالة ذى القدر، ولما عرف سلطان المماليك بتأهب سلطان آل عثمان لمحاربتة، أرسل إليه رسولاً يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين الفرس لإبرام الصلح، فلم يقبل سليم بهذا الأمر بل طرد السفير بعد أن أهانه، فلم يجد السلطان "قنصوة الغورى" بداً من الحرب، فسار إلى مدينة حلب على رأس جيش

كبير لكى يكون على استعداد لكل هجوم قد يشنه العثمانيون على الشام. ولم يكد السلطان سليم يعلم باحتشاد المماليك عند حلب حتى عقد ديوانه فى القسطنطينية لمشاورته فى الأمر، فقررّ الديوان إعلان الحرب على المماليك بعد أن يوفد إليهم سفراء يفاوضونهم فى الدخول فى طاعة السلطان سليم. وارتكب قنصوة الغورى غلطة سياسية كبيرة عندما أغلظ معاملة السفراء العثمانيين وأهانهم رداً على ما فعله سليم مع سفيره، فلم يكن بُدّ من نشوب الحرب بينه وبين السلطان سليم. وبعد هذه الحادثة، سار السلطان سليم بجيشه إلى بلاد الشام قاصداً مصر ومدينة القاهرة، مقرّ السلاطين المماليك.

واتصل السلطان الغورى بنائب دمشق من قبل المماليك، "جان بردى الغزالى"، وطلب منه أن يجمع الجيوش فى لبنان وسوريا ويسير لملاقاته فى حلب، فطلب الغزالى بدوره من أمراء لبنان، وعلى رأسهم "فخر الدين المعنى الأول"، أمير الشوف، أن يجمعوا قواتهم ويحضروا إليه. نزل فخر الدين الأول وياقى الأمراء عند رغبة الغزالى، ومشوا إليه على رأس قوّة من الجنود اللبنانيين. تقابل الجيشان، العثماني والمملوكى، بالقرب من مدينة حلب فى واد يُقال له "مرج دابق" وبهناك نشبت المعركة الحاسمة بين الفريقين التى قررت مصير سوريا كلها، وأبدى المماليك فى هذه المعركة ضروياً من الشجاعة والبسالة، وقاموا بهجوم خاطف زلزل أقدام العثمانيين، وأنزل بهم خسائر فادحة، حتى فكّر السلطان سليم فى التقهقر، وطلب الأمان، غير أن هذا النجاح فى القتال لم يدم طويلاً فسرعان ما دب الخلاف بين فرقتى المماليك المحاربة، حيث انقلب الغزالى على المماليك، وانضم هو وفخر الدين المعنى الأول إلى قوآت السلطان سليم، فقاتلا معه. وبذلك رجحت كفة العثمانيين على كفة قنصوة الغورى. وكان لسلاح المدفعية الذى عززه العثمانيون وأهمله المماليك كبير الأثر فى نصر العثمانيين. وقُتل السلطان الغورى أثناء انسحاب المماليك وسنّه ثمانون سنة، وكان ذلك يوم الأحد فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥١٦م، الموافق فى ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ.

وبعد هذه الواقعة احتل السلطان سليم بكل سهولة مدن حماة وحمص ودمشق،

وعين الغزالي والياً عليها مكافأة له على انحيازه للعثمانيين، وقابل من بها من العلماء، فأحسن وفادتهم. وفرق الإنعامات على المساجد وأمر بترميم المسجد الأموي بدمشق. ولما صلى السلطان الجمعة به، أضاف له الخطيب عندما دعا له عبارة "حاكم الحرمين الشريفين"، لكن سليماً فضّل استخدام لقب أكثر ورعاً هو "خادم الحرمين الشريفين"، واستمر باقي السلاطين من بعده يُلقبون به، وتوارثه بعدهم ملوك آل سعود في القرن العشرين. كذلك استقبل السلطان وفداً من أمراء لبنان جاء يهنئه بالنصر، وكان في عداد الوفد "فخر الدين المعنى الأول" أمير الشوف، و"عساف التركماني" أمير كسروان وجبيل، و"جمال الدين الأرسلاني". فألقى الأمير فخر الدين بين يدي السلطان سليم خطبة دعا له فيها بالعز والتوفيق وأن يجعل الله عهده عهد إسعاد للأمة الإسلامية. فأعجب السلطان ببلاغة فخر الدين إعجاباً شديداً، لا سيما أنه كان يفهم ويتحدث اللغة العربية بطلاقة، فقدم فخر الدين على سائر الأمراء اللبنانيين ومنحه لقب "سلطان البر" وأقره على ولاية الشوف وما جاورها، واعترف له بحق سلالته من بعده في أن يحكموها، كما أقر باقي الأمراء على مناطقهم. أما الأمراء التتوخيون الذين بقوا مواليين للمماليك أثناء معركة مرج دابق، فقد عزلهم السلطان سليم عن بلاد الغرب - أي المناطق الساحلية الواقعة بين بيروت وصيدا، وعين مكانهم الأمير جمال الدين الأرسلاني. ويضم بلاد الشام، وصلت مساحة الدولة العثمانية إلى ٢,٠٠,٠٠٠ كم^٢.

فتح مصر

بعد أن انتصر السلطان سليم على المماليك في سوريا، فتحت أمامه الطريق نحو فلسطين ومصر. هذا ولما وصل خبر موت السلطان الغوري إلى مصر، انتخب المماليك "طومان باي" خلفاً له، وأرسل إليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الباب العالي على القطر المصري، فلم يقبل وقتل المبعوثين العثمانيين، واستعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود. وبناءً على هذا، عزم السلطان سليم على قتال طومان باي، فاشتري عدة آلاف من الجمال وحملها

مقادير وافرة من المياه ليشرب منها جنده وهم يجتازون الصحراء إلى الأراضى المصرية. والتقت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام حيث هُزمت مقدمة المماليك، وتابع العثمانيون زحفهم نحو مصر، فاحتلوا مدينة غزة على الطريق وساروا عابرين صحراء سيناء حتى وصلوا بالقرب من القاهرة. وكان طومان باى مرابطاً فى الريدانية، وهى قرية صغيرة تقع على الطريق المؤدية إلى القاهرة، فجفر خندقاً على طول الخطوط الأمامية، ووضع مدافعه الكبيرة وأعد أسلحته وبنادقه وحاول شحن همة مماليكه وقواته. ولكن دون جدوى؛ فقد جبن كثير منهم عن اللقاء حتى كان بعضهم لا يقيم بالريدانية إلا فى خلال النهار حتى يراهم السلطان، وفى المساء يعودون إلى القاهرة للمبيت فى منازلهم. ولم يكن من شأن جيش كهذا أن يثبت فى معركة أو يصمد للقاء أو يتحقق له النصر، فحين علم طومان باى وهو فى الريدانية بتوغل العثمانيين فى البلاد المصرية حاول جاهداً أن يقنع أمراء بمباغثة العثمانيين عند الصالحية، وهم فى حالة تعب وإعياء بعد عبورهم الصحراء، لكنهم رفضوا، معتقدين أن الخندق الذى حفروه بالريدانية كفيل بحمايتهم ودفع الخطر عنهم، لكنه لم يغب عنهم شيئاً، فقد تحاشت قوات العثمانيين التى تدفقت كالسيل مواجهة المماليك عند الريدانية عندما علمت تحصيناتها، وتحولت عنها، واتجهت صوب القاهرة، فلاحق بهم طومان باى.

وفى ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ الموافق ٢٩ ذى الحجة سنة ٩٢٢هـ، التحم الفريقان فى معركة هائلة، وعلى الرغم من الخيانة التى بدرت من بعض ضباط المماليك، فقد أبدى سلاح الفرسان المملوكى شجاعة كبيرة فى ذلك اليوم، فلم تكد المعركة تبدأ حتى كرت ثلثة من فرسان المماليك المدججين بالسلاح الكامل على قلب القوات العثمانية حيث كانت تخفق راية السلطان الخاصة، وكان على رأس الثلثة طومان باى نفسه. والواقع أن السلطان سليم لم ينجُ من تلك الهجمة إلا بأعجوبة؛ فقد أخطأ طومان باى بينه وبين الصدر الأعظم "سنان باشا الخادم"، حيث قبض عليه وقتله بيده ظناً منه أنه السلطان سليم. غير أن ما أقدم عليه سلطان المماليك لم ينفخ شيئاً، فذهبت كل جهوده أدراج الرياح أمام المدافع العثمانية، فاضطر

طومان باى ومن بقى معه إلى الانسحاب إلى نواحي القسطنطينية، تاركين فى ساحة الريدانية آلاف القتلى. وبهذا انتصر السلطان سليم على المماليك واستعد لدخول القاهرة، وكان الثمن الذى دفعه كل من العثمانيين والمماليك فى هذه الحرب باهظاً للغاية، إذ بلغ مجموع خسائر الفريقين من الجنود حوالى ٢٥٠٠٠ جندي.

ما بعد الريدانية

ويعد المعركة ببضعة أيام، تحديداً فى يوم ٢٣ يناير سنة ١٥١٧ الموافق فى ٨ محرم سنة ٩٢٢هـ، دخل السلطان سليم مدينة القاهرة فى موكب حافل وقد أحاط به جنوده الذين امتلأت بهم شوارع القاهرة، يحملون الرايات الحمراء شعار الدولة العثمانية، وكتب على بعضها "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً"، وفى بعضها "نصر من الله وفتح قريب". ولم يكد السلطان يهنأ بهذا الفتح حتى باعته طومان باى فى "بولاق"؛ واشترك معه المصريون فى هذه الحملة المفاجئة، وأشعلوا فى معسكر سليم الأول النيران، وظن الناس أن النصر آت لا محالة، واستمرت مقاومة المماليك أربعة أيام وليال، وظهروا فيها على العثمانيين، حتى إنه خطب لظومان باى فى القاهرة فى يوم الجمعة، وكان قد دُعى لسليم الأول فى الجمعة التى سبقتها، غير أن هذا الفوز لم يحسم المعركة لصالح طومان باى؛ إذ سرعان ما لجأ الجنود العثمانيون إلى سلاح البنادق، وأمطروا به من فوق المآذن الأهالى والمماليك، فأجبروهم على الفرار، وفر طومان باى إلى "البهنا" التى تقع غربى القيل فى جنوب القاهرة. وذهب ضحية هذه المناوشات من العثمانيين والمماليك وأهالى المدينة ما يبلغ خمسين ألف نسمة.

ظل طومان باى يعمل على المقاومة بما تيسر له من وسائل، واجتمع حوله كثير من الجنود وأبناء الصعيد حتى قويت شوكته، غير أنه أدرك أن هذا غير كاف لتحقيق النصر، فأرسل إلى سليم يقاوضه فى الصلح، فاستجاب له السلطان العثماني، وكتب له كتاباً بهذا، وبعث به مع وفد من عنده إلى طومان باى، إلا أن بغض المماليك هاجموا الوفد وأفنوه عن بكرة أبيه، فحقق السلطان سليم وغضب غضباً شديداً، وخرج لقتال طومان باى بنفسه، والتقى الجيشان قرب قرية

"الوردان" بالجيزة حيث دارت معركة حامية استمرت يومين وانتهت بهزيمة طومان باى وفراره إلى البحيرة. وهنا أعلن السلطان سليم أنه يعفو عنّ يستسلم إليه من المماليك، فاستسلم ثمانمئة من زعمائهم إليه، ولكنه أمر بقتلهم جميعاً.

لجأ طومان باى إلى أحد مشايخ البدو بإقليم البحيرة طالباً منه العون والحماية فأحسن استقباله فى بادئ الأمر، ثم وشى به إلى السلطان سليم، فسارع بإرسال قوة للقبض عليه فأُتت به إليه. وكان السلطان قد أُعجب بشجاعة طومان باى وحزمه على القتال والدفاع عن ملكه على الرغم من كل العوائق، فلم يفعل شيئاً سوى معاتبته واتهامه بقتل أفراد الوفد الذى أرسله إليه للصلح، فنفى طومان باى التهمة عن نفسه، ويرر استمراره فى القتال بأن الواجب يُحتم عليه ذلك. وكاد السلطان من شدة إعجابه بجرأة وشجاعة طومان باى أن يعفو عنه، ولكنه لم يفعل تحت تأثير الوشاة الذين حرّضوا السلطان على قتله بحجة أن لإبقاء الملكة فى مصر ما دام طومان باى على قيد الحياة. عندئذ أمر السلطان بقتل طومان باى شنقاً، فنُفذ أمره فى ١٣ أبريل سنة ١٥١٧ الموافق فى ٢١ ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ بباب زويلة، ودُفن الجثمان فى القبر الذى كان السلطان الغورى قد أعدّه لنفسه. وبذلك انتهت دولة المماليك وسقطت الخلافة العباسية، وأصبحت مصر ولاية عثمانية.

مكث السلطان سليم بالقاهرة نحو شهر زار خلالها جميع المساجد التاريخية بالمدينة وكل ما بها من الآثار، ووزع على أعيان المدينة العطايا والخلع السنية، وحضر الاحتفال الذى يُقام فى مصر سنوياً لفتح الخليج الناصرى عند بلوغ النيل الدرجة الكافية لرى الأراضى المصرية، ثم حضر احتفال سفر قافلة الحجاج التى تُرسل معها كسوة الكعبة إلى الأراضى الحجازية وأرسل الصرة المعتاد إرسالها إلى الحرمين الشريفين، من عهد السلطان محمد "چلبى" الأول، بقصد توزيعها على الفقراء، وأبلغها إلى ثمانية وعشرين ألف دوكا. وفيما كان السلطان سليم فى القاهرة قدّم إليه شريف مكة، "محمد أبو نعى بن الشريف بركات"، مفاتيح الحرمين الشريفين كرمز لخضوعه وكاعتراف بالسيادة العثمانية على الأراضى

المقدسة الإسلامية؛ وكانت هذه السيادة لسلطين المماليك من قبل، وهكذا خضع الحجاز لسيطرة العثمانيين من غير حرب أو قتال. ومما جعل لفتح وادى النيل أهمية تاريخية عظيمة، أن محمد الثالث "المتوكل على الله"، آخر ذرية بنى العباس، الذى حضر أجداده القاهرة بعد الغزو المغولى لبغداد سنة ١٢٥٨ وكانت له الخلافة بمصر اسماً، تنازل عن حقه فى الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم، على الرغم من أن الأخير كان قد أعلن نفسه قبلاً خليفة للمسلمين فى دمشق، وسلّمه الآثار النبوية، وهى بيرق وسيف وعباءة نبى الإسلام "محمد بن عبد الله ﷺ". ومن ذلك التاريخ حمل كل سلطان عثمانى لقب "أمير المؤمنين" و"خليفة المسلمين".

وبعد أن أصبح السلطان خليفة للمسلمين، خلع على نفسه لقب ملك البرين، وخاقان البحرين، وكاشر الجيشين، وخادم الحرمين الشريفين - ويقصد بهذا، سيطرته على عدد من الدول الآسيوية والأفريقية، وبالتحديد مصر، الأناضول، ومعظم أنحاء الهلال الخصيب، وسيطرته على البحر المتوسط وما يتفرع عنه من بحور، والبحار المتفرعة من المحيط الهندى، وهزيمته للجيوش الصقوية والمملوكية، وحمايته للمدينتين المقدستين عند المسلمين، مكة والمدينة المنورة.

بداية الصدام مع البرتغاليين

نشط البرتغاليون عبر عملياتهم العسكرية البحرية على مدن المغرب العربى الساحلية بالإضافة إلى المحيط الأطلسى، فبعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح وضع البرتغاليون خطة كبرى هدفت الالتفاف حول العالم الإسلامى عبر المحيط الأطلسى، واقتضت الخطة السيطرة على المضائق المهمة التى تربط العالم العربى بالمحيط الهندى مثل مضيق هرمز وباب المندب واليمن وجزيرة هرمز وغيرها بحيث يتأمن الطريق للمستعمرات البرتغالية فى الهند.

أرادت البرتغال من هذه الخطة ضرب اقتصاد مصر وجمهورية البندقية واحتكار التجارة البحرية، وقد عين "الفونسو دى ألبوكيرك" قائداً لهذه الحملة البحرية، وقد كان من أفكار البوكيرك دخول البحر الأحمر وسرقة قبر النبى

محمد ومساومة المسلمين على القدس، بالإضافة إلى محاولة ربط النيل بالبحر الأحمر تمهيدا للهجوم على مصر.

تمكن البرتغاليون من السيطرة على المضائق الحساسة التي تربط العالم الإسلامي بالمحيط الهندي، وبعد سيطرتهم على جزيرة هرمز تكون حلف بين الشاه إسماعيل والبوكيرك ضد الدولة العثمانية، وأثرت سياسة الاحتكار هذه على النشاط الاقتصادي في دولة المماليك إبان سقوطها فلم تعد البضائع الشرقية تباع وتشتري في مصر بل في لشبونة عاصمة البرتغال، ولم تتمكن السلطنة المملوكية من قهر البرتغاليين لانشغال أسطولها في البحر المتوسط بمحاربة فرسان القديس يوحنا وجيوشها البرية بقمع الاضطرابات الداخلية وصد الجيوش العثمانية.

ضم الجزائر

وعندما تمكن العثمانيون من مصر في عهد السلطان سليم سارعوا إلى محاربة البرتغاليين وسار أسطول بحري بقيادة "مير على بك" إلى الساحل الأفريقي واستطاع تحرير مقديشو ومدناً أخرى وأنزل بالبرتغاليين خسائر فادحة. وفي هذه الفترة كان نجم أحد القباطنة المسلمين، واسمه "خير الدين بربروس باشا"، قد سطع. وخير الدين هذا من أصول يونانية، كان يعمل وأخاه "عروج" بالقرصنة ببحر الروم، ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان "محمد الحفصي" صاحب تونس واستمرّا في حرفتهما وهي أسر المراكب الأوروبية التجارية وأخذ كافة ما بها من بضائع وبيع ركابها وملاحيتها بصفة رقيق. وفي ذات يوم أرسل إلى السلطان سليم إحدى المراكب المأسورة إظهاراً لخضوعهما لسلطانه، فقبلها منهما، وأرسل لهما خلعة سنوية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو السفن البرتغالية ومساندة الدولة العثمانية في حربها ضد البرتغال، فقويت شوكتهما وأقدم خير الدين على الاستيلاء على ثغر مدينة "شرشال" بالجزائر، ثم عاد إلى تونس وأرسل إلى السلطان سليم بمصر رسولا يؤكد لديه إخلاصه وولائه للسدة السلطانية العثمانية.

أما عروج، فيعد أن أستولى على مدينة الجزائر وهزم الجيوش الإسبانية التي أرسلها الإمبراطور كارلوس الخامس المعروف باسم "شارلكان"، لمساعدة أمير الجزائر على المقاومة، فتح أيضاً مدينة "تلمسان"، وقتل في محاربة الإسبان بعد ذلك، فحفظ خير الدين المدن المفتوحة حديثاً ومنع الإسبان من السيطرة عليها وقتل أمير الجزائر.

وفي خضم الأحداث أرسل أهل الجزائر رسالة إلى السلطان سليم بمصر باسم الخطباء والفقهاء والعلماء والتجار والأعيان تطلب الانضواء تحت الراية العثمانية والمساعدة للوقوف في وجه الإسبان والبرتغاليين، فسارع السلطان سليم بفتح بربروس لقب "بكر بك الجزائر" وأرسل فرقة من المدفعية والفي إنكشاري وفتح الباب أمام المتطوعين للذهاب إلى الجزائر لمناصرة أهلها وخص المتطوعين بامتيازات الإنكشارية تشجيعاً لهم كما شرع العثمانيون بإنشاء أسطول بحري ثابت للجزائر، وصكت النقود باسم السلطان سليم الأول، ودعى له على منابر المساجد في خطب الجمعة، وبذا صار هذا الإقليم ولاية عثمانية.

ما بعد الفتوحات

في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً إلى القسطنطينية، التي صارت حينها مقر الخلافة الإسلامية، وكان سفره عن طريق بلاد الشام مصطحباً معه آخر بني العباس، وعيّن الأمير "خاير بك الجركسي" والياً على مصر، والأخير هو أحد أمراء المماليك الذين خانوا طومان باي وانضموا إلى السلطان سليم وعمل لديه سراً، وكان له دور كبير في انكسار جيش المماليك في مرج دابق والريدانية، حيث بث إشاعة أن السلطان "قنصوة الغوري" قُتل أثناء معركة مرج دابق، فتفرق شمل جيشه ووقعوا لقمةً سائغةً للعثمانيين، كذلك كان قد عمل على بث روح الهزيمة ونشر بذور الفتنة بين قواد المماليك في مصر، مما تسبب في سقوط دولتهم بعد معركة الريدانية.

ويروى ابن إياس أن لدى خروج سليم الأول من مصر أخذ معه كميات كبيرة من الكنوز والأموال. كما يروى أنه لدى احتلاله للقاهرة نقل أمهر فنانيها وحرفييها

إلى الأستانة. وترك السلطان بالمدينة حامية عسكرية لحفظ الأمن تحت قيادة "خير الدين أغا" الإنكشارى. وفى أثناء عبور الجيش العثمانى لصحراء العريش، التفت السلطان للصدر الأعظم "يونس باشا"، الذى كان فتح مصر على غير رأيه، وقال له ما معناه أنه قد أتم فتحها خلافاً لرأيه، فأجابه يونس باشا بأن فتحها لم يعد عليه بشيء إلا قتل نجو نصف الجيش بما أنه سلمها لخائن كان غرضه التملك عليها لنفسه، فلا يؤمن ولاؤه للدولة. فغضب السلطان من هذا الكلام الموجه إليه بصفة لوم وأمر بقتل الصدر الأعظم فى الحال فقتل، وكان ذلك فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٥١٧م، الموافق فى ٦ رمضان سنة ٩٢٣هـ، وعين بدلاً منه "پير محمد باشا"، الذى كان معيناً قائم مقام السلطان فى القسطنطينية أثناء تغيبه فى فتح مصر، لثقتة به بناءً على ما أظهره من أصالة الرأى فى محاربة الشاه إسماعيل.

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٥١٧م، الموافق ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣هـ، وصل السلطان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى ٥ مارس سنة ١٥١٨م، الموافق ٢٢ صفر سنة ٩٢٤هـ، ثم سافر إلى مدينة حلب بعد أن حضر الاحتفال بإقامة الصلاة لأول مرة فى المسجد الذى أقامه بدمشق على قبر الشيخ "محيى الدين بن عربى" فى ٥ فبراير من نفس السنة. وبعد أن أقام بحلب مدة شهرين ارتحل عنها قاصداً الأستانة، فوصلها فى ٢٥ يوليو، الموافق ١٥ رجب، وأقام بعد ذلك حفلاً ضخماً ومولداً نبوياً فى مسجد أيا صوفيا بمناسبة وصول الآثار النبوية إلى العاصمة، وأودعها فى جناح خاص فى قصر الباب العالى، ثم ارتحل عن العاصمة بعد عشرة أيام إلى مدينة أدرنة ليستريح من عناء السفر، وكان الأمير سليمان معيناً حاكماً على القسطنطينية طيلة غياب والده، وبعد وصول الأخير بعشرة أيام استأذنه الأمير سليمان بالسفر إلى ولاية صاروخان المعين والياً عليها.

وفى أثناء إقامة السلطان بمدينة أدرنة، وصل إليه سفير من قبل مملكة إسبانيا ليخبره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس التى كانت تابعة قبلاً للسلطنة المملوكية، وأصبحت خاضعة للدولة العثمانية، فى مقابل دفع المبلغ الذى كان يدفع

سنوياً للمماليك، فأحسن السلطان مقابلاته وصرّح بقبوله ذلك إذا أرسل ملكه رسولاً آخر مخولاً له حق إبرام معاهدة مع الباب العالي، وكذلك أتى إليه سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين. متأخر الخراج المقرر على البنادقة نظير بقائهم فى جزيرة قبرص.

ترتيبات السلطان الداخلية

الإصلاحات العسكرية

كان للعصيان الذى أظهرته الإنكشارية بعد معركة چالديران ورفضها تتبع أثر الشاه إسماعيل ومن معه إلى الجبال الإيرانية أثر كبير على قرار السلطان سليم بتغيير نظام تعيين ضباط هذه الفئمة، لا سيما أن المحرّضين على التمرد كانوا من كبار الضباط وعلى رأسهم قاضى العسكر "جعفر چلبى". ويعد أن قتل السلطان سليم قاضى العسكر وجميع من حرّض على هذه الفتنة، جعل لنفسه حق تعيين قائدهم العام، ولم يكن من بينهم، ليكون له بذلك السيطرة الفعلية عليهم، وكان النظام السابق يقتضى تعيين القائد العام من أقدم ضباط الإنكشارية.

• إصلاح البحرية:

أهمل العثمانيون بناء المرافئ والترسانات البحرية لتصنيع السفن الحربية فى مدينة القسطنطينية بعد أن افتتحها جد السلطان سليم، محمد الثانى "الفاتح"، فقد اكتفى الأخير، وابنه بايزيد الثانى من بعده، بأن احتفظا ببعض السفن الحربية فى مضيق القرن الذهبى بوصفه مرسى طبيعيا للسفن، واقتصر عملها على حماية الشواطئ والمياه الإقليمية من أعمال القرصنة والتعدى. وفى شهر أغسطس من سنة ١٥١٨ عزم السلطان سليم على بناء ترسانة بحرية ضخمة بغية إنشاء أسطول مكوّن من السفن الحربية الكبيرة، لمواجهة السفن البرتغالية بعد أن اشتد خطر البرتغال على العالم العربى ومهد الإسلام، ولاستخدامه فى الغزوات البحرية. واختار السلطان مضيق القرن الذهبى لإنشاء المرسى، فعمل المهندسون والمعماريون بكده حتى أصبح للعثمانيين أسطول بحرى متميز. وأحضر السلطان أمهر القباطنة والملاحين العرب والمماليك لقيادة السفن الجديدة، لكنه لم يقدر له

أن يرى ثمار هذا الأسطول، إذ توفى قبيل القيام بأى فتوحات أو غزوات بحرية.

العمران والبناء

كان للسلطان بضعة إنجازات معمارية نظراً لقصر فترة حكمه ولانشغاله بالغزوات والفتوحات طيلة أيامه. بنى السلطان سليم عدداً كبيراً من المساجد ورمم البعض الآخر، ومن أبرز هذه المساجد: مسجد فاتح باشا ومسجد ألبستان فى ديار بكر، ومسجد ابن العرى فى دمشق، وترميمه للمسجد الأموى، وبدأ العمل فى عهده على بناء مسجد يحمل اسمه، ولم يكتمل إلا بعد وفاته. كذلك بنى السلطان بضع مدارس وتكايا وزوايا للمتصوفين، وحوّل أجمل كنائس القسطنطينية إلى مساجد، مع إيقائه على يمين جدّه، السلطان محمد الفاتح، لبطريك الروم الأرثوذكس آنذاك، بعدم مس نصف الكنائس الثانى الذى تركه لهم بعد فتح المدينة.

اهتمامه بالأدب

كان السلطان سليم محباً للأدب والشعر والتاريخ، ورغم قسوته فإنه كان يعيل إلى صحبة رجال العلم، وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التى تحكى أمجاد الماضى، وفى هذا انعكاس لشخصيته، حيث وصفه عدد من معاصريه أنه "بطل ملحمى". كان سليم أيضاً شاعراً متميزاً يتقن اللغات التركية والفارسية والعربية وينظم بها الشعر تحت الاسم المستعار "مهّلس سليمى"؛ وما زالت مجموعة من أشعاره بالفارسية باقية حتى اليوم فى إسطنبول وفى برلين بعد أن نقلها إلى هناك الإمبراطور "فيلهلم الثانى" سنة ١٩٠٤.

وفى إحدى أبرز قصائده، كتب السلطان يقول: «إن سجادة تكفى صوفيين اثنين، ولكن العالم كله لا يكفى للمكين» وفى هذا إشارة إلى نزاعه مع الشاه إسماعيل وسلطان المالك على زعامة الشرق الأوسط.

زوجاته وأولاده

تزوج السلطان سليم بامرأة واحدة حسب الظاهر، وأنجب منها عدداً من الأولاد،

غير أن بعض المؤرخين يقول بأن السلطان تزوج بأربع نساء، إلا أنه ليس هناك من أدلة كثيرة تدعم هذا القول. وزوجة السلطان سليم هي "عائشة حفصة خاتون" المولودة سنة ١٤٧٩ وقد اختلف المؤرخون في تحديد أصلها، لكن يُرجَّح أنها ابنة "منكلى كراى الأول"، خاقان القرم.

أنجب السلطان عدداً من الأولاد الذكور بحسب ما تقول بعض المصادر، هم: سليمان، أورشان، موسى، وكركود، توفى ثلاثة منهم في صغرهم عدا الأمير "سليمان". وتنص مصادر أخرى على أن هؤلاء الأمراء بقوا أحياء يرزقون في عهد أبيهم وأخيهم من بعده.

كذلك يُقال بأنه كان للسلطان عشر بنات، منهن: "السلطانة بيهان"، "السلطانة خديجة هانم"، "السلطانة حفصة"، "السلطانة فاطمة"، "السلطانة بنيهان"، "السلطانة شاه"، و"السلطانة هائم خاتون".

وفاته وإرثه

بعد عودة السلطان سليم من مصر، انهمك بتجهيز أسطول بحرى ضخم لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحراً بعد أن لم يتمكن جدّه، السلطان محمد الفاتح، من غزوها في أيامه، ويُقال أيضاً أنه كان يُحضّر لحملة على المجر، كذلك كان يستعد لمحاربة الشاه إسماعيل الصفوى مجدداً بعد أن تحالف مع البرتغاليين ضده وسمح لهم بإقامة مراكز حصينة على الجزر الفارسية الواقعة في الخليج العربى. جمع السلطان خمسة عشر ألف جندي من المشاة تحت قيادة "فرحات باشا" بيلر بك الأناضول، وأرسل إليهم عدداً عظيماً من المدافع والذخائر، وسار إليهم من القسطنطينية إلى أدرنة لقيادتهم في الحملة.

وفي هذه الفترة أصيب السلطان بمرض عضال يقول البعض إنه كان الجمرة الخبيثة، ويخمنون أنه أصيب به لشدة تعرضه للمجث في ساحات المعارك واستنشاق روائح الأجساد المتحللة، بالإضافة إلى سفره إلى بلدان ذات مناخات مختلفة ومتناقضة أشد النقيض وتعرضه لما في جوها من أدواء. ويقول آخرون أن ما أصيب به السلطان لم يكن سوى سرطان جلدى أصيب به جرأ تعرضه الطويل

لأشعة الشمس خلال غزواته وسفره على صهوة جواده بينما يقول البعض أنه جرى تسميته من قبل طبيبه الخاص الذى كان يداويه وعلى الرغم من أنه استمر السلطان بسيره إلى أدرنة لإتمام مشروع فتح رودس، لكن لم يمهل المنون ريثما يتم ذلك، فعالجه فى رحلته هذه، وتوفى فى يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠م، الموافق ٩ شوال سنة ٩٧٥هـ، فى السنة التاسعة لحكمه وحوالى الخمسين من عمره.

وأخفى طبيبه الخاص خبر موته عن الحاشية ولم يبلغه إلا للوزراء، فاجتمع كل من پير محمد باشا وأحمد باشا ومصطفى باشا، وقرروا إخفاء هذا الأمر حتى يحضر الأمير سليمان من إقليم صاروخان خوفاً من أن تثور الإنكشارية كما هى عادتهم عند تولى كل سلطان. فأرسل إلى سليمان خبر موت أبيه، فقام قاصداً القسطنطينية ودخلها فى يوم ٢٩ سبتمبر، الموافق فى يوم ١٦ شوال، من نفس السنة، وبعد ظهر ذلك اليوم وصل الصدر الأعظم پير محمد باشا من أدرنة وأخبر عن وصول جثمان السلطان سليم فى اليوم التالى. وعند ظهر يوم ٣٠ سبتمبر وصل الجثمان، فخرج السلطان سليمان والوزراء والأعيان لمقابلة النعش خارج المدينة، ثم ساروا فى موكب الجنائز حتى واروا سليمان التراب على أحد مرتفعات المدينة، حيث كان يبنى مسجداً يحمل اسمه، وأمر السلطان ببناء مدرسة وعمارة لإطعام الفقراء صدقة على روح والده.

يروى المؤرخون الذين عاصروا السلطان سليم الأول أنه كان رجلاً قارع الطول، عريض المنكبين، وذا شارب عظيم وقيل بأنه كان يضع أقرطاً فى أذنيه، لكن عدداً من المؤرخين يشك بصحة هذا الأمر، ذلك لأن وضع الرجل لأقرط محرم فى الإسلام، بما أنه يُعتبر تشبهاً بالنساء. كذلك فقد كان عصبى المزاج سريع الغضب وذا شخصية ملحمية كما أبطال الروايات. ويؤخذ عليه ميله لسفك الدماء، فكان سريع الفتك بمن يعارضه، مسرفاً فى قتل خصومه لا يعرف العفو مطلقاً، فقتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية. وكان كل وزير مهدداً بالقتل لأقل هفوة، حتى صار يُدعى على من يُرام موته بأن يصبح وزيراً له. وفى إحدى الروايات أن أحد وزرائه طلب منه مازحاً أن يخبره مقدماً بتاريخ إعدامه، حتى يرتب أمره، فرد عليه

السلطان يقول بأنه فى الواقع كان يفكر لفترة من الوقت فى إعدامه إلا أنه لم يجد بعد البديل المناسب، ولكنه وعده بإخباره بمجرد العثور على البديل. ويجمع المؤرخون أنه على الرغم من فظاظته، فقد كان سليم الأول فاضلاً ذكياً، بعيد الغور، وصاحب رأى وتدبير وحزم، وأنه على الرغم من قصر مدة ولايته، فإنه حضرّ الدولة العثمانية لتصل أعلى درجات الكمال والازدهار فى عهد ابنه سليمان. وهناك ماثورة شهيرة مفادها أن سليم ملأ الخزينة الملكية حتى أتخمت ثم أقفلها بختمه الشخصى، وقال: "إذا استطاع شخص أن يملأ الخزينة أكثر من ذلك، فليقلها بختمه"، أى بدلاً من ختم سليم، لكن الخزينة ظلت مغلقة بختم الأخير حتى انهيار الدولة العثمانية بعد حوالى ٤٠٠ سنة. وقد أطلق اسم هذا السلطان على عدد من المواقع فى تركيا وخارجها، مثل مسجد السلطان سليم القاطع فى مدينة مانهايم بألمانيا وقد خلد المصريون ذكره فأطلقوا اسم سليم الأول على أطول شارع بحى الزيتون بالقاهرة.





تذكر يد عبد العزيز

الأمير المسعود



* من القبران إلى السليوان
* الزوجة الحسية والزوجة المصيبة
* هند الفاسي تصطاد بالسكر الأسود
* الأمير يمارس العصر بعد العصر
* حفلات مجنون وشهوة وفصاح عالية
* عائلة الفاسي أفسدت الدين والأخلاق
* مطربون وضحكيون خدام في بلاط هند
* ماتت هند... وعاد الأمير... فهل يعود الملك؟



كل ابن آدم خطاء

لا تعرف البشرية معصوماً من الخطأ والخطيئة إلا الأنبياء ، فالغصمة واجبة في حقهم لأنهم من المصطفين والأخيار المكلفين بتبليغ رسالة ربهم بصدق وأمانة لمن أرسلوا إليهم ، لذا فالخيانة والكذب والخطيئة مستحيلة في حق الأنبياء لكن أبناء الأنبياء وإن استقاموا على الجادة وآمنوا بما آمن به أبائهم إلا أن بعض أبناء الأنبياء شد وأخطأ ومارس الخطيئة علناً إما بالقتل أو الكفر أو التآمر والمكر كما حدث في قصة قابيل بن آدم عليه السلام الذي أسره جمال أخته وأحبها وطلب الزواج منها حتى كان أمر القرين فتقبل الله من أخيه هابيل قربانه بما يعنى أنه فاز بالجميلة فغلى الدم في رأس قابيل وقال: لأقتلك وقاتل أخاه ، نفس الحال مع ابن سيدتنا نوح وقد أبى أن يؤمن بما آمن به أبوه متأثراً بخيانة أمه لزوجها نبي الله ورفض أن يقفز إلى سقينة المؤمنين وقال : سأوى إلى جبل يعصمني من الماء .. وقاض الطوفان ومات غريقاً كافراً .. كما أن إخوة يوسف عليه السلام لما استبد الحسد بقلوبهم على أخيهم يوسف تأمروا على قتله والقوه في ضياع الجب، وفي سورة يوسف كثير من التفاصيل ... إذن خطيئة أبناء الأنبياء واردة لأنهم غير معصومين ، والأمر كذلك فإن أبناء الملوك بما ينعمون من ترف العيش وحماية السلطان وتربحهم فوق رأس القاتون . في كثير من الممالك ، هم أقرب إلى الخطيئة والخطأ رغم ما يشاع عن تربيتهم في جامعات البروتوكول الملكي وآداب الملوك .. !!

لكن وكما يبدو في قصص القرآن أن المرأة شريك أساسي وفاعل مرفوع بالكيد العظيم في انحرافات هؤلاء الأبناء . فإن المرأة في حياة أبناء الملوك والرؤساء طوخت بوقارهم بعدما تلاعبن بعواطفهم واستثرن شهواتهم فسلموا قيادتهم للنساء فاستنوق الجميل !! وفي حفلات المجون والدلال ذهب كل شيء .. المروءة والوقار وتساوى أبناء الملوك والرؤساء المنحرفين مع أبناء الدهماء والرعاع . ذلك أن سنن الله لا تجامل ، والهداية لا تورث ولا الكفر يورث ولا الخطيئة قد " كل

نفس بما كسبت رهينة "

إن الأمير تركى بن عبد العزيز آل سعود صورة واضحة لما يمكن أن يجزى فى بيت الملوك وعلى أبناء الملوك، فهو عضو بارز فى أشهر العائلات الملكية فى العالم الآن خاصة أن الدولة تحمل اسم الجد الأكبر " سعود " وهى السعودية .. والرجل بدأ حياة كريمة وهو أمير يترقى فى التعليم فى مدرسة الأمراء وأتم حفظ القرآن وبدأ يمارس حياته العملية بجد ونشاط حتى وصل إلى رتبة نائب وزير الدفاع السعودى ، ومن حوله أسرته الكريمة حتى سقطت عليه المرأة ككسف من السماء ساقطاً " فاستبد بقلبه الحب وسقط الأمير فى بحر الهوى وهو لا يعرف فن الحوم وبنّت هند الفاسى مملكتها المتفسخة المنتهكة على شرف ووقار الأمير حتى ملأت فضائحتها أجواء الفضاء صورة وضوحاً وسطوراً وياتت الأسرة السعودية المالكة فى أزمة حقيقية بسبب فضائح زوجة الأمير الشقيق قطردوه ومعه عشيقته هند خارج المملكة ٢٧ عاماً قضاها منفياً فى مملكة الإغراء التى أسستها هند بجمالها الفتان بل والفتاك بعد ما تزوجته بتعويذة سحر مما اشتهر به بنو وطنها فى المغرب العربى من سحر الجلب وتزويج العانس وعودة الحبيب ، وسلب العقل والقلب وغيرها من تعاويند السحر التى يشتهر بها أهل المغرب العربى وكان الأمير ضحية تعويذة من تلك التى تسلب العقل والقلب فخر صريعاً تحت إغوائها وشهواتها وشطحاتها بلا عمل رسمى ولا مركز مرموق إلا أنه زوج الأميرة هند الفاسى التى أوردته المهالك وأساءت إلى سمعة عائلته بلا حدود ...

فما هى قصة الأمير التائه تركى بن عبد العزيز ...

ومن هو ومن هى هذه الأميرة اللعوب هند الفاسى صاحبة أشهر حفلات المجون والشذوذ ... والفضائح فى مجتمع الأميرات 119

الأمير تركى فاكهة البيت الملكى

اشتهر الأمير تركى بن عبد العزيز بفاكهة البيت الملكى فى مملكة عبد العزيز آل سعود فقد حظى بحب وافر من والده الملك رغم أنه متأخر فى ترتيب الأبناء فهو رقم ٢٧ بين أبناء الملك الـ ٧٠ ... لما عرف عنه من نجابة ونباهة وطيبة القلب وحب

الخير ، فأحبه أبوه وأحبه إخوته حبهم للفاكهة اللذيذة وكان يحق يستحق كل هذا الحب !!

تسليه الملكي

أبوه

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود المولود في ١٨٧٣ م في الرياض لأسرة آل سعود الحاكمة في نجد، ولما بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى منفاه في الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود وقضى طفولته في الرياض حتى بلغ سنه ٢٨ سنة عاد محارباً حتى استرد الرياض سنة ١٩٠١ م .

تزوج الملك عبد العزيز الأميرة حصة السديري بعد ١٠ زيجات سبقتها وأنجب منها ١٤ ولداً وبناتاً .. تركي هو تاسع أبنائها .

وهذه قائمة بزيجات الملك وجواريه نحو ٢٢ زوجة وجارية .

الزوجة .

الأميرة شريفة بنت صقر الفجري

- لم ينجب منها .

الأميرة وضحي بنت محمد العريعر

- الأمير تركي الأول والملك سعود والأميرة منيرة .

الأميرة هيلة بنت صالح بن إبراهيم الريدي

- لم ينجب منها .

الأميرة نورة بنت حسن السلیمان آل رشيد

- لم ينجب منها .

الأميرة سارة بنت عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود

- لم ينجب منها .

الأميرة هيا بنت حسن آل مهنا

- لم ينجب منها .

الأميرة لؤلؤة بنت صالح الدخيل

. الأمير فهد الأول (توفى صغيراً).

الأميرة طرفة بنت عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ

. الملك فيصل والأميرة نورة الأولى.

الأميرة الجوهرة بنت مساعد بن جلوي آل سعود

. الأمير محمد والملك خالد والأميرة العنود والأميرة الجوهرة الأولى (توفيت

صغيرة).

الأميرة الجوهرة بنت سعد بن عبد المحسن السديري

. الأمير سعد الثاني والأمير مساعد والأمير عبد المحسن والأميرة حصة

والأميرة البندري.

الأميرة حصة بنت أحمد السديري

. الأمير سعد الأول (توفى صغيراً) والملك فهد والأمير سلطان والأمير عبد

الرحمن والأمير تركي الثاني والأمير نايف والأمير سلمان والأمير أحمد والأميرة

فلوة (توفيت صغيرة)، والأميرة شعيب (توفيت صغيرة) والأميرة موسى (توفيت

شابة) والأميرة لؤلؤة والأميرة لطيفة والأميرة الجوهرة الثانية والأميرة جواهر.

الأميرة فهدة بنت العاصي بن كليب بن شريم الشمري

. الملك عبد الله والأميرة صيئة والأميرة نوف.

الأميرة هيا بنت سعد بن عبد المحسن السديري

تزوجها بعد وفاة أختها الجوهرة

. الأمير بدر والأمير عبد الإله والأمير عبد المجيد والأميرة مشاعل والأميرة نورة

الثانية.

الأميرة موسى

. الأمير ماجد والأمير سطاتم والأميرة هيا والأميرة سلطنة.

الأميرة نوف بنت نواف بن نوري الشعلان

. الأمير ثامر والأمير ممدوح والأمير مشهور.

الأميرة لجة بنت خالد بن حثلين
الأميرة سارة.

الأميرة موسى بنت سلطان آل منديل
الأميرة شيخة.

الأميرة بزة الثنى
الأمير بندر والأمير فواز.

الأميرة جواهر بنت محمد بن طلال الرشيد
لم ينجب منها.

الأميرة جوزاء بنت ماجد بن حمود بن عبيد الرشيد
لم ينجب منها.

الأميرة منيرة بنت فيصل بن حمود بن عبيد الرشيد
لم ينجب منها.

الأميرة نورة بنت ناصر بن محمد الشبيلي
لم ينجب منها.

الأميرة نورة بنت سعد العريفي
لم ينجب منها.

الأميرة بزة

الأمير ناصر.

الأميرة شهيدة

الأمير منصور والأمير مشعل والأمير متعب والأميرة قماش.

الأميرة منيرة

الأمير طلال الثاني والأمير نواف والأميرة مضوى.

الأميرة بشرى

الأمير مشاري.

الأميرة بركة

* الأبناء الذكور:

١. الأمير تركي الأول (توفي في ١٩١٩).
٢. الملك سعود (توفي في ١٩٦٩).
٣. الملك فيصل (توفي في ١٩٧٥).
٤. الأمير محمد (توفي في ١٩٨٨).
٥. الملك خالد (توفي في ١٩٨٢).
٦. الأمير ناصر (توفي في ١٩٨٤).
٧. الأمير سعد (توفي في ١٩٩٣).
٨. الأمير منصور (توفي في ١٩٥١).
٩. الملك فهد (توفي في ٢٠٠٥).
١٠. الأمير بندر.
١١. الأمير مساعد.
١٢. الملك عبد الله.
١٣. الأمير عبد المحسن (توفي في ١٩٨٥).
١٤. الأمير مشعل.
١٥. الأمير سلطان (توفي في ٢٠١١).
١٦. الأمير عبد الرحمن.
١٧. الأمير متعب.
١٨. الأمير طلال.
١٩. الأمير مشاري (توفي في ٢٠٠٠).
٢٠. الأمير بدر.
٢١. الأمير تركي الثاني.
٢٢. الأمير نواف.
٢٣. الأمير نايف.
٢٤. الأمير فواز (توفي في ٢٠٠٨).

٢٥. الأمير سلمان.
٢٦. الأمير ماجد (توفى في ٢٠٠٣).
٢٧. الأمير ثامر (توفى في ١٩٥٨).
٢٨. الأمير ممدوح.
٢٩. الأمير عبد الإله.
٣٠. الأمير سطاتم.
٣١. الأمير أحمد.
٣٢. الأمير هنذلول.
٣٣. الأمير عبد المجيد (توفى في ٢٠٠٧).
٣٤. الأمير مشهور.
٣٥. الأمير مقرن.
٣٦. الأمير حمود (توفى في ١٩٩٤).

• البنات :

١. الأميرة نورة الأولى (متوفاة).
٢. الأميرة منيرة (متوفاة).
٣. الأميرة سارة (متوفاة).
٤. الأميرة شيخة (متوفاة).
٥. الأميرة العنود (متوفاة).
٦. الأميرة الجوهرة الأولى (متوفاة).
٧. الأميرة دليّل.
٨. الأميرة موسى (متوفاة).
٩. الأميرة حصّة.
١٠. الأميرة البندري (متوفاة).
١١. الأميرة قماش (متوفاة).
١٢. الأميرة صيّتة (متوفاة).

١٣. الأميرة نواف.
١٤. الأميرة هيا (متوفاة).
١٥. الأميرة سلطانة (متوفاة).
١٦. الأميرة نورة الثانية.
١٧. الأميرة مشاعل.
١٨. الأميرة مضوى.
١٩. الأميرة جوزاء.
٢٠. الأميرة فلوثة (متوفاة).
٢١. الأميرة شعيع (متوفاة).
٢٢. الأميرة لؤلؤة (متوفاة).
٢٣. الأميرة لطيفة.
٢٤. الأميرة جواهر.
٢٥. الأميرة الجوهرة الثانية.
٢٦. الأميرة عبطاء.
٢٧. الأميرة طرفة.

❖ أمه:

حصة بنت أحمد السديري..

- الأميرة حصة بنت أحمد بن محمد بن أحمد السديري (١٩٠٠ - ١٩٦٩) زوجة ملك السعودية عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، وهي ابنة خالة الأمير أحمد بن محمد بن أحمد السديري.. تنتمي إلى السدارى من البداريين من الدواسر، وهم أمراء بلدة الغاط في سدير منذ مايزيد عن أربعة قرون ولاتزال موطن عائلة السديري حتى اليوم.

وكانت قد طلقت من الملك عبدالعزيز، وتزوجت بعده من أخيه الأمير محمود وأنجبت منه ابناً واحداً هو عبدالله وشقيقته، وبعد ذلك طلقها وعادت للملك

عبد العزيز وأنجبت عددا من الأبناء والبنات.

الإخوة الأشقاء:

- الأمير سعد الأول بن عبد العزيز آل سعود (توفى صغيراً).
- الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود.
- الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.
- الأميرة موسى بنت عبد العزيز آل سعود.
- الأميرة لولوة بنت عبد العزيز آل سعود.
- الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.
- الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود.
- الأميرة لطيفة بنت عبد العزيز آل سعود.
- الأمير تركي الثاني بن عبد العزيز آل سعود.
- الأميرة جواهر بنت عبد العزيز آل سعود.
- الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود.
- الأميرة الجوهرة بنت عبد العزيز آل سعود.
- الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود.
- الأمير أحمد بن عبد العزيز آل سعود.

الأمير فاكهة الأسرة

ولد تركي الثاني بن العزيز سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م نشأ وترى على يدي والده الملك عبد العزيز وكما يصف أحد الكتاب تربية الملك عبدالعزيز لأبنائه بقوله : " وقد تربوا جميعهم تربية إسلامية صحيحة ونشأوا على جانب كبير من التواضع والخلق الحميد ، يعطف كبيرهم على صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، حتى أن الواحد منهم ليحترم أخاه الذي يكبره في السن وإن كان قليلاً ، فلا يتقدم عليه ولا يجلس ولا يتكلم إلا بإذنه ، وهم متحابون ، متساندون في كل أمر من الأمور وفي كل حالة من الحالات " وهو تركي الثاني بعد وفاة أخيه تركي الأول أكبر أبناء عبد العزيز وتوفى ١٩١٩م.

درس الأمير تركي بن عبد العزيز في مدرسة الأمراء التي أنشأها الملك عبد العزيز لتعليم أبنائه عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م والتي كان يديرها الشيخ عبد الله عبد الغنى خياط ويساعده في إدارتها الأستاذ أحمد بن علي الكاظمي ويدرس بها الشيخ صالح الخزامي ونخبة من العلماء والمتقنين كلفهم الملك عبد العزيز بالتدريس لأبنائه .

وقد التحق الأمير تركي بن عبد العزيز بالمدرسة منذ افتتاحها في ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م وقد ذكر أحمد بن علي الكاظمي أصحاب السمو الملكي الأمراء الذين حضروا منذ ذلك اليوم وهم " بندر ومساعد وعبد المحسن ومشعل وسلطان وطلال ومشاري وبدر وتركي " ثم ذكر أنه التحق بهم فهد بن محمد بن عبد العزيز وفهد بن سعود بن عبد العزيز وفيصل بن سعود بن عبد العزيز".

كما ذكر الكاظمي أن الأمير تركي بن عبد العزيز ختم القرآن الكريم وأنه من الدفعة الثانية التي تخرجت وهم بدر وتركي و نايف وسلمان وفواز وماجد .
تولى الأمير تركي بن عبدالعزيز إمارة الرياض بالنيابة في ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م ، لسفر صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بمعية الملك سعود بن عبد العزيز إلى لبنان .

في عام ١٣٨٠هـ صدرت موافقة المقام السامي بتكليف صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبد العزيز بعمل إمارة الرياض مدة الإجازة الرسمية لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .

تولى الأمير تركي بن عبد العزيز نائباً لوزير الدفاع عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م وذلك بصدور الأمر الملكي بتعيينه نائباً لوزير الدفاع والطيران في ١٣٨٩هـ .

قام سموه خلال فترة عمله بإنجاز العديد من الأعمال التي كان لها دور في تطوير وزارة الدفاع فزار في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م بريطانيا بدعوة من وزير التكنولوجيا البريطاني، وأشرف على احتفال كلية الملك عبد العزيز في الرياض بتخريج الدورة الأولى للضباط الجامعيين، كما رعى حفل تخريج الدورة الثانية من طلاب كلية القيادة والأركان ، واشترك مع الملك الحسين بن طلال في حضور

المناورات السعودية المشتركة في الأردن عام ١٣٩٣هـ .
كما عنى سموه بالرعاية الصحية للقوات المسلحة السعودية، فوقع عام ١٣٩٤هـ
بالبطائف اتفاقية الخدمات الصحية لمستشفيات القوات المسلحة مع شركة ويتكر
الأمريكية.

صدر في عام ١٣٩٤هـ مرسوم ملكي بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير تركي
بن عبد العزيز نائباً لوزير الدفاع والطيران بمرتبة وزير .
في عام ١٣٩٥هـ قام سموه بزيارة رسمية إلى دمشق على رأس وفد عسكري
وتفقد القوات السعودية المرابطة في سوريا .

في مجال الزيارات الرسمية التي قام بها سموه زار في عام ١٣٩٦هـ باريس وقام
خلالها بإجراء مباحثات مع المسؤولين الفرنسيين .

كان من إنجازات سموه في تطوير وزارة الدفاع متابعته لإنشاء مبنى قيادة
القوات الجوية بالرياض حيث وضع حجر الأساس لهذا المبنى عام ١٣٩٨هـ .
كان من أبرز الأعمال والإنجازات التي أشرف عليها سموه افتتاح مشروع
الإسكان لضباط القوات المسلحة بالرياض وذلك عام ١٣٩٨هـ .

في عام ١٣٩٨هـ قدم سموه استقالته من عمله نائباً لوزير الدفاع والطيران .
كان لسموه إسهاماته في مجال الأعمال الخيرية داخل المملكة العربية السعودية
وخارجها وكنموذج لأعماله الخيرية في الخارج فقد تبرع سموه لبناء المسجد
الجامع لمدينة أدنبره عاصمة مقاطعة اسكتلنده في بريطانيا وذلك بمبلغ ٣٠٠ ألف
جنيه إسترليني.

في مجالات العمل الخيري في الداخل وكمثال على ذلك قدم سموه تبرعاً بمبلغ
مليون وخمسمائة ألف ريال لإنشاء مبنى جديد للمكتبة العامة بدومة الجندل .

الزوجة الحسبية

بحسب أعراف وتقاليد البيوت الملكية . العربية خاصة . في الاقتران بينات العم
وحرائر البيوت الحسبية تزوج الأمير تركي «الثاني» ابنة عمه الأميرة الحسبية
نورة بنت عبدالله بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود . وكان زواجا ميمونا مباركا

باركته الاسرة السعودية وابتهجت به.. فقد عاشت الأميرة بتقاليد البيت الملكي وأخلاق الأمراء النبلاء لا تشذ عن قاعدة في البروتوكول الملكي حتى أنجبت لتركي الثاني سبعة من الأبناء هم:

الأمراء: سلطان، والجوهرة، وخالد وفهد وفيصل وعبير، وديمة.

⑥ الزوجة المصيبة

من هنا ستبدأ رحلة العذاب وأقول نجم الأمير تركي السياسي والاجتماعي كأحد أبرز أبناء الملك عبدالعزيز.. عندما نزع شمس الدين الفاسي المغربي الأصل إلى الرياض يحمل فكراً صوفياً منتحلاً ومسخاً للطريقة الشاذلية - نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي رحمته الله - فبدأ ينشر أفكاره ويدعو لطريقته التي يراها المجتمع السعودي طريقة مبتدعة منحرفة ضالة عن قويم الفكر الصحيح.. وعلى الرغم من أن التصوف منهج إسلامي أصيل عاشه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكراً وعملاً فلحم عاش صلى الله عليه وسلم زاهدا يمر الهلال ثم الهلال ولا توجد في بيته نار.. ولكم رقد صلى الله عليه وسلم على الحصار حتى أثرت أعواده في جنبه الشريف، بعدما نام على حشو من ليف.. إنها مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم في التصوف الراشد وظل الأمر كذلك حتى امتدت الصوفية بمدارسها ومناهجها القديمة إلى هذا العصر، وازدادت تشعباً وافترافاً عما كانت عليه في السابق، وصارت الطريقة الواحدة تنقسم إلى عدة طرق، كل واحدة تحوى من البدع والمحدثات الاعتقادية والعملية الشيء الكثير، والفرق التي أحدثت في الطرق الصوفية المحدثّة كثيرة، لا سيما المتولدة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ولست بصدد تعدادها أو ذكرها، ولكن يكفى في هذا الموجز أن أشير إلى طريقة واحدة من الطرق المولدة في هذا العصر، وفيها إشارة إلى الطرق الأخرى وما فيها من محدثات ومخالفات شرعية.

وهذه الطريقة هي "الطريقة الفاسية" تتسبب إلى أسرة الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب، وتنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما.. واستوطنت هذه الأسرة مكة، وكان أفرادها يتبعون الطريقة الشاذلية وينتسبون إليه، حتى أوجد أحدهم الطريقة الفاسية المنتسبة كذلك إلى الشاذلية، فيسمون أنفسهم

بالشاذلية الفاسية.

وآخر إمام لهذه الطريقة هو شمس الدين الفاسي الذي يسمونه في كتبهم الإمام الدكتور الشيخ محمد عبد الله شمس الدين محمد المكي الفاسي الشاذلي، وقد تولى إمامتهم سنة ١٢٨٨هـ كما في كتابه المسمى بالأسرار ما لفظه (بفضله سبحانه وتعالى تم تتويج سيدنا الشيخ شمس الدين محمد عبد الله شمس الدين محمد المكي الفاسي الشاذلي على عرش الطريقة الشاذلية الفاسية في يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٢٨٨ من الهجرة النبوية)

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز المفتي العام للسعودية:

فأما البدع فهي كثيرة وأولها: اتخاذ الطريقة الصوفية الشاذلية الفاسية مسلكاً للعبادة، ووسيلة للقرب من الله سبحانه وتعالى، وليس هناك إلا طريقة محمد صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف الصالح، فمن حاد عنها فهو في ضلال.

ومنها أنه ملأ كتابه بأذكار وأدعية مبتدعة تخالف صحيح الدين ثم ألحق به رسالة سماها "الأنوار القدسية في مولد المصطفى خير البرية لطريقة السادة الشاذلية الفاسية"

وهذه هي بعض الألفاظ الواردة في كتاب الأسرار:

يقول تحت عنوان: حزب الطمس (... أقسمت عليك بحاء الرحمة، ميم الملك، ودال الدوام... إنك أنت الله العلى العظيم، هاء سين ميم زين قاف لام، يس والقرآن الحكيم، نون والقلم وما يسظرون).

ويقول في حزب الدائرة للشاذلي، وهو سيف الشاذليين كما يسميه (...حكمت على أنفس أعدائي الطاء "طهور سبعا، لا إله إلا الله "باء" سلام قولاً من رب رحيم، قلقلت عقولهم "بدعق" سبعا "سبحان الله" سبعا... "حاء" فتحت بها باب الاستمطار من الفتح العليم "محببة" سبعا "يا سلام" سبعا، سلّيت بالسين عن نفسي وأهلي ومالي وولدي من جميع المضارة "صورة" سبعا... أسألك بالسنة الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي "سققاطيس" سبعا...).

ويقول في الحزب المخفى: (...ولا قوة إلا بالله العلى العظيم "ياه ياه"، أهيل

أهيل" "أهياش أهياش").

ويقول تحت عنوان الوظيفة الشاذلية الفاسية: (... وانشلنى من أوحال التوحيد إلى قضاء التفريد المنزه عن الإطلاق والتقييد، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة شهوداً حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها، نزولاً وصعوداً كما هو كذلك لن يزال وجوداً...).

ويقول تحت عنوان الياقوتية بعد أن ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قال: (...فهو الكنز المطلسم، والبحر الزاخر المطمطم، فنسألك اللهم بجاهه لديك، وبكرامته عليك أن تعمر قلوبنا بأفعاله، وأسماعنا بأقواله . إلى أن قال . حتى نشهدك به وهو بك، فأكون نائباً عن الحضرتين بالحضرتين وأدل بهما عليهما...)

وقول الآخر:

سر الإجابة عند قبر الشاذلى غوث اللهيف ونجدة المتوكل

فصل النبى محمد وحببيه قطب الولاية فى المقام الأول.

والكتاب ملىء بهذا النوع من الألفاظ المبهمة والدعوات البدعية والأذكار

الشركية على حد تعبير الشيخ ابن باز.

تلاحقت وتسارعت الأحداث حتى تم القبض على الشيخ الفاسى وحبسه بزعم أنه منتحل مضلل يفسد فى الدين.. وأودع الشيخ فى السجن وبدأت ابنته الجميلة . فائقة الحُسن والدلال . هند تطرح شباكها فى بحر الهوى وتقف للأمير الرزين تركى على كل ناصية كما الشيطان الذى أقسم على الله «ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» (الأعراف ١٧).

حتى وقع الأمير فى غرامها وهو إذ ذاك عند قمة الهرم الملكى نائب وزير الدفاع ويات فى حالة أدهشت الجميع من حوله، كيف سقط الأمير بهذه السرعة فى

شباك هند اللعوب..!!

السحر المغربى الأصيل

• دلت حالة الأمير تركى . البائسة . وقد مضى يهذى وينادى هند .. هند .. على

فَابْتَعُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اللَّهُمَّ بحق هذه الآيات الشريفة أعطف قلب فلانة بنت فلانة على فلان بن فلانة بالمحبة الدائمة والألفة والعطف والحنان فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تأخذ على بركة الله ورقة بيضاء وتكتب عليها مايلي:

يكتب بالزعفران وماء الورد

بسم الله الرحمن الرحيم يا حى أسألك بالقرآن العظيم والنبى الكريم وإله وبعق عيسى وموسى وإبراهيم الخليل أن تجلب كذا وكذا إلى محبة فلانة ابنة فلانة وتأتى أولاد آدم للزواج بها بحق - وألقيت عليك محبة منى - وإنه لحب الخير لشديد - يا حى ياودود ياودود ياودود يافعال لما يريد ياعلام الغيوب يامجلب القلوب للقلوب أجب أولاد ادم إلى حاملة كتابى هذا التى بها يظهر الحب فى القلوب وأعين الناس بحق الله الواحد الأحد الفرد الصمد وبحق - أن يقول له كن فيكون - ألوحا العجل - الساعة.

يكتب يوم الأحد الساعة الأولى وتحمله فإنها ترى مايسرها قريبا والبخور والعود الهندى.

الشيخة المغربية لعلاج السحر وجلب الحبيب - خواتم روحانية

وتقول الشيخة المغربية:

ورق الغار يبطل السحر وخاصة سحر منع الزواج ويذهب برد العين بإذن الله ومجرب.

يكفى أن يغلى منه ربع كيلو فى ماء لا يقل عن ٢ لتر أو ثلاثة ويفتسل به مرات حتى يذهب الأذى ويمكن المسح به بدل الغسل وتركه حتى يتشربه الجسد ومن

منافعه أنه يذهب الوسواس المرضى ويخفف حدته وفيه فرق بين الوسواس في العقيدة والوسواس في الصلاة وغيرها من الأمراض وعلاج الوسواس يكون بالذكر ويعين على ذلك بعض الأعشاب منها ورق الغار وزيتة والسنوت وماء الشذاب وزيتة ومن كان وسواسه مع الحالة المرضية فليكن الدهان أو ماء العشب على القلب والمعدة والجهة المقابلة من الظهر وينطفئ بإذن الله وخاصة الذي يداوم عليه قبل النوم ويوقف الصرع شرباً ودهاناً الذي يكون من الجن ومجرب بإذن الله ويذهب سحر الخمول ويفك قيود وعقد المفاصل بإذن الله ومجرب. والذي يشربه يحط عليه قليل يانسون حتى لا يتعب المعدة وشربته فنجان قهوة صغير مرتين أو ثلاث يومي حتى تزول الأعراض ويشفي المريض!

ونسيت قول الله تعالى:

«مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَأِصْلَحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ»
الزواج المر

يبدو أن عملية السحر نجحت هذه المرة. مصادفة. واستسلم الأمير تركي قدره وحظه العائر وقرر الزواج بهند وهو المشهور بعطفه وطيبة قلبه ألم نقل إنه فاكهة البيت السعودي..!!

ما إن أعلن رغبته وقراره حتى عارضت الأسرة السعودية هذا الزواج بسبب الشذوذ الديني. الصوفى. الذي كانت عليه أسرة الفاسى وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى المملكة بفسق والدها وانتحاله طريقة تفسد في الاسلام.. كما رأيت الأسرة مهانة في الانتساب بهذه الغانية وقد أزكمت روائح انحراف هند الأنوف.. حينئذ خيرت العائلة أميرها الطيب العاشق الولهان بين زواجه من هند وبين طموحه السياسى وكانت المفاجأة مدهشة.. لقد اختار هند.. ومضى يغنى لنفسه: هو الحب لعبة.. ولا الحب لعبة..!!

لم يتوقف حسم الأسرة السعودية عند إقالته وتجريده من مناصبه فحسب ولكنهم أجبروه على الخروج بها فى رحلة تيه استمرت ٢٧ سنة من العام ١٩٨٣

وحتى ٢٠١٠م

أصل الحكاية...!

إن حكاية الأمير تركي جديرة بأن تروى ... فهذا الأمير الشاب الذي كان يشغل منصب نائب وزير الدفاع في بلده وكان ينتظره مستقبل كبير وقع ضحية نصاب اسمه شمس الدين الفاسي ... هذا النصاب من أصول مغربية أقام في السعودية ونجح في تزويج ابنته هند بالأمير الشاب المتزوج من إحدى بنات عمومته ... ولم يكن في هذا الزواج ما يعيب لو دخلت هند الفاسي إلى بيت الأمير كزوجة عادية رزقها الله بزواج ميسور الحال وله مستقبل كبير في بلده ... لكن ما حصل كان على العكس تماما فالصبيبة مغربية الأصل نجحت في انتزاع الرجل ليس فقط من زوجته وأم أولاده الأميرة نورة وإنما أيضا من وظيفته ومن بلده ليبدأ الأمير رحلة تشرد وتوهان في فنادق العالم ارتبطت بفضائح مالية ونسائية ارتكبها الشيخ الفاسي وأولاده الذين سطوا على ثروة الأمير وبذروها في كل ما يغضب الله ... بدءا بقصور التماثيل العارية في بيفرلي هيلز مرورا بقصور القلط في فلوريدا وانتهاءً بالمجلات والصحف الصفراء التي اصدرها الفاسي في لندن .

بعد أن ضاقت الدنيا بالأمير ... ويعد أن أصبح الأمير مطلوباً لأكثر من دولة من خلال علاقته بما يرتكبه أولاد الفاسي فيها فتحت مصر أحضانها لاستضافة سموه وتوفير فرصة الإقامة الهادئة والشريفة والأمنة فيها ... واستقر الأمير مع زوجته وأولاده وإخوان زوجته في فندق هيلتون رمسيس الذي يطل على النيل حيث احتل الأمير طابقيين كاملين تم إعادة تصميمهما ليناسبوا الأمير والمرافقين له .

لكن ما وقع من الأميرة وإخواتها وأولادها في دول العالم بدأت تكرر في القاهرة حتى أصبحت أخبار الأميرة هند وأولادها مانشيتات في صحف الحوادث وأخبار المحاكم ... فمن اعتداء ابن الأميرة وحرسه على رجال الأمن في الفندق إلى إدانة الأميرة بسرقة مجوهرات من محل في الزمالك عن طريق الاحتيال إلى اتهامات بالامتناع عن تسديد أجور العاملين واحتجاز الخدم في مقر الأمير ... ودخلت في المواجهة صحف ومجلات مصرية مثل روز اليوسف التي دخلت في معارك قضائية مع الأميرة وأسرتها بعد موت الشيخ الفاسي وظهور ورثة له غير

هند وإخوتها ... مروراً بفضائح أخيها جلال الفاسي الذي تزوج من شريهان ... إلى منع ابنتها عبد الرحمن من السفر لأنه مطلوب للقضاء

الجديد في الموضوع هذه الفضيحة التي نشرتها جريدة صوت الأمة القاهرية والتي تتعلق بدور الأميرة هند وزوجها في إفساد الوسط الفني المصري حيث تبين أن مشاهير المطربين في مصر قد غنوا أغنيات خاصة للأميرة والأمير وهو أمر مريب بكل المعايير عرضته الجريدة القاهرية بمرارة وبمناشيات مثيرة.

" مطربو مصر تحت أقدام هند الفاسي " .

فجرت جريدة " صوت الأمة " المصرية الأسبوعية فضيحة هزت الوسط الفني في القاهرة حين كشفت النقاب عن أن أشهر المطربين في مصر غنوا للأميرة هند الفاسي أغنيات خاصة بها جمعتها في اسطوانة ... فتحت عنوان " فضيحة الغناء تحت قدمي أميرة دولة هيلتون " ويقصد بها الأميرة هند التي تسكن في طابقتين من فندق هيلتون رمسيس كتبت " صوت الأمة " تقول : اسطوانة غنائية تجمع بين غناء على الحجار وتهيبص شعبان عبدالرحيم في مدح هند الفاسي . يقول محرر " صوت الأمة " ياسر الزيات: قضيت عامين كاملين أحاول أن أعثر على إجابات لهذه الأسئلة من أين تأتي هند الفاسي وزوجها الأمير السعودي تركي بن عبدالعزيز وأبناؤها بكل هذا الجبروت الذي يتعاملون به مع مصر والمصريين؟؟ من أين تأتي بكل هذا النفوذ الذي يسمح لها بأن تحتجز مواطنين مصريين في فندق من المفترض أنه مصري ويقع على أرض مصرية؟ من أين تأتي هذه الوقاحة التي تجعلها تزعم أنها تطعم المصريين من خيرها وتعفيهم؟ من أين تأتي بكل هذه الجرأة التي تجعلها تختطف وتحتجز وتعذب مواطنين مصريين عملوا لديها وترفض أن تمنحهم ثمن عرقهم وشقاهم؟ من أين تأتي بكل هذه الطمأنينة التي تجعلها تستولى على مجوهرات تتجاوز قيمتها ٤ ملايين جنيه في واقعة تحولت إلى قضية شهيرة حكم فيها القضاء المصري الشريف بحبس الأميرة ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذة؟ ومن أين تأتي بكل هذا اليقين الكامل الذي يجعلها تؤكد أنها لن تنفذ حكم القضاء وأنها لن تحل عن أرضنا وسمانا وتترك مصر وتترك أهلها

في حالهم وهو ما فعلته بدون أن يجروا أى جهاز تنفيذى أن يمس شعرة من رأسها؟
ويضيف ياسر الزيات:

مثل كل الذين تابعوا . طوال عامين . حملة "صوت الأمة" على هند الفاسى وعائلتها وجبروتها مثلكم جميعا، وكنت قد نفضت يدي من هذه الحكومة ورميت طوبيتها، وآمنت بأنها لن تفعل شيئا مع الأميرة المدانة قضائيا بالاستيلاء على المجوهرات والتمهمة بتعمد الإهانة المتكررة لمصر والمصريين، كم أشعر بمهانة شخصية كلما مررت أمام فندق رمسيس هيلتون الذى حولته الأميرة إلى منطقة عسكرية ممنوع الاقتراب منها أو تصويرها .. ولم أكن قادرا أن أرفع رأسى لأن بصرى من المحتمل أن يصل إلى الدورين ٢٢ و٢٣ اللذين حولتهما الأميرة إلى إمبراطورية مستقلة لا ينقصها إلا أن ترفع علما فى البلكوثة ويكون لها تمثيل دبلوماسى وسفير لدى جمهورية مصر العربية!!

لا شىء فى كل حياتى يمكن أن يعادل صدمتى عندما استمعت إلى سى دى حصل عليه الزميل نبيل سيف. ويقدر الصدمة التى أصابتنى كانت الراحة لأن الأسطوانة كانت تتضمن الإجابة عن كل أسئلتى، ولكن الراحة مؤقتة وشخصية ونفعية، أما الصدمة فهى باقية إلى الأبد.

كانت الأسطوانة تتضمن سبع أغانى لمطربين ومغنين غنوا أغانى مكتوبة وملحنة خصيصا للست هند الفاسى وزوجها، وأولادها، أغان . تعيدك . فورا إلى زمن الجوارى والعبيد والخصيان، زمن الأسياد الذين يمتلكون السلطة والمال ويشترون بهم الشعراء والمغنين، زمن الغزل الزائف فى الأميرة، والتعداد الكاذب لمناقب ومحاسن الأمير، زمن الكتابة والغناء بأمر السيف، وتحت نصل السيف .

إن الفنانين متعاقدون ضمنيا مع شعوبهم على التعبير عن أحلامهم وآمالهم وآلامهم، وعندما يخونون بنود التعاقد فإنهم لا يستحقون كل التصفيق والحب والإعجاب الذى نالوه، لم تكن صدمتى فى تلك الأغنية التى غناها الأخ شعبان عبدالرحيم، فهو فى النهاية مكوجى مع الاعتذار لكل الذين ظلوا يعملون فى هذه المهنة الشريفة ولم يتركوا كارهم . أمر عادى ومتوقع أن يغنى شعبان للأمير تركي

هذه الأغنية:

" يا حب الأمير تركي

ويا حب قعدته

وكل الناس بحالها

والنعمة حبه

مش أي حد يتقال عليه أمير

شوف الأمير ترك

هو الكبير كبير

أحب كل الأمرا

وأحب كل المدن

وأحب الأميرة هند

وأحب الأمير تركي

هيبييه هيبييه

الأميرة هند دي

ولا أحلى منها

الرقة والجمال

من صخر سنها

الرقة والجمال

من صخر سنها

دي البصة من عينيها

تحير العقول

وأنا مهما أقول عليها

مش هاعرف برضه أقول

مش هاعرف برضه أقول

مش هاعرف برضه أقول

عينها حلوة خائض

تسحر قلوب كثير

مش أى أى واحدة

تكون مرات أمير

حلاوتها فى العباية

والرقة والكلام

لو قالت بس أهلا

أوردت السلام

ثم يأتى شعبان إلى بيت القصيد عندما يقول:

الأميرة هند دى

جمايها كثير عليا

• يقول ياسر الزيات :

لم تصدمنى أغنية شعبان عبدالرحيم الذى خدمته طبيعة هذا الزمان وأهله، فأصبح نموذجا للمناضل، عندما غنى لعمرو موسى وعندما غنى أغنيته "أنا بكره إسرائيل" فشعبان لن يرى فيما فعله عيبا لأنه يمكنه أن يستعبط . كما يفعل دائما . ويقول على شاشة أى قناة فضائية عربية " يا جماعة دى لقمة عيش جاية لى وأنا بصراحة أستحرم أرفض النعمة" النعمة التى أقسم بها فى الأغنية .. ولن يكون هذا غريبا على شعبان فهذا هو نموذج المناضل الذى نستحقه الآن ثم إن شعبان ليس وحده الذى غنى لهند .

وهذه أغنية مشتركة يغنيها خالد على وهدى عمار اسمها "أحباب العيلة" يبدؤها الكورس هكذا: " أحباب العيلة . اتلموا الليلة . الله الله . الله الله . دى الليلة جميلة" ثم يأتى صوت خالد على : " تركى وعبدالرحمن وعبدالعزيز لا أعرف من هو) مع فهد (ولا هذا أيضا) وحبیبهم أحمد" . ويردد الكورس الأول نفس الجملة قبل أن يدخل الكورس الثانى مغنيا: " نغنى غنا ونعيش فى هنا ونقول عقبال ١٠٠ ألف سنة" . ويدخل خالد على: " هنغنى ونسهر مع تركى يانجوم اسهرى يلا

وشاركى فرحتنا الليلة ماتتقدر باللمة وتركى اللى منور . ونجمع أحبابنا هنا . ونغنى غنا ونعيش فى هنا ونقول عقبال ١٠٠ ألف سنة". ويردد الكورس الجملة الأخيرة ثم يغنى خالد لنعرف أن المناسبة هي عيد ميلاد "المحروس" عبدالرحمن. "عبدالرحمن فارس وأمير. فى قلوبنا عشانه الحب كبير. يوم عيده قلوبنا بتسبقنا والفرح أهو جاي ييلحقنا . ده أمير يا ناس وكلامه دندنة". ويردد الكورس: "ونغنى غنا . ونعيش فى هنا... إلخ. ويبدو أن عيد ميلاد عبدالعزیز هذا الذى لا أعرف من هو الشخص المقصود به كان موافقا لعيد ميلاد عبدالرحمن فهذا هو خالد يغنى له أيضا: "عبدالعزیز يوم عيده . ده يوم نسهر معاه . هانشبك إيدينا ونحافظه . وبالحب نبارك ما هي ليلته . وحشاننا ياناس من سنة". ويردد الكورس الأول "ونغنى غنا .. إلخ" قبل أن يعلن الكورس الثانى: "أحمد وترد هدى عمار: أحمد يا ناس آخر العنقود . أمير وزينة". ويكمل الكورس "زينة آل سعود" وتعود هدى: "عيده الليلة دى ما هوش عادى . غير كل عيد فى الدنيا دى . طبعاً! . ده أحمد بيسكن قلبنا . ونغنى غنا . ونعيش فى هنا . ونقول عقبال . ميت ألف سنة".

يضيف ياسر الزيات :

انتهت الأغنية التى افتتحت الأستوانة وأسمحوا لى بأن أحتفظ بالأغنية الثانية إلى النهاية أما الأغنية الثالثة فهى بعنوان "عاش من سماك" ويغنيها المطرب اللبناني وليد توفيق الذى منحه مصر شهرته وتقول: "عاش من سماك واختار اسمك . يا أبو إسم جميل . عبدالرحمن مين هيقاسمك . ده مالکش مثيل . عايز مثال يرسم صورتك . فوق لملناديل . عاش مين سماك واختار اسمك . يا أبو إسم جميل". ويردد الكورس "عاش مين سماك ... إلخ" ثم يواصل وليد توفيق: "اسمك على كل لسان غنوة . كل الأحباب بيغنوها . سيرتك مع كل الناس حلوة . يحلى لهم دايمًا يقولوها. يا أبو بسمه على الشفة رقيقة". وقبل أن تعتقد أن هذا النوع من الغزل فى المذكر يلحقك وليد توفيق: "ورجولة وأخلاق دى حقيقية" وليست نفاقا أو تسولا.

ولا نستطيع أن نلوم وليد توفيق فهو لبنانى الأصل لم يتعرض بلده ولا مواطنوه

لإهانات الأميرة وأتباعها كما أننا لا نستطيع أن نلوم سميرة سعيد فهي أيضا مغربية الأصل - وإن كانت تحمل الجنسية المصرية. وهي تغنى على الأسطوانة نفسها أغنية بعنوان "كل سنة وأنت حبيبنا" موجهة إلى الأمير أحمد الذى ستعرف من الأغنية أنه شخص مبروك" لا لأنه ولد فى ليلة القدر... تقول الاغنية: " وكل سنة وأنت حبيبنا. ومالى فى الحب قلوبنا - كورس - يا أحمد ياساكن فى عينا. ياللى فى ميلادك حسينا الدنيا ضحكت حوالينا - أى والله هكذا. وأغانى بالحب كتبنا. وكل سنة وأنت حبيبنا. كل الحبايب جاينلك - ياللى تولدت فى ليلة القدر". ولا نعرف من أين أتى مؤلف الأغنية بهذه المعلومة فالمؤكد دينيا أن ليلة القدر ليس لها موعد محدد وإنما يجب أن نتحراها فى العشر الأواخر من رمضان فهل استغرقت عملية ولادة الأمير عشرة أيام كاملة؟ لا تستبعد هذا أليس أميرا؟ ألا يتغنى باسمه كل هؤلاء المغنين؟ فهل نتوقع أن يولد مثلنا فى ساعات معدودة؟ المهم أن سميرة سعيد تكمل الغناء: "وماما ستو بتقول لك. فى طلتك أجمل م البدر. وكل سنة وأنت حبيبنا .. إلخ - يا أحمد ملكت قلوب الناس - بيحبوا طبيبتك وشقاوتك - بقلب صافى برىء حساس - بيزود فى قلوبنا حلاوة - وكل سنة وأنت حبيبنا ... إلخ".

وبما أن أحمد هذا هو آخر العنقود، الدلوعة، فإنه صاحب النصيب الأوفر من الأغانى، هو نفسه حمادة الذى يدلعه هكذا إيهاب توفيق فى أغنية خامسة على الأسطوانة بعنوان " كل زهور الدنيا" تبدأ بموسيقى روك عنيفة، ثم يغنى إيهاب: " كل زهور الدنيا الليلة - مش هتكفى حبيب العيلة - سنة عدت بالخير يا حمادة عقبال ميت سنة حلوة جميلة - الكورس - واللييلة - إيهاب - فرحتنا فى قلوبنا زيادة - الله يصونك. ويا عيونك - مالى علينا الدنيا سعادة - بابا أميرنا - ولا تسأل على من تعود ال "نا" هذه) تركي الغالى - ماما هند تقول أنت آمالى - قادوا شمعة فى قلب التورته - وقلوبهم حواليك ضليلة - (الكورس) واللييلة (إيهاب) أحمد يا حمادة - (الكورس) فرحتنا (إيهاب) فى قلوبنا زيادة - الله يصونك، ويا عيونك، مالى علينا الدنيا سعادة". ثم يلتفت إيهاب توفيق إلى الغناء لبقية

الأسرة : " والفارس عبدالرحمن - جدو وتيته (!!) وتركي كمان - وسماهر زهرة أحلامنا - اتجمعوا حوايك الليلة - أدى الخطوة للمستقبل - بكره عشانك أحلى وأجمل - كل الدنيا بتمنى لك - تبقى حياتك فرحة طويلة - هابي بيرث دى تو يو- هابي بيرث دى تو يو" .

يضيف ياسر الزيات :

ولو كان إيهاب توفيق، الذى حصل على الدكتوراه أخيرا فى الموسيقى، لو كان قد استشار الحاجة والدته، وهى سيدة وأم مصرية عظيمة تحرص كل الحرص على مصلحة ابنها وسمعته، لو كان قد استشارها قبل أن يغنى فى بلاط الأميرة، لما سقط هذه السقطة، لأننى أثق أن أمه . مثل أمى تماما . ترفض أن يهان وطنها وأبناءؤه، وترفض أن يباع الفن ويشترى فى أسواق النخاسة الحديثة، مهما يكن الثمن، ولكن ماذا تتوقع من الدكتور إيهاب توفيق ابن الطبقة المتوسطة . مثلنا . الذى اختار من البداية الانحياز لقيم السوق، وأخذ يغنى ما يسمى بالأغاني الشبابية، واعتبر هذا أفضل وأرحم من الجلوس فى بيتهم، ولم يدرك أن هذه النجومية السهلة والسريعة هى أيضا طريقة سهلة وسريعة للسقوط فى بئر النسيان، والأدهى أنك لا تستطيع أن تجد عذرا لإيهاب كحاجته للفلوس فقط . مثل مدحت صالح مثلا . فهو يعمل جيدا منذ ظهوره ويطرح بين الحين والآخر شريطا فى السوق، ويقدم كل فترة أغنية جديدة بالفيديو كليب ، فهو . ما شاء الله . لم يعد محتاجا لنعذره، وحتى لو كان محتاجا فإن الفنان يجوع ولا يأكل ببيع فنه . أما مدحت صالح، فإن المسألة لم تعد تفرق، لا معه ولا معنا، منذ أن ذهب للفناء فى إسرائيل، وقال إنه كان يغنى للفلسطينيين من عرب ٤٨، ومنذ أن تفرغ بعد ذلك إلى تحطيم الأرقام القياسية فى الزواج السريع والطلاق الأسرع ومنذ أن تورط فى قضية رفعتها ضده فىفى عبده تتهمه فيها بعدم رد ديون كان قد استلفها منها .

كان من الواضح . باختصار ومن زمان . أن الفن لم يعد فى دماغ مدحت صالح الذى غنى مع التونسية ذكرى أغنية حوارية ثنائية لهند وزوجها وأولادها وصل فيها التجاوز إلى حد تشبيه عبد الرحمن بسورة الرحمن ، الأغنية تقول: "مدحت:

الليلة دى إيه يا ذكرى - ذكرى: عارفة تياكمتحت وفأكرة - مدحت: ليلة أغلى يا ذكرى (كم يبلغ ثمنها يعني!) ذكرى: فى السنة تزورنا مرة - الليلة العيد عيدين - مدحت: ليلة من عمر الزمان - ذكرى: عيد ميلاد الغالى أحمد - والأمير عبد الرحمن - يا أميرة هند سمى - زهر أحلامك بيطرح - احضنى القمرين وضى - ياما بكره القلب يفرح - مدحت: من سنين عمرك بدرتى - والحصاد أجمل كثير - والتعب هان لما شفنى - الأمير حاضن أمير - ذكرى: الأمير تركى النهاردة - حاضن الدنيا بيديه - سورة الرحمن فى قلبه (!!) وأحمد الغالى فى عينيه - مدحت: يا سماهر يا جميلة - ربنا الحارس يصون - يا أميرة ألف ليلة - بسمتك نور العيون - ذكرى: بدر يا عبدالرحمن - والليلة دى كان تمامك - ياللى جاد بيك الزمان - روعة الحكمة فكلامك، مدحت: يا أمير أحمد تعال - ربنا جل وتعالى (ولم أفهم ما المقصود بهذه الجملة بالضبط) عشان تكون زهرة آمالنا - والطريق مفتوح أمامك - والليلة دى إيه يا ذكرى - ذكرى: عارفه يا مدحت وفأكره - مدحت: الليلة دى أغلى ذكرى".

يقول ياسر الزيات :

هل يستحق هؤلاء كل هذا الحب الذى سرقوه منا؟ هل يستحقون كل هذه الشهرة التى منحناها لهم؟ هل يستحقون كل قرش دفعناه لهم ثمنا لشريط من شرائطهم؟ صدمتنى الحقيقة ليس فى كل هؤلاء، صدمتنى الحقيقة فى شخص اعتبره - من جانبي أنا على الأقل - صديقا، أحبه واحترمه، وأشفق عليه أحيانا، وأكاد أبكى الآن، وأنا أكتب أنه على الحجار، لم أصدق فى البداية أن الصوت الذى يغنى الأغنية الثانية على الأسطوانة هو صوت على، وحاولت أن أقتع نفسى بأن هناك من يقلد صوته ولكن هل هناك من يستطيع أن يقلد صوت على الحجار؟ المصيبة أنه لا يعرف أن جيلا كاملا هو جيلى - كان يعتبره مع محمد منير صوت أحلامه وآماله، المصيبة أنه لا يعرف أنه فتان حقيقى مهما سادت هذه الدوشة الفاغة، ومهما جلس فى بيتهم بلا عمل، ومهما انخفضت مبيعات أشرطته أمام شعبان عبدالرحيم. والمصيبة انه لا يعرف أن الفنان - الحقيقى - مثله - أعظم وأبقى من الأجراء، لا يعرف أن التاريخ لا تتسع ذاكرته للحكام بقدر ما تتسع

للكتاب والفنانين والشعراء والموسيقين العظماء، أنا متأكد أن الموسيقار القدير الراحل إبراهيم الحجار، والد علي وأحمد، لم يعلمه الاتحناء، ولم يعلمه مقايضة فنه بكل كتوز الدنيا، وإلا لما كان الحجار الكبير - رحمه الله - قد اختار الانزواء في شقة بسيطة في إمبابية، وفضل ذلك على الدخول في سوق ممكن أن يبيع فيه فنه ويشتره، حتى أنت يا علي، ها أنت تغني أغنية عنوانها "أميرة الأمراء":
الكورس: نورك يا أميرة الأمرا - نورع الناس في السهرة علي: وعيون الناس عليك - تتمنى منك نظرة - يا مالكة قلوب الدنيا - بالحب وصدق النية - والأوصاف العريية - يا بنت أكرم أسرة - الحب سر من السما - قسمة يا ناس متقسمة - الكورس: جلى القلوب كل القلوب - تبقى بهواك مغرمة - علي: بامدح خصال بنت الحسب - بنت النسب إلى القمر - سبحان ربى إذا وهب - ما هى بنت شمس - شمس الدين الفاسى - على النجوم نورها غلب - الكورس: يا مالكة قلوب الدنيا ... إلخ - فى المجد شجرة مؤصلة - وتركى أصل المسألة - الكورس: قادت شموع - مدت فروع - علي: دى فوق أكرم منزلة (لا) شوفوا سماهر هى صورة أمها - آية كمال مين فى الكمال يوصل لها - وإخوتها أحلى شباب بلدنا (هكذا والله) كلها يا مالكة القلوب الدنيا .. إلخ، الكورس: نورك يا أميرة الأمرا - نورع الناس فى السهرة إلخ".

"إنى لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا" هكذا يقول الشاعر، وهكذا أحس الآن "ذهب الذين تحبهم ذهبوا"، أو قل "سقط الذين تحبهم سقطوا"، ولم يبق لى من هذا الوطن شىء، لا أحد، الأسلحة الفاسدة فى حرب ٤٨ تحولت إلى فن فاسد الآن الثورة التى حررتنا من الاستعمار الانجليزى سرقت حريتنا وإرادتنا وقدرتنا على اختيار حكوماتنا، وباعتنا لاستعمار هند الفاسى ... وهزيمة ٦٧ قادتنا إلى سلام خصيان فى ٧٧ والطلبة الذين ماتوا فى كوبرى عباس قبل الثورة هم أنفسهم الذين ماتوا فى مظاهرات ٦٨ و٧١ و٩٠ و٢٠٠١. والفلاحون الذين شنقهم الإنجليز فى دنشواى هم أنفسهم الفلاحون والعمال والموظفون الذين يشنقهم الفقر الآن، والطبقة الوسطى سقطت من على الحبل الذى ظلت تمشى

عليه طويلاً، ورفعت شعبان عبد الرحيم ليصبح نموذجها ومثالها ومناضلها والمتحدث الرسمي باسمها، واختارته مطربها، وأقبلت على شراء أشرطةه بالملايين، وتركت شرائط على الحجار متراكمة على الرف، فلماذا لا يسقط هو أيضاً؟؟ لماذا لا يغنى للأميرة الأمراء؟؟ لماذا لا يختلط عليه الحابل بالنابل، فيمشى في القطيع؟ ولماذا لا يؤدي به هذا إلى الغناء في أسطوانة واحدة مع شعبان عبد الرحيم؟ إنني لا أحاول أن أجعل له عذراً، ولا أنتظر أن يقدم عذراً، فقد كان بإمكانه أن يهرب من هذه الورطة - إذا كانت ورطة بأن يغنى أغنية محمد فوزي الشهيرة "ده عيد ميلادك أحلى عيد" - كما كان يفعل في مثل هذه المناسبات بدون أن يتحول إلى مطرب ملاكي يغنى أغنية كتبها شاعر ملاكي ولحنها ملحن ملاكي.

ملف جرائم عائلة الأمير

وهكذا ظلت أسرة تركي منذ قدومها مصر في أوائل التسعينيات تتحدى القانون وأجهزة الشرطة دون أن يستطيع أحد مساءلتها أو تقديم أى من أفرادها إلى العدالة رغم ارتكاب عشرات الجرائم في حق مواطنين مصريين. ولم تقتصر جرائمها على مصر بل تخطتها إلى لندن وأمريكا وتونس. ففي عام ١٩٩٨ احتجزت هند الفاسي وأفراد حراسها عمالاً مصريين وفلبينيين وعذبوهم داخل فندق هيلتون رمسيس إثر شكاوى تقدم بها العمال اتهموا فيها تركي وأسرته بعدم سداد رواتبهم وإساءة معاملتهم. وفي نفس العام ١٩٩٨ قضت المحاكم المصرية بسجن حارس شخصي «أمريكي الجنسية» لتركى بعد اعتدائه بالضرب على طباطب مصري وسجن ٥ آخرين من الحاشية لاعتدائهم بالضرب على ضابط شرطة مصري.

وفي عام ١٩٩٩ حكم القضاء المصري على اثنين من أقارب هند الفاسي هما فهد وتركى بالسجن بسبب ضربهما أحد رجال الشرطة. في عام ٢٠٠١ أصدرت محكمة «جنايات أبو العلاء» حكماً غيابياً بسجن هند الفاسي ٤ سنوات مع الأشغال الشاقة بتهمة سرقة مجوهرات قيمتها ٦ ملايين جنيه، وحكمت المحكمة غيابياً على طباطب الأميرة اللبنانية بالسجن ٢ سنوات في القضية نفسها، بينما نال

مساعدتها أحمد عواد حكما بالسجن لمدة سنتين بسبب استيلاء هند على مجوهرات من الذهب والماس من أحد المحلات دون أن تدفع ثمنها.

ورغم أن مرتضى منصور المحامى حصل على حكم بإدانة السيدة إلا أنه لم ينفذ وانتهى الأمر بالتصالح وإعادة المجوهرات، خاصة بعد أن رفض اللبناني سامر شبيب مقلد الطباخ الذى حمل المجوهرات لهند من المحل أن يكون كبش الفداء واعترف صراحة أنه أعطى المجوهرات لهند بعد أن حصل عليها من محل المجوهرات. كما حكم بالسجن ٥ سنوات على زوجة شقيق هند وتدعى سامية محمد على الشريف زوجة محمد شمس الدين الفاسى فى قضية سرقة كسوة الكعبة، حيث حاولت رشوة أحد موظفى المتاحف بوزارة الأوقاف من أجل الحصول على ستائر الكعبة مقابل مليون جنيه. وحققت النيابة المصرية مع عبدالرحمن نجل تركى وعدد من مرافقيه وحراسه فى فندق «موفنبيك» بعد مشاجرة جرت بين عبدالرحمن وحراسه ورجال أمن الفندق أسفرت عن إصابة صحفى مصرى ومدير أمن الفندق واثنين من أفراد الأمن ومرشد سياحى وأكدت التحقيقات أن عبدالرحمن قام بتحطيم الزجاج بعصا بها صاعق كهربائى، كما حطم الأثاث واعتدى بالسب على العاملين والمسؤولين وأصاب المرشد السياحى الذى تصادف وجوده مع أحد الأفواج السياحية. وفى عام ٢٠٠٤ ألزمت محكمة شمال القاهرة الابتدائية تركى بدفع ٥٠٠ ألف جنيه بعد الدعوى التى رفعها ضده عيد سيد بسيونى «تاجر لحوم» وزميله محمد رمضان «تاجر طيور» وهما موردا للحوم والطيور لأسرة تركى الذى لم يسدد قيمة ما حصل عليه وعلى الرغم من أن المحكمة قالت إن حكمها صدر فى مادة تجارية وبالتالي يكون نافذا بقوة القانون إلا أنه لم ينفذ وطاف المواطنان على جميع المسؤولين ولم يتدخل أحد لإنقاذهما!! وفى عام ١٩٩٨ اتهمت هند الفاسى ١٠ خادمت فلبينيات بسرقة ساعة الماظ واحتجز شقيقها محمد الفاسى إحدى الخادمت بجناحه الخاص.

فى عام ٢٠٠١ قامت نيابة قصر النيل بالتحقيق فى واقعة اعتداء حرس تركى على شاب مصرى تصادف مروره أمام موكب نجل تركى. الشاب اسمه علاء والى

٢٤ سنة حاصل على بكالوريوس إدارة أعمال كان يمر بسيارته بشارع القصر العيني، وتصادف مروره إلى جوار سيارة نجل الأميرة هند فأمره الحراس أن يفتح الطريق للموكب، وعندما وجدوه لم يتحرك أشبعوه ضرباً وحاولوا اختطافه ولم ينقذه إلا مرور دورية شرطية بالصدفة، وتم نقله إلى المستشفى. فى فبراير ٢٠٠٧ تم تحرير البلاغ رقم ٧٤٠ أحوال قسم ٦ أكتوبر ضد عبدالرحمن ترك بسبب اعتداء كلابه على الطفلة حبيبة سعيد محمد السيد أثناء قضاء يوم فى فندق «موفنبيك» هاجمتها الكلاب وأحدثت بها إصابات فى وجهها وتم نقلها إلى المستشفى وتدخل النائب العام ومنع تركى من السفر وإن كان لم يصدر أى أمر بالقبض عليه رغم عدم امتثاله لأوامر الحضور أمام النيابة وتم الصلح بين تركى ووالد الطفلة مقابل حصول والدها الطبيب على ١٠٠ ألف جنيه مصرى!!

فى يوم ٢٧ مارس ٢٠٠٧ هاجم كلب تركى شايبا مصرى اسمه سيد مصطفى فى نفس الفندق وأحدث به إصابات وتقدم الشاب ببلاغ إلى الشرطة والنيابة ورفض أن يتنازل عن حقه، ورغم ذلك لم تتم أية محاكمة لتركى وأسرته. والمعروف أن تركى يحتفظ فى فندق «موفنبيك» وفى أجنحة ملكية بخمسة من كلاب «بيست بول» المفترسة التى تتجول فى الفندق بحرية وكأنه حديقة حيوان، وتأكل وجبات خاصة وتتغاطى مقويات وفيتامينات ولديها مدربون وموظفون مهمتهم تغسيلها وإطعامها والتجول بها. والكلب الذى هاجم الطفلة حبيبة اسمه «إسيكى» ويقم بالغرفة رقم ٢٥١٢ بفندق «موفنبيك» وصاحب سوابق، فله فى محاضر البوليس «٣ قضايا». وفى لندن أقامت شركة هارفى نيكور دعوى قضائية ضد هند الفاسى وأسرتها المطالبة حرم تركى بمبلغ ١٨٠ ألف جنيه استرليني مقابل بضاعة اشترتها بين شهرى يونيو ويناير عام ١٩٨٩ ولم تسدد ثمنها، وطالبت الشركة بفوائد يومية مقدارها ٤٣٧٤ جنيه استرليني على المبلغ من تاريخ الاستحقاق وحتى تمام الوفاء، وتقع هذه المخازن الشهيرة بحى «النايسبردج» بوسط لندن. وفى محاولة لهروب أسرة تركى من الأحكام ابتكرت طرقاً جديدة للهروب، منها الاحتماء بحصانة دبلوماسية تمنع طردها من البلاد حيث يحمل أفراد العائلة جوازات سفر

دبلوماسية صادرة من دولة صغيرة مجهولة تسمى «جزر بيليز» تقع في أمريكا الجنوبية ولا يزيد عدد سكانها على ٢٠ ألف نسمة، ويعتمد اقتصادها على بيع جوازات السفر للشخصيات الثرية ورفع الأعلام على السفن التجارية وتسجيل شركات غسيل وتهريب الأموال. كما أعلنت عائلة تركى وفاة محمد الفاسى شقيق هند الفاسى فى شهر يناير عام ٢٠٠٣ وذلك بعد أيام قليلة من صدور حكم قضائى ضده بالسجن ٥ سنوات مع الشغل والنفاذ لإدانته هو وزوجته بتهمة سرقة كسوة الكعبة واتضح أنها كانت مجرد حيلة للتهرب من تنفيذ الأحكام. تستفز جرائم عائلة تركى وتجاوزاتهم كل فئات الشعب المصرى مما دفع أحد المحامين عام ٢٠٠٢ إلى إقامة دعوى قضائية ضد تركى وهند الفاسى وشقيقتها علال، وطالب بترحيلهم من الأراضى المصرية لاتهامهم بارتكاب بعض الأعمال الإجرامية والاستيلاء على حقوق العاملين لديهم بعد احتجازهم.

جدد المحامى نداءه بترحيل عائلة تركى عن الأراضى المصرية، وقام برفع دعوى قضائية مرة أخرى ضد عائلة تركى بعد حادث الطفلة حبيبة فى فبراير ٢٠٠٧ .

حفلات أسطورية

لا توجد حفلات فى مصر تبارى الحفلات الأسطورية التى تقيمها هند الفاسى والتى يمتد بعضها إلى ٣ ليال كاملة، وهى حدث مهم بالنسبة لنجوم الغناء، حيث تكون أجور المطربين والمطربات والراقصات هى الأعلى ويحضرها معظم نجوم الغناء العربى والأجور تحددها دائما الأميرة هند، وتكون هناك إجراءات أمنية مشددة والتصوير بأمر الأميرة فقط. وتصل تكاليف كل حفلة من أعياد ميلاد أبناءه إلى مبالغ خيالية قد تصل إلى عشرة ملايين جنيه مصرى. ومن عجب أن يرى صاحب السمو الملكى الأمير تركى هذه الحشود من المخنثين والشواذ الذين تجلبهم الأميرة هند من لبنان وبعض دول أوروبا لعرض رقصات وتابلوهات مثيرة مبتذلة .. متهتكه .. لقد رفع الأمير الراية البيضاء مستسلماً أمام شذوذ هذه المرأة وتحررها من كل قيم الدين الحنيف وتقاليد المسلمين وأعراف العائلة

خدّام الأميرة

مهما كشفنا عن أعداد خدام الأميرة ودرجاتهم ومستوياتهم فسوف يهون الأمر... ففي بلاطها تخدم رتب وسياسيون وبعض منتحلي الثقافة مقابل عطاء مادي بلا حدود لكن أن تصل الوضاعة والحقارة إلى أن نرى نقرأ ممن انتسبوا إلى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة زوراً وبهتاناً يمرغون خدودهم بحذاء الأميرة ويلعقون حذاء الأمير عبد الرحمن ويتجرعون إهانة الأميرة سماهر لكأنها عرق النبيذ المعتق... هنا نشعر نحن الصحفيين بمصر ولا سيما أخبار اليوم بمهانة جلبها علناً أحد المشتغلين هنا يوم ترك موقعه على باب أخبار اليوم كحارس بواب ليقفز إلى مكاتب الصحفيين بمعاونة موسى صبرى الذى استخدمه أسوأ استخدام ثم نقله إلى أعلى كمحرر مبتدئ.. فما إن وافته الفرصة بالتعرف على الأميرة هند حتى صار أشهر وأحقر خدام الأميرة والأمراء... هذا ما أشهد به... والله علام الغيوب !!

النهاية السعيدة

الفصل الأخير:

٢٧ عاماً مرت بالتمام والكمال والأمير تائه . مسحور . لا يملك من أمر نفسه شيئاً . لا ضراً ولا نفعاً . حتى إذا حان الأجل وأزف الرحيل مالت شمس الأميرة هند بنت شمس الدين الفاسى نحو الغروب ، ومن دون الدخول فى تفاصيل مختلف فيها هل ماتت موة طبيعية أم أنها لقيت مصرعها بتعاون مخابراتى مصرى سعودى بحسب البلاغ الذى تقدم به شقيقها علال الفاسى يتهم حسنى مبارك ونظامه و حبيب العادلى باغتيال هند بحقنة مورفين جرعة زائدة .. من دون كل ذلك تبقى الحقيقة التى لا مرأى فيها أنها ماتت ودفنت بلا مشيعين فقد توارى الحراس والخدام والجوقة حتى وورى جثمانها ثرى مقابر مدينة نصر بالقاهرة فى نهاية أغسطس ٢٠١٠... واستقبلت الأسرة السعودية الخبر بأبتهاج شديد وفى مصر بارتياح نشر السعادة فى قلوب المصريين

الأمير يولد من جديد

من هذا التاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١٠ ولد الأمير تركي الثاني من جديد ففي هذا اليوم سكتت أنفاس الساحرة هند للأبد ، وبدأ القصر السعودي يتطلع إلى عودة الأخ الحبيب - التائه - إلى أحضان إخوانه وأحبائه الأمراء والأميرات وبالفعل عاد الأمير إلى الرياض وسط تكهنات بأن العائلة السعودية المالكة تعيد ترتيب البيت الملكي خاصة بعد أن وفاة ولي العهد الأمير نايف وطعن الملك عبد الله في السن مما فتح شهية الخبراء والمحللين للقول:

هل يولد الأمير تركي من جديد ويصبح ملكاً على السعودية ؟

أم أنه سيعمل بكفاءة كصانع للملوك في قصر الرياض ؟

دعونا نستمتع وننتظر خاصة أنه بدأ حياته الجديدة بالوضوء من زمزم وصلى وتضرع سائلاً ربه على باب الكعبة أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما سلف ... !!



بشار الأسد

المفاد العلوي



* من يربط إلى بشار

* ورت الإجرام والحكم عن أبيه

* العلويون أخطر من اليهود

* السجل الإجرامى لعائلة الأسد

* مذبحه سجن تدمر وحماة

* يوميات الثورة على بشار



بين يزيد وبشار..!!

بشار الأسد.. هذا الشاب النثى ورثه أبوه حافظ الأسد دولة سوريا شعبا وارضها وتاريخها متمثلا تاريخ أسلافه الأمويين عندما أصر معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين على أن يأخذ البيعة لأبنة يزيد على عين حياته طوعا وكرها وربما بحد السيف.. فكان يزيد أول من ورث الخلافة عن أبيه بعد الخلافة الراشدة وفى الأمة من هو أحق منه بعلمه وورعه وكان بشار أول من ورث الحكم عن أبيه فى العصر الحديث.. عن غير استحقاق وبترتيبات يطولها الزور والبهتان.. إن شخصية بشار الأسد مملة لأى كاتب.. لأنه بلا تاريخ يذكر ولا مواقف تترجم، ولا علم يدرس.. هو مجرد رقم فى عائلة الأسد البعثى النصيرى العلوى.. أبوه حافظ الأسد ضيع هضبة الجولان السورية ومات وهى محتلة يرتع فى جبالها جنود الاحتلال الإسرائيلى بكل سرور.. ولا يذكر له التاريخ مجدا صنعه إلا تأمره على الجارة لبنان وتمزيق وحدتها، واستقطاب بعض الفصائل الفلسطينية للتأمر على القضية. كما يسجل التاريخ أعظم إنجاز لحافظ الأسد، فقد أعطى إسرائيل الضمان والأمان ألا يطلق رصاصة تزعم جنودها المحتلين فى الجولان لأنه مشغول بما هو أهم وأجل، فقد شغل الأسد نفسه بنيج شعبه المسلم فى مجازر وحشية تفوق بشاعتها نازية هتلر.. وأحرز الأسد أول انتصار له على شعبه فى العام ١٩٨٠م عندما اقتحمت قواته سجن «تدمر» وذبحت كل المساجين العزل من المسلمين السنة فى هجمة عنصرية بغیضة وهو العلوى النصيرى الذى يحمل بغضا وحقدا وحسدا على أهل السنة لا تقدر على حمله الجبال.. وبعد أن أنجز نصره الأول عاش يفكر فى القضاء على مابقى من أهل السنة ويبدبر ويمكر حتى كان العام ١٩٨٢م قاد بنفسه أبشع مجازر التاريخ الحديث .. مجزرة «حماة» وفيها قضى نحو ٤٠ ألف مسلم سنى نحبه بعدما حصدت أرواحهم طائرات وقاذفات ومدافع حافظ الأسد، وكان أولى لها أن توجه طلقاتها إلى صدور العدو المحتل فى الجولان...!!

إرث مرو تاريخ من الإجرام ورثه حافظ الأسد لابنه بشار بعد وفاة الخليفة المنتظر باسل الإبن الأكبر الذي لقي مصرعه في حادث سيارة عام ١٩٩٤م، فاستقر الأمر على اختيار بشار رغم معارضة أمه السيدة أنيسة مخلوف التي كانت تباع شقيقه الأصغر الدموي ماهر الأسد، ومضى قرار حافظ ويات بشار قاب قوسين أو أدنى من وراثة الحكم بعد أبيه رغم أنه طبيب عيون مبتدئ، لكن والده أمر بإلحاقه بالمستشفى العسكري طبياً برتبة ملازم أول ليبدأ رحلة الترقى إلى رتبة الفريق خلال ٦ سنوات فقط، لكننا كان يعمل في جيش «حليمة».. وليس في الجيش السوري، وحفظ بشار الدرس فكان علويًا نصيريًا مغالياً أشد كرهاً للسنة وأهلها من أبيه وأشد خطراً على الإسلام من اليهود. وقد قال فيهم ابن تيمية رحمه الله: «مذهب العلويين النصيريين محض كفر بالله وأشد خطراً على دين الإسلام من اليهودية.. لما يحمله من عقائد الشرك بالله وتآلية الإمام على عليه السلام»، كما كان بشار بعثياً على دين أبيه يقدم هويته القومية على عقيدته الإسلامية لكانه يقول:

أممت بالبعث ربا لاشريك له وبالعروبة ديننا ماله ثان

وظل بشار قريباً من أبيه يراقب الترتيبات المسرعة لتوريثه سوريا وفي نفس الوقت يشرب جبروت أبيه ووحشيته وحقده على أهل السنة السوريين، حتى إذا مات حافظ الأسد في العام ٢٠١١م قفز بشار على العرش يحمل السيف والمدفع لعله يواصل مفاخر أبيه في قتل الشعب السوري العظيم، بنفس الترتيبات والعناد الذي ذبح به السجناء في «تدمر» والأبرياء في حماة، وبينما هو كذلك، أغارت الطائرات الإسرائيلية على دمشق. قلب وعاصمة الدولة. ودكت موقعا يشبهه أنه بناء ابتدائي لمفاعل نووي.. ووقف بشار ورئيس أركان جيشه يتأملان عودة الطائرات إلى دشما سالمة في صحراء النقب.. ولسان حال الشعب السوري يقول: أسد على... وفي الجولان نعامه...!!

فمن هو بشار.. ومن هي عائلة الأسد.. ومن هم العلويون.. وماذا قرأ العالم في السجل الإجراي لحافظ وبشار؟ ومتى يسقط حكم الأسد؟

الدكتور بشار

بشار حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، وابن الرئيس السابق حافظ الأسد، هو طبيب عيون، تخرج في جامعة دمشق، ودرس لفترة قصيرة في لندن ثم عاد عام ١٩٩٤. تسلم مقاليد الحكم في سوريا عام ٢٠٠٠ بعد وفاة حافظ الأسد. ولد بشار حافظ الأسد في ١١ أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٥ في مدينة دمشق وأنجز في مدارسها دراسته الابتدائية والثانوية ومن ثم درس الطب في جامعتها وتخرج طبيباً في عام ١٩٨٨. عمل بعدها في مشفى تشرين العسكري ثم سافر عام ١٩٩٢ إلى بريطانيا للتخصص في طب العيون وعاد عام ١٩٩٤. انتخب في عام ١٩٩٤ رئيساً لمجلس إدارة الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية التي تقود النشاط المعلوماتي في سورية. يجيد إضافة إلى لغته الأم العربية كلاً من اللغتين الإنجليزية والفرنسية

انتسب بشار إلى القوات المسلحة وتدرج في سلك الخدمات الطبية العسكرية إذ كان يحمل في كانون الثاني / يناير ١٩٩٤ رتبة ملازم أول، وترقى في تموز / يوليو ١٩٩٤ إلى نقيب، وفي تموز / يوليو ١٩٩٥ إلى رتبة رائد، وفي تموز / يوليو ١٩٩٧ إلى رتبة مقدم، وأعلن في كانون الثاني / يناير ١٩٩٩ عن ترقية بشار إلى درجة عقيد.

ومع وفاة والده في ١٠ حزيران / يونيو ٢٠٠٠ رقى بشار وعمره ٣٤ عاماً و ١٠ أشهر إلى رتبة فريق. حينما عدل مجلس الشعب السوري الدستور بإجماع أعضائه لخفض الحد الأدنى لعمر الرئيس من ٤٠ عاماً إلى ٣٤ عاماً لتمكينه كقيادي في حزب البعث العربي الاشتراكي من عرض ترشيحه على مجلس الشعب لمنصب الرئاسة. وأصبح بذلك أول رئيس عربي يخلف والده في حكم جمهورية. انتخب بعدها أميناً قطرياً (للقطر السوري، حسب المصطلحات المستخدمة) في المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي. في ٢٧ حزيران / يونيو ٢٠٠٠. انتخب رئيساً للجمهورية في ١٠ تموز / يوليو ٢٠٠٠ عبر استفتاء شعبي واسع ومظاهرات مؤيدة وداعمة غطت سوريا بأكملها. وتم إعادة انتخابه لولاية

رئاسية أخرى تستمر ٧ سنوات.

فى ديسمبر كانون الأول من عام ٢٠٠٠ تزوج من الأنسة أسماء الأسد من عائلة الأخرس وقد درست ونشأت فى بريطانيا . فى ٢ من ديسمبر كانون الأول عام ٢٠٠١ رزق بأول أولاده وأسماه حافظ، تيمنا باسم والده. ثم زين ولدت فى ٥ من نوفمبر تشرين الثانى عام ٢٠٠٢ وكريم فى ١٦ ديسمبر كانون الأول من عام ٢٠٠٤.

عائلة الأسد

آل الأسد هى الأسرة الحاكمة فى الجمهورية العربية السورية منذ عام ١٩٧٠ حتى الآن عندما استلم الرئيس الراحل حافظ الأسد الحكم ومن بعده ابنه بشار عام ٢٠٠٠ وهى أسرة تنتمى للطائفة العلوية من مدينة القرداحة على الساحل السورى. وتملك هذه العائلة مجموعة من الميلشيات المسلحة غير النظامية المعروفة لدى السكان فى سوريا باسم الشبيحة.

نبذة

حافظ الأسد هو ابن على بن سليمان الأسد، لم يكن سليمان معروفا لدى سكان مدينة القرداحة كثيرا، حيث يقال إنه كان وافدا إليها، لكنه نال هذه الشهرة عندما غلب المصارع التركى الذى لم يكن يقهر، مما دفع إلى تسميته سليمان الوحش، كان يسكن مع أسرته على مدخل القرداحة وكانت عائلته أفقر عائلة فى القرية، على كل، بعد وفاة سليمان الأسد ورث عنه ابنه على الكثير من صفاته، فأصبح أحد وجهاء القرداحة، وكرمه أهلها بمنح عائلته لقب (الأسد)، كان حافظ الوحيد الذى تلقى تعليما فى أسرته، بعد رحيل الاحتلال الفرنسى عن سوريا وجلائه، صعدت الطائفة العلوية بقوة فى السلك العسكرى السورى، حيث إنه بعد انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣ بقيادة حزب البعث العربى الاشتراكى، صعد العلويون بقوة أكثر فى الجيش ودخلوا الحياة السياسية، وبلغ نفوذ العلويين ذروته عام ١٩٦٦ عندما قام صلاح جديد وحافظ الأسد بانقلاب تمكنا بموجبه من استلام السلطة، لكن الخلافات بين جديد والأسد كانت كبيرة خصوصا فى حرب ١٩٦٧ وبعدها فى

أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠ مما تسبب بإقالة الأسد مع رئيس الأركان مصطفى طلاس من منصبيهما، لكن حافظ الأسد وطلاس قاما بمساعدة القطع الموالية لهما في الجيش بالانقلاب على جديد ورئيس الجمهورية آنذاك نور الدين الأتاسي وسجنهما وذلك فيما عرف بالحركة التصحيحية، ليتولى الأسد رئاسة الجمهورية وطلاس وزارة الدفاع عام ١٩٧٠:

بشار الأسد (والقائد العام للجيش ورئيس الجمهورية)

على سليمان الأسد (والد حافظ الأسد الرئيس السابق لسوريا)

ناعسة شاليش (أم حافظ الأسد الرئيس السابق لسوريا)

حافظ الأسد (والد بشار الأسد) توفي عام ٢٠٠٠

أنيسة مخلوف (أم بشار الأسد)

أسماء الأخرس (زوجة بشار الأسد)

حافظ بشار الأسد (ابن بشار الأسد)

زين الشام بشار الأسد (بنت بشار الأسد)

كريم بشار الأسد (ابن بشار الأسد)

بشرى الأسد (أخت بشار الأسد)

باسل الأسد (أخو بشار الأسد) توفي عام ١٩٩٤

ماهر الأسد (أخو بشار الأسد)

مجد الأسد (أخو بشار الأسد) توفي عام ٢٠٠٩

منال جدعان (زوجة ماهر الأسد)

أصف شوكت (زوج أخت بشار الأسد بشرى)

جميل الأسد (عم بشار الأسد) توفي عام ٢٠٠٤

رفعت الأسد (عم بشار الأسد)

أم ذو الهمة شاليش (عمة بشار الأسد).

حزب البعث

حزب البعث العربي الاشتراكي.. حزب تأسس في دمشق، سوريا بتاريخ ٧ نيسان

/ أبريل ١٩٤٧ تحت شعار أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة وأهدافه وحدة.. حرية اشتراكية، وهي تجسد الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار والإمبريالية وإقامة النظام الاشتراكي العربي. وهو الحزب الحاكم في سوريا منذ ثورة الثامن من آذار في عام ١٩٦٣ حتى الآن وكان الحزب الحاكم للعراق منذ ١٧ تموز / يوليو ١٩٦٨ حتى سقوط نظام صدام بتاريخ ٩ نيسان / أبريل ٢٠٠٣ على أيدي قوات التحالف.

يوصف حزب البعث بأنه مزيج من الاشتراكية، والقومية العربية. تبنى المبدأ السياسي ويعمل أيضاً على أساس الانقلاب الشعبي ضد الحاكم الظالم أو العميل أو من يواكب الاستعمار.

وقد اصطلحت هويته الوطنية والقومية مع الحكومات العربية المختلفة في أماكن وجود الحزب. ويرفع الحزب شعار "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" أما أهدافه فهي "وحدة، حرية، اشتراكية". وترمز "الوحدة" إلى اتحاد الأقطار العربية، و"الحرية" من القيود الأوروبية وتجبر الأقطار العربية منها، والجدير بالذكر أنه لم يطبق هذا الشعار إلا في العراق منذ صعود الحزب للحكم..

الخلفيات والنشأة

نشأ حزب البعث في بداية الأربعينات على يد ميشيل عفلق وصلاح البيطار اللذين ينحدران من الطبقة المتعلمة المتوسطة في دمشق. فبعد عودتهما من دراستهما في السوربون في باريس إلى مدينتهما دمشق عام ١٩٣٣ بدأ الأستاذان بالتبشير بأفكارهما وسط الطلاب والشباب وعملاً على نشرها. أخذت هذه الأفكار تستقطب حولها عدداً من الشباب القوميّين المتحمسين من طلبة المدارس والجامعات، إلا أن التجمع لم يتحول إلى حركة سياسية إلا في بداية الأربعينات حين شكل عفلق والبيطار جماعة سياسية منظمة باسم حركة الإحياء العربي التي أصدرت بيانها الأول في شباط عام ١٩٤١.

وما لبثت هذه الجماعة أن أكدت اختلافها عن التنظيمات القطرية في الساحة السورية آنذاك بوضعها المبادئ القومية التي كانت تدعو إليها موضع التطبيق

عندما أعلنت تأييدها للانقلاب في العراق ضد الاحتلال البريطاني في الثاني من أيار عام ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني ومعركة أم المعارك، وأسست ما عرف باسم "حركة نصرة العراق" التي انخرط فيها كل أعضاء الجماعة الفتية بالإضافة إلى شباب من خارجها. وابتداء من حزيران ١٩٤٢ أصبحت بيانات الحركة تحمل اسم "حركة البعث العربي". ومن الأعضاء المؤسسين المحامي جلال السيد، ابن مدينة دير الزور.

أخطر من اليهود..!!

وكل عائلة بشار الأسد البعثية تعتنق المذهب العلوي ويقول المفكر الإسلامي الدكتور مصطفى الشكعة: والعلويون فرقة ضالة ويسميهم الشهرستاني النصيرية، ربما لإبعادهم عن الإمامية الجعفرية - فينسب إليهم تألية الأئمة من آل البيت، وجعلهم للإمام على كرم الله وجهه قداسة إلهية، وهم يرون أن النبي مختص بالظاهر، وأن علياً مختص بالباطن ويقولون إن النبي كان مختصاً بحرب المشركين، وأما على فمختص بحرب المنافقين، وإنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي.

هذا ما كان من أمر العلويين النصيرية في الماضي، فلما سار ركب الزمان ومرت عليهم القرون عاد منهم إلى العقيدة في سلامتها من عاد، وأخذت بالباقيين أسباب من التغيير أو التطور، بعضها باعد بهم عن الإسلام وبعضها الآخر قريهم إليه.

فأما الذين ساروا في طريق التباعد، فقد وقعوا تحت تأثيرات التعلات الجاهلة التي خروا ضحية لها، لأن بعضها جاء من المجوسية، والبعض الآخر جاء من التثليث المسيحي، أو من فتنة عبد الله بن سبأ، فهم يؤلفون ثالوثاً من على ومحمد وسلمان الفارسي، ويتخذون من ذلك شعاراً يتكون من الحروف الثلاثة (ع م س) أو ما يسمى (سر عقد ع م س).

وهذا الثالوث يفسر عندهم: (المعنى والاسم والباب) والمعنى هو الغيب المطلق، أي: الله الذي يرمز إليه بحرف (ع) والاسم هو صورة المعنى الظاهر، ويرمز إليه بحرف (م)، والباب هو طريق الوصول للمعنى، ويرمز إليه بحرف (س).

فالعقيدة عند هذه الفئة من الغلاة هيكلان: هيكل شبه نصراني يتمثل في

التثبيت الذى يتضح فى عقد (ع م س)، وآخر إسلامى.. ولعل من القرائن التى تفسر لنا ذلك احتفالهم الكامل بالأعياد المسيحية واحتفالهم بالأعياد الإسلامية . ونزيد على ذلك أيضاً الأعياد الفارسية التى دخلت إلى مجتمعهم عن طريق بعض الفرس الذين أسهموا فى خلق العقيدة فهم يحتفلون بعيد الميلاد ويقدمون النبيذ . و يحتفلون برأس السنة ،وبعيد البربارة ،والغطاس ،والشعائين ،والعنصرة ،ومريم المجدلية . ومن الأعياد الفارسية يحتفلون بالمهرجان و النيروز . وأما الأعياد الإسلامية التى يحتفلون بها فهى عيد الأضحى فقط ، كما يحتفلون بأعياد أخرى خاصة بهم هى: «عيد الغدير» ويقع فى التاسع من ربيع الأول" وليلة نصف شعبان وعيد الفراش " أى ليلة مبيت على" فى الفراش مكان النبى (ﷺ).

ليس من شك فى أن هذه الناحية من السلوك فى ضوء هذه القرائن متأثرة بالمسيحية وبعض العادات الفارسية .

ومن عقيدة هذه الفئة الحلول "أى أن الله تجلى للمرء الأخيرة لعل" كما تجلى من قبل ذلك "حسب اعتقادهم" لهاييل وشيث وسام وإسماعيل وهارون وشمعون واتخذ فى كل دور رسولاً ناطقاً تمثل على الترتيب فى آدم و نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، فعلى إله فى الباطن إمام فى الظاهر لم يلد و لم يولد ولم يموت ولم يقتل ولا يأكل أو يشرب .

وبحسب الاعتقاد السابق فقد اتخذ على محمداً ، ومحمد متصل بعلى ليلاً منفصل عنه نهراً .



إن الشيخ سليمان بن على بن حسن الذى عاش فى القرن الماضى فى قرية الدرسونية من قرى أنطاكية يلخص عقيدة هذه الفرقة العلوية الغالية فيقول فى سداجة و جرة غريبتين: اعلم يا ولدى أن السماء هى ذات على بن أبى طالب . وهى الجنة الباطنة دون الجنة المأوى التى ذكرها القرآن بقوله تجرى من تحتها الأنهار ، فالنهر الأول نهر الخمر لونه أحمر ، وهو أن السيد الاسم (أى محمد) يرى السماء حمراء . والنهر الثانى نهر اللبن لونه أبيض ، وذلك نظرة الباب - أى سلمان

الفارسي - فيراها بيضاء ، والنهر الثالث نهر العسل لونه أصفر ، وهو أن الملائكة -
 أي الكواكب - يرونها صفراء ، والنهر الرابع نهر الماء وهو نظرنا ، لأننا نراها كالماء ،
 ولكن متى خلصنا من هذه الكتايف البشرية ترتفع أرواحنا إلى بين تلك الكواكب
 المتلاصقة في بعضها التي هي درب التبان ونلبس هياكل نورانية وحينئذ نرى
 السماء صفراء وإن شككنا فيها في هذه الحياة الفانية تحل أرواحنا في أجسام
 المسوخية وليس لنا نجاة إلى أبد الأبدين ، وأما باقى الطوائف الخارجة عن هذا
 الاعتقاد فمنهم الغنم والوحوش وسائر الممسوخات وليس لهم خلاص أبداً .
 واعلم أيضاً أن الشمس هي السيد محمد ، وهو كل نبي ظهر في العالم من قبة
 الجن إلى آدم وإلى محمد ، كما أخبر بذلك شيخنا وسيدنا أبو عبد الله الحسين
 بن حمدان الخصيبي من ديوان بقوله :- لو أنهم مائة ألف في تعدادهم لعاد في
 واحد عوداً بلا أمد واعلم أيضاً أن القمر هو سلمان الفارسي ، وهذه الكواكب هم
 الملائكة الذين كانوا قبل كون العالم ، وهم سبع مراتب إحداها تعلق الأخرى ،
 وكبيرهم السيد المقداد الذي هو كوكب زحل واسمه ميكائيل ، وأما كوكب المشتري
 فهو أبو الذر واسمه إسرافيل ، وأما عبد الله بن رواحة الأنصاري فهو كوكب المريخ
 وهو عزرائيل الملك الذي يقبض أرواح العالم .

ومن الطرائف حول التدليل على ألوهية " على " ما يتردد في كتب القوم عن
 أسطورة تقول إن " علياً " أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له ، فلما
 أن وصل إلى الموضع المقصود رأى على بن أبي طالب على كرسى من نور والسيد
 محمد " أي سيدنا محمداً " عن يمينه والسيد سلمان (يعنى الصحابي الجليل
 سلمان الفارسي) عن شماله ، ثم التفت جابر إلى ورائه فرآه هكذا ، ثم نظر عن
 يمينه فرآه أيضاً ، ثم نظر إلى السماء فرآه في السماء والملائكة أمامه يسبحون
 بحمده ويسجدون له .

ويذكر القوم أن علياً ظهر بصورة بقرة بنى إسرائيل كما ظهر بصورة ناقة صالح ،
 وعند بعض فرقهم ظهر بصورة كلب أصحاب الكهف . ويعتقد هؤلاء القوم أيضاً
 أن صوت الرعد هو صوت علي بنادي قائلاً : يا عبادي اعرفوني ولا تشكوا بي ،
 وإذا كان الإله " لم يلد ولم يولد " فإن علياً كذلك ، وليس الحسن والحسين إلا

ابنين في الظاهر .

وعلى يسكن القمر ، أو بالأحرى إن القمر هو على ذاته ، وإن ما في القمر من سواد ليس إلا أعضاء جسد على ، ومن ثم كان القمر معبوداً لهم ، ولما كان القرآن الكريم يصف الخالق بقوله تعالى " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " فإن القمر يكون هو ذلك الإله ، لأنه كل يوم في شأن ، وكلمة قمر توحى بالضياء ، وهي مكونة من ثلاثة أحرف ، ولما كانت كلمة " شمس " وكلمة " نجم " كل منها مكونة من ثلاثة أحرف وتعطى ضياء فإن الصلة تكون وثيقة القداسة بينها ، ولذلك فإن بعض القوم يذهبون إلى أن القمر هو على ، والسماء هي على ، والشمس هي محمد .

أما وإن القمر هو الإله فإن لهذا الفريق كثيراً من الأشعار التي تمجد القمر أو " الرmq " كم يحلو لبعضهم أن يكنى عنه بحروفه مقلوبة .

ومن حيث العبادة والمعبود فإن النصيرية التي نخصها هنا بالحديث تنقسم إلى أربع طوائف هم : عباد السماء ، وعباد الشفق ، وعباد القمر ، وعباد الهواء . وليس كل من السماء والشفق والقمر والهواء إلا " علياً " .

والسؤال الآن: كم عدد هؤلاء العلويين النصيريين الذين يسيطرون علي مقاليد الحكم، وكم عدد السنة في سوريا؟

الإجابة في..

التركيبية السكانية في سوريا

تتميز سوريا بتنوع عرقي وديني كبير يعود بالدرجة الأولى إلى كونها من أكثر المناطق حيوية في التاريخ القديم، ومن أقدم الأراضي التي تم اكتشاف آثار الإنسان فيها منذ عصور ما قبل التاريخ حيث لا يزال يوجد حتى الآن في معلولا قرب دمشق من يتكلم الآرامية التي تحدث بها السيد المسيح عليه السلام .

كما كانت سوريا الأرض التي عبرها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قبل ظهور اليهودية بخمسة قرون، وكانت المسرح الرئيسي لمواجهات كبرى لم تنقطع لقرون كثيرة بين الإمبراطوريات القديمة من الفينيقيين والآشوريين والإغريق والفرس والرومان والفرعنة .

وبعد الفتح الإسلامى عام ١٥هـ/ ٦٣٦م، كانت سوريا وبلاد الشام بشكل عام مسرحاً رئيسياً لمواجهة الغزوات المغولية والصليبية. يبلغ عدد سكان سوريا بحسب تقديرات غير رسمية فى الوقت الحاضر أكثر من ٢٢ مليون نسمة.

واستناداً إلى تقرير الأمم المتحدة الديمغرافى السنوى الصادر عام ٢٠٠٨ يتوزع عدد السكان فى سوريا على المحافظات الرئيسية على النحو التالى: حلب ٣,٣٩٢,٠٠٠، ودمشق ٣,١٧٥,٠٠٠، وحمص ١,١١٣,١١٤، وحماة ٧٨٠,٠٠٠، واللاذقية ٦٦٠,٠٠٠، ودير الزور ٤١٦,٦٠٠، والحسكة ٣٨٨,٧٠٥، والرققة ٣٧٠,٠٠٠ ألف، إدلب ١٢٠,١٤٧.

وتشير بعض الدراسات إلى وجود حوالى عشرين مليون نسمة من أصل سورى فى دول العالم وعلى الأخص فى الأمريكتين وأوروبا وأستراليا.

التوزع الدينى

بفعل حركة الهجرة الداخلية، لا يمكن حصر منطقة جغرافية معينة بفئة عرقية أو دينية منفصلة، بل يمكن الحديث عن أغلبية سنّية عامة تتركز فى المحافظات الرئيسية: دمشق وحمص وحماة وحلب والرققة ودرعا.

فى حين يتركز المسلمون من الطائفة العلوية -التي تتبع المذهب الجعفرى الشيعى الإثنى عشرى- فى قرى الساحل السورى وبعض مناطق الداخل والقرية من الداخل. أما الدرّوز فالكثافة الأعلى لهم فى المنطقة الجنوبية بالجبل بمحافظة السويداء، فضلاً عن وجود أكثر من ٤٠ ألف درزى فى هضبة الجولان المحتل.

وينتشر المسيحيون فى كل أنحاء البلاد، وفى بعض المدن يتركزون فى أحياء معينة، أو فى قرى بأكملها، مع الإشارة إلى وجود عرقيات مختلفة مثل الآشوريين والكلدان والسريان والأرمن والآراميين.

ويتركز الشركس فى دمشق، فى حين يتركز الأرمن بالدرجة الأولى فى حلب وريف اللاذقية والقامشلى فى شمال شرق البلاد، أما الأكراد -الذين يقدر

عدددهم بأكثر من مليون كردي- فيتركزون في المناطق الشمالية الشرقية، خاصة محافظة الحسكة والقامشلي والشمالية في ريف حلب قريبا من الحدود مع تركيا، أما محافظة دير الزور ومدينة البوكمال والقرى القريبة من الحدود مع العراق فغالبيتها من العرب السُّنة.

يشار إلى أن قانون منح الجنسية الذي صدر في مطلع أبريل/نيسان ٢٠٠٠ مكتوم القيد بسبب إحصاء الحسكة ١٩٦٢ يعني زيادة عدد الأكراد المسجلين رسميا في سجلات الدولة بحوالي ٢٠٠ ألف شخص.

ومع غياب إحصائيات دقيقة للتوزع الديني، تشير العديد من الدراسات إلى إحصائيات مختلفة منها إحصاء عام ١٩٨٥ الذي يعدد النسب على الشكل التالي: ٧٦,١% مسلمون سنة، و١١,٥% علويون، و٢% دروز، و١% إسماعيليون، و٤,٥% و٤,٠% شيعة إثنا عشرية.

وهناك بعض الباحثين من يشكك في دقة هذه النسب، ويرى أن نسبة السنة في سوريا لا تقل عن ٨٠% وتصل إلى ٨٥% إذا أضيف إليها نسبة السنة الأكراد، إلى جانب ٩% من العلويين و٥% من المسيحيين الذين هاجر كثير منهم إلى الخارج.

في حين يذكر تقرير وزارة الخارجية الأمريكية للحريات الدينية أن نسبة المسلمين السنة في سوريا تبلغ ٧٧% و١٠% علويين، و٣% دروزا وإسماعيليين وشيعة إثني عشرية، و٨% من السكان مسيحيون من طوائف مختلفة تتبع غالبيتها الكنيسة الشرقية وتهيمن الطائفة الأرثوذكسية بشكل كبير على التوزيع المسيحي، وتوجد أيضا أقلية يزيدية في منطقة جبل سنجار على الحدود مع العراق.

أما بالنسبة لليهود فقد هاجر معظمهم بعد سماح الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد لهم بمغادرة البلاد في مطلع التسعينيات من القرن الماضي.

جرائم عائلة الأسد النُصيريَّة

امتطت النُصيريَّة حزب البعث، وتسلمت عليه، حتى تمكنت من رقاب الشَّعب السوري، رغم أنَّها لا تمثل عشرة في المائة، وأذاقت الشَّعب الذي يخالفها في العقيدة، ألوان الخسف والهوان، واستعملت التُّقية لتضليل الشَّعب، ويزعم المتسلط

باسمها أنه مسلم، ويعلن أمام الناس، شهادة: أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، قال الله تعالى: (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون). وجرائم عائلة الأسد، قديمة حديثة، وإليكم بعضاً من جرائمه قديماً، وبعضاً من جرائمه حديثاً.

من جرائم: حافظ الأسد التُّصَيَّرِي، وأخيه رفعت في سورية قديماً:
قتل الشيخ مروان حديد، وهو شاب جامعي، مارس الدعوة إلى الله، وعزَّ عليه أن يسمع مذيع البعث يقول:

أمنت بالبعث ربا لا شريك له وبالعروية ديناً ماله ثان

فاعتصم بأحد المساجد، وقاوم الغزاة المقتحمين للمسجد، ثم اعتقل مرة أخرى، وفي السجن نقص وزنه من ٨٠ إلى ٢٦ كيلو، ثم أعطى حقنة سامة، وفاضت روحه يوم الاثنين: ٢٢ رجب ١٣٩٦هـ.

حدث مدرسة المدفعية: في حلب قام ضابط يدعى: إبراهيم يوسف بقتل مجموعة من الطلاب النصيريين، ومع ذلك ألصقت التهمة بجامعة الإخوان المسلمين، ليتم القبض على آلاف من أعضائها، و يعلَّق منهم على أعواد المشانق ثمانية عشر شاباً.

في مجال التربية والتعليم: جرى نقل وتحويل ٥٠٠ من المدرسين والمدارس المعروفين بغيرتهم على الإسلام، إلى وظائف كتابية وإدارية، بعيداً عن تخصصهم. في مجال الجيش: منعت إقامة الصلاة، وصُفِّي من العناصر الإسلامية، على يد مجموعات من القيادات النصيرية الكافرة، ووصل التنكيل بشعائر الله والسخرية منها، إلى حد صب الخمر على المصلين، وتجريده من ثيابه أثناء الصلاة، كما حدث للرقيب على الزير، وللضابط الحوراني.

. مصطفى عبود: طبيب شاب تخرج في جامعات ألمانيا الغربية، وعمل في حلب، توجهت السلطة للقبض عليه، أثناء علاجه لمرضاه، حاول مقاومتهم تكاثروا عليه، وجروه من قدميه ورأسه، تدحرج على الدرج، عُدَّب في السجن، حتى كسرت ثلاثة أضلاع من الجانب الأيسر لصدره، وكسرت رجله اليمنى، وعطبت يده اليمنى، ثم

قدم للمحاكمة، محاكمته هزلية، حكمت عليه بالإعدام، وحين علقوه على المشنقة، علقوه ميتاً.

. ياسر غنّام: فى الثَّامنة عشرة من عمره، عرف طريق الحقِّ وضاق بمظالم المجرمين، واعتقل أخوه الأصغر، وشُرِّدَ الأخ الآخر، واختار ياسر طريق الجهاد والمجاهدين، وشارك مع قلة من المجاهدين فى معركة باب النَّصر، التى استمرت من المساء حتى الصُّباح: ١٩ / ٨ / ١٩٧٩م وشاركت فيها قوات سرايا الدِّفاع، والمخابرات، وأمن الدولة، والشُّرطة، والحزبين المسلَّحين، واستخدمت القذائف الصَّاروخية، لذلك بيوت المجاهدين، وسقط من القوات الحكومية، حوالى مائة، ولقى الله من المجاهدين خمسة: عصام قدسى، همَّام الشَّامى، إسماعيل اليوسف، رامز العيسى، وياسر غنّام، وكان ياسر - رحمه الله - صاحب الرضاصة الأولى والأخيرة فى المعركة.

. سالم محمد الحامد: شاب فى ريعان الشباب، والده عالم جليل ربَّى جيلاً، وأجيا موات أمّة، ضاق بما يراه من حوله، من سفك للدم الحرام، ومن انتهاك العرض الحرام، من هدم البيوت بالقنابل والصواريخ، ومن تعدُّ على بيوت الله. دارت بينه وبين المجرمين معركة، هو وحده فيها، والله معه، والمجرمون مئات بأسلحتهم الخفيفة والثقيلة، ووقف على السُّلم، والمجرمون يصعدون، وكلما تجمع منهم عدد، ألقى عليهم قنبلة، حتى ألقى عليهم آخر قنبلة، سقط بعدها، وأحصى المجرمون قتلاهم، فإذا هم أربعون، وراحوا يحصون عدد قتلى الجانب الآخر، فإذا هو وحده، ليس معه من أحد إلا الله، قال الله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

. حسن محمد حسين: أستاذ الفيزياء النووية، وهو تخصص نادر، ومع ذلك لم يفلت من الأيدى الخبيثة، اعتقلوه، وعذبوه، رغم احتجاجات أساتذة جامعة حلب ورئيسها، ثم قتل.

. غفران أنيس: الأخت الدَّاعية، التى هتكوا عرضها، ثم ألقوا بجسدها فى طريق مطار دمشق، وليلى الطالبة، بمدرسة القبالة، التى فعلوا بها، ما فعلوه بأختها

غفران.

حرم المحامي أحمد موسى: الذي قتله المجرمون، لأنه لم يرشد عن المجاهدين، ثم أمسكوا بها لتدل على المجاهدين، فأبیت فقتلوا ابنها أمامها، ثم حاولوا الاعتداء على عرضها.

نشرت جريدة الأنباء الكويتية في ٢٠ / ٨ / ١٩٨٠م، رسالة لأخت سجينه، كتبت لأمها تحكى لها ما تعرضت إليه في السجن!!!.

مجزرة جسر الشغور: شاركت البلدة المؤمنة سائر البلاد غضبها، على الحكم النصيري الدموي، بدأت المظاهرات في الصباح، فصعدت السُّلطة الموقف، وقلبتة الى ميدان حرب، وصلت الموقع ١٦ حوامة "طائرة هليكوبتر"، نصبت المدافع على التلال، أطلقت الصواريخ على البلدة الآمنة، لا تفرق بين رجل وشيخ، وامرأة وطفل، بدأ الأهالي يقاومون السُّلطة الباغية، ووقع الصدام الأول بالمنطقة الشمالية، فقتل من الوحدات الخاصة ١٦ عنصراً، ثم توجه ألف من الوحدات الخاصة، لاحتلال منطقة السوق، فدارت المعركة بين الشعب الأعزل، والقوات الخاصة، المدججة بكل أنواع السلاح، والقذائف الفسفورية الحارقة، وكان حصاد المعركة:

مائة قتيل بين طفل، وشيخ، وامرأة، ورجل. ومئات الجرحى، وألف معتقل. وهدم، وحرق أربعين دكاناً. وكان من المناظر المتوحشة الدامية: طفل عمره ٦ شهور، شق جسمه نصفين، أمام أمه التي ماتت لفورها، وطفل صغير، أرادوا قتله؛ فارتمت أمه فوقه لتحميه، فقتلوا بالرصاص.

مجزرة سجن تدمر:

في اليوم التالي لمحاولة اغتيال حافظ الأسد، توجه شقيقه رفعت، على رأس قوة سرايا الدفاع، والوحدات الخاصة، تحملها اثنتا عشرة حوامة - طائرة هليكوبتر - وهبطت عند سجن تدمر الصحراوي، حيث يوجد آلاف من خيرة شباب سوريا ديناً وعلماً وخلقاً، وجمع المعتقلون، وصُرف الحرس، وأطلقت القوات المحاربة الرصاص على الأسرى العزل السجناء، فسقط حوالي ١٨٥٠ شهيداً، غير

الجرحي، وقد شوهد رفعت الأسد، وهو يطلق الرصاص بنفسه من الطائرة، وبعد انتهاء المعركة، التي لا يحمل فيها السلاح إلا ظرف واحد، قامت السُلطة الباغية بحفر حفرة، أُلقت فيها القتلى، ثم الجرحى، ودقنت الجميع.

مجزرة حماة فى الثمانى من فبرابر ١٩٨٢م:

بدأت مجزرة حماة فى الثمانى من شهر (فبرابر- شباط) ١٩٨٢م، حين باشرت وحدات عسكرية حملة على المدينة الواقعة وسط سوريا، وتم تطويق المدينة وقصفها بالمدفعية قبل اجتياحها عسكرياً، وقتل واعتقال عدد كبير من سكانها، وراح ضحية المجزرة عشرات الآلاف من أبناء حماة وفق روايات متعددة.

وتشير بعض التقديرات إلى سقوط ما بين عشرين وأربعين ألف قتيل، وفقدان نحو ١٥ ألفاً آخرين، لا يزال مصير عدد كبير منهم مجهولاً حتى الآن. فضلاً عن القتلى والمفقودين، فقد تعرضت المدينة الواقعة على بعد نحو: ٢٠٠ كلم، شمال العاصمة دمشق، لخراب كبير شمل مساجدها، وكنائسها، ومنشآتها، ودورها السكنية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من سكانها، بعد انتهاء الأحداث العسكرية. وتشير التقارير التي نشرتها الصحافة الأجنبية عن تلك المجزرة، إلى أن النظام منح القوات العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة، وتأييد المتعاطفين معها. وفرضت السُلطات تعتيماً على الأخبار، لتفادى الاحتجاجات الشعبية، والإدانة الخارجية.

وبررت السُلطات وقتها ما حدث بوجود عشرات المسلحين التابعين لجماعة الإخوان المسلمين، داخل مدينة حماة.

اعترافات شاهد عيان

قال الرقيب عيسى ابراهيم فياض والعريف أكرم على بيشانى وهما شاهداً عيان على مجزرة سجن تدمر: فى تمام الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم ١٩٨٠/٦/٢٧ دُعيت مجموعتان من سرايا الدفاع للإجتماع بلباس الميدان الكامل، المجموعة الأولى من اللواء (٤٠) والذي يقوده الرائد معين ناصيف (زوج بنت رفعت أسد)، و المجموعة الثانية من اللواء (١٢٨) الذى يقوده المقدم على ديب، وكل

من المجموعتين يزيد تعداد عناصرهما على مائة عنصر .
 أما مجموعة اللواء (٤٠) فقد اجتمعوا في سينما اللواء ، حيث ألقى فيهم معين ناصيف كلمة ، قال فيها : (راح تقوموا بهجوم على أكبر وكر للإخوان المسلمين ، وهو سجن تدمر .. مين ما بدو يقاتل) وبالطبع ، لم يرفع أحد منهم يده ، ثم انتقلت المجموعة الموجودة إلى مطار المزة القديم حيث التقت المجموعتان حيث كانت في انتظارهم عشر طائرات هيلوكوبتر ، وكل طائرة تتسع لـ ٢٤ راكبا .
 كان قائد العملية المقدم سليمان مصطفى ، وهو قائد أركان اللواء (١٣٨) وكان من جملة الضباط المشاركين: الملازم أول ياسر باكير ، الملازم أول منير درويش ، والملازم أول رثيف عبد الله .

أقلعت الطائرات الهيلوكوبتر حوالى الساعة الخامسة صباحاً ، ووصلت إلى مطار تدمر حوالى الساعة السادسة ، وعقد اجتماع لضباط العملية ، تم فيه توزيع المهمات و تقسيم المجموعات ، ثم أعطى العناصر استراحة لمدة ثلاثة أرباع الساعة .

فى هذه الأثناء كان سجن (تدمر) هادئاً ، وقد أُتخذت ترتيبات معينة ، مثل : إجراء تفقد للمعتقلين و تسهيل مهمة مجموعات سرايا الدفاع، فلم تكن هناك عراقيل أو اعتراض ، بل كانت الشرطة العسكرية المكلفة بالحراسة على الباب الخارجى ، كما كان رئيس الحرس و شرطته العسكرية مجتمعين فى ساحة السجن .

ثم دُعيت عناصر سرايا الدفاع إلى الاجتماع، حيث تم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات:

• المجموعة الأولى : وهى مكونة من ٨٠ عنصراً، وكلفت بدخول السجن، وسُميت «مجموعت الاقتحام».

• المجموعة الثانية : وهى مكونة من ٢٠ عنصراً، وكُلفت بحماية الطائرات الهيلوكوبتر .

• المجموعة الثالثة : وهى مكونة من بقية العناصر وقد بقيت فى المطار

للاحتياط.

ركبت مجموعة الاقتحام سيارات (دوج تراك)، وحين وصلت إلى السجن، انقسمت المجموعات الموجودة إلى مجموعات صغيرة، كل منها بإمرة أحد الضباط. وقد سلم مدير السجن مفاتيح العنابر إلى ضباط سرايا الدفاع، كما زودوا بمرشدين لغرف السجن وباحاته.

كان في سجن تدمير العسكرى (٢٤) عنبراً، في كل منها (٢٠-٧٠) معتقلاً، تبعاً لحجم العنبر وقد تم تنظيم العملية بقتل المعتقلين على دفعتين: الدفعة الأولى شملت الغرف المطلة على الباحات (١، ٢ و ٣) و الدفعة الثانية تشمل الغرف المطلة على الباحات (٤ و ٥ و ٦) وبسبب انخفاض العنابر وعمتها في غرف الباحات (١ و ٢ و ٣) تقرر إخراج المعتقلين إلى الباحات لتنفيذ الإعدام فيهم.

توزعت مجموعات سرايا الدفاع على العنابر، والباحات وفتحت الأبواب، بموجب نظام السجن، وقف المعتقلون عند فتح أبواب العنابر مغمضى العيون ووجوههم في السقف، و قدم رئيس كل عنبر الصف (ويكون أحد السجناء)، ويطلب منه ترتيب السجناء وتنظيمهم ويكون له نصيب أكبر من العذاب.

● في الباحة رقم (١) تم إخراج نزلاء العنبرين (٥ و ٦) ونزلاء العنبر (٤) وجمعوا في زاوية الباحة الشمالية الشرقية.

● في الباحة رقم (٢) تم إخراج نزلاء العنابر الثلاثة (٨ و ٩ و ١٠) وجمعوا في آخر الباحة الجنوبية الغربية، مقابل العنبر (٨) في الشرفة الواسعة من الأمام.

● في الباحة رقم (٣) تم جمع المعتقلين من العنابر (١٢ و ١٣ و ١٦ و ١٧) في الداوية الشرقية الجنوبية من الباحات أمام العنبر (١٢).

وهكذا تم تجميع المعتقلين مع أغراضهم بشكل يجعل عمليات القتل والإبادة تبدأ في الباحات الثلاثة في وقت واحد.

و الجدير بالذكر أن المعتقلين جميعاً خضعوا في اليوم السابق لأنواع من التعذيب الشديد الذي لم يسبق له مثيل، فقد اندفعت عناصر الشرطة العسكرية تطوف بالعنابر وتضرب المعتقلين بالسياط والعصى، كما أخرجوا نزلاء بعض العنابر إلى

الباحات بالتسلسل، وانهالوا عليهم ضرباً بالعصى والسياط، فأصيب الكثيرون من المعتقلين بكسور وجروح مختلفة .

بدء المجزرة الوحشية

بعد ذلك أعطيت إشارة البدء لعناصر سرايا الدفاع ، فانطلقت الآلات النارية تصب وابل الجحيم على المعتقلين العزل الأبرياء، وألقيت عدة قنابل - لاسيما في الباحة رقم (٢) - واستخدمت بعض قاذفات اللهب مع إطلاق النار الكثيف في كل من الباحات الثلاثة، على حين تعالت أصوات المعتقلين بهتافات : الله أكبر .

وخلال دقائق قليلة انتهى الأمر، لكن بعض المعتقلين في الباحة رقم (١) تمكنوا من الهروب، وتمكنوا من دخول العنبر الكبير المزدوج (٤ و ٥) فتواروا فيه، فلحق بهم بعض عناصر سرايا الدفاع، فقتلوهم ومثّلوا بهم .

حين انتهت العملية في الساحات الثلاث ، تجمع القتلة و انطلقوا إلى الباحات الثلاث الأخرى ، ولكي لا تتكرر عملية هروب بعض الضحايا إلى العنابر ، قرر الضباط دخول العنابر على المعتقلين وقتلهم فيها .

اندفعت ست مجموعات من القتلة إلى الباحة رقم (٤) وفيها ثلاثة عنابر مليئة بالمعتقلين، فتوجهت كل مجموعتين إلى عنبر، وفتّح الباب، وقدم رئيس كل عنبر الصف، فدخلوا عليهم، وأمروهم بالابتعاد عن الباب ثم ألقوا على العنبر قنبلتين دفاعيتين، ثم دخلوا عليهم وأخذوا يطلقون رصاصهم رشاً على الضحايا الذين ارتمى معظمهم على الأرض بين قتيل وجريح ، واستمروا في ذلك إلى أن أتموا قتل من في العنبر .

ثم أنطلقت المجموعات إلى الباحتين رقمي (٥ و ٦) حيث توزعت على العنابر الخمسة الباقية، وتم فتح الأبواب عليهم وبدئ بإطلاق النار على المعتقلين العزل .

وفي أحد عنابر الباحة رقم (٥) اختبأ أحد المعتقلين في دورة المياه بالقرب من الباب، وحين دخلت العناصر المسلحة، وبدأت بإطلاق النار على المعتقلين العزل، انقض هذا المعتقل من دورة المياه، وتمكن من أنتزاع السلاح من أحد عناصر سرايا الدفاع، وهو الرقيب اسكندر أحمد، وأطلق عدة طلقات أدت إلى مقتل هذا

الرقيب وجرح اثنين آخرين، لكن بقية العناصر المسلحة بادرت إلى إطلاق النار على المعتقل البطل حتى استشهد .

قام بعض الضباط والعناصر بتقليب جثث الضحايا، والتأكد من مقتلهم أو الاجهاز على من فيه بقية رمق، حتى تلطخت أيديهم وثيابهم وصدورهم بالدماء، مثل الملازم رثيف عبدالله، والملازم منير درويش، والرقيب على محمد موسى.

بقى دم الضحايا البريئة يغمر أرض السجن، وتجمد في كثير من الأماكن من الباحات والعناير، فتم تنظيف الساحات، وتم طلاء جدران السجن بسرعة لإخفاء معالم الجريمة ، أما المجرمون منقذو العملية فقد عادوا إلى مطار المزة في الساعة ١٢,٣٠ ظهراً، وانصرفت مجموعة اللواء ١٣٨ إلى لوائها، كما انصرفت مجموعة اللواء ٤٠ إلى لوائها ، وكان بانتظارهم الرائد معين ناصيف ، حيث اجتمع بهم في السينما ، وشكرهم على جهودهم ، و عزايم بوفاة الرقيب اسكندر ، و قال لهم :أنتم قمتم بعمل بطولى ، بعمل رجولى ، ثم أمرهم بكتمان العملية ، وقال لهم: ما لازم تطلع هالعملية خارج منا ، يعنى لازم تظل مكتومة و سرية .

و فى اليوم التالى وزعت السلطة مبلغ ٢٠٠ ليرة سورية على كل عنصر من العناصر الذين اشتركوا فى هذه الجريمة .

هذه التفاصيل جاءت ضمن اعترافات الرقيب المجرم عيسى ابراهيم فياض ، و العريف المجرم أكرم على جميل بيشانى ، و كلاهما علويان من سرايا الدفاع ، اشتركا فى محاولة فاشلة لاغتيال رئيس الوزراء الأردنى السابق مضر بدران ، و أدليا باعترافتهما كاملة على شاشة التليفزيون الأردنى ، و نشرت فى كتاب الوثائق الأردنية -١٩٨١ و الذى طبعته وزارة الإعلام الأردنية بتاريخ ١٩٨١/٢/٢٥ .

وقد اطلعت لجنة حقوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة التى انقعدت فى جنيف فى دورتها السابعة و الثلاثين على وقائع مجزرة تدمر ، خلال مناقشتها للبيد ١٣ من جدول الأعمال الخاص بانتهاكات حقوق الإنسان فى العالم ، ووزعت على اللجنة الوثيقة رقم E/CN 1469 بتاريخ ١٩٨١/٣/٤ التى تضمنت إفادات المشاركين فى مجزرة تدمر، (عيس إبراهيم الفياض و أكرم بيشانى). و ناقشت

اللجنة بجلستها رقم ١٦٢٢ تاريخ ١٩٨١/٣/٩ مضمون المذكرة و شارك في النقاش مندوبو الأردن و العراق و سوريا .

والآن من مجزرة سجن تدمر إلى مجزرة حماة

الأسد بطل مجزرة حماة

بدأت مجزرة حماة في الثاني من فبراير/ شباط ١٩٨٢ حين باشرت وحدات عسكرية حملة على المدينة الواقعة وسط سوريا، وتم تطويق المدينة وقصفها بالمدفعية والطائرات قبل اجتياحها عسكرياً وقتل واعتقال عدد كبير من سكانها، وراح ضحية المجزرة نحو ٤٠ ألفاً من أبناء حماة وفقدان نحو ١٥ ألفاً آخرين لا يزال مصير عدد كبير منهم مجهولاً حتى الآن.

وفضلاً عن القتلى والمفقودين، فقد تعرضت المدينة - الواقعة على بعد نحو ٢٠٠ كلم شمال العاصمة دمشق - لخراب كبير شمل مساجدها وكنائسها ومنشآتها ودورها السكنية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من سكانها بعد انتهاء الأحداث العسكرية.

وتشير التقارير التي نشرتها الصحافة الأجنبية عن تلك المجزرة إلى أن المجرم حافظ الأسد منح القوات العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة وتأييد المتعاطفين معها. وفرضت السلطات تعتيماً على الأخبار لتفادي الاحتجاجات الشعبية والإدانة الخارجية.

وبررت السلطات وقتها ما حدث بوجود عشرات المسلحين التابعين لجماعة الإخوان المسلمين داخل مدينة حماة.

اتهام الإخوان

وجاءت تلك الأحداث في سياق صراع عنيف بين نظام الرئيس حينها حافظ الأسد وجماعة الإخوان التي كانت في تلك الفترة من أقوى وأنشط قوى المعارضة في البلاد.

وأتهم النظام حينها جماعة الإخوان بتسليح عدد من كوادرها وتنفيذ اغتاليات وأعمال عنف في سوريا من بينها قتل مجموعة من طلاب مدرسة المدفعية في

يونيو/ حزيران ١٩٧٩ فى مدينة حلب شمال.

ورغم نفي الإخوان لتلك التهم وتبرئهم من أحداث مدرسة المدفعية فإن نظام الأسد حظر الجماعة بعد ذلك وشن حملة تصفية واسعة فى صفوفها، وأصدر قانون ٤٩ عام ١٩٨٠ يعاقب بالإعدام كل من ينتمى لها.

وتطالب المنظمات الحقوقية بتحقيق دولى مستقل فى أحداث حماة، ومعاينة المسؤولين عن المجزرة التى تعتبر الأعنف والأكثر دموية وقسوة فى تاريخ سوريا الحديث.

ذكرت صحيفة النوفيل أوزيرفاتور الفرنسية بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٨٢:

فى حماة، منذ عدة أسابيع، تم قمع الانتفاضة الشعبية بقساوة نادرة فى التاريخ الحديث.. لقد غزا (حافظ ورفعت الأسد) مدينة حماة، بمثل ما استعاد السوفيت والأمريكان برلين، ثم أجبروا من بقى من الأحياء على السير فى مظاهرة تأييد للنظام؛ حتى أن صحفيا سوريا مندهشا قال موجهاً كلامه لأحد الضباط: رغم ما حدث، فإن هناك عدداً لا بأس به فى هذه المظاهرة. أجاب الضابط وهو يضحك: نعم، ولكن الذى بقى أقل من الذين قتلناهم.

أما جريدة ليبراسيون الفرنسية، فقد ذكرت على لسان الصحفى شارل بويت، وهو صحفى فرنسى محرر فى صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية استطاع أن يدخل إلى قلب مدينة حماة أثناء الأحداث.

إنه الصحفى الوحيد من بين كل الصحفيين العرب والأجانب الذى تمكن من الدخول إلى هذه المدينة... وبجيلة ذكية.

كان فى دمشق.. وحينما سمع بالأحداث استقل الباص باتجاه حلب. وفى حمص وأثناء استراحة قصيرة اختفى وترك الباص يتابع سيره ثم بحث عن تاكسى لكى ينقله إلى مداخل حماة أو ضواحيها بحجة أنه سائح يبحث عن الآثار.

قضى فى المدينة وقتاً لا بأس به، ثم سلم نفسه للسلطات السورية تمويهاً.. وبعدما عاد إلى فرنسا نشر تحقيقاً مطولاً يعتبر أخطر ما كتب فى الصحافة العالمية عن هذه المذبحة.

ونشرته الصحيفة المذكورة يوم الاثنين فى الأول من مارس آذار ١٩٨٢ وفيه:
 الساعة السابعة صباحاً.. تبدو حماة مدينة غريبة، حركة عمران! كل شىء فى
 طور الإعمار، أو كان كذلك، وفجأة توقف كل شىء. وبمحاذاة البيوت التقليدية
 القديمة، كانت الأبنية الحديثة تبدو كأنها حيوانات ضخمة جريئة واقفة على
 ظهرها. الطوابق الأرضية ظاهرة، والأعمدة التى تستخدم عادة لحمل الطوابق
 الأخرى كانت عارية، ومتجهة نحو السماء بشكل مستقيم، وعلى قممها قضبان
 حديدية ملتوية وصدئة. (...) إننى أمشى الآن وسط بيوت متهدمة، وأشجار
 مكسرة، وأعمدة ملوية أو منزوعة من مكانها. هناك قليل من السكان. ومثلهم
 فإننى أتقل بحذر أثناء المسير. إنه هنا حدث القتال وما يزال مستمراً من صباح
 هذا اليوم من شهر فبراير - شباط. إنها ليست الحرب، ولكن بالأحرى، نهاية
 معركة كانت على ما يبدو رهيبة.

ننتقل من بيت إلى بيت، ومن فوقنا تمر طائرة هيلوكبتر. وأمامنا عائلات
 بأكملها تبكى، جثث تجر من أرجلها أو محمولة على الأكتاف، أجساد تتفسخ
 وتبعث منها رائحة قاتلة، وأطفال تسيل منهم الدماء وهم يركضون لاجتياز
 الشارع. امرأة ترفض أن تفتح لنا منزلها. إنها ليست زيارة متفقاً عليها. إننى غير
 مرغوب فى مثل هذه الساعات. ونهيم على وجوهنا أنا ومرافقى - أحد أبناء
 المدينة الذى تطوع بهذا العمل - ولكن كنا محتاجين لأن نبقى ضمن الأحياء التى ما
 تزال فى أيدي الثوار التى تضيق رقعتها شيئاً فشيئاً. وأخيراً تستجيب المرأة
 لتوسلات مرافقى وتفتح لنا. إنها تخبئ زوجها. ها هو ذا أمامنا مسجى على
 الأرض، دونما رأس، ميتاً منذ ٥ فبراير - شباط!!! وهكذا فإن كثيراً من الناس
 يخبئون جرحاهم، خشية أن تجهز عليهم القوات الحكومية. أما الأموات فإن
 أهاليهم يدفنونهم بسرعة. إذا أمكن، فيما أصبح يطلق عليه اليوم مقبرة الشهداء
 فى الزاوية الكيلانية. (التي تم نسفها كلياً فيما بعد).

بضع طلقات نارية صوب الجنوب تتبعها رشقات قوية. وخلال عشر دقائق كانت
 القذائف تتساقط كالطرر أينما كان، وحيثما تسقط كنت تسمع صرخات الرعب

ونداءات التوسل إلى الله على بضعة أمتار منا، شاهدنا رجالاً يتمزق تماماً ويسقط فوق جدار، كما لو أنه هيكل عظمى. ولم أصدق عيني، ولكن عندما ظهرت الطائرات من جديد فوقنا، دفعني مرافقي لتحت المنزل، صارخاً "هاهم يعودون". في الطريق يصادفنا رجل يقدمه مرافقي لى. إنه طبيب... ويكل سرعة يناولنى الطبيب هذا بضع أوراق، ويكتب لى أسماء ضحايا: كم قتيلاً" سألته.. أجاب: لا أعرف. ليس أقل من ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ لقد رأينا ضحايا فى كل مكان.. أمسك. حتى يعرف العالم كله الحقيقة سجل: "مصطفى شامية، طارق عبد النور، أديب السبع، أحمد الشلبى". وبإشارة أفهمه أنه لا فائدة من الاستمرار لأننى لا أستطيع أن أسجلهم كلهم ولكنه يستمر ويكل عصبية ويطلب منى بطريقة الأمر أن أسجل: "إبراهيم الطرقيجى، فؤاد جودت، غسان جلوسنى دهيمش.

أترك حماة بمزيج من الرعب والفرح... الفرع حين أتذكر أنه ولا مرة واحدة خلال هذه الأيام والليالى التى قضيتها هناك سمعت صوت المؤذن يدعو المؤمنين إلى الصلاة، كما لو أن المآذن نفسها قد انكشفت على نفسها تلقائياً.

الرئيس والثورة

فى جو أشبه مايكون بعرض مسرحى لرواية من الكوميديا السوداء تم تنصيب بشار الأسد رئيساً لدولة سوريا خلفاً للراحل أبيه، فبعد ترقيته إلى رتبة الفريق قفزاً من رتبة عقيد وفى مسرحية هزلية وافق مجلس الشعب الذى صنعه حافظ على عينه ودريه على التزييف والتلفيق من غير حمرة خجل تلون الوجه الكالح صوت الأعضاء على اختيار بشار وحده مرشحاً لرئاسة البلاد وطرحه لاستفتاء أشرف على تزييفه وتزويره زبانية حزب البعث الحاكم بالحديد والنار.. وأعلنت نتائج التزوير لصالح بشار وبينما الجوقة تزغرد كان الشعب يئن ويلطم الخدود ويشق الجيوب حسرة على ما فرض عليه بالحديد والنار!!

ووقف بشار منتشياً، لقد حقق حلم أبيه فى وراثة الحكم، ورغم تصريحاته الوردية فى خطاب الرئيس الأول ووعوده بالديمقراطية والرفاهية للشعب إلا أنه لم ينجز شيئاً من ذلك ولم يحقق أى تقدم فى حقوق الشعب بل لم يرفع إصبعه

فى وجه جندى إسرائيلى على أرض الجولان المحتلة، وقد أسكرته فلاشات التصوير وعدسات الكاميرا وهو يختال كالتاؤوس إلى جانب زوجته السيدة أسماء الأخرس.. بينما أمه السيدة أنيسة مخلوف من وراء الكواليس تمكر وتفكر وتدبر وتوسوس إليه تذكره بأمجاد أبيه فى حصد أرواح الأبرياء من الشعب وذبح المساجين فى سجن تدمر.. وقد فعلها بشار فحكم سوريا بالحديد والنار وأذاق الشعب ويلات العذاب ومرار الظلم وانكسار الكرامة وكبت الحريات.. حتى إذا هبت نسائم الربيع العرى كالرياح العاتية تقتلع جنور الحكام الطفافة فى تونس ومصر وليبيا.. تسارعت دعوات شعبية سورية على صفحات الفيس بوك فى تحد للطاغية بشار تدعو لإسقاطه وانطلقت الشرارة الأولى فى ١٥ مارس ٢٠١١ وخرج الشعب فى مدن سورية مختلفة فى مظاهرات سلمية عارمة تهتف: حرية.. حرية.. فصرخ الشيطان - أنيسة الأم - فى أذن السفاح بشار فأمر الجيش بكامل عدته وعتاده لوأد الثورة وسجن الثوار.. فى مشهد يعيد أمجاد أبيه ويحقق أمانى أمه.. وسقط الآلاف شهداء وتهدمت المنازل وأحرقت المزارع وهتكت الأعراض.. والعالم كله يتفرج فى صمت بينما الجارديان البريطانية تقضح السجل الدموى لعائلة الأسد فتقول:

الجارديان البريطانية:

عائلة شرسة

مع تزايد المواجهات بين النظام السورى وشعبه، وتصاعد وتيرة الانتفاضة، وظهور بوادر عن ضعف النظام وبداية فقدانه السيطرة على الوضع تجد عائلة الأسد التى حكمت البلاد منذ أكثر من أربعين عاما نفسها فى مأزق كبير لا ترى منه مخرجا إلا بالتوحد والاصطفاف

من أجل إنقاذ نفسها ومكتسبات الطائفة العلوية النصيرية التى ينتمى إليها الرئيس بشار الاسد.

وتعيش العائلة حالة من التوقوع مما أدى بها لأن تكون بعيدة عن الواقع، وتشعر بحالة من البارانونيا. ويصنف تقرير لصحيفة الجارديان أنيسة مخلوف - زوجة

السفاح الراحل حافظ الأسد - بأنها مركز العائلة التي تريد الحفاظ على تماسكها، فيما وصف أسماء الأخرس زوجة الرئيس بشار بأنها لا تتدخل في قرارات العائلة لأنها غريبة، وكذا آصف شوكت زوج بشرى شقيقة بشار بأنه معزول، وأن الأسد مستعد للتضحية به من أجل الحفاظ على شقيقه ماهر. ووصف التقرير العائلة بالأكثر شراسة في سورية. وحاول التقرير رصد مظاهر صعود العائلة في السياسة السورية.

ويشير التقرير إلى ان العائلة ممثلة بالوالدة أنيسة مخلوف وبشار وشقيقه ماهر قائد الفرقة الرابعة وشقيقتهما الكبرى بشرى يلتقون في بيت والدتهم أنيسة التي تقوم بمراجعة تقارير الوضع الميداني، عن المظاهرات وعدد من يخرج فيها وماذا يهتفون. وما هي طبيعة الإصلاحات التي يجب أن يقدموها وماذا لديهم من قدرات عسكرية وحدود استخدامها والأهم من ذلك هو إصرارهم على التمسك بالسلطة.

وتقول الجارديان إن هناك معلومات قليلة عن الطريقة التي تتسق فيها العائلة ومصدر هذا الحديث عن اللقاءات هو شائعات وعجلتها التي تنتشر في العاصمة، وفي ظل منع الصحفيين من العمل الحر في البلاد وحظر دخول الأجانب منهم ومن هنا فإن الطريقة التي تدير فيها العائلة الأزمة تظل رهنا للتكهنات أو الهمس والشائعات.

ولهذا فقد اعتمدت الصحيفة في رسم صورة عن العائلة من خلال تقارير صحافية أو ممن عملوا عنها بقرب أو من كتاب السير ووثائق سريتها ويكيلكس، مع أنها ظلت تحافظ على سرية ما قيل عن تفكك وخلافات خاصة بعد موت الرئيس السابق حافظ الأسد، فالأخير الذي طمح منذ البداية في القيادة وعمل من أجلها على الرغم من أصوله المتواضعة، حيث جاء من عائلة لم يدرس فيها أحد حتى الثانوية ولكنه في شبابه انضم لحزب البعث وترقى في السلك العسكري حتى أصبح القائد العام ليصل للسلطة عبر انقلاب عام ١٩٧٠. وتنتقل الصحيفة عن شخص عرف قليلا عن العائلة السرية التي تديرها الأم قائلا: إنها مافيا، فهي

تدير الحكم كشأن عائلي ولا أحد يعرف كيفية عملها لكن أفرادها يتحدثون معا. ويقول التقرير ان صورة العائلة هي مزيج من العطرسة، وجنون العظمة، وعائلة أفسدتها السلطة وهي إضافة إلى ذلك مهووسة بالسرية ورهاب الخوف والتعطش للسلطة. ومن هنا فإن محاولات العائلة الصمود أمام العاصفة هي محاولة للحفاظ على المكتسبات التي حققها الأسد الأب الذي لولاه لما وصلت العائلة إلى ما وصلت إليه. ويقارن محلل في دمشق قائلًا: إن «حافظ كان رجلا صعب المراس وداهية وعمل من أجل الحصول على السلطة لكن بشار ورثها». فقد تحولت العائلة الى نخبة تحكم، لديها حاشية وتتركز في أحياء دمشق الراقية التي تنتشر فيها المقاهي الراقية والسيارات السريعة التي حلت محل الحياة الريفية، والفقير الذي أصبحت غالبية الشعب تعاني منه.

ويذكر التقرير أن خطط الأسد لتحويل رئاسته لمصلحة عائلية لم تسر حسب الخطة لأن وريثه الذي كان يعده لخلافته، ناسل توفي عام ١٩٩٤. وقيل بعد وفاة ناسل إن خلافات في العائلة جرت حول من سيخلفه حيث كانت الأم تفضل ماهر العسكري القاسى على بشار المتعلم والطبيب، ولكن الأخير هو من فاز بالخلافة، حيث طلب منه العودة من لندن على عجل.

وبحسب ديفيد ليستش، الأكاديمي الأمريكي الذي كتب سيرة الأسد الرسمية بأن بشار تغير مع مرور الوقت من شاب لديه نوايا صادقة في التغيير إلى رجل أصبح يطرب للمديح من المتملقين حوله. ويصف من عرف بشار بأنه طيب وكريم ومتواضع حيث يقوم بفتح الباب بنفسه للضيوف الذين يطرقون بيته، لكن مشكلته هي مؤهلاته القيادية.

ووصف ضيف الأسد بأنه يفتقد الجاذبية حيث «لا تشعر بالرغبة كي تفتح أذنك لتستمع لما سيقول».

وتصف وثائق ويكيليكس الأسد الصغير بأنه يفتقد الدهاء الذي تميز به والده. وتشير الصحيفة إلى زوجته أسماء الأخرس المولودة والمتعلمة في بريطانيا والتي تربت في بيئة ليبرالية، كما أن التقرير يتحدث عن موقفها من الأحداث فهناك من

يقول إنها غاضبة وليست مرتاحة، ومن يقول إنها تعرف زوجها ولهذا تواصل الحياة معه. ولكن أسماء ستظل بالنسبة للعائلة غريبة عنها، فمهما أثرت على زوجها وحصلت على سلطة فإنها كغريبة استبعدت من النقاش والقرارات التي تتخذها العائلة.

وعن ماهر الذي استبعد من الرئاسة فإنه بدلا من ذلك واصل حماية مصالح العائلة، وعلى الرغم من شجب المتظاهرين الذين يرون فيه مهندس القمع ضدهم إلا ان بعض قادة الجيش يحترمونه بسبب ضعف شقيقه ويسبب شدة مراسه كعسكري.

وعن صهره آصف شوكت زوج بشرى فإن العلاقة بينه وبين ماهر معقدة حيث قيل إن ماهر أطلق النار عليه عام ١٩٩٩ وعارض زواجه من شقيقته بشرى لأن شوكت كان متزوجا ولديه أولاد وعمره أكبر من عمرها، ولم يتم الزواج إلا بعد تولى بشار السلطة. ولكن سلطة شوكت محل شك خاصة أن وثيقة ويكيلكس تشير إلى أن الرئيس مستعد للتضحية به من أجل حماية ماهر.

أما أخته بشرى التي درست الصيدلة فقوتها من خلف الستار، وأسمت أبناءها على اسم أخويها وأمها- باسل وماهر وأنيسة ويقول البعض إنها متعطشة للسلطة وشرسة وكابوس وعدوانية.

وعلى الرغم من تناقض شخصياتهم إلا أنهم يجتمعون حول والدتهم أنيسة - الخبيثة - وكانوا يلتقون كل جمعة على العشاء عندها قبل بداية الانتفاضة. ومع ذلك ومع زيادة المشاكل والعزلة الدولية فإن العائلة تقوّعت على نفسها وتعيش حالة من البارانويا ويعيدة عن الواقع، ويقول ليستش إن مجزرة حماة تعود إلى النظام وكل خطابات الأسد عن حبه لشعبه ما هي إلا خداع للنفس مقارنة مع انتشار الانتفاضة، ونقلت عن مواطن في دمشق قوله إن الانتفاضة ستستمر والنظام قد انتهى وفي ضوء عزلة العائلة وبعدها عن الشعب والواقع فستكون هي الأخيرة لتعرف حقيقة الأمر، أنها انتهت..!!

يوميات الثورة على بشار

انطلقت الاحتجاجات السورية يوم الثلاثاء ١٥ آذار/مارس عام ٢٠١١ ضد القمع والفساد وكبت الحريات بحسب منظميها وتلبية لدعوات للتظاهر نشرت على موقع الفيس بوك وذلك في تحد غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة (المعروفة باسم الربيع العربي)، والتي اندلعت في الوطن العربي أواخر عام ٢٠١٠ وعام ٢٠١١ وخصوصاً الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية. وكانت الاحتجاجات قد انطلقت ضد الرئيس بشار الأسد وعائلته المستبدة بحكم البلاد منذ عام ١٩٧١ وحزب البعث السوري المستبد به تحت سلطة قانون الطوارئ منذ عام ١٩٦٣. قاد هذه الاحتجاجات الشبان السوريون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ورفعوا شعار: حرية.. حرية لكن قوات الأمن والمخابرات السورية ومليشيات موالية للنظام (عُرِفَت بالشبيحة) واجهتهم بالرصاص الحى فتحوّل الشعار إلى «إسقاط النظام». فى حين أعلنت الحكومة السورية أن هذه الحوادث من تنفيذ متشددين وإرهابيين من شأنهم زعزعة الأمن القومى وإقامة إمارة إسلامية فى بعض أجزاء البلاد.

بدأت الاحتجاجات بمظاهرة صغيرة فى العاصمة دمشق فى الثلاثاء ١٥ مارس ٢٠١١ بعد دعوات مسبقة إلى ذلك قبلها ببضعة أسابيع، لكن الأمن اعتقل جميع المتظاهرين. وفى اليوم التالى خرجت مظاهرة أخرى شارك فيها حوالى ١٠٠ شخص طالبوا بالإفراج عن المعتقلين، لكن لم يحدث شىء فى يوم الخميس. فى ١٨ مارس تحت شعار «جمعة الكرامة» خرجت المظاهرات فى مدن دمشق وحمص ودرعا وبنابياس وقابلها الأمن بوحشية خصوصاً فى درعا، فسقط أربعة قتلى على يد الأمن السوري، وتحوّلت المظاهرات لباقي الأسبوع إلى اشتباكات دامية فى محيط المسجد العمري ومناطق أخرى من المدينة، قالت منظمات حقوقية أنها أدت إلى مقتل ١٠٠ محتج بنهاية الأسبوع. وفى ٢٥ مارس انتشرت المظاهرات للمرة الأولى لتعمّ العشرات من مدن سوريا تحت شعار «جمعة العزة» لتشمل جبلة وحمّاة واللاذقية ومناطق عدة فى دمشق وريفها كالحميدية والمرجة والمزة والقابون والكسوة وداريا والتل ودوما والزبداني، واستمرّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئاً

فشيئاً أسبوعاً بعد أسبوع.

فى ٣١ مارس ألقى بشار الأسد خطاباً فى أول ظهور علنيّ له منذ بدء حركة الاحتجاجات، لكن المظاهرات استمرّت بالخروج مع ذلك. وتحت الضغط المتزايد أعلن بشار فى ٧ أبريل عن منح الجنسية للمواطنين الأكراد فى سوريا بعد حرمانهم منها لعقود، وفى ١٤ أبريل شكّلت حكومة جديدة للبلاد عوضاً عن القديمة التى استقالت الشهر السابق. ثم أعلن بشار الأسد أخيراً فى ٢١ أبريل عن رفع حالة الطوارئ فى البلاد بعد ٤٨ عاماً متصلة من فرضها.

فى ٢٥ أبريل أطلق الجيش السورى عمليات عسكرية واسعة فى درعا ودوما هى الأولى من نوعها، وأدت إلى مقتل عشرات الأشخاص تقول المنظمات الحقوقية إن معظمهم من المدنيين جراء حصار وقصف المدينتين والقرى المحيطة بهما. وبعدها بأسبوع فقط بدأ الجيش عمليات أخرى فى بانياس، ثم بعدها بأيام فى حمص، متسبباً بمقتل المزيد من المدنيين. فى ١٤ مايو بدأ الجيش حملة مشابهة على تلكلخ أدانتها منظمات حقوقية عديدة، واتهمته منظمة العفو الدولية بعد الحملة بشهور بارتكاب ما قد يرقى إلى جرائم ضد الإنسانية فى حق أهالى تلكلخ خلال عملياته. وفى ٢٨ مايو بدأت حملة أخرى فى مدينتى الرستن وتلبيسة أوقعت حوالى ١٠٠ قتيل. فى ٢ يونيو اعتصم عشرات آلاف المتظاهرين فى ساحة العاصى بمدينة حماة وسط سوريا، ففتحت عليهم قوات الأمن النار مخلفة أكثر من ٧٠ قتيلاً، وهو ما بات يُعرف بـ«مجزرة جمعة أطفال الحرية» (نسبة إلى شعار تلك الجمعة)، وتلا المجزرة بعد شهر حصار المدينة وإطلاق عمليات أمنية واسعة فيها. وشهدت محافظة إدلب وخصوصاً مدينة جسر الشغور ومنطقة جبل الزاوية عمليات أخرى ابتداءً من ٤ يونيو.

فى يوم الأحد ٢١ يوليو (ليلة الأول من رمضان) أطلق الجيش السورى عمليات فى مدن عديدة بأنحاء سوريا أبرزها حماة ودير الزور والبوكمال والحراك، ويُعد ذلك اليوم أكثر أيام الاحتجاجات دموية حتى الآن، إذ راح ضحيته أكثر من ١٥٠ قتيلاً فى تلك المدن، أكثر من مائة منهم فى حماة وحدها، وتلا العمليات حصار

لثبتي حماة ودير الزور استمرّ لأسابيع. في ١٥ أغسطس بدأ الجيش والأمن عمليات عسكرية في مدينة اللاذقية أدت على مدى أربعة أيام إلى مقتل أكثر من ٥٠ شخصاً. في ١٨ أغسطس حدث تصعيد غير مسبوق في مواقف الدول الغربية من الاحتجاجات، فبعد خمسة شهور من الاكتفاء بإدانة القمع والدعوة إلى الإصلاحات أعلنت فرنسا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد الأوروبي وكندا والولايات المتحدة الأمريكية في وقت واحد أن على الرئيس السوري بشار الأسد التّحى على الفور بعد أن «فقد شرعيته بالكامل». في أوائل شهر يونيو وبعد تفاقم حالات الانشقاق في الجيش السوري على مدى ثلاثة شهور أعلن عن تشكيل أول تنظيم عسكري يُوحّد هؤلاء العسكريين، وهو «لواء الضباط الأحرار» تحت قيادة حسين هرموش، وتلاه بشهرين الإعلان عن تشكيل الجيش السوري الحر بقيادة رياض الأسعد، وأعلن هذان التنظيمان عن عشرات العمليات لهما لشهور بعد ذلك قبل أن يتحد لواء الضباط الأحرار مع الجيش الحر في أواسط شهر سبتمبر، لكن مع ذلك فلم يخض الجيش أي معركة حقيقية حتى أواخر ذلك الشهر عند اندلاع معركة الرستن وتلبيسة وبدء اشتباكات عنيفة بينه وبين الجيش السوري النظامي أسفرت عن مقتل العشرات من كلا الطرفين.

التسلسل الزمني للاحتجاجات:

الدعوات الأولى (٥ فبراير)

ظهرت على الفيسبوك مئات الصفحات والمجموعات المتعلقة بإقامة ثورة في سوريا تبعاً في نفس الفترة مع باقي الثورات في الوطن العربي، علماً أن مُنسى الدعوة للمظاهرات مجهولو الهوية والتوجهات. ومع أن موقع الفيسبوك محبوب في سوريا فقد استطاع العديد من الشبان التنسيق والاتفاق على بدء المظاهرات في ٥ فبراير/شباط ٢٠١١ م. هذا وقد بلغت أعداد المُشتركين في بعض هذه المجموعات التنظيمية ٢٠٠٠ شخص. وعلى الرغم من ذلك ظهرت بالمقابل حركات معارضة للمظاهرات والمسيرات الاحتجاجية، وبلغ عدد المُشتركين في بعض هذه المجموعات المعارضة على موقع الفيسبوك الاجتماعي حوالي ٢٥٠٠ شخص. علماً

أن الإنترنت انقطعت بشكل مفاجئ عن كافة أنحاء البلاد في يوم ٢٨ يناير بتوقيت مُتزامن مع بدء حملة تنظيم المُظاهرات، لكن وزير الاتصالات السوري عماد صابوني أفاد بأن أوضاع الاتصالات في البلاد طبيعية تماماً ولم يطرأ عليها أي تغيير.

بدأت في يوم ٢٩ يناير ٢٠١١ م عمليات لنشر قوات من الجيش السوري في أحياء مدينة حلب خصوصاً الأحياء ذات الأغلبية الكردية، تحسباً لأي احتجاجات أو مُظاهرات يُمكن أن تحدث. وقد أفاد الرئيس السوري بشار الأسد تبعاً في يوم ١ فبراير بأنه لا مجال لحدوث تظاهرات في سوريا لأن سوريا دولة مُستقرة تقدم للشعب ما يُطالب به ولا يسودها أي سخط على النظام الحاكم حسب قوله. لكن بالرغم من ذلك وقبل مجيء اليوم الموعود - ٥ فبراير - بدأ بعض الناشطين بمحاولة تنظيم عدة مظاهرات تضامنية مع ثورة ٢٥ يناير المصرية (لا علاقة لها بالنظام السوري) بدأت في يوم ٢٩ يناير واستمرت حتى ٢ فبراير بشكل يومي في مدينة دمشق، إلا أن الأمن السوري اعترض المتظاهرين في جميع المرات وأخذت معلومات عن أسمائهم وهوياتهم. وفي اليوم الأخير - ٢ فبراير - سلط على المتظاهرين الـ ١٥٥ في منطقة باب توما - دمشق مجموعة شبيحة بلغ عددهم ٢٠ شخصاً قاموا بقض المظاهرة واعتقال بعض المشاركين فيها من بينهم الناشطة سهير الأتاسي.

وبعد ذلك ومع مجيء يوم ٥ فبراير لم تشهد سوريا أي احتجاجات وساد الهدوء التام.

مظاهرات دمشق (١٧ فبراير - ١٥ مارس)

في يوم الخميس ١٧ فبراير/شباط ٢٠١١ م وعلى غير المتوقع اشتعلت مُظاهرات بشكل عرضي دون تخطيط مُسبق من أي جهة. فقد بدأ الأمر عندما انهال رجال شرطة بالضرب على ابن لأحد ملاك المحلات في منطقة الحريقة في دمشق، مما أثار سخط الناس في السوق فبدأوا بالاحتشاد وبتريديد عبارات مثل "الشعب السوري ما بينزل". قدر عدد المتظاهرين بحوالى ١٥٠٠ شخص، وقد أدت

هذه المظاهرات إلى مجيء وزير الداخلية السوري الذي تحاور مع المحتجين وسألهم عن مطالبهم، ثم وعد بإجراء تحقيق بشأن ما حدث للشباب الذي ضرب، ثم انفضت المظاهرات بعد ٢ ساعات.

لاحقاً في شهر مارس بدأت بعض صفحات موقع فيسبوك تدعو إلى التظاهر خلال يوم الثلاثاء ١٥ مارس تحت شعار "يوم الغضب"، وبالفعل خرجت مظاهرة في سوق الحميدية خلال ذلك اليوم شارك فيها العشرات بعد تجمع ٥ أشخاص قرب بوابة المسجد الأموي وتحركهم نحو السوق ملقّين الهتافات، ثم تحركت بعد مدة إلى ساحة الحريقة المجاورة، وكانت المظاهرة الثانية العادية للنظام بعد مظاهرة ١٧ فبراير المذكورة آنفاً. وقد حاول الأمن في البداية إقناع المتظاهرين بلطف بالانقضاء، لكن سرعان ما جاءت مجموعة من البلطجية بعد ذلك بمدة وشكلت مظاهرة مؤيدة لبشار الأسد، ثم اصطدمت مع المظاهرة المعارضة وفضتها.

في يوم ١٦ مارس وبعد انتهاء صلاة الظهر مباشرة خرجت مظاهرة شارك فيها العشرات من الجامع الأموي متجهة نحو الشوارع المجاورة ثم أخيراً إلى مبنى وزارة الداخلية السورية في ساحة المرجة، حيث احتشد المتظاهرون الذين بلغ عددهم وقتها ١٥٠ شخصاً وأخذوا بالهتاف ضد النظام. لكن سرعان ما دخل بينهم بلطجية للنظام وأخذوا بالهتاف تأييداً لبشار، ثم قام الأمن سريعاً بتفريق المظاهرة واعتقال ٣٢ شخصاً من المشاركين بها.

في يومي ٢٢ و ٢٣ مارس اعتصم ما يقارب ١٠٠ متظاهر أمام السفارة الليبية في عاصمة سوريا دمشق احتجاجاً على قمع ثورة ١٧ فبراير في ليبيا بعد دعوات لذلك على موقع الفيسبوك. وقد أحاطت قوات الأمن بالمنطقة بعد فترة ثم انتهى الأمر بفض المظاهرة وطرده المعتصمين.

انتفاضة درعا وبقية المدن (١٨، ٢٤ مارس):

بحسب روايات هيثم مناع رئيس اللجنة العربية لحقوق الإنسان، إحدى المنظمات

السورية المعارضة، فإن السلطات السورية قامت باعتقال بعض المراهقين في يوم ٦ مارس ٢٠١١ بعد أن قام هؤلاء برسم جمل وكتابات مناهضة للنظام الحاكم على جدران مدارس في محافظة درعا تأثراً بموجة الثورات العربية، ونتيجة لهذا فقد بدأ أهالي الأطفال بالتحرك، ثم توجه أخيراً زعماء قبائل المنطقة إلى محافظ درعا نفسه وقدموا له عمائمهم - وهو تقليد متبع - كإشارة على مطالبهم لإطلاق سراح الأطفال، إلا أنهم طردوا بدورهم من مكتب المحافظ دون تحقيق مطالبهم، فقام الآلاف بالخروج في مظاهرات تتدد بالحكومة. وقد حاولت السلطات المحلية في درعا قمع المظاهرات بالقوة وسقط عدد من القتلى، ومع تآزم الوضع تدخلت الحكومة السورية في دمشق لمحاولة رآب الصدع مع أهل المدينة.

في يوم ١٨ مارس دُعي للتظاهر في أنحاء سوريا تحت شعار "جمعة الكرامة"، وبالفعل انتشرت المظاهرات في مختلف أنحاء البلاد خلال ذلك اليوم. فبداية انطلقت مظاهرات من الجامع الأموي في دمشق، إلا أن قوات الأمن - التي كانت قد احتشدت في سوق الحميدية قبل ذلك - داهمتها حال خروجها منه وفرقتها سريعاً، ثم جاءت جماعة من البلطجية وخرجت في مظاهرة مؤيدة لبشار الأسد في المكان نفسه. وبالإضافة إلى ذلك انطلقت مظاهرات أخرى في مدينة بانياس وأمام "جامع خالد بن الوليد" في حمص، إلا أن الأمن فرقها بدوره. أما في درعا فقد انطلقت مظاهرات كبيرة شارك فيها مئات الألوف احتجاجاً على الاعتقالات والقمع وتقييداً ببعض رجال الدولة من بينهم رامى مخلوف، وقد قابل الأمن هذه المظاهرات بإطلاق الرصاص الحي مما أدى إلى سقوط ٤ قتلى وعدد من الجرحى. وبعد هذه الأحداث بيوم في يوم ١٩ مارس خرجت المزيد من المظاهرات لتشجيع قتلى الجمعة الماضية، وقد رد الأمن على ذلك بإطلاق المزيد من النار على المشيعين. وبحسب ناشطين معارضين، جابت في ٢٠ مارس مجموعة ممن يُسمون البلطجية شوارع المدينة وأطلقت النار بشكل عشوائي على السكان والشرطة وأثارت الرعب في المنطقة. ومع أن هذه الأحداث لم تُؤد إلى سقوط قتلى بحد ذاتها، فقد سقط قتيل جديد و١٠٠ جريح خلال ذلك اليوم أثناء تفريق مظاهرة

جديدة في المدينة قيل إن عدد المشاركين فيها تجاوز ١٠٠٠٠ شخص ويمكن تشبيهه مدينة درعا في سوريا بمدينة سيدي بوزيد في تونس التي أطلقت شرارة الاحتجاجات ومن ثم الثورة في تونس.

وتحت الضغط المتزايد، اضطر بشار الأسد في آخر الأمر إلى إقالة محافظ منطقة درعا في اليوم ذاته، إلا أن الاحتجاجات استمرت وأحرق المتظاهرون مقر حزب البعث السوري في المحافظة ومبنيين آخرين لشركتي اتصالات - سيرياتل وإم.تي.إن جروب - وألاهما مملوكة للنظام. كما أطلقت السلطات سراح ١٥ سجيناً كانوا قد اعتقلوا في مظاهرات "جمعة الغضب" كمحاولة أخرى لتخفيف السخط الشعبي عليها.

وفي ٢١ مارس استمرت المظاهرات في المحافظة لليوم الرابع دون توقف وامتدت إلى بلدات جاسم ونوى والشيخ مسكين المجاورة لمدينة درعا، وانطلقت كذلك خلال اليوم مسيرات حاشدة أمام "المسجد العمري" لتشجيع قتل اليوم السابق، كما ارتفع عدد القتلى إلى ٦ بعد اختناق طفل من الغاز المسيل للدموع الذي استنشقه في اليوم السابق. واستمرت هذه المظاهرات بالخروج بالآلاف بالرغم من أن السلطات كانت قد أرسلت قبل بدئها أرتالاً من المدرعات والدبابات لتحصن مدن المحافظة، كما قطعت معظم الاتصالات عن درعا.

في يوم الثلاثاء ٢٢ مارس استمرت المظاهرات بالخروج في مدينة درعا وامتدت أيضاً إلى قرأها المجاورة. وقد استأنف المتظاهرون في اليوم ذاته اعتصامهم في المسجد العمري في مدينة درعا، وأحاطوه بالحجارة لمنع الأمن من دخوله والتعرض لهم.

غير أن قوات الأمن اقتحمت المسجد فجر اليوم التالي ٢٣ مارس في الساعة الواحدة والنصف صباحاً تحديداً وأطلقت النار على المعتصمين الـ ٥٠٠ داخله، مما أدى إلى سقوط ٦ قتلى على الأقل في صفوفهم كما شهد مساء اليوم ذاته هجوماً مسلحاً من طرف مجهولين على عربة طبية أدى - حسب السلطات السورية - إلى سقوط ٤ قتلى بينهم شرطي. ونتيجة لكل هذه الأحداث، فقد خرج الآلاف في

مُظاهرة خلال اليوم نفسه من شمال درعا مُتجهين نحو المسجد العمري احتجاجاً على إطلاق النار فيه، إلا أنهم وُوجِّهوا بالرصاص بدورهم وسقط منهم ٣ قتلى راقعين بذلك إجمالي قتلى المحافظة إلى ١٥ شخصاً بينهم شرطيان منذ بدء المظاهرات.

انطلقت يوم الخميس ٢٤ مارس مُظاهرات جديدة فى درعا تشييعاً لقتلى احتجاجات اليوم السابق شارك فيها ما قدر بـ ٢٠٠٠٠ شخص، وفى وقت سابق كانت قد خرجت مُظاهرات أخرى من المُدن المجاورة مُتجهة إلى درعا إلا أنها جويهدت بالرصاص الحى. وقد وَردت أنباء فى ذلك اليوم عن أن عدد قتلى المظاهرات أعلى بكثير مما قيل، حيث قال مسئول المستشفى الرئيسى فى المدينة إنه تلقى ٢٥ جثة على الأقل لضحايا المظاهرات حتى ذلك الوقت، بينما أفادت مصادر أخرى أن عدد القتلى تجاوز ١٠٠ أو حتى ١٥٠ شخصاً. وفى اليوم ذاته، أعلن الزعيم السورى بشار الأسد إطلاق سراح جميع مُعتقلي مُظاهرات درعا تحت الضغط الشديد الذى سببته هذه الاحتجاجات.

المظاهرات العارمة (٢٥ مارس)

بقايا تمثال حافظ الأسد فى مدينة درعا بعد تحطيم المتظاهرين وإحراقهم له فى جمعة العزة بتاريخ ٢٥ مارس.

فى يوم ٢٥ مارس انطلقت مُظاهرات عارمة فى مُعظم أنحاء سوريا للمرة الأولى تحت شعار "جمعة العزة" بعد أن كانت فى السابق مُقتصرة على محافظتى درعا ودمشق بشكل رئيسى. وقد بدأت هذه المُظاهرات من درعا ومُحيطها عندما خرج ١٠٠٠٠ شخص لتشييع قتلى يوم الخميس السابق - بعد انسحاب الجيش من مُحيط المسجد العمري - ومزقوا صورة كبيرة لبشار وحطموا تمثالاً لوالده حافظ الأسد، لكنهم جُوبهوا بالرصاص الحى مما أسقط بينهم ١٥ قتيلاً فتحرك مُتظاهرو بلدة الصنمين المُجاورة لدورهم نحو درعا للالتحاق بمظاهرات التشييع، إلا أن قوات الأمن منعتهم من ذلك بإطلاق الرصاص عليهم أيضاً موقعة ٢٠ قتيلاً على الأقل. ولم يُقتصر الأمر على الصنمين، فقد سارت مُظاهرات أخرى من بلدة

داعل نحو درعا أيضاً كما أن المظاهرات عادت للاندلاع في ميادين درعا مساءً بعد اختفاء قوات الأمن.

أما في دمشق فقد شارك ٢٠٠ شخص في مظاهرات كبيرة بعد صلاة الجمعة انطلقت من الجامع الأموي، إلا أن قوات الأمن فرقتها. وفي المقابل فقد خرجت مظاهرات أخرى مؤيدة لبشار الأسد في المدينة مساءً. وفي بلدة التل المجاورة خرجت مظاهرة معادية للنظام شارك فيها ١٠٠٠ محتج، أما في ضاحية المعصمية فقد سقط ٢ قتلى خلال تفريق وحشى لبعض المظاهرات بلغ عدد القتلى على أيدي الأمن حتى تاريخ ٢٠١١/٦/١٩ بلغ أكثر من ١٣٠٠ قتيل حسب إحصاءات دولية ولم يتوقف الأمر عند هاتين المحافظتين، فقد اشتعلت المظاهرات في أنحاء مختلفة من البلاد غيرهما.. ففي مدينة حمص انطلقت مظاهرة شارك فيها ٥٠٠ شخص. بالرغم من خروج مظاهرة أخرى مؤيدة للنظام. وفي اللاذقية خرجت مظاهرة أخرى سقط فيها ٥ قتلى جراء مهاجمة قوات الأمن لها، كما قامت هذه القوات بمحاصرة المدينة ومنع دخول وخروج السيارات منها وإليها، بينما قطع المتظاهرون الشوارع في منطقة الصليبية ومنعوا الأمن والشرطة والشبيحة من عبورها أو دخول المنطقة، في حين بدأوا بالتحضير للاعتصام في المدينة أما في حلب وحماه فقد شهدت المدينتان بعد صلاة الجمعة مظاهرات معارضة للنظام انطلقت من مساجدهما.

في يوم السبت ٢٦ مارس خرجت مظاهرات حاشدة في درعا وأخرى في بلدة طفس المجاورة لها التي أحرق فيها مقر حزب البعث في المدينة ومخفر شرطة، كما شهد وسط دمشق المزيد من المظاهرات. أما في اللاذقية فقد انطلقت المظاهرات في شوارع المدينة للمرة الثانية، وحاول المتظاهرون إحراق مقر حزب البعث فيها، إلا أن قناصي الأمن المُختبئين على الأبنية ردوا بإطلاق النار عليهم ومنعواهم من ذلك. كما شهدت المدينة لاحقاً إطلاق نار عشوائي على المدنيين المارين في الطرقات بل وحتى قوات الأمن، مما أدى إلى سقوط قتيلين. كما بدأ الجيش السوري بالانتشار في أنحاء المدينة خلال ذلك اليوم.

أما في يوم الأحد ٢٧ مارس فقد شارك ١٢٠٠ شخص في درعا بمظاهرة أمام المسجد العمري، بينما استمرّ القنص العشوائي من قبل معارضين في اللاذقية مُسقطاً ١٢ قتيلاً و٢٠٠ جريح بحسب الرواية الرسمية.

في يوم الإثنين ٢٨ مارس خرجت مظاهرات حاشدة جديدة في درعا، وقد فرقها الأمن مُستخدماً الرصاص الحي، غير أن المُحتجين رجعوا وعاودوا تظاهروهم بعد ذلك. تكررت مظاهرات مشابهة لمظاهرات اليوم السابق في ٢٩ مارس بمدينة درعا، بينما خرجت مظاهرات ضخمة أخرى مؤيدة للرئيس السوري في عدة مدن رئيسية مثل دمشق وحلب.

في يوم الأربعاء ٣٠ مارس ألقى الرئيس السوري بشار الأسد - للمرة الأولى منذ بدء الاحتجاجات - خطاباً مُحاولاً تهدئة الأوضاع في البلاد، لكن ما إن انتهى الخطاب حتى خرجت مظاهرات ضخمة شارك بها المئات في مدينة اللاذقية تُعبر عن غضب المواطنين منه وعدم تقديمه للإصلاحات الكافية، إلا أن سيارة يركبها مُسلحون توجّهت نحوهم وأخذت تُطلق النار بشكل عشوائي مُفرقة المُتظاهرين، ووُردت أنباء عن سقوط ٢٥ قتيلاً خلال ذلك.

انطلقت مُظاهرات حاشدة في مُعظم أنحاء سوريا يوم الجمعة ١ أبريل تحت شعار "جمعة الشهداء". فقد شارك الآلاف بداية في مُظاهرات حاشدة في مدينة درعا وقراها في جاسم والصنمين وأنخل التي اتجه مُتظاهروها نحو بلدة الصنمين دعماً لها. أما دمشق فقد اشتعلت ضواحيها وقراها، حيث شارك أكثر من ٢٠٠٠ شخص في مظاهرات ضخمة في بلدة دوما، غير أن الأمن أطلق عليهم الرصاص الحي مُسقطاً ١٠ قتلى بينهم. كما خرجت مظاهرات أخرى في شمال سوريا خصوصاً في حمص التي كانت فيها مظاهرتان إحداهما مؤيدة للنظام أمام جامع خالد بن الوليد والأخرى مُعارضة شارك فيها المئات أمام جامع النوري ومُتجهة إلى ساحة الساعة، بالإضافة إلى عدة مدن أخرى مثل الحسكة والقامشلي وعامودا وبانياس اللاذقية.

في يوم السبت ٢ أبريل شيع مُحتجون في بلدة أنخل قتيلاً سقط في يوم الجمعة

السابق، بينما تظاهر عشرات آخرون في درعا أمام مبنى سرايا درعا غير أن قوات الأمن اعتقلت عدداً منهم. أما في دمشق فقد تكررت مظاهرات دوما وانتهت بسقوط ١٠ قتلى بين المتظاهرين، في حين بدأ متظاهرون في اللاذقية وبنابياس اعتصاماً ابتداءً من مساء ذلك اليوم.

في يوم الأحد ٣ أبريل شارك عدد من المتظاهرين قُدر عددهم بـ ٥٠٠٠٠ بتشييع قتلى يوم السبت السابق في بلدة دوما، بينما شهد اليوم التالي هدوءاً في معظم أنحاء البلاد.

شهد يوم الثلاثاء ٥ أبريل إضراباً عاماً في مدينة درعا احتجاجاً على قمع المظاهرات، بينما تظاهر الآلاف في المعضية قرب دمشق مُشيعين شخصاً قتل بالرصاص على حاجز أمني في المنطقة في وقت سابق، وقد هاجموا خلال ذلك مبنى البلدية في المعضية. وفي اليوم ذاته دعا ناشطون إلى بدء مظاهرات ابتداءً من يوم الأربعاء ٦ أبريل وحتى الجمعة ٨ أبريل وبالفعل حاول العشرات التظاهر يوم الأربعاء في دوما، إلا أن الأمن منعهم من ذلك، أما في درعا فقد اعتصم عدد من الناس أمام نقابة المهندسين في المدينة وآخرون في بلدة أنخل المجاورة، بينما استمر الإضراب العام في المحافظة، وفي يوم ٧ أبريل خرجت مظاهرات جديدة مناهضة للنظام في القامشلي مباشرة بعد إعلان بشار الأسد إعادة الجنسية لأكراد شمال سوريا، بينما شهدت مدن اللاذقية وحمص وداريا هي الأخرى مظاهرات ضد النظام.

في يوم الجمعة ٨ أبريل اجتاحت المظاهرات مُجدداً معظم أنحاء سوريا تحت شعار "جمعة الصمود". فقد انطلقت في مدينة درعا مظاهرات شارك فيها آلاف من الأشخاص الذين هاجموا مقر حزب البعث في المدينة وحطموا تمثالاً لباسل الأسد، غير أن الأمن أطلق عليهم النار مسقطاً ما لا يقل عن ١٧ قتيلاً، ولاحقاً قيل إن العدد وصل إلى ٢٧ قتيلاً. كما شهدت بلدة جاسم المُجاورة لدرعا مظاهرات هي الأخرى أما دمشق فقد اشتعلت ضواحيها تماماً عقب صلاة الجمعة، حيثُ اجتاحت المظاهرات التي شارك فيها الآلاف دوما وحرستا وعربين

وداريا والمعضمية والتل والكسوة وزملاكا وسقبا بحاجة لمصدر وكفر سوسة التي خرجت مظاهراتها من جامع الرفاعي.

أما في حمص فقد سقط قتيلان بعد تفريق مظاهرات حاشدة، بينما تظاهر ٢٠٠٠ شخص في حماة ضد النظام قبل تفريقهم هم بدورهم، وفي شرق البلاد خرجت مظاهرات في مدينة البوكمال ودير الزور هتفت لدرعا وللحريات وفي مناطق الأكراد شمالاً خرجت مظاهرات كبيرة في القامشلي وعامودا والدرباسية والمالكية ورأس العين بالرغم من منح بشار الأسد الجنسية للأكراد قبل ذلك بيومين فقط، وأخيراً خرجت مظاهرات أخرى في مدن الساحل في اللاذقية وطرطوس وبانياس، لكي تكمل دائرة المظاهرات في كافة أنحاء البلاد

شارك في يوم السبت ٩ أبريل ما قدر بحوالي ١٠٠٠٠٠ شخص في مظاهرة تشييع في درعا ووجهوا بإطلاق الرصاص الحي مؤدياً إلى وقوع عدد من الإصابات بينهم. أما في بانياس واللاذقية شمالاً فقد خرجت مظاهرات حاشدة أخرى بالمئات والآلاف، غير أنها فُرقت هي الأخرى بإطلاق نار تلاه قطع كافة الاتصالات عن مدينة بانياس. كما شهدت القامشلي بعض المظاهرات هي الأخرى. وشهد اليوم التالي ١٠ أبريل هو الآخر مظاهرات في ضاحية المعضمية في ريف دمشق وفي بانياس شمالاً، التي أطلقت فيها النار ودخلت الدبابات الجزء الشمالي منها هذا وما زال السوريون يخرجون في كل يوم وجمعة بالمظاهرات حتى بلغ عدد المتظاهرين في جميع أنحاء سوريا يوم جمعة ارحل الموافق ١ تموز يوليو ٤ ملايين متظاهر.

٥ اعتقال الإعلاميين

تعانى وسائل الإعلام الأجنبية والمحلية من التضييق من جانب السلطات السورية. فقد أوردت «منظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا» في بيان لها تصاعد موجة اعتقالات الإعلاميين. كما نددت منظمة «مراسلون بلا حدود» بالرقابة التي تفرضها السلطات السورية على وسائل الإعلام الوطنية والأجنبية وبالاعتقالات التي استهدفت مدونين وصحفيين. وكانت دوروثي بارفاز المراسلة

الصحفية من شبكة الجزيرة الإنجليزية قد فقد أثرها منذ وصولها إلى دمشق في ٢٩ أبريل. وبعد أيام من غموض مصيرها، صرحت السلطات السورية أن الصحفية (التي تحمل الجنسيات الأمريكية والكندية والإيرانية) حاولت دخول سوريا بطريقة غير شرعية بواسطة تأشيرة إيرانية منتهية الصلاحية وسُلمت لاحقاً إلى إيران. ثم أفرج عنها ووصلت إلى الدوحة في ١٨ مايو وذكرت الجزيرة في بيان لها أن بارفاز أفرج عنها بعد ثلاثة أسابيع تقريبا من اختفاء أثرها بعد وصولها إلى دمشق لتغطية التظاهرات مشيرة إلى أنها بأمان وفي صحة جيدة.

• دور الإنترنت

طردت الحكومة السورية العديد من الصحفيين الأجانب، وهو ما جعل التحقق بشكل مستقل من أحداث العنف أمرا شبه مستحيل ولكي يتغلب المتظاهرون على هذا التعقيم، لجأ النشطاء إلى هواتفهم الخلوية لتصوير مظاهراتهم وما يرافقها من قمع ثم نشر تلك الأفلام على الإنترنت باستخدام برامج البروكسى حتى لا يتم اعتقالهم. وقد تم إنشاء مجالس تنسيق محلية في جميع المدن والقرى السورية لتنظيم وتغطية أحداث الثورة تحت مظلتين رئيسيتين هما الهيئة العاملة للثورة السورية، ولجان التنسيق المحلي في سوريا والتي تضم لجاناً حقوقية وإعلامية وإغاثية. وقالت صحيفة لكسبرس إنه وعلى الرغم من منع الصحفيين من تغطية الأحداث فإن صور الفيديو التي بثها الهواة على شبكة الإنترنت أصبحت بديلا عن الإعلام. وأشارت الصحيفة إلى أن الشباب السوري تمكن من نشر العديد من مقاطع الفيديو التي تظهر كيف تعاطى الأمن السوري مع المحتجين.

تواطؤ وتباطؤ

وبينما الآلة العسكرية النصيرية تحصد أرواح الأبرياء وتهدم المنازل وتهتك الأعراض عجزت الأمم المتحدة بفيتو الصين وروسيا عن استصدار قرار يحقن الدماء ويردع السفاح ويعيد الحرية لسوريا وعلى هضبة منخفضة وقفت الجامعة العربية تنعى خيبتها وتتجشأ فشلها والعالم. على أطراف المعمورة يقلب كفيه حزنا على سلبية العرب الذين صدعوا العالم بأخوتهم ووحدتهم.. وأما

أشقاؤنا في سوريا فقد روعت دموعهم ودمائهم الأرض ربا ومن بقى حيا رفع
يديه تضرعا إلى الله أن ينقذه من بطش السفاح بشار وغدر أمته العربية.....!!
فمتى سيرحل بشار..؟

سيف الإسلام الفضافي
مهندس الخطب والتهب

- * الوريث الفاضل
- * وريث جنون أبيه
- * سرق رسالة الدكتوراه
- * وسرق خزانة الدولة
- * أهان الشعب والعرب والجامعة
- * من القصر .. إلى ذل الأسر



سيف .. الجرائم

إذا كانت شخصية قابيل بن آدم عليه السلام قد احتملت بهتاناً وإثماً مبيناً وكفلاً من كل نفس تقتل بغير ذنب بعدما قتل أخاه هابيل في صراع نفسى مرير على أختهما الجميلة من يتزوجها ، فقد برزت شخصية سيف الإسلام القذافي كواحد من مجرمي القرن الذين أعملوا القتل في الشعب بكل الأسلحة الفتاكة وجلب المرتزقة المأجورين دفاعاً عن عرش أبيه المجنون باعتباره الوريث المنتظر خلفاً لأبيه بعدما سرقوا مقدرات الشعب الليبي وجوعوه وجهلوه وأمراضوه وأفقروه طيلة ٤٢ عاماً هي عمر حكم القذافي الغاشم الذي انتهى بثورة شعبية أطلقت الرصاص على رأس الزعيم المزعوم وقطعت يد سيف الغادرة وأجهزت على أسرة القذافي إلا قليلاً ممن فروا هارين ..)

إن شخصية سيف الإسلام لا تبدو عجيبة محيرة فقد ورث عن أبيه كل جينات الجنون وبذاءة اللسان وتضليل العدالة ونهب الثروة وتزييف الحقائق وسفك الدماء .. فأبوه فعل كل هذا ، ما ترك زعيماً إلا سبه أو تعرض له بفاحش من القول ، وواقفه متأرجحة محيرة تعبر عن اختلال في التفكير والتدبير ، يستخف بأقدار الزعماء والشعوب بلا خجل حتى ولو كان في محفل دولي رسمي . لا تعرف هل هو معك أم ضدك .. صديقك أم عدوك .. ظهير لك أم متآمر عليك .. يدفع الملايين من أجل زعامة مزعومة .. فلقد دفع مئات الملايين من الدولارات لبعض رؤساء أفريقيا طلباً لتتويجه ملك ملوك أفريقيا متفخراً بأنه أقدم رئيس على وجه الأرض .. لقد بدأ حكمة في سبتمبر ١٩٦٩ من القرن الماضي وأستمر حتى نوفمبر ٢٠١١ . كما أهدر الملايين تحت زعم بناء نهر ليبيا العظيم وما كان إلا مستنقعا جافاً أراد به القذافي أن يخلع شعبه والعالم أنه يبني إنجازات حضارية لبلده بينما العالم ينقلب على ظهره من الضحك على العقيد المجنون ، الذي استمر إذلال شعبه بينما هو يمشی مختالاً فخوراً .. وإفقار رعيته بينما هو يتصرف في مقدرات دولة حباها الله بالغاز والبتروال الوفير، إذ تعد ليبيا ثانياً

أكبر دولة منتجة للنفط في أفريقيا و يقدر حجم احتياطياتها بأكثر من ٤٥ مليار برميل ومن الغاز ١٥٠٠ مليار متر مكعب وبهذا تحتل المركز الرابع في أفريقيا ومع هذا يعيش ثلث الشعب الليبي مليون وربع نسمة. تحت خط الفقر وثلث لا يزيد دخله الشهري عن ٢٥٠٠ دولار. و ثلث تحالف مع الشيطان على نهب ثروات البلاد مقابل حمايته حتى بلغت ثروته عائلة القذافي و حدها نحو ١٣٣ مليار دولار وهي على حد تعبير خبراء الاقتصاد تساوي ستة أضعاف ميزانية دولة ليبيا، وتكفي ثروته وعائلته لإطعام و سد حاجة الوطن العربي .٣٤٠ مليون نسمة تقريبا . من واردات الغذاء لمدة ٤ سنوات!!

هذه الحياة المضطربة للعقيد وأولاده لخصها الزعيم الشهيد أنور السادات في تعبير موجز بليغ "الواد المجنون بتاع ليبيا ... " بعدما أدهشته مواقف العقيد المتلونة بالانقلاب والخيانة خاصة بعدما رفض تقديم مساعدات حربية لمصر وعد بها إبان حربها مع إسرائيل في أكتوبر من عام ١٩٧٣ في وقت كان الجسر الجوي الأمريكي يتدفق على إسرائيل بأحدث الأسلحة جواً وبراً وبحراً من الترسانة إلى أرض المحرقة .. بينما العقيد .الذى ركب الشعب الليبي في ثورة مزعومة خطط لها وأشرف على تنفيذها الرئيس المصري جمال عبد الناصر في سبتمبر عام ١٩٦٩ .مازال يتأمر على مصر والعرب.

فما إن تعقد قمة عربية إلا وسعى لإفشالها العقيد وفضح أسرارها مدعياً مرة أنه زعيم زعماء الأمة ومرة يدعى أنه أفريقي الهوى والجنسية وطظ في العرب .. وقد بلغ الشطط به أن يتناول .بعد تناوله على الناس . على الله ورسوله ﷺ .

فقد رأى المجنون أن ينقح القرآن الكريم ليكون مناسباً للحصر، ففى سورة الإخلاص " قل هو الله أحد " رأى العقيد المجنون أن تحذف " قل " على اعتبار أن الأمر قديماً كان لرسول الله ويناسب الآن أن يقرأ المسلم هكذا : " الله أحد ... الله الصمد ... " كما دعا إلى دفن السنة النبوية في مقابر التراث الجاهلي إذ لا حاجة لنا بها طالما وجد القرآن .. هذه التخاريف وتصرفات المجنون لم تنته عند هذا الحد فقد طلب القذافي من مصر شراء قبر الزعيم

جمال عبدالناصر بـ ٥٠٠ مليون جنيه ليجعله مزاراً للأمة كقبر سيد البشر سيدنا محمد ﷺ بالمدينة المنورة...!!

دار .. دار .. زنجة .. زنجة !!

إذا كان هذا حال الأب العقيد المجنون فكيف بالأبناء...!!

يلخص المثل السائر "هذا النعل من ذاك الوتر.." إجابة شافية على السؤال، فأبناء القذافي ورثوا عن أبيهم الغدر والخيانة والجنون والسفه والنهب ومضاجعة النساء بلا حدود ..! حتى تفرد أبوهم بين زعماء العالم أن حراسه الشخصيين فاتنات مائلات ساقطات .. !!

وكان سيف الإسلام ثانی أبناء الزعيم المجنون نعلأ من ذات الوتر! عاش يلاحق الساقطات في كل مكان ويبنى القصور في عواصم العالم ويحولها إلى بيوت للدعارة ويزور شهاداته الدراسية حتى الدكتوراه وأخيراً .. وقف يصف الشعب الثائر ضد عسفهم وظلمهم وحكمتهم بأنهم جردان وعملاء وخونة ولم ينس سيف وقاحة أبيه فأشار بإصبعه : طظ في العرب .. طظ في الجامعة العربية .. طظ في المحكمة الدولية .. طظ في الناس والعالم كله ..

ولأن الله تعالى قال : " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ ... " فقد دارت الدوائر وانقلب السحر على الساحر والبغى على الظالم والمكر على المكر، ودارت رحى الثورة الليبية في ١٧ فبراير ٢٠١١ م وقاتل الثوار ببسالة حتى دحروا العقيد وأسرتة فقتلوه شر قتلة وهو الذي وقف يسبهم ويهذي بكلماته التي صارت فكأهة يتندر بها المستظرفون : أنتم جردان .. سنطاركم دار .. دار .. بيت .. بيت .. زنجة .. زنجة .. و قتل بعض أولاده بينما و قع الفأر القارض سيف الإسلام في قبضة الثوار في ١٩ نوفمبر ٢٠١١ م بعدما ضيقوا طرق الهرب عليه وقد قطعت أصابعه في إصابة مباشرة .. فجلس يبكي بكاء النساء ويستند عطف الثوار : ما أنتم إلا رجال كرام .. وأنا أخ لكم ...!!

إن سيرة سيف الإسلام القذافي جديرة بأن تقدم لنا صورة مميزة بين أبناء الرؤساء .. الطواغيت ويستحق أن يلقب بسيف الجرائم .. فمن هو ؟ ..

ابن صافية فركاش!

سيف الإسلام معمر القذافي ابن العقيد المجنون الذي لا تخفى سيرته على أحد. معمر القذافي الذي استجاب لدعوة الزعيم جمال عبد الناصر للانقلاب على الحكم الملكي السنوسي بليبيا في ١ سبتمبر ١٩٦٩ م وهو برتبة نقيب وبعد نجاح الانقلاب رسمه عبد الناصر رتبة العقيد في سابقة عسكرية لا يعرف لها التاريخ مثيلاً أن يرقى نقيب عقيداً متخطياً رتبة الرائد والمقدم من غير استحقاق يذكر .. وأصبح العقيد أول رئيس لليبيا وعمل بكل طاقته على إمرار وإفقار وتجهيل الشعب لتسهيل قيادته وما إن تبرز شخصية علمية إلا طاردها وطردها أو يقتلها حتى لا تنتشر عدوى العلم والمعرفة بين أبناء الشعب الليبي.. وقد بلغ عدد المطاردين نحو عشرين ألف ليبي من خيرة العقول والتخصصات.

استمر حكم العقيد المجنون ٤٢ سنة تقريباً كانت أسوأ سنوات عاشها الشعب الليبي الذي عانى من تبعات جنون رئيسه. وقد تكالب عليه الغرب تجويعاً وحصاراً وقصفاً بسبب شطحات العقيد وممارساته السياسية المجنونة التي لا توافق الأعراف الدولية والتي باتت أشبه بفصول مسرحية هزلية استمر عرضها ٤٢ سنة ..!

مولده:

ولد سيف في ٥ يونيو من عام ١٩٧٢ في باب العزيزية بطرابلس وهو الابن الثاني للعقيد من زوجته والأكبر من زوجته الثانية صافية فركاش وله شقيقة واحدة هي عائشة وه أشقاء ذكور.

من هي أمه:

صفيه فركاش مواليد ١٩٥٢ بمدينة البيضاء الليبية، كانت تعمل ممرضة بأحد المستشفيات الذي دخله العقيد المجنون للعلاج إثر وعكة صحية عام ١٩٧٠ . فتعرف عليها و أعجب بها و تزوجها في نفس العام وكان متزوجاً من فتحية نوري خالد زوجته الأولى.

في بداية حياتها الزوجية لم تظهر صافية فركاش في وسائل الإعلام إلا نادراً ..

وشأن كل سيدات الرؤساء بدأت تستعذب الظهور وأضواء الكاميرات فظهرت في احتفالات رسمية عديدة وفي منتصف عام ٢٠٠٨ انتخبت فركاش نائبة لرئيسة منظمات السيدات الأفريقيات الأوليات على هامش اجتماع زعماء الاتحاد الأفريقي المنعقد بشرم الشيخ بمصر في حين أنها لم تحضر هذا الاجتماع أصلاً ولم يسبق لها أن شاركت في أنشطة، لكن شيكاً دفعته للمنظمة أناب عنها في الحضور ... !

تمتلك صفية فركاش شركة طيران خاصة "البراق" وهي منافسة للشركة الوطنية الليبية بامتيازات خاصة بأمر من العقيد وتستأثر بنقل الحجاج من ليبيا إلى جدة، وتذكر بعض مستندات ويكيلكس أن السيدة صفية تكتنز أكثر من عشرين طناً من سبائك الذهب و٢٠ مليار دولار على الأقل.

سيف سرق الدكتوراه!

درس سيف الإسلام القذافي المرحلة الابتدائية والإعدادية بمدارس الحى الشعبى القريب من مقر إقامته بحى أبى سليم فى مدارس طرابلس الحكومية وفى المرحلة الثانوية التحق بمدرسة "على وريث" الحكومية، ثم التحق بكلية الهندسة قسم العمارة وتخرج سنة ١٩٩٤م بجامعة الفاتح بطرابلس مهندساً وشاع لقبه : بالمهندس سيف .. ومن طرائف القول : إن والده العقيد أراد أن يثبت للشعب أن ولده أصبح مهندساً بالفعل فكلفه بوضع مخطط لمجمع عقارى ضخم مع مجموعة فنادق و مساكن ومسجد كبير، ولكن المهندس سيف فشل فشلاً ذريعاً وانتقد المهندسون المتخصصون تصميمه وأظهروا عيوباً فنية تكشف جهل "المهندس سيف" وإمعاناً فى طلب الجهل التحق سيف بكلية الاقتصاد بجامعة "إمادك" بالنمسا ١٩٩٨م . وحصل على الماجستير منها عام ٢٠٠٠م ثم التحق بكلية لندن للاقتصاد لنيل درجة الدكتوراه . وقد كشفت أدلة جديدة أن سيف نجل العقيد المجنون سرق أطروحته التى نال بها شهادة الدكتوراه وتقول الصحيفة التى كشفت عن الأدلة " ذى إندبندنت أون صنداى " أن أكاديمياً ليبيا ساعد سيف فى صياغة رسالته المسروقة و تمت مكافأته لاحقاً بتعيينه سفيراً لبلادها بأوروبا . و

تقول الصحفية : إن هذه التفاصيل الجديدة عن جريمة سرقة سيف للدكتوراه تأتي في الوقت الذي دعا فيه أحد نواب حزب المحافظين الحاكم في بريطانيا كامل أعضاء مجلس إدارة الكلية إلى الاستقالة بسبب هذه الفضيحة وغيرها، حيث قبلت الكلية تسجيل قريب لأحد مساعدي الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون للدراسة بها بما يعد مخالفة لقانون الجامعة .

وذكرت الصحفية أن كلية لندن للاقتصاد بدأت - بالفعل - تحقيقاً موسعاً في الاتهامات الموجهة بالانتحال وتسهيل عملية إسطو العلمى لسيف القذافي بعد قبول تحويلات ليبية مشبوهة للكلية ونشرت الصحيفة حديثاً على لسان أبو بكر بعيرة الأستاذ بجامعة قار يونس بليبيا قال فيه:

إن سيف نجل العقيد جند الأكاديميين الليبيين بكتابة أطروحته المنتحلة مقابل عطاء مادي ومناصب وزعها عليهم ويقول بعيره : أُبلغت من أمن الجامعة أن سيف جمع بعض حملة الدكتوراه ودعاهم للطعام في بيته ومن بينهم أستاذ للاقتصاد تخرج في ألمانيا يدعى الدكتور " منيسى " وهو أستاذ متقاعد أمر سيف بإعادته للحياة النشطة بالجامعة ثم عينه مديراً لأحد المصارف الحكومية حتى إذا أتم صياغة رسالته المنتحلة عينه سيف محافظاً للبنك المركزي الليبي، وبعد أن نال الشهادة عينه سفيراً بالنمسا .. وذكرت صحيفة "ذى إند بندن أون صنداى": إن د. أبو بكر بعيرة طالب كلية لندن للاقتصاد بستر فضيحتها وتجريد سيف من الدكتوراه المزيفة ! في حين أمسكت السفارة الليبية بلندن عن التعليق على حديث الصحيفة والأدلة التي كشفت عنها .

بداية الظهور

عاد سيف الإسلام إلى ليبيا محملاً بالشهادات العلمية المدموغة بشعار الجامعة البريطانية يختال زهواً برسالته ودرجته العلمية "الدكتوراه" وهو لا يبالي بهمسات الأساتذة من حوله وسرت الأخبار التي تشكك في صحة أطروحته.. فأدار ظهره لكل هذه الهمسات واقتحم الساحة السياسية لأول مرة عام ٢٠٠٠ عندما عمل من خلال جمعية حقوق الإنسان التابعة لمؤسسة القذافي للتنمية على تعزيز حقوق

الإنسان، من وجهة نظره هو.

ويتكلم سيف الإسلام القذافي الإنجليزية والألمانية وقليلًا من الفرنسية. وهو يتحدث بهدوء واتزان ووصفته وسائل الإعلام بأنه الوجه الجديد المحترم لنظام اتهم لزمّن طويل بمساندة الإرهاب.

وسيف الإسلام القذافي أعزب ويعنى بمظهره ويعتنى بأسود مروضة، كما يحب الصيد في أعماق البحار وصيد الصقور وركوب الخيل. ويمارس أيضا فن الرسم.

مبعوث:

وأصبح في السنوات الأخيرة موفد النظام الليبي الأكثر مصداقية ومهندس الإصلاحات والحريص على تطبيع العلاقات بين ليبيا والغرب.

وأثار سيف الإسلام لدى عرضه مشروع تحديث بلاده في ٢٠ أغسطس ٢٠٠٧ تكهنات حول مسألة الخلافة في زعامة ليبيا ولو أنه أكد أن "ليبيا لن تتحول إلى ملكية أو ديكتاتورية".

وبعد سنة من ذلك أعلن انسحابه من الحياة السياسية، مؤكداً أنه وضع "قطار الإصلاحات على السكة الصحيحة". ودعا إلى بناء "مجتمع مدني قوي" يواجه أي تجاوزات على مستوى قمة السلطة.

وقد ندد باستمرار بالبيروقراطية في بلاده التي اضطرت إلى خوض "معارك" عديدة ضدها لفرض إصلاحاته. ويؤكد أنه "في غياب المؤسسات ونظام إداري، كنت مجبرا على التدخل في شؤون الدولة".

وساطة

وقد برز دوره خصوصا في الوساطة التي قام بها في قضية الفريق الطبي البلغاري الذي أفرج عن أفراد (خمس ممرضات وطبيب) في يوليو ٢٠٠٧ بعد أن أمضوا ثمان سنوات في السجن في ليبيا.

وهو الذي فاوض أيضا على الاتفاقات من أجل دفع تعويضات لعائلات ضحايا الاعتداء على طائرة في لوكربي باسكتلندا في ١٩٨٨، إذ اهتمت ليبيا بالتخطيط للعملية، وقضية دفع تعويضات لضحايا الاعتداء على طائرة أوتا التي تحطمت

فوق النيجر في ١٩٨٩.

وقام سيف الإسلام القذافي بحملة من أجل فتح بلاده أمام وسائل الاعلام الخاصة. وقد نجح في أغسطس ٢٠٠٧ في إطلاق أول محطة تلفزيونية خاصة وأول صحيفتين خاصتين في البلاد.

لكن منذ ٢٠٠٩ سجلت خطته الإصلاحية نكسات لا سيما في مجال الصحافة. وهكذا تم تأمين أو إغلاق "وسائل إعلام خاصة" تابعة لشركة الغد تحت وصاية سيف الإسلام.

وأعلنت مؤسسة القذافي في ديسمبر ٢٠١٠ انسحابها من الحياة السياسية المحلية مؤكدة أنها ستنصرف فقط للأعمال الخيرية لتحرم البلاد من منبر دبلوماسي هام.

زواج سري للغاية ..!

لم تخل حياة سيف الإسلام الأعزب في العلن أو هكذا يعرفه الشارع الليبي من سهرات حمراء تدور فيها الكئوس مع الرعوش وتتعالى ضحكات الندامى على موائد القمار وفي شقق الدعارة التي بلا حدود ولا قيود شأنه شأن والده المولع بالنساء وأشققائه الذين لا يحفظون عرضاً ولا يبكون على طهارته .. على ذات الدرب سار سيف فاتح من فرنسا ولندن والتمسا مسبرحاً لملاهيته ومغامراته النسائية وسط دخان المخدرات الأزرق . حتى أذهله جمال الأوكرانية ذات العيون الزرقاء والقوام المشقوق عندما قابلها بملهى ليلي تعمل به في موسكو فعرض الزواج عليها وتزوجها سراً لمدة عامين لا و في أول حديث لها بعد اعتقال سيف القذافي قالت " نادية":

إنها اعتنقت دين الإسلام وحاولت تكوين عائلة مستقرة وعادية، إلا أن سيف كان يحب حياة العزب مع العاشقات والعريضة.

ولقد تعاملت كل من روسيا وأوكرانيا تجاه ادعاءات تلك المرأة بصورة جادة على أنها تزوجت منه وطلقها بعد عامين.

وأوضحت نادية قائلة «بدا منزلنا كباقي بيوت الدعارة به العديد من أصدقاء

سيف والنساء، ولقد تزوجنا على الشريعة الإسلامية واعتقت الإسلام، لكن لم يعاملني أحد كسيدة المنزل.. لم يكن هناك احترام على الإطلاق، حاول زوجي أن يجعلني امرأة شرقية خائفة لأوامره وأنا رفضت أن أكون كذلك.

وأضافت «لقد كسرتني هذا الشعور من الداخل والأكثر من ذلك إدمان سيف على المخدرات التي لم يستطع السيطرة على نفسه حينما كان يتعاطاها.. ولقد كان محبا للأوضاع الجنسية الشاذة على سبيل المثال أن يمارس الجنس في العلن وهذا هو السبب الحقيقي في أنني لم يعد يمكنني مواصلة الحياة معه».

وزعمت نادية البالغة من العمر ٢٩ عاما أن علاقتها مع سيف الإسلام انتهت بعد موقف سيئ في أحد المطاعم الذي ضربها فيه وألقاها من النافذة لكنها نجت بأعجوبة حيث دخلت في غيبوبة لمدة سبعة وأربعين يوما وكان القذافي يعلم بتلك العلاقة لكنه لم يتحدث معها على الإطلاق.

ولقد كان معروفا أن القذافي كان من بين فريقه الطبي المعالج له ممرضات أوكرانيات لكن لم يكن معروفا حتى الآن أن ابنه الثاني كان لديه زوجة من الدولة السوفيتية سابقا.

وقالت نادية «أثناء تواجدي بالمستشفى كان يشعر سيف الإسلام بالغضب وهرب إلى الصحراء حتى لا يفسد سمعة عائلته التي لم تكن نظيفة على الإطلاق».

ولقد غادرت ليبيا وعادت إلى موسكو مشيرة إلى أن آخر مرة جاء سيف الإسلام إليها عام ٢٠٠٨ واقترح عليها أن يعيشا مع بعضهما البعض مرة أخرى لكنها رفضت ذلك.

وأوضحت نادية أنها كانت تعمل في موسكو حتى عام ٢٠١٠ ونصحها صديق بأن تختفي عن الأنظار لأنها قد تواجه العديد من المشاكل مدعية أن سيف الإسلام لم يكن قادرا على أن يحل محل والده وذلك لأنه يمتلك العديد من نقاط الضعف مثل حياة الترف والرفاهة وإنفاق الأموال وخيانة العلاقة الزوجية.

ومن غير المعروف ما إذا كانت نادية هو الاسم الحقيقي لها أو أنه اسم مستعار لأنها قالت إنها تخشى من أعدائه على الرغم من أنها لاتعرف أيا من الأسرار

لكنها تشعر بالخوف.

وزعمت أنها ليست غنية إلا أن سيف الإسلام كان يتفق في اليوم الواحد عشرين ألف دولار أمريكي في أحد المطاعم، وأضافت «حينما انفصلنا كنت أملك قرطا تمكنت من بيعه بمليون دولار وأقت بموسكو بهذه الأموال.. والآن لم يبق شيء تقريباً».

ولقد كانت آخر مقابلة لها مع صحيفة بريسبويكا «Respubika» الأوكرانية قبل وقت قصير من اعتقال سيف الإسلام، وقالت «اعتقدت أن سيف سيقوم بتحويل حياتي إلى رواية شرقية إلا أنه لم ينجح».

بعد نهب الثروات

قصور ومجوهرات

عائلة معمر القذافي بأكملها لم تشذ عن عوائل الديكتاتوريين في العالم فكلهم عائلات تخصصت في جمع الثروات على حساب الشعب صاحب الحق في الحياة الكريمة والعيش الرغد بما يتناسب مع غنى بلادهم، فمعمر وزوجيه وأولاده كلهم مدوا أيديهم في خزائن الدولة ينهبون بلا حساب وما زال العالم حائراً في حساب أرصبتهم وأرباحهم وقد تفننوا في إخفائها في دول شتى وبحسابات وهمية أحياناً فضلاً عما أخفوه تحت الأرض من سبائك المجوهرات .

صحيفة الجارديان البريطانية قدمت تقريراً صحفياً عن ثروة سيف الإسلام القذافي وقصوره المنيفة في فرنسا ولندن وڤينا وغيرها من العواصم فضلاً عن سبائكه الذهبية التي يخفيها في مكان يعلمه .

وقالت إنه يمتلك عقارات وفنادق ببريطانيا وسويسرا تبلغ قيمتها ١٢ مليار دولار ويقدر دخله اليومي بـ ٢ مليون دولار . كما تبلغ أرباحه السنوية نحو ٨٥٠ مليون دولار ... !!

القصر الأسطورة

وفي فرنسا يمتلك سيف الإسلام القذافي قصراً منيفاً لا يمكن وصفه بحال من الأحوال فهو يدخل في عداد أساطير ألف ليلة وليلة فيه ما لا عين رأت من وسائل

الترف والنعيم كما أن موقعه يطل على مناظر خلابة لا يصل إليها إلا كبار اللصوص من الحكام وتجار السلاح وأبناء الزعماء اللصوص الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وكانهم تعاهدوا جميعاً على سرقة شعوبهم وإفقارهم وشعارهم :
نعيش ويموت الشعب !!

وهذه صور القصر الأسطوري تحكى بلا كلام ولا شرح فداحة الجرم الذى اقترفه سيف بحق الشعب الليبى العظيم .

القصر الفيكتورى

فى أرقى أحياء لندن العاصمة البريطانية تسابق المهندسون والفنانون العالميون لتشييد القصر الفيكتورى للشباب المعجزة ابن العقيد المجنون معمر القذافى ... وقد شيد على طراز ملكى ينتمى للعصر الفيكتورى وبه ٨ غرف نوم وصالة عرض سينما وحمامان للسباحة وغرفة بخار " ساونا " وجاكوزى ، وحديقة بها أندر المزروعات والأشجار فى العالم واسطبل للخيول الأصيلة وقد أحاطه الخبيراء بشبكة كاميرات عملاقة للمراقبة وتجهيزات أمنية لكأنه ثكنة عسكرية ويشتهى أن القصر مجرد ملاذ آمن له ولأصدقائه الأمراء وكبار رجال المال فى العالم لقضاء سهرات لا تقل أهبة عن سهرات هارون الرشيد !

فهل كانت مدخرات الشاب العايب سيف الإسلام الذى فشل فى دراسة الهندسة بشهادة أبيه الذى كلفه بتخطيط مجمع تجارى وسكنى فأخفق وتندر الأساتذة المهندسون بفشله هل كانت مدخراته اقتصاداً من راتبه ١٩! وأى عمل انخرط فيه ابن العقيد وجدّ واجتهد وبذل الجهد والعرق حتى يدخر المليارات التى يلهو بها فى حانات العالم بلا رقيب ولا حسيب اللهم إلا ضمير الشعب المعدم الذى كان يتأمله فى حسرة ولسان حاله يقول : لك يوم يا ظالم!

وقد وثقوا ونحن معهم فى تحقيق وعد الله وعدله " إن ربك لبالمرصاد " وقد لفت الله نظرهم إلى مصير الطواغيت من قبلهم فلا أنصتوا ولا اعتبروا " ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وتمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا

فيها الفساد ، فصب عليهم ريك سوط عذاب ، إن ريك لبالمرصاد ."

جرائم اقتصادية منظمة

تحت عنوان : ثلث الشعب الليبي يعيش تحت خط الفقر ... وثروة عائلة القذافي ١٢٠مليار دولار نشر موقع العربية نت تقريراً مسنداً إلى مصادر مطلعة حول نهب الدخل القومي لثروة أكبر دولة منتجة للنفط والغاز بأفريقيا جاء فيه :

أوضحت برقيات إخبارية أن عائلة الزعيم الليبي معمر القذافي بنت مصالح تجارية واسعة في قطاعات مختلفة من النفط إلى الفنادق، وذلك خلال فترة حكمه التي تمتد زهاء ٤٢ عاماً.

وكانت تقارير أمريكية نشرت في وقت سابق، ذكرت أن ثروة الرئيس الليبي معمر القذافي احتلت المرتبة الأولى بين الزعماء العرب، ووصلت إلى ١٢٠ مليار دولار.

وقال عضو محكمة الجنايات الدولية بلاهاى المحامى الليبي الهادى شلوف إن الدراسات الاقتصادية أثبتت أن حجم الأموال التي جنتها ليبيا من عائدات النفط منذ عام ١٩٦٩ تقدر بثلاثة تريليونات دولار، وأن نصف هذا المبلغ ذهب إلى خزينة القذافي وأبنائه. ووضع القذافي حساباً خاصاً أسماه "الحساب المجنب"، أى الحساب الذى توضع فيه عائدات النفط جانبا. وفى تعليقه على ما أوردته بعض التقارير الإعلامية التي قالت إن ثروة القذافي قد تصل إلى ٨٢ مليار دولار، قال: "إن الرقم الحقيقي يزيد بكثير عن ذلك، باعتبار أن هذا الرقم تم ذكره فى بداية التسعينات"، وذلك حسب ما ذكر فى صحيفة "الأخبار" اللبنانية الخميس ٢٤-٢-٢٠١١.

ويقدّر المعارض الليبي المقيم فى المنفى، رئيس مؤسسة الرقيب محمد عبد الملك حجم ثروة القذافي لوحده بـ ٨٠ مليار دولار، وقد تتجاوز ثروة العائلة ككل ١٥٠ مليار دولار، وأكد عبد الملك أن أموال النفط كلها ذهبت إلى جيوب أسرة القذافي والمحيطين بهم، ولم يستفد المواطن البسيط من أى شىء، على الرغم من أن ليبيا بحاجة إلى بنى تحتية ومدارس ومستشفيات. وأضاف: "قراره بتوزيع ثروة البترول

مباشرة على الشعب يعتبر كذبة من بين الأكاذيب الكثيرة التي استعملها القذافي لاستمالة المواطنين والقبائل.

ونقلًا عن برقية دبلوماسية أمريكية مسربة حملت عنوان "شركة القذافي المحدودة" يعود تاريخها إلى مايو عام ٢٠٠٦ قالت: "ابنة الزعيم الليبي عائشة معمر القذافي، لها ارتباطات وثيقة بقطاعي الطاقة والبناء، إلى جانب مصالح مالية في عيادة سانت جيمس الخاصة في طرابلس، فيما يسيطر محمد ابنه الأكبر على لجنة البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية التي تمنحه نفوذاً كبيراً في مجال خدمات الهاتف والإنترنت".

مداخل سيف الإسلام القذافي

ذكرت البرقية أن الابن الثاني للقذافي سيف الإسلام يتمتع بمدخل إلى الخدمات النفطية عبر شركته مجموعة "واحد-تسعة"، والمسماة تيمناً بثورة الفاتح من سبتمبر، فيما كان شقيقه الساعدي، وهو ثالث أبناء القذافي، يخطط لبناء مدينة جديدة في غرب ليبيا كمشروع تنموي سياحي ضخم، علماً بأنه لاعب كرة قدم محترف سابقاً، ومشغول مع فريقه لكرة القدم واللجنة الأولمبية الليبية وحياته العسكرية.

وتردد أنه يجمع بين هذه المصالح في بعض الأحيان ويستخدم القوات الخاضعة لسيطرته للتأثير على الصفقات التجارية، وتابعت البرقية أن عائلة القذافي تسيطر على مساحات كبيرة من الاقتصاد في ليبيا، إلى درجة أن أبناءها يحاربون بعضهم البعض أحياناً للحصول على فرص مريحة، وتردد أن خلافاً نشب بين محمد والمعتصم والساعدي على امتياز شركة "كوكا كولا".

واستثمر سيف الإسلام عام ٢٠٠٩ ما قيمته ٢١,٩ مليون دولار في مجمع فندقى في مدينة لاكويلا الإيطالية التي شهدت زلزالاً مدمراً عام ٢٠٠٩ وأشارت صحيفة "فايننشال تايمز" الأمريكية إلى أن ناشطين ضد الفساد "طالبوا السلطات المالية الأجنبية بالتحقيق في ثروة عائلة القذافي، والتي أشرفت أيضاً على استثمارات ضخمة في الخارج وتحكمت بالقطاع الخاص في ليبيا".

تحقيق عاجل في ثروة القذافي

قال المحامي البريطاني تيم دانيال، الذى شارك فى الجهود المبذولة لاستعادة الأصول التى نهبتها أنظمة سابقة فى نيجيريا وباكستان وأندونيسيا: "إن مصادر ومكان ثروة عائلة القذافي ينبغي أن تكون موضع تحقيق عاجل من الحكومات فى الخارج إذا ما أريد أن يكون هناك أى أمل فى إعادتها إلى الشعب الليبي على اعتبارها حقاً له".

وأسس القذافي عام ٢٠٠٦ الهيئة الليبية للاستثمار والتى دخلت فى مشاريع استثمارية فى الخارج تزيد قيمتها عن ٦٠ مليار دولار حسب مراقبين، وقد شملت هذه الاستثمارات مجالات عدة تراوحت بين البنوك والصحف و نوادى الرياضة وصولاً إلى قطاع صناعة السيارات، فالمساهمة الليبية فى قطاع البنوك فى إيطاليا وصلت إلى ٧,٥% وممتلكات فى لندن، وحصه مقدارها ٣,٠١% من أسهم شركة "بيرسون" مالكة صحيفة "فايننشال تايمز"، وحصه ٢,٦% فى شركة "فيات" الإيطالية للسيارات، وحصه فى نادى "يوفنتوس" الإيطالى لكرة القدم بمقدار ٧,٥% وأسهم فى شركات نفط مثل "تام أويل"، وأيضاً فى شركات تأمين واتصالات وشركات ملابس شهيرة.

وقال المتخصص فى سياسات الشرق الأوسط فى جامعة أكستر تيم نيلوك إن هناك "فجوة" تقدر بمليارات عدة سنوياً بين ما تحققه ليبيا من عائدات نفطية والإنفاق الحكومى، ويتوقع أن تكون هذه الفجوة قد أسهمت فى ثروة القذافي وأبنائه التسعة، وأكد صعوبة تحديد الثروة الدقيقة للقذافي، باعتبار أن النخبة الحاكمة تخفيها فى أماكن عدة، لكنها تقدر بمليارات الدولارات، وربما تكون أكثر من ذلك بكثير، على الرغم من صعوبة التنبؤ بها.

ثانى أكبر دولة منتجة للنفط فى أفريقيا

أكد الباحث السياسى فى بنك نومورا اليابانى أليستار نيوتون صعوبة تحديد ثروة القذافي بدقة، لكنه قال إنه سيندهش ما لم تكن هذه الثروة بالمليارات. وتقارب ثروة الزعيم الليبي ٦ أضعاف ميزانية ليبيا لعام ٢٠١١ التى بلغت نحو

٤, ٢٢ مليار دولار.

وهذه الاستثمارات تمول مباشرة من عائدات النفط والغاز، فهذا البلد النفطي الذى وصل إنتاجه فى ٢٠١٠ إلى حوالى ٦, ٢ مليون برميل يوميا، أى ما يمثل حوالى ٢ بالمائة من إجمالى الإنتاج اليومى العالمى من النفط، أمّن لنفسه عائدات وصلت خلال السنة الماضية إلى أكثر من ٤٥ مليار دولار، بينما وصلت فى عام ٢٠٠٩ إلى ٢٥ مليار دولار عندما كان إنتاجها لا يزيد عن ٤, ١ مليون برميل يوميا، وذلك حسب ما ذكرته المؤسسة الوطنية الليبية للنفط.

وتعتبر ليبيا ثانى أكبر دولة منتجة للنفط فى أفريقيا، إذ يقدر حجم احتياطياتها بأكثر من ٤٥ مليار برميل كما تمتلك احتياطيات من الغاز الطبيعى تقدر بـ ١٥٠٠ مليار متر مكعب ما يجعلها تحتل المركز الرابع أفريقياً.

وبحسب بحث عن الأمن الغذائى العربى، فإن واردات الوطن العربى من الغذاء سنوياً تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ مليار دولار، ما يعنى أن ثروة القذافى تكفى لسد حاجة سكان الوطن العربى، البالغ تعدادهم نحو (٢٤٠ مليون نسمة) من واردات الغذاء بين ٢ و ٤ سنوات.

ويقول الخبير المصرفى الليبى عمر عاشور: وكما هو حال جميع أبناء القذافى، يعيش سيف الإسلام حياة من السعة، على الرغم من أنه مثل والده يزعم أنه لا يوجد لديه منصب رسمى وأنه ليس لديه ثروة كبيرة.

ولكن الآن ظهرت أدلة على الرغم من نفيها أن سيف الإسلام القذافى يسيطر على هيئة الاستثمار الليبية التى تقدر بمليارات الجنيهات الاسترلينية.

وقال مصرفى ليبى عن هيئة الاستثمار الليبية " لقد شاهدت فيلم الأب الروحى وهو أقرب ما يكون لما يجرى فى الواقع".

وأضاف " يديره كما لو كان مزرعته الخاصة. إنه يشبه عملية تديرها المافيا".
والهدف المعلن لهيئة الاستثمار الليبية هو إدارة الفائض من عائدات النفط للأجيال المقبلة.

وتقدر أصول هيئة الاستثمار الليبية بنحو ٥٠ مليارا إلى ٦٠ مليار جنيه

استرليني. ويشتمل على حصص فى نادى يوفنتوس و شركة آنى عملاق النفط فى ليبيا وفى شركة بيرسون التى تمتلك فاينانشيال تايمز. وقد عين سيف الإسلام صديقه وزميل دراسته مصطفى زرتى لإدارة الهيئة. وقال المصرفى الليبى: "لم يعين زرتى نائباً لمدير هيئة الاستثمار لمقدرته فى مجال الاستثمار، بل لولائه وقربه من سيف. وضعه سيف فى هذا المنصب لتطبيق أى سياسة استثمار تطلب منه".

صفقات خاسرة

ولم يكن الكثير من الصفقات التى حاول سيف الإسلام وزرتى عقدها صفقات مدروسة الجدوى وقوبل الكثير منها بالاعتراض من قبل طاقم الهيئة. وقد كان الفساد المالى للقذافى ولبعض المرتبطين بالنظام أحد المحركات الرئيسية للانتفاضة الليبية. وقد جمعت أصول الهيئة الليبية للاستثمار مؤخراً وفقاً لعقوبات الأمم المتحدة، وطلبت وزارة الخارجية فى النمسا تجميد أصول زرتى فى النمسا. ويبقى مصير زرتى، كما هو الحال مع مصير سيف الإسلام غامضاً. وقال عمر عاشور "إنهم أناس يحاولون أن يظهروا فى صورة اليمائم، ولكنهم شخصيات ذات طابع وحشى قمعى. لا أعتقد أن نظام القذافى يوجد به يمائم، بما فى ذلك سيف الإسلام".

طلع الفجر علينا..

مع إشراق فجر الربيع العربى الذى أضاء شمعته الأولى محمد البوعزيزى فى تونس الذى أشعل النار فى ملابسه وقد فضل أن يموت كريماً بدلاً من أن يعيش ذليلاً تحت حكم زين العابدين بن على ... فانتفض الشعب التونسى تأثراً لكرامة البوعزيزى الذى يمثل الحالة التونسية الراهنة كلها وفى غضون أيام: بن على هرب ... بن على هرب ...!

ثم التقط الشعب المصرى خيط الشعاع فخرج الملايين يحملون شموع الحرية وأسقطوا مبارك ودولته البوليسية فى ١٨ يوماً فقط!

وأسقطوا معه مشروع توريث ابنه جمال الحكم وتوريث ابنه علاء كل مصر !
 وفى نفس الشهر الذى أسقط فيه المخلوع مبارك انتفض الشعب الليبي العظيم
 فى ثورة بدأت من بنى غازى وقد أشعل فتيلها دماء الضحايا الذين أبادهم
 القذافي أحياء فى سجن أبو سليم بلا رحمة ولا وازع من ضمير فى سرعة
 انتشرت الثورة وبدأ الانشقاق فى صفوف الجيش واستقالة كبار المسؤولين
 بالدبلوماسية الليبية والانضمام للثوار وتحرك قطار الثورة وإذا بالعتيد يطل من
 "تكتكه" وهو ينادى شعب بالجرذان والخونة والعملاء ويتوعدهم بالهجوم عليهم :
 دار دار بيت بيت زنجة زنجة ... فى مشهد عنترى
 لا يخلو من الجنون وعدم فقه الواقع فى الثورة الليبية ، وأصدر القذافي أوامره
 بتسليح الفلول والمرتزقة وضرب شعبه الثائر بالطائرات والأسلحة الثقيلة وكل ما
 تطوله يده من عتاد وأريقته الدماء وسقط الضحايا بالمئات من غير أن يتراجع
 الثوار عن ثورتهم شبراً واحداً .

وقاحة سيف!!

لم تمر ساعات قليلة على مسرحية القذافي الأب وقد توعد شعبه بالويل والثبور
 وعظائم الهلاك والأمور حتى خرج سيف الإسلام بوقاحته التى ورثها عن أبيه
 يقول للعالم : إحنا مش مصر.....!! إحنا مش تونس... وتوعد الشعب بأفزع
 مما توعد أبوه وأعلن الجهاد حتى آخر نقر من الشعب الليبي ... فلتمت ليبيا
 شعباً وتاريخاً وليبقى القذافي وعائلته.

وبما أن سيف الإسلام يمارس مهام رئيس الوزراء الفعلى باعتباره الخليفة
 المنتظر فقد باشر الاتصال ببعض متعهدي المرتزقة فى دول الجوار واستجلب
 الآلاف وضمهم إلى معسكر تدريب فوري ليشتركوا مع المرتزقة المقيمين والقائمين
 على حراسة القصر وزعيمه فضلاً عن أوامره للقناضة المديرين باستهداف
 الثائرين العزل من أبناء الشعب .

ولا يزال سيف يطل على الشعب من قناته يهدد ويتوعد ويسب ويشتم ليس فى
 الشعب فقط وإنما طالت وقاحته العرب والمسلمين والجامعة العربية والمحكمة

الدولية والأمم المتحدة والناثو وكل هؤلاء بدواً صغاراً ضعافاً في عقل " السيف " المجنون فوقف في مؤتمر صحافي يقول " مقيش شيء اسمه عرب ها دول جرب .. ولا حكام عرب .. ها دول خونة عملاء ... ولا أى شيء اسمه الجامعة العربية ... هادي حظيرة مواشى .. طظ فيهم .. وطظ في الجامعة .. وطظ في الحكام .. وطظ في المحكمة الدولية والناثو .. إحنا ما نخاف !!

سيف يطلب التجدة من إسرائيل

أصاب صمود الثوار العقيد وأبناءه ويطانته بالذعر .. فزادوا قتلاً وتخريباً في البلاد والشعب حتى تحرك العالم وصدر القرار بحماية المدنيين ومنع الطيران من قصف المدنيين وتدخل الناثو لحماية الشعب حينئذ هرع سيف الإسلام إلى إسرائيل وتطورت العلاقة بينه وبين الزعماء الصهاينة في الكيان الإسرائيلي المحتل فقام بزيارة خاطفة في ٢٨ مارس ٢٠١١ م إلى تل أبيب يطلب المساعدة لإنقاذ النظام وبالفعل قامت شركات أمنية إسرائيلية نشطة في تشاد بتجنيد المرتزقة لحساب سيف وإرسالهم إلى جبهة الحرب لقتل الشعب مقابل مليارات دفعها النظام من خزينة الدولة ... كما طلب سيف من رئيس الوزراء نتنياهو مساعداً عسكرية من ذخائر ومدافع رشاشة وأجهزة للمراقبة الليلية فضلاً عن صور بالأقمار الاصطناعية لتحركات الثوار ... وفي المقابل تعهد سيف للقيادات الإسرائيلية بتطوير العلاقات مع ليبيا سياسياً واقتصادياً . طظ في العرب . كما عرض على نتنياهو أن يتدخل لدى أمريكا لإنقاذ ثروته في الخارج على وعد أن يقتسمها معه في حال إنقاذها ... !!

أمريكا تطالب بالانقلاب

التقطت أمريكا طرف الخيط وبدأت اتصالات مباشرة مع سيف القذافي عبر وسطاء من المخابرات الأمريكية وعرضت عليه في اليوم السادس أن يقوم بعمل انقلاب عسكري على أبيه معمر وتولى شؤون الحكم وعمل إصلاحات سياسية واقتصادية عميقة في أسرع وقت على أن تعترف به أمريكا وتسانده في انقلابه ... وقد رفض سيف الانقلاب لسببين على حد تصريحه:

الأول : قوة النظام الأمني والاستخبارات لوالده .. الذى يمكن أن يصدر أمراً بإعدامه فوراً ..

والثانى : عدم قدرته على حكم البلاد فى حال الانقلاب . إذ يعنى غياب معمر القوضى والدمار الشامل وبناء عليه توقف الأمريكان عن الاتصال به وألغيت فكرة الانقلاب وتبنت أمريكا فكرة الخلاص من النظام برمته .

سيف مجرم حرب

لويس مورينو أوكامبو المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية لم يضيع الوقت فأصدر مذكرة توقيف بحق معمر وابنه سيف ومدير مخابراته عبد الله السنوسى فى ٢٧ يونيو ٢٠١١ م وجاء فى حيثياته:

إن سيف متورط فى تنفيذ الهجمات على المدنيين واستجلاب مرتزقة كما أنه أحد العناصر الأساسية المشاركة مع معمر فى تدبير حملات قمع وقتل وأضطهاد للمنشقين السياسيين وملاحقتهم حتى القتل وهى جرائم ضد الإنسانية كما أنه متهم بالاشتراك مع مدير المخابرات عبد الله السنوسى بتنفيذ عمليات اغتصاب جماعى بحق المدنيين .

شاهد عيان فى قصر الرذيلة

مرتزقة: الحياة فى مجمع القذافي .. نساء وخمور وقتل للمتعة
كشفت أحد المرتزقة السابقين الذين قاتلوا فى صفوف كتائب معمر القذافي عن جانب من الحياة فى مجمع العقيد الليبى، واصفاً إياها بأنها "كانت خيالية ففيها الحفلات والنساء والخمور والمخدرات".

وقال ماريو (٤١ عاماً) وهو مقاتل فى الحرب الأهلية ببوغسلافيا السابقة، فى لقاء مع مجلة تايم الأمريكية إن الأوضاع كانت سيئة داخل نظام القذافي، مؤكداً أن "غياب الثقة أضعف قبضة القذافي على السلطة".

وأوضح ماريو - الذى رفض ذكر اسمه الحقيقي - أن الحياة فى مجمع القذافي كانت خيالية ففيها الحفلات والنساء والخمور والمخدرات، وأضاف: "أخذنى أحد أقارب القذافي إلى إحدى فيلاته حيث أعطونى كل ما أردت، وسمعت قصصاً عن

قتل أناس لمجرد المتعة، وآخرين أرغموا على لعب الروليت الروسية والجمهور يتراهن، كما فى الأفلام تماما".

واعتبر ماريو أن الخلاف بين أبناء القذافي كان عاملا فى تدمير موقف والدهم، وقال: "لاحظت وجود صراع كبير، وذات مرة فى الطريق من مدينة سبها الجنوبية إلى النيجر كاد الخلاف أن يتحول إلى استخدام السلاح بين رجال كل من محمد وسيف الإسلام، فقد رأيت عناصر إحدى المجموعتين يستجوبون أفرادا من المجموعة الأخرى، ثم وضعت عناصر مسلحة لوقف الاستجواب وتأزم الموقف بعض الوقت حيث تم تبادل الشتائم".

وأشار إلى أن أكثر من يحترمهم من أبناء القذافي هو سيف الإسلام الذى أنفق عليه بسخاء فى عيد ميلاده السابع والثلاثين أثناء حفلة أقيمت على ساحل جمهورية الجبل الأسود بيوغسلافيا السابقة.

وأضاف: "لاحظت أن كثيرا من الليبيين كانوا يظهرن الولاء بسبب الخوف من القذافي فقط وكانوا يبحثون عن فرصة للتمرد عليه، وأذكر أن أحد الضباط الليبيين اعترف أنه لا فرصة لهزيمة الناتو وأنه بدأ اتصالاته بينغازى".

وفيما يتعلق بالجبهة والقتال فى صفوف كتائب القذافي، أشار ماريو إلى أن جنوده كانوا من جنوب ليبيا ومن تشاد ومن دول تقع جنوبى ليبيا، وأكد أن نظام القذافي استخدمه لمواجهة معارضيه ثم قوات الناتو لاحقا.

وذكر أن القذافي وظف مرتزقة يوغوسلاف كثيرين لمساعدته ضد الثوار والناتو، لكنهم تخلوا عنه واحدا واحدا ثم بدأ كبار المسؤولين الليبيين يتبعونهم.

وأضاف ماريو: "كان الانضباط سيئا، وكان الجنود لا يتعلمون شيئا، ومع ذلك سارت الأمور بعض الشيء إلى أن بدأت غارات الناتو، كما أن وضع الثوار كان سيئا بدوره، وكان بإمكان القذافي سحقهم لولا تدخل الغرب".

وقال ماريو إنه فى بداية يوليو كان ٢٠٪ من جنوده قد هربوا أو التحقوا بالثوار، وألحقت غارات الناتو ضربات مباشرة بوحداته، وفى هذه المرحلة لم يعد بالإمكان استخدام الأسلحة الثقيلة وتم الاكتفاء بالتمويه وتقادى الأماكن المفتوحة.

وحول موعد رحيله عن ليبيا، أوضح ماريو أنه غادر طرابلس قبل ١٢ يوما بعدما حذره أحد رفاقه، وقال: "قبل أسبوعين اتصل أحد رفاقي وهو من أحضرني إلى ليبيا وأبلغني بضرورة مغادرة طرابلس".

وكشف أن المرتزقة الأفارقة بدأوا يهريون، فقرر مع بعض رفاقه أن يغادروا طرابلس، وقال إنه حاول توديع سيف الإسلام لكنه لم يتمكن من الاتصال به. والتقت التايم الأمريكية مرتزقا آخر وهو جنرال متقاعد بالجيش اليوغسلافي السابق وكان مستشارا للقذافي منذ وقت طويل وقال إنه غادر طرابلس يوم ٢١ أغسطس وأنه غادر ليبيا عن طريق تونس.

وأضاف: "كانت الفوضى تعم طرابلس، فقد انهار النظام وعرفت هذا من قبل، لم أتحدث مع القذافي في آخر أربعة أسابيع فقد كان لا يستمع".

وفي يونيو الماضي، أكد لويس مورينو أوكامبو، المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية، أن هناك أدلة قوية على قيام سيف الإسلام القذافي، نجل العقيد الليبي معمر القذافي، بجلب المرتزقة إلى بلاده لمحاربة الثوار.

وقال أوكامبو وقتها: "لدينا أدلة على أن سيف الإسلام القذافي هو من عمل على التعاقد واستيعاب المرتزقة، وأن معمر القذافي استعان بالمرتزقة لقتل الليبيين، لعلمه أن الجنود الليبيين لن يقوموا بقتل الليبيين، ما جعله يستعين بالمرتزقة".

نهاية الظالم

دارت رحى المعارك بين العقيد وقلوله من جهة وشعب ليبيا النائر على الظلم والظالم من جهة أخرى... وبعد كرفر وبمساندة قوية من حلف الناتو تراجع العقيد بعدته وعتاده وتوالى سقوط المدن في أيدي الثوار حتى المعقل الأهم والأخطر والأبرز باب العزيزية بطرابلس الذي سقط سقوط بغداد بلا مقاومة وفي ساعات قليلة أدهشت العالم وهو معقل حكمه وعرش طاغوته وفر العقيد مع قلوله يتخفى من سرت إلى بنى وليد إلى أماكن يظن أن بها أنصارا قليلين له لكن بين طرفة عين وانتباهتها وفي ظهيرة يوم ٢٠ أكتوبر ٢٠١١ م - أي بعد سبعة أشهر

و ٢٥ يوماً . سقط العقيد فى قبضة الثوار فأرأ مدعوراً يستدر العطف ويتوسل إلى الثوار أن يرحموه وفى ظروف معقدة أطلق الرصاص على رأس العقيد . ليسقط الجنون ويستريح العالم من شره .

وهربت فلول النظام وباتوا يبحثون عن مأوى يخفيهم عن عيون الثوار التى يتفجر من أحداقها الشرر.. شرر الغضب الذى لن يهدأ حتى القبض على الوقح سيف الذى أهان الشعب والأمة والجامعة والناثو وبعد أقل من شهر بيوم واحد أى فى ١٩ نوفمبر ٢٠١١ م وقع سيف فى الفخ واستسلم للأسر فى حالة أشبه ما يكون بإنسان العصر الحجرى أشعث أغبر متلفعاً بلباس البدو فى محاولة للتكر عسى أن يفلت من يد الثوار ومرة ثانية تعلن ليبيا الأفراح بمناسبة القبض على الثورث الفاشل واللسان البذئى دنجوان عصره وأوانه سيف الإسلام معمر القذافى وقد قطعت أصابعه ربما جراء قصف للناثو ... وها هو يسترحم إخوانه ويطلب الرأفة وحسن المعاملة من شعب أذاقه سيف وأبوه وسائر إخوته صنوف الشراب المر والعذاب الأليم ... وقد رحموه وتحفظوا عليه فى مكان آمن وأعلن النائب العام الليبى عن نية الشعب محاكمة سيف فى ليبيا محاكمة عادلة رغم طلب المحكمة الدولية تسليمه وفق مذكرة التوقيف السابقة فأرجئ الأمر للنظر وفى إحدى جلسات التحقيق عرض سيف على المحققين أن يصحبهم إلى باب العزيزية بطرابلس ليذلهم على أطنان المجوهرات والذهب والسياتك وملايين الدولارات فى حفر عميقة تحت الأرض !!!

وقالت مصادر ليبية إن سيف الإسلام القذافى كشف عن كميات من الذهب والأموال التى تقدر بملايين الدولارات كان يخبئها والده فى "حفر" وأماكن سرية داخل مقر إقامته فى حصن باب العزيزية، وأن قوات أمنية تابعة للمجلس الانتقالى الليبى اصطحبته فى زيارة سرية الى الحصن خلال اليومين الماضيين.

ونقلت صحيفة "فورينا الجديدة" الليبية عن مصدر أمنى فى وزارة الداخلية، أن سيف القذافى قد تجول داخل باب العزيزية وبرفقته سرايا من ثوار الزنتان وكشف عن العشرات من الملايين فى أحد الأماكن السرية داخل باب العزيزية، كما

تجول في عدة أماكن سرية مهمة في طرابلس يعتقد بأن النظام السابق كان قد استخدمها خلال ثورة ١٧ فبراير.

وأكد المصدر الأمني أنه فور الكشف عن الأموال وانتهاء المهمة، تم نقل سيف القذافي إلى مدينة الزنتان، مشيراً إلى وجود مليارات كان القذافي قد أخفاها في أحد الأماكن في باب العزيزية ومدينة سرت لا يعرف مكانها هو والمقربون منه أمثال رئيس المخابرات الليبي السابق عبدالله السنوسي.

وكان هناك إطلاق كثيف للرصاص قد حدث خارج باب العزيزية وداخله، وأوضح فتحى الفيتورى وهو عضو أمنى سابق فى غرفة العمليات بمدينة طرابلس أن هذا كان بسبب العثور على كميات كبيرة من الذهب مخبأة فى إحدى الحفر داخل باب العزيزية، مشيراً إلى أن وزير الداخلية أرسل سرية من إحدى كتائب الزنتان وفرقا لتقوم بالحفر وإخراج الكميات التى كشف عنها أحد المسئولين فى النظام السابق.

وقد تم الكشف عن الكثير من ثروات العقيد القتيل معمر القذافي فور سقوط مدينة طرابلس فى أيدي الثوار فى شهر أغسطس الماضى، ولا يزال هناك الكثير من الثروات والأسرار التى لم يتم الكشف عنها، ويتوقع الكثيرون أن تؤدى التحقيقات مع سيف القذافي إلى الكشف عن المزيد من الأسرار والثروات.



جمال مبارك

شاب نهب مصر



* وأنا أول الحاقدين

* نفسه ونشأته

* مبارك وعقوق والديه

* أكذوبة الضربة الجوية

* سوزان ملكة الظل

* جمال وشلة الفساد

* كيف سرقوا مصر؟

* بأمر سوزان وجمال:

«أشرطة العادلي الجنسية وسر حريق الشورى»

* النهاية عادلة.. والدرس عظيم



أنا أول الحاقدين..!

الحديث عن جمال مبارك ورحلة الصعود وصناعة الفساد هو عين السهل الممتنع. سهل: لأن أبواب الحديث عنه أشبه بأبواب جهنم "لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم" كذلك سيرة جمال أبوابها سبعة: الفساد السياسى والأخلاقى والفنى والزراعى والصناعى والاقتصادى والتعليمى وتفسير ذلك يحبر مجلدات و لاجرح... وممتنع: لأن كثرة الأحداث و الوقائع ومظاهر الفساد والإفساد ينسى بعضه بعضا وتحتاج إلى فريق عمل جامعى مؤهل فى البحث والاستقصاء لحصر فساد أسرة حاكمة ونظام فاسد مستبد طيلة ٣٠ عاما من عمر مصر.

إذن سنقدم جمال مبارك بقدر ما يضىء الأنوار حول نشأته وتعليمه وشطحاته وطموحاته فى بيت تحكمه امرأة بحكم أن والده كان دائماً فى معسكره بالكلية الجوية التى اعتبرها بيته وناديه، فقد كان يكره العودة إلى بيته بسبب غطرسة سوزان .. كما نقدم صورة لرحلة الصعود و شلة الفساد التى أحاطته بنفاق رخيص وأنه المهدى المنتظر الذى سينقذ مصر من تخلفها ويرفعها من وهدة سقوطها فى كل نواحي الحياة .. وعلى جانب آخر تقف أمه وفى يدها عصا غليظة تسوق الوزراء ورجال الدولة نحو فكرة توريث الحكم لابنها المهدى المنتظر. وكم من هؤلاء فقد رجولته وهو ينحن ذلاً ورعباً من بطش الهاتم ويبدى أفكاره واستعدادة للخدمة فى جريمة التوريث وهو يمرغ خده فى حذائها .. وفى وسط هذه الصورة يبدو صفوت الشريف ومن حوله دمفيد شهاب ود.على الدين هلال كأهم أساتذة فى الحضانة التى أنشأتها سوزان لتعليم جمال فن الفساد السياسى . وهكذا تقدمت الهاتم الزفة بينما الأب حسنى غارق فى مستنقع الفساد مع حسين سالم و زكريا عزمى ومستشاره الصهيونى بن اليعازر ويتبادل النكات السخيفة مع نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل ليعود إلى منصة الإذاعة فيلقى خطاباً سخيفاً يهزأ من شعبه ويقلل من شأنه وأنه لا هم له إلا المتعة والإنجاب . فلما تبرم شعبه من سوء ما بشر به التفت إلى من حوله من الجوقة يقول باستهزاء "خليهم يتسلوا....!"

جمال مبارك إذن مجرد شاب مصرى كأى شاب من أبوين مصريين خالصين-أو هكذا ينبغى أن يكون-فرصته متساوية فى التعليم والعمل والسياسة وتولى المناصب هو وشقيقه علاء، لكن الواقع غير ذلك. لقد شب علاء وجمال من بعده فى كنف رئيس يحكم البلاد بالحديد و النار فأتيحت له فرص فى العمل بالبنوك الأجنبية فى مصر والخارج بسطوة و سلطان أبيه الرئيس.. بصرف النظر عن مؤهلاته وقدراته وإمكانياته العلمية، يكفى أنه ابن الرئيس محمد حسنى مبارك ولا أظن أن أباه ولا أحد من أسرته سمع بموقف النبى محمد ﷺ من فاطمة الزهراء رضى الله عنها عندما طلبت خادمة تعينها فى شئون بيتها، فقال لها أبوها المصطفى صلى الله عليه وسلم : "اعملى يا فاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً .. يأتى الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتون بأحسابكم وأنسابكم .. والله لا أغنى عنك من الله شيئاً .." اتى لهم أن يعرفوا وهم يناصبون دين الله العداة فالحجاب كربه والأخلاق رذيلة وتخلف والدين أفيون الشعب وكل من قال ربي الله بصوت جهير قبض عليه وكم من أبرياء قضوا فى سجون مبارك وسوزان وجمال وعلاء سنوات، كثير منهم من كانت تهمته ضبط متلبساً بصلاة الفجر..!!

المهم بدأ نجم جمال مبارك يتلأأ وقنوات التلفاز تسلط الأضواء ورؤساء تحرير الصحف القومية يتسابقون للعق حذائه والانبطاح تحت قدميه وهو يختال كالطاووس معجباً بنفسه ..

بينما بذور الحقد تنمو فى نفسى . وفى كل موقع أراه أسأل أو تسألنى نفسى: من هذا... وما تاريخه... وماذا قدم ليأخذ كل هذا... ولماذا لا تتساوى القرص؟ ثم تتهمنى نفسى بالخنوع والاستسلام أمام كل مشهد يبدو فيه جمال زعيماً ملهماً، وتسألنى أين طموحك؟ ألم تحلم يوماً أن تكون وزيراً للإعلام، ألم تقل لك حبيبته وهى قريبة من بيت أحد وزراء الإعلام السابقين، ستكون خليفة عمى و اتوقع أن تكون وزيراً للإعلام فى غضون عشر سنوات .. وكنت منديعاً و صحفياً مبتدئاً وكلمات حبيبته تشعل الحماسة والطموح برأسى وأعمل وأجد وأجتهد فى كل عمل مستنداً إلى تفوقى الدراسى فقد كنت ثالث ثلاثة من

أوائل الخريجين بقسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر .. ومضت السنوات العشر والعشرون ولم تصلنى الوزارة.. أعرف بالطبع السبب أو الأسباب. فأنا أزهرى الدراسة ولا مجال لأزهرى متدين أن يصل إلى الوزارة أو حتى منصب رئيس تحرير، فهم ولا شك ممن يقولون : ربي الله.. كما أنني لا أطيق الانتظام فى أمانات الحزب الوطنى وهى الضمانة والمؤهل لكل المناصب فى الدولة .. من أجل هذا ذهبت أتعلق بأستار الكعبة فى كل مرة أدخلها وأدعو الله من بين دعواتى : اللهم ونلى ولاية بالإعلام أصلح بها ما أفسد صفوت الشريف وأمثاله وأعوانه فى وزارة الإعلام ..! هذه كانت مشاعرى وطموحاتى بأئسة حائرة لأنى مواطن مصرى ريفى فلاح مجتهد شأن ملايين الشباب المصريين النابغين العاطلين بينما جمال مبارك يقفز قفزات الكنغرو ويقترّب من كرسى الرئاسة فى جو من الأضواء والبخور وحفلات النفاق الرخيص وتعويدات التنويم المغناطيسى للشعب .. حتى تأكد لى أمام نفسى أننى أول الحاقدين على جمال وفرصه الذهبية التى وافته من غير استحقاق، والآن أعترف أننى كنت مخطئاً. ساهياً لاهياً لم أستفد من حفظى القرآن الكريم بشكل جيد ولو كنت واعياً آنذاك لقصة قارون وثروته من الكنوز «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولو القوة» وكنت أنا كمن قال الله فيهم : " قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لنذو حظ عظيم" ونسيت أن الله كتب النهاية العادلة : " فحسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين " ووقفت إلى جانب الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون " ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يضلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساد.. والعاقبة للمتقين " اعتذر إلى الله عن سهوى وخطئى، فقد كنت من أول الحاقدين على جمال وأخيه ولكن عدل الله ردى إلى صواب الإيمان واليقين .

فمن هو جمال مبارك

من ميدان الحجاز إلى ليمان طرة ... !!

- اسمه : جمال الدين محمد حسنى السيد مبارك
- ولد: فى شقة متواضعة بميدان الحجاز بمصر الجديدة فى ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢م

٥ تعلم : فى المرحلة الابتدائية بمدرسة مسز وودلى الابتدائية ثم انتقل إلى مدرسة سان جورج الإعدادية والثانوية ودرس بها حتى حصل على شهادة الثانوية الإنجليزية فى العام ١٩٨٠ م ثم التحق بالجامعة الأمريكية للدراسة فى قسم إدارة الأعمال وبعد أن أصبح والده رئيساً حصل على ماجستير فى إدارة الأعمال من نفس الجامعة بسرعة فائقة مما أثار شكوك الأساتذة أن يكون الماجستير مجاملة لوالده الرئيس !!

- عمله : وبنفس السرعة عمل جمال مبارك ببنك أوف أمريكا فرع القاهرة وبأقصى سرعة انتقل إلى فرع لندن موظفًا عاديًا وبعد شهور قليلة تمت ترقيته مديراً لفرع البنك بلندن .. وهناك بدأ يعرف عن قرب الاستثمار البنكى وأصول التجارة بالديون الدولية .

- الحالة الاجتماعية : ظل جمال أعزب بلا زواج حتى العام ٢٠٠٩ م حتى كان النصيب والقسمة وحسابات أخرى فخطب ابنة الملياردير محمود الجمال وتزوجها فى ٤ مايو ٢٠٠٩ م ولم ينجب منها غير ابنته فريدة تيمناً بالملكة فريدة ملكة مصر السابقة !!

قليل الأصل

- أبوه : محمد حسنى السيد مبارك، نجل السيد مبارك باش كاتب محكمة شبين الكوم الشرعية التى كان يرأسها القاضى جاد الحق على جاد الحق الذى أصبح مفتياً ثم شيخاً للأزهر فى عهد الرئيس مبارك .. وهو سبب دخوله الكلية الحربية فقد كان الشيخ جاد الحق قاضى المحكمة مرتبطاً بوالده الذى دبر للشيخ جاد دارا بكفر المصلحة وهى تبعد عن المحكمة بنحو ٢ كيلو متر فقط فكان

الشيخ جاد الحق قاضى المحكمة الشرعية يبيت بهذه الدار ثلاثة أيام كل أسبوع هى أيام الجلسات التى يرأسها، وقد أثر عم السيد مبارك أن تكون الدار ملاصقة لداره حتى يمكنه وزوجته أن يساعدا الشيخ ويقدمان له ما يستحق من كرم الوفاة والجوار.. وبالفعل عاش الشيخ جاد أياماً هنيئة بكفر المصلحة بهذه الجيرة الطيبة لأسرة عم السيد مبارك... حينئذ كان حسنى مبارك لا يزال طالباً بمدرسة المساعى المشكورة بشبين الكوم... يعود من المدرسة ليجد والده مع الشيخ جاد الحق فيناقشه الشيخ فى بعض معلومات وقواعد النحو والنصوص المقررة فيخفف التلميذ رأسه من شدة الخجل لعدم قدرته على الإجابة، فيطلب الشيخ أن يحضر كتاب النحو ويقوم بشرح القواعد له شرحاً وافياً ومساعدته فى حل بعض التطبيقات برغم تملله لعدم قدرته على الفهم والاستيعاب... وحصل محمد حسنى على الثانوية بمجموع ضعيف لا يؤهله لكلية مرموقة، فطلب الوالد عم السيد من الشيخ جاد أن يشير عليه فى أمر ولده الذى خذله بمجموع ضعيف جداً فى حين أن أبناء القرية من أقرانه تيسر لهم دخول كليات القمة.... فقال الشيخ جاد سأحاول أن أجد له فرصة لدخول الكلية الحربية، وبالفعل تمكن الشيخ جاد الحق على جاد الحق من إلحاقه بالحربية سنة ١٩٢٨ م حتى تخرج فيها برتبة ملازم ثان عام ١٩٤٩ م ولعل هذا سر اختيار مبارك للشيخ جاد مفتياً ثم شيخاً للأزهر كرد للجميل.. عمل مبارك ضابطاً بسلاح المشاة، وفى نفس العام أعلنت كلية الطيران عن قبول دفعة جديدة فكان مبارك أحدهم وتخرج يحمل بكالوريوس علوم الطيران فى ١٢ مارس ١٩٥٠ م ثم تلقى دراسات بكلية فرونز العسكرية بالاتحاد السوفيتى وترقى حتى صار كبير معلمى الكلية وأركان حريها: وفى هذه الأثناء حدثت مفارقة عجيبة يرويها زميله وصديقه اللواء طيار بهى الدين منيب فيقول لى : كنت أجلس مع مجموعة من الزملاء فى " ميس " مطعم الكلية ومن بينهم الرائد محمد حسنى مبارك وبينما نشرب أقداح الشاي دخل ضابط أمن الكلية يؤدي التحية العسكرية ويتجه بالحديث إلى حسنى : يا فندم والد سيادتكم موجود على البوابة يريد مقابلتك... يقول اللواء بهى : فبهت مبارك

وتغير لونه وارتبك وقال : يا بنى والدى مات من زمان ... تلاقى حد بيتمحك فيا ولا حاجة .. اصرفه .. وعاد ضابط الأمن وطلب من عم السيد مبارك أن يعود من حيث أتى، ولم تمر هذه الواقعة مرور الكرام فقد أبلغ أحد الزملاء العميد طيار مدكور أبو العز قائد الكلية الجوية بتفاصيل ما حدث . استدعى الفريق مدكور الرائد محمد حسنى مبارك أمامى وبعض الزملاء ليؤيخه بعد أن أخبرته التحريات العسكرية بأن عم السيد مبارك على قيد الحياة لم يميت وأنه بالفعل هو نفسه الذى كان على البوابة يطلب زيارة ابنه حسنى .. وقال العميد مدكور لمبارك :

إنت قليل الأصل ... فى واحد محترم يتبرأ ويستعز من أبوه ده لولاه ما كنت إنت..!!

يقول اللواء بهى: وكانت صدمة مبارك شديدة وظل مكثباً لفترة طويلة بعد أن صارت حكايته على لسان الضباط كالبانة .. !!
ومات عم السيد حسرة وكمدأ ...

أمه تقاضيه لمساعدتها

تماماً كما كانت علاقة الابن حسنى مبارك سيئة بأبيه الذى توفى عام ١٩٦٠ م كانت علاقته أسوأ بالسيدة الكريمة الفاضلة نعيمة أحمد إبراهيم التى فقدت بموت زوجها ركناً ركيناً فى حياتها، فقد كان سندها وراتبه هو ما يعينها على تربية أولادها وإعالة نفسها رغم قلته وضعفه، فقد كان راتب عم السيد مبارك باش كاتب المحكمة ضئيلاً جداً لهذا طلبت من ابنتها حسنى أن يساعدها بالقليل من راتبه فوقفت سوزان لها بالمرصاد ومنعته حتى اضطرت السيدة العقيلة الكريمة- ماما نعيمة رحمها الله - أن ترفع قضية بالمحكمة تطالبه أمام القاضى بنفقة مساعدة لها وإخوته، وبالفعل حكم القاضى على حسنى مبارك بدفع ٢ جنيهات و٢٧ قرشاً شهرياً لوالدته .. من هذا التاريخ ساءت العلاقة بين سوزان وحمااتها - ماما نعيمة رحمها الله رحمة واسعة - وبعد وفاة الوالد عم السيد اضطرت حسنى تحت وطأة التوبيخ والمعرة التى تلاحقه أن ينقل والدته إلى مسكن بالشقة

المقابلة لشقته بميدان الحجاز بالقاهرة ٧٠ متراً تقريباً وقضت بها أيام حياتها الأخيرة حتى ماتت كمدا وحسرة من احتقار سوزان لها:
مجلة آخر ساعة أجرت حديثاً صحفياً مع السائق الخاص لحسنى مبارك علاء الدين التناوى:

عملت سائقاً مع الرئيس المخلوع حسنى مبارك منذ العام ١٩٧٧ م وكان يسكن بشقة بميدان الحجاز تقابلها شقة بنفس الدور تقيم بها السيدة والدته الحاجة نعيمة.. أشهد وأقسم بالله أنه كان إذا صعد السلم يصعد على أطراف حذائه حتى لا تشعر بموعد عودته ويطلق الباب بأطراف أصابعه . فقد كانت سوزان تكرهها وتعنفه إذا زارها وغاب عندها .. وتتكلم عنها بما لا يليق بها كأم لزوجها .. ويقول السائق : والله كنت أصعد بأكياس الفاكهة وأضعها بين يدي سوزان ولم يطلب منى مرة واحدة أن أدخل لأمه كيساً واحداً به فاكهة بل ربما لم يذهب بها إلى الطبيب مرة .

أم الرئيس

وفى مقارنته بين علاقة مبارك بأمه وغيره من الرؤساء كتب الزميل محمد الدسوقي رشدى باليوم السابع تحقيقاً جاء فيه :

فى أول الكلام عن رؤساء مصر الثلاثة وعلاقتهم بالأم، قلنا إن متابعة تفاصيل تلك العلاقة ستكشف عن مدى صدق تلك الحكمة المصرية الأصيلة التى تقول بأن رضا الأم عن وليدها يكون سبباً فى رضا الرب وعبيده على الوليد نفسه، وتحديثاً كيف شكل فراق عبد الناصر لأمه مبكراً كاريزما العواطف التى اشتهر بها، وكيف أثر بعد السادات عن والدته وارتباطه بجذته صاحبة الشخصية القوية على نظرته للأمور، وفى السطور القادمة ستعرف لماذا فقد مبارك الكاريزما التى تقدمه للشعب، وكيف فقد تعاطف الناس معه منذ البداية وحتى النهاية.

لم يتحدث عنها أبداً، لم يذكرها، لا يوجد سطر واحد فى أى خطبة أو أى لقاء رسمى أو أى حديث ودى منقول للرئيس السابق محمد حسنى مبارك يتضمن كلمة واحدة عن السيدة والدته رحمها الله، حتى المعلومات المتاحة عن أصل ونشأة

الرئيس السابق قليلة جداً، فلم نسمعه يوماً يفعل كما فعل السادات ويتحدث عن قريته ووالده وجدته وأهله، ولا كما فعل عبد الناصر حينما كان يأتي بوالده عبد الناصر حسين، ويجلس ويحكي معه ومع أصدقائه عن أيام "بنى مر" وذكريات نشأة عبد الناصر التي قال بكل ثقة إنها كانت ذكريات فقيرة.

كان إذا تحدث عن أمه امتلأت عيناه بالدموع، لم يأت مبارك على ذكر والدته أبداً، وربما كانت الذكريات والتفاصيل القليلة التي وردت عن نشأته يمكنها تفسير ذلك، ففى عدد مجلة "المصور" الذى نشر بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٨١ يحكى أبناء قرية حسنى مبارك عنه، واصفين إياه بأنه كان شخصاً جاداً وصارماً، ويتمتع بإحساس عال بالخشونة، وربما كانت تلك المواصفات هى المفتاح الذى يمكننا أن نستكشف من خلاله علاقة الرئيس السابق بالسيدة والدته رحمة الله عليها.

العلاقة بين حسنى مبارك ووالدته السيدة نعيمة أحمد إبراهيم ربما لم تكن على نفس مستوى علاقة الرئيس عبد الناصر بأمه، ولكنها أيضاً لم تكن مثل علاقة الرئيس أنور السادات بالسيدة والدته، ويبدو أيضاً أنها لم تكن تشبه كثيراً تلك العلاقة الحميمة العاطفية التى تنشأ بين الطفل وأمّه، وبالإضافة إلى صفات الجدية والخشونة التى وصف بها أهل كفر مصيلحة الرئيس السابق كانت هناك أشياء أخرى يمكنها أن تحدد طبيعة العلاقة بشكل أقرب، فكما ذكر أهل كفر مصيلحة أن مبارك حينما التحق بالكلية الحربية انقطعت علاقته بكفر مصيلحة تماماً، على الرغم من أن والديه كانا يقيمان فيها، ولم يذكر أن مبارك كان يهوى السفر إلى بلديته أو كان يداوم على ذلك، ومنذ انطلق ليدرس فى الكلية الحربية كانت زيارته لوالدته فى كفر مصيلحة تأتى بمقدار مرة كل ثلاثة أشهر أو أكثر، ولك أن تتخيل كيفية تلك العلاقة الموجودة بين الابن وأمّه، وهى تقوم على زيارة كل ثلاثة شهور يمكنها أن تزيد، خاصة إذا أضفت تصريحات الرئيس السابق الشهيرة فى كل مناسبة، بأنه كان يعيش عمله تماماً وكان يقضى حياته كلها فى أداؤه.

العلاقة الجامدة يمكن توصيفها بهذا الشكل، فالرئيس السابق ليس بالشخص العاطفى، ولم يظهر عليه ذلك طوال فترة وجوده فى الحكم، فلم نشاهده على

شاشة التليفزيون وهو منفعل أبدا ولم نسمع صوته معبراً فى يوم ما عما يقوله فهو دائما ما يتكلم بنفس نبرة الصوت، سواء كان يتكلم عن حدث مقترح أو عن كارثة.

فى ٢٢ نوفمبر ١٩٧٨ فقد الرئيس السابق حسنى مبارك والدته، وكان وقتها نائبا للرئيس وتحت عنوان "الرئيس السادات يشترك فى تشييع جنازة والدة حسنى مبارك" نُشر خبر وفاة السيدة والدته رحمها الله، وفى نفس العدد من الأهرام، وبصفحة الوفيات، نشر نعى مطول جاء فيه "المرحومة حرم المرحوم السيد السيد مبارك والدة محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وأحمد سامى بألمانيا وفوزى بشركة طومسون وعصام الدين بالجامعة العربية وحرم المهندس السيد عزب إبراهيم مدير زراعة القليوبية وشقيقة كل من المرحوم محمد أحمد إبراهيم والمرحوم عبدالرحيم أحمد إبراهيم وأحمد حلمى إبراهيم وحرم المرحوم عبد الكريم عثمان والمرحوم وهبة رضوان وعمة وخالة كل من اللواء طبيب كمال عبد الكريم وإخوته وحمدى إبراهيم بالتربية والتعليم..". إلى آخر النعى الذى تضمن أسماء بقية العائلة، ويلاحظ أن معظمهم عاملون بالتربية والتعليم والجيش وهيئة الزراعة.. وينتهى النعى بجملته الأخيرة تقول "وأقيمت ليلة المآتم أمس ولا عزاء للسيدات.. العزاء تلغرافيا بعابدين".

مع آخر كلمة فى النعى انتهت علاقة مبارك بالمرحومة السيدة والدته، وعلى الرغم من أن الرئيس السابق كان حريصاً على أن تتم تغطيته جميع أنشطته حتى البسيط منها فى الصحف الحكومية، وعلى الرغم من أن حملته الرئاسية فى ٢٠٠٥ حاولت أن تكون أمريكية، وتركز على الجوانب الإنسانية فى حياته.. إلا أننا لم نسمع يوماً أو نقرأ أنه قام بزيارة قبر والدته أو أقام لها ذكرى سنوية، وهى أشياء يحرص المصريون بمختلف مستوياتهم على أدائها، خاصة إذا تعلق الأمر بالأم.

وحتى على المستوى الغربى كان الكثير من الرؤساء حريصين على ذلك بشدة، فالرئيس السورى الراحل حافظ الأسد كان حريصاً على إنشاء مسجد كبير باسم

السيدة والدته "ناعسة"، ومثله الزعيم اللبناني الراحل رفيق الحريري الذي كان يحرص على زيارة سنوية لضريح والدته الحاجة هند حجازي، ومثله أيضا زعيم مجلس النواب اللبناني نبيه بري الذي يحرص على إقامة احتفال في ذكرى وفاة والدته على مدار أسبوع كامل يعرف باسم أسبوع فاطمة زين الدين.

حتى عندما ظهر الرئيس المخلوع في البرنامج الشهير مع عماد الدين أديب تحدث الرئيس عن حياته الخاصة وعن زوجته، ولم يتحدث عن والدته، مع أننا اعتدنا في مثل هذه الأحاديث أن يذكر المتحدث، ويؤكد على فضل الوالد والوالدة فيما وصل إليه، ولكنه لم يفعل ذلك في حين فعله الرئيس الأمريكي الأشهر إبراهيم لنكولن حينما قال في خطاب شهير للشعب الأمريكي "إني مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه من الرفعة إلى أمي الملك".

أكذوبة الضربة الجوية

لأنني هنا لا أسجل حياة مبارك الأب لجمال سأكتفى بتصحيح بعض الشعارات وتسجيل أهم إنجازات مبارك كرئيس حتى أعود بسرعة إلى جمال وسيرته وفساده وهو موضوع هذا الكتاب .

عاش جيل كامل يغنى للضربة الجوية التي رسمها وقادها ونفذها حسنى مبارك قائد القوات الجوية إبان حرب ١٩٧٢ م مع اليهود وكتب الشعراء الأغاني وتغنى المطربون بها ينافقون ويداهنون الرئيس والصحف السوداء بلون حذاء الرئيس تعيد وتكرر : صاحب الضربة الجوية يتكلم ويروى الأسرار .. بحكم عملي كصحفي ومذيع التقيت نحو ٦ طيارين من دفعة مبارك ورجاله المقربين منهم اللواء طيار أحمد شوقي واللواء طيار بهي الدين منيب.. يقول الأخير: أنا أول من جهر وقال : الضربة الجوية المنسوبة لمبارك أكذوبة كبرى روّج لها إعلامه الفاجر الذي أمسى وأصبح يسبح بحمده ويختصر نصر أكتوبر وتضحيات أبناء مصر جنوداً وضباطاً وطيارين في وقفة حسنى مبارك في غرفة عمليات القوات الجوية لمدة ساعات .. بينما الطيارون يخاطرون بأرواحهم ومنهم من استشهد مبكراً كالشهيد عاطف السادات شقيق أنور السادات وغيره من الأبطال ... أما حكاية

الضربة الجوية الحقيقية فينبغى أن تذكر أصحاب الفضل فيها ... والكلام للواء طيار بهي الدين منيب وكان ملحقاً على هيئة عمليات القوات المسلحة الرئيسية إلى جوار السادات والمشير أحمد إسماعيل واللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات والفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان ومهمته يتلقى تعليمات المشير والرئيس ويبلغها لمبارك فى المركز ٢٠، وهو مركز عمليات القوات الجوية خلف المنصة وفندق الماسا الآن . يقول اللواء بهي الدين:

مبارك ضابط يعرف عنه الغباء بحق، فهو قليل الذكاء لكن متشدد فى تنفيذ الأوامر التى تصدر إليه وتطبيق اللوائح كما هى بدون تفكير لذا لم يكن منوطاً به وضع خطة القوات الجوية فى أى حرب وبسبب ذلك أسند المشير أحمد اسماعيل وزير الدفاع إلى اللواء طيار صلاح المناوى واللواء طيار محمد لطفى شبانة يساعدهم العميد طيار محمد عبد الحميد حلمى وضع خطة الضربة الجوية أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، وبالفعل قام الثلاثة بوضع الخطة وآليات تنفيذها وتوقع الخسائر المرتقبة وكيفية تعويضها .. وكان دور اللواء حسنى مبارك التوقيع عليها لاعتمادها بصفته الوظيفية فقط، ثم قام أحد الضباط بتسليمها للواء الجمسى الذى سلمها إلى المشير أحمد اسماعيل يداً بيد، ولدى ساعة الصفر قام الطيارون المصريون النسور الأبطال بتنفيذ الخطة كما هى بنجاح ساحق وخسائر لا تكاد تذكر بالمرّة.

ويقول اللواء طيار أحمد شوقى : كنت قريباً من حسنى مبارك فى كثير من الأوقات والأزمات فقد كان يعرفنى طياراً مقاتلاً شرساً وأشهد أن حسنى مبارك لم يكن طياراً ماهراً بالمعنى الدقيق فهو لم يركب طائرة مقاتلة ولا قاذفة بحكم تخصصه وإنما كان مذرباً جيداً ربما، كما أنه كان يفضل طائرات النقل .. وعموماً كان مبارك قائداً تقليدياً حازماً شديداً الإحكام والضبط والربط وهذا لا يقارن بذكائه .. !!

لذا نحن الطيارين أصبنا بحالة إحباط شديدة بسبب الإعلام المضلل الذى مجد الرئيس و نسب إليه ما ليس له وكأنتنا كنا نحارب فى بلد غير مصر ولم نخاطر

بأرواحنا فداء لمصر ... هذا فضلاً عن تشكيل مبارك بكل زملائه الطيارين الذين يعرفون عنه تفاصيل حياته فقد تخلص منهم بقسوة وأبعدهم وامتنع عن مقابلتهم بعد أن أصبح رئيساً، بل ولم يجامل واحداً مرة.

أهم إنجازات مبارك فى ٣٠ سنة

الأحوال المادية

.ديون : إجمالى ٦١٤ مليار جنيه.

.الفقر : ٤٠% من الشعب تحت خط الفقر أقل من ١ دولار فى اليوم

بينما محاسيب مبارك وكلايه من كبار المسئولين ورجال الأعمال اللصوص ونسبتهم حوالى ٥% من الشعب المصرى يعيشون حياة الأباطرة ومن أغنى أغنياء العالم

.نقود مهرية : ٤٠٠ مليار دولار خرجت من البلاد بمعرفة مبارك ومسئوليه.

.الجنيه المصرى : الدولار = ٢٥ قرشا ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر سنة ١٩٧٠

.الدولار = ٨٥ قرشا يوم مقتل السادات سنة ١٩٨١ و ٦ جنيهات سنة ٢٠١٠.

الأحوال الصحية

.اىسرطان : تضاعف ٨ مرات .. أعلى نسبة فى العالم

.الذبحة الصدرية : ٢٠% من الحالات شباب تحت الأربعين.

.البلهارسيا : أعلى نسبة فى العالم.

.السكر : ٧ ملايين .. ١٠% تقريبا من عدد السكان.

.التهاب كبدى : ١٣ مليوناً .. ٢٠% من الشعب.

.فشل كلوى : أعلى نسبة فى العالم.

.شلل الأطفال : موجود فى ٦ دول فى العالم فقط منها مصر

.الالاكتئاب : ٢٠ مليون مواطن.

.أمراض نفسية (أخرى) : ٦ ملايين.

.التدخين : ٨٠% من البالغين مدخنون.

.التلوث : أعلى نسبة فى العالم ... تلوث للهواء ومياه الشرب.

والتدهور في التربة والمناطق الساحلية .. خسائر ٢٠ مليار جنيه.
الإنتاج الحكومي : ١٠ دولارات للفرد سنوياً.

الأحوال الاجتماعية

القضايا : ٢٠ مليون قضية بالمحاكم .. أقدمها من ٢٨ عاماً حتى الآن.
البطالة : ٢٩% من القادرين على العمل .. حوالى ٥ ملايين شاب.
الانتحار : ٢ آلاف محاولة سنوياً.

حوادث الطرق : ٦ آلاف قتيل سنوياً و ٢٣ ألف مصاب.
الطلاق : ٢٨%.

العنوسة : ٩ ملايين عانس و ٤ ملايين فوق ٢٥ عاماً.

الهجرة : ٤ ملايين مهاجر : ٨٢٠ ألفاً من الكفاءات و ٢٥٠٠ عالم في تخصصات شديدة الأهمية .. ٦ ملايين طلب هجرة للولايات المتحدة وحدها سنة ٢٠٠٥.

الأمية (الحالية) : ٢٦% من الشعب المصرى.

الأمية (المستقبلية) : ٧% من الأطفال لا يدخلون المدارس بسبب الفقر .. غير الهارين بعد الدخول.

التعليم : دروس خصوصية ، كتب خارجية ، جامعات خاصة للريح فقط.
عمالة الأطفال : نصف مليون طفل.

أطفال الشوارع : تقرير الأمم المتحدة : ٢ مليون ألف طفل.

عشوائيات : ٤٥% من الشعب يسكن العشوائيات .. ٢٥ منطقة عشوائية بالقاهرة فقط.

موظف الحكومة : تحت خط الفقر ويؤخذ منه ضرائب (ستة جنيهات متوسط دخل الموظف يومياً)

المخدرات : ٦ مليارات دولار سنوياً في تجارة المخدرات.

مشاكل أخلاقية

رشوة، محسوبية، بلطجة، توريث المهن، عُرَى، زواج عرفى ، قتل الأزواج ، امتهان

وتحرش بالنساء ، ألفاظ بذيئة ، صحافة جنسية، غش جماعى وجريمة و تسول.

الأحوال السياسية

سيطرة وفساد النخبة الحاكمة ، مراكز قوى ، الإعداد لتوريث الحكم ، تزوير انتخابات ، قمع المعارضة ، اعتقالات ، تعذيب حتى الموت ، انتهاك لحقوق الإنسان، إلغاء دور النقابات والجمعيات الأهلية.

مشاريع قومية متوقفة أو خاسرة

القضاء على الأمية قبل عام ٢٠٠٠ زراعة الصحراء الغربية بالقمح (مشروع اليابان).

- وادى السيلكون، محطة الطاقة النووية، جامعة د/ أحمد زويل (التكنولوجيا).

- فوسفات أبو طرطور، وادى توشكى.

- أكثر من ٢,٢ مليار جنيه خسائر بشركات القطن.

- ٨ مليارات جنيه خسائر شركات الغزل والنسيج.

- و١٢ مليار جنيه العجز الإجمالى لسكك حديد مصر.

- خسائر: ١٠ مليارات جنيه بقطاع الإذاعة والتلفزيون.

- ٤ مليارات جنيه سنويا مصاريف الرئيس مبارك وأسرته.

- جمال مبارك يتاجر فى ديون مصر التى اقترضها والده ويحقق فى صفقة

واحدة ٧٥٠ مليون دولار ربحا له.

الآزمات

فساد، تعليم، إسكان، زواج، بطالة، صحة، أخلاق، ضمير، مرور، مياه نظيفة، صرف صحى، البناء على الأرض الزراعية، تصحر، زحام، غلاء، انخفاض احتياطى النقد.

القطاع العام الذى تم بناؤه فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر تم تقدير ثمنه بواسطة البنك الدولى بمبلغ ١٢٠٠ مليار دولار ، ولكن الحكومة المصرية قدرت ثمنه بـ ٥٠٠ مليار دولار ثم باعت ٩٠% منه بمبلغ ٢٨ مليار دولار ، ولا أحد يعلم أين ذهبت أمواله ولصلحة من تم بيعه وتبيد ثروة

البلاد.

الأرض الزراعية

تم تجريف مليون و ٢٠٠ ألف فدان.

الأمن والشرطة

قانون الطوارئ : ٣٠ سنة طوارئ .. فى خدمة الشعب.

جيوش الأمن المركزى تبلغ مليوناً ونصف المليون جندى لترويح الشعب المصرى.

أضياف فى خلال آخر ٥ سنوات بعض إنجازات مبارك:

١- غرق عبارة السلام ٩٨م وليست الأولى من نوعها.

٢- كوارث القطارات ومترو الأنفاق.

٣- كارثة الدويقة.

٤- أزمة رغيف العيش و وفاة المواطنين من أجل الحصول على العيش.

٥- أزمة أنبوية البوتجاز.

٦- زيادة معدلات الجريمة والعنف فى مصر.

٧- سوء الحالة الاقتصادية والزراعة والصناعة.

٨- سرقة المال العام والأراضى المصرية.

الكفراوى؛ مبارك تاجر سلاح

أكد المهندس حسب الله الكفراوى، وزير الإسكان والمجتمعات العمرانية السابق،

أنه لولا المجلس العسكرى و حمايته للثورة ما كانت؛ لأن العادلى "سفاح" وكان يرغب

فى إبادة المتظاهرين، وأن المشير طنطاوى حى الثورة.

وأضاف الكفراوى فى حوار له لقناة "البلد" أن مبارك كان يملك مكتباً خاصاً

بإسبانيا لتجارة السلاح وواجهته بذلك؛ وأظنه حقق أرباحاً لا تقل عن ٣ مليارات

دولار من هذه التجارة المحرمة، كما لا يجب نسيان أن ديون مصر فى عهد مبارك

بلغت عشرة أضعاف ديون مصر فى عهدى عبد الناصر والسادات، وبعد ذلك

يحضر مبارك المحاكمة بمستشفى طائر وعندما رأته فى القفص قلت إنها آية من

آيات الله وصليت ركعتين شكراً نظراً لما ارتكبه من جرم فى حق البلاد والعباد.

وأكد المهندس حسب الله الكفراوي، أن "غباء" الرئيس المخلوع مبارك "ضيع البلد" وسلمها لمجموعة من اللصوص قضوا على الدولة، وصفهم الكفراوي بـ(الحية والطبال والقواد "اللى" ضحكوا على الحمار).

وأشار الكفراوي إلى أن السادات كان "معلم" فى حكمه وأنه عاش ومات شريفًا وعبد الناصر "أبو الشرف" والرجولة، بعكس مبارك الذى شبهه الكفراوي بـ"السفاح"، الذى سلم البلد لمجموعة المحيطين به؛ ويكفى أن جمال مبارك كان يتاجر فى ديون مصر.

وأضاف الكفراوي: فارق كبير بين السادات وغيره ويكفى أن السادات قرر تملك الأرض المستصلحة بثمن المرافق.

وأكد الكفراوي أنه شارك فى وضع أول قانون لتنظيم التصرف فى أراضى الدولة بحيث لا تزيد القطعة على ٧٠٠ متر ولا يسمح بتملك أكثر من قطعة واحدة على العكس مما نرى فقد كان محمود الجمال صهر مبارك يملك ٤٠ ألف فدان من الإسماعيلية حتى مطروح ومثله مجدى راسخ صهر علاء.

جمال ابن سوزان..!

أمه: السيدة سوزان صالح ثابت، ولدت بمدينة مطاى بمحافظة المنيا بجنوب مصر فى ٢٨ فبراير ١٩٤١.. أبوها طبيب مصرى درس الطب بانجلترا فى جامعة كارديف، وهناك تعرف على زوجته الإنجليزية - أم سوزان - ليلى ماى بالمر وهى من أصل يهودى وجدها من يهود مالطا وتزوجها فى العام ١٩٣٤م.

حصلت سوزان على الثانوية الأمريكية من مدرسة سانت كلير بمصر الجديدة عام ١٩٥٤ وفضلت العمل بشهادة الثانوية كمدرسة بالمدارس الأميرية حتى أصبح زوجها قائدا للقوات الجوية، بدأت تكمل دراستها حتى حصلت على شهادة الليسانس فى الاجتماع عام ١٩٧٧.. وفى نفس العام تم تعيين مبارك نائبا للرئيس السادات فتقدمت سوزان للتسجيل لثيل الماجستير من الجامعة الأمريكية وفى أقل من عام منحتها الجامعة درجة الماجستير..

ظلت سوزان مجرد مواطنة عادية تعيش بشقة متواضعة بميدان الحجاز بمصر

الجديدة لاتزيد مساحتها عن ٨٥ مترا، حتى حملها القدر إلى قصر الرئاسة فطلقت حياة الفقر والبؤس وشظف العيش وحملت لقب سيدة مصر الأولى ولا نعرف بأى حق لها.. وبدأت تمارس نشاطها فى حكم مصر من خلال زوجها الفقير الفلاح القروى الساذج الذى كانت تباهى وتتفاخر بأنها من أسرة عريقة، أب طيب مشهور وأم إنجليزية فكان مبارك يشعر بالعجز والدونية مما سهل لها أن تشارك أو تغالب فى اتخاذ القرارات المصيرية بشأن مصر وشعبها وفى اختيار الوزراء وتعيينهم وإهانتهم وعزلهم مع التمويه ببعض الأعمال الاجتماعية كمكتبة الأسرة وجمعية المركز القومى للطفولة والأمومة والهلال الأحمر ومكتبة الإسكندرية وكلها أنشطة تقبل التبرعات الخارجية بالملايين كلها وضعت فى حساب سوزان مبارك موزعة على بنوك العالم من غير أن يستفيد مشروع واحد بدولار واحد من ملايين التبرعات!!

ملكة فى الظل

لم تكن سوزان مبارك مجرد زوجة للرئيس وإنما ملكة فى الظل تحكم الرئيس وأولاده وشعبه متشبثة بجذورها الإنجليزية وظلت تمارس هذا الضغط على زوجها حتى استسلم لها فجمعت حولها بعض رجال الرئيس من مجموعة المخابرات وتنظيم الطلبة أيام عبدالناصر ومنظمة الشباب لينفذوا كل أوامرها وليخططوا معها لتوريث جمال ابنها المتطلع للعمل بالسياسة وورثة أبيه أسوة بأبناء الملوك فى الخليج والمنطقة العربية فعبدالله بن الحسين الطفل المدلل أصبح ملكا خلفا للملك حسين بالأردن ومحمد السادس أصبح خلفا لوالده الملك الحسن بالمغرب وبشار سوريا ورث الحكم عن أبيه حافظ الأسد رغم أنف شعب سوريا وحمد ملك البحرين وحمد أمير قطر كلاهما ورث الحكم عن أبيه إما بالموت أو بالخلع.. فلماذا لايرث جمال مبارك شعب مصر! سؤال ظل يلح على عقل سوزان مبارك منذ اعتلى الملك عبدالله عرش الأردن فى ٧ فبراير ١٩٩٩ بعد وفاة الملك حسين ويعد أن قام الحسين بتعديل الدستور الأردنى لإقصاء شقيقه الأمير الحسن ولى العهد لصالح ابنه عبدالله الذى أصبح ملكا

فى ظروف غامضة وبمباركة أمريكية فقد كان الحسين يحتضر ساعة توقيع التعديل الدستورى لصالح ابنه عبدالله.. هذا السيناريو التمتع فى ذهن سوزان أم جمال.. وبدأت تشير على الشيطان صفوت الشريف الذى زين لها أعمالها مهنتاً وموافقاً ومؤيداً ومشاركاً فى إعداد جمال كمشروع رئيس، واختار الشريف بنفسه مدرسى الحضانة مفيد شهاب وعلى الدين هلال وكمال الشاذلى فى البداية والتحق جمال طالباً فى KGI سياسة يدرس الأعبى السياسة وتزوير الانتخابات واستئناس الوزراء وإخضاعهم.. بصفة عامة تخرج جمال فى مدرسة صفوت الشريف استاذاً فى الفساد!!

وبدأ يحبو على سلم الصعود خطوة خطوة حتى قفز قفزة واحدة وضعته فى المقدمة رغم أنف شعب مصر.. فماذا فعل؟

بداية الصعود

بدأ صعوده السياسى يظهر بوضوح منذ المؤتمر العام الأول للحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم فى سبتمبر ٢٠٠٢، الذى طرح شعار "فكر جديد" تعبيراً عن التوجهات الإصلاحية التى يقودها جمال مبارك. واتخذ هذا المنحنى سبيلاً جاداً بإنشاء ما يسمى لجنة السياسات التى يرأسها جمال مبارك إلى جانب عضويته فى هيئة مكتب الأمانة العامة للحزب الوطنى وتضم اللجنة مجموعة من النخب الفكرية و الثقافية المصرية، وبدت للكثيرين بمثابة دينامو الحزب الحاكم فى رسم الخطوط العريضة للسياسات العامة. وارتبط ظهور اللجنة بأحداث متفرقة من قبل بعض قوى المعارضة و ذهبى إلى حد تهيئة المسرح لصعود نجل الرئيس مبارك السياسى لخلافة والده فى السلطة .

وقد أثار هذا الأمر الارتياح لدى البعض و الغضب لدى البعض الآخر داخل الحزب الوطنى نفسه. وظهرت تجليات متعددة تؤكد أن هناك صراعاً خفياً بين طرفين فى الحزب الحاكم . أحدهما يقوده جمال ومعه عدد من الرموز الشبابية النشطة فى المجالين السياسى والاقتصادى وأطلق عليهم "الحرس الجديد" وأخذت مكاناً بارزاً فى الحكومة . والآخر وصف "بالحرس القديم" وأبرز رموزه

كمال الشاذلى . وبدأت معالم الخلاف التى وصلت إلى حد التضارب تتكشف فى بعض التقديرات السياسية .

وفى أكثر من مرة أشار جمال مبارك إلى ضرورة أن يغير الحزب الوطنى من ممارساته بما "يوكب العصر" فى إشارة إلى أهمية التجديد فى مفاصل الحزب الحاكم . وحذر من عدم قدرة مصر على مواجهة التحديات الصعبة ما لم تنجح فى تطوير المؤسسات السياسية والاقتصادية الراهنة وإقناع المواطنين بممارسة حقوق المواطنة وتعميق المشاركة فى اتخاذ القرار .

ومع أن هذا الخلاف بدأ يتسرب إلى بعض وسائل الإعلام ، فإن جمال كان حريصاً على ربط تصوراتهِ بسياق الإصلاح العام محاولاً الابتعاد عن تقويم الأشخاص فى الحزب ، رغبة فى الحفاظ على وحدته . ولجأً للتغيير عبر أداتين: الأولى : فتح الطريق للشباب للتفاعل مع الحزب و أشرف على جمعية "شباب المستقبل" التى تمركزت مهمتها فى خلق جيل جديد على دراية كبيرة بتطورات العصر ومفرداته السياسية والاقتصادية، وحاولت صحيفة "المستقبل" الكشف عن أبعاد هذا الدور .

الثانية : تركيز الأضواء على توجهاته الإصلاحية بصورة عملية وحواراته الفكرية النظرية لخلق انطباع يعزز حظوظه السياسية فى الشارع المصرى .

ورغم دوره الواضح داخل الحزب الوطنى وخارجه ، لاسيما فى البشق الاقتصادى، فإنه لم يتبوأ مناصب رسمية إلى جانب مهماته الحزبية .

المهم أن صعوده المفاجئ وانتشاره المتدرج أثار تحفظات بعض قوى المعارضة ، حيث نظرت إليه باعتباره محاولة لخلق أمر واقع لخلافة والده ، خاصة فى ظل ما بدأ و كأنه تعمد فى تهميش الشخصيات المنافسة لإفساح الطريق أمامه ، وشاعت استنتاجات قالت إن هناك تصورات يجرى إعدادها لجس النبض فى هذه المسألة . وقادت صحيفة العربى الناطقة بلسان الحزب الناصرى حملة مكثفة فى هذا الاتجاه، كرست فى مضمونها رفض ما وصف "بالتوريث" وفتت الانتباه إلى عدم استبعاد هذا السيناريو وانطوى كلامها على انتقادات حادة ، لكن جمال

مبارك والحكومة استفادا منها فى التدليل على الوجه الديمقراطى لسياسات النظام المصرى.

وجرت تطورات كثيرة دون أن يعلن جمال مبارك أنه سيكون مرشحاً لمنصب رئيس الجمهورية، واكتفى فى البداية بعبارات مطاطية تنفى هذا الاحتمال، لكن ثمة إشارات مختلفة استشعرت منها بعض قوى المعارضة الرغبة فى تسويق هذا السيناريو، خاصة أن الصعود السياسى و الانتشار الإعلامى ارتبطا باقتراب مدة نهاية الولاية الرابعة للرئيس مبارك، واتساع محاولات نطاق التجديد و الإحلال فى الحزب الوطنى بمعرفة جمال مبارك.

وفى هذا السياق بدأت خطواته تتزايد فى مجال تعزيز الإصلاح، لكنه نفى وجود نية لإجراء تعديل فى الدستور قريباً (قبل أسابيع من إعلان الرئيس). وبعد ذلك اعتبر خطوات تعديل المادة (٧٦) بمثابة خطوات متقدمة على طريق الإصلاح السياسى . وفى الوقت الذى نفى فيه صراحة أن يكون ضمن المرشحين لمنصب رئاسة الجمهورية، أشار إلى أن الرئيس مبارك "لم يتخذ قراره بعد" بترشيح نفسه، وأنه سيتخذ قراره فى هذا الشأن عندما يحين الوقت المناسب.

الإعلام وقطيعة الأعتام !!

اكتملت منظومة التوريث فى أهم أركانها فجمال يصعد و صفوت الشريف يخطط وعاطف عبيد ومن بعده احمد نظيف رئيسا الوزراء ينفذان والهائم ترأقب عن كذب، لكن ثمة حاجة إلى زفة إعلامية تحاول النفاذ إلى عقل ووجدان الشعب بعضه إن لم يكن كله، فأشار الشريف وأمر جمال بإزاحة كل رموز الصحافة من الجيل القديم مهما كان قدر أحدهم أو مدة خدمته فى البلاط فذهب إبراهيم سعده من أخبار اليوم وإبراهيم نافع من الأهرام وسمير رجب من دار التحرير ومكرم محمد أحمد دار الهلال و محمد التهامى من روزاليوسف و سناء البيسى من نص الدنيا و سهير الأترى من التليفزيون وحمدي الكنيسى من الإذاعة و خلت الساحة الإعلامية من كل الرموز لتبدأ مرحلة من أسوأ مراحل الإعلام المصرى عبر تاريخه الطويل المشرف فقد رأى الشريف أن يقدم رؤساء تحرير شبانا

وقيادات لمسبيرو كذلك وانتقى الشريف أضعف الصحفيين مهنياً وأسوأهم أخلاقاً وأقدرهم تفاعلاً وأكثرهم فقراً وأشدهم احتياجاً وأقلهم وطنية وانتماء وتم الاتصال بحفنة من هؤلاء لتكليفهم برئاسة تحرير الصحف القومية والإذاعة والتلفزيون وقطاع الأخبار شريطة أن ينضموا إلى لجنة جمال مبارك للسياسات وأن يعملوا بإخلاص في مشروع التورث ، وفي ساعة نحس من تاريخ الصحافة أذاعت الشبكات الإخبارية نبأ تعيين ممتاز القط لأخبار اليوم و أسامة سرايا للأهرام . وعبدالله كمال لروزاليوسف و محمد على إبراهيم لدار التحرير ومحمد الشماع لآخر ساعة وسوزان حسن للتلفزيون وعبداللطيف المناوى لقطاع الأخبار وعبد الرحمن رشاد للشبكة الرئيسية بالإذاعة وإيناس جوهر للإذاعة .. وأصيب الشارع الإعلامى بصدمة أفقدته التوازن من هول المفاجأة وسوء الاختيار ودارت جوقة النفاق تنبج وتقدم نموذجاً حقيراً للصحافة والإعلام لا يهمله شأن المواطن ومشاكله واحتياجاته ومعاناته المهم أن يقدم الورث المنتظر فى كل حركة و سكونة وإلى جواره أمه تبارك و تدعو الأصنام والسدنة للتصفيق لكل سخافات ابنها جمال . و انتقل الشعور بالامتعاض إلى الشارع المصرى من سخافة ما يكتبه عبدالله كمال وهيافة ممتاز القط وتزوير أسامة سرايا للحقائق حتى الصور الرسمية العالمية على نحو صورة مبارك وأوباما التى زورها سرايا بتقديم مبارك على أوباما وكان فى الأصل يمشى خلفه ببضعة أمتار . واستجابة لمشاعر الشعب والقراء انتفض الصحفيون ضد هذه الاختيارات السيئة وكان أولها فى آخر ساعة وأشرف أنى كنت واحدا فى مقدمة هؤلاء ووقفنا ضد رئيس التحرير محمد الشماع الذى كانت معرفته بأصول الصحافة لا تقل عن معرفته ومهاراته فى اللغة اليابانية فضلاً عن كونه نموذجاً سيئاً يسب الدين كل يوم ٥ مرات على الأقل بل ويعاقر الخمر مع بعض مساعديه فى مكتبه ناهيك عن إشاعة الفتنة بين الأصدقاء والزملاء حتى فرق وقطع بيننا ما وصله الله من مودة .. كل هذا وآخر ساعة المجلة العريضة تلقى على الأرض إهانة وامتهاناً وتضائل توزيعها إلى نحو ٣ آلاف عدد بالهدايا وكانت فى عهد أنيس منصور ورشدى صالح توزع نحو ٧٠ ألف

نسخة على الأقل واشتعلت الثورة ضد رئيس التحرير الذى كان يباهى أمامنا: أنا الذى جابنى جمال وهو بس اللى يروحنى ...!! ولكن الثورة استمرت نحو عام ونصف حتى أُخرج وحده كأول رئيس تحرير من منظومة لجنة السياسات - المنحرفة . وأُخرج الشماع فى زفةً بالطبل البلدى والمزمار والكل يهتف: اخرج بره يا شمام ... احنا من غيرك هنبقى تمام ...! وتم كسر ٢١ قلة وزير فى عقبه أمام آلاف الزملاء بدار أخبار اليوم ليكون عبرة لغيره ورسالة إلى صفوت وتحذيراً إلى جمال وسياسته وفجأة صدر قرار الشريف بتعيين أحد محررى الأخبار بديلاً عنه ورئيساً لتحرير آخر ساعة .. رفعت رشاد خادم الحزب الوطنى منذ نعومة أظافره لم يشغل باله بعمله الصحفى لأنه تأكد أن لا مجال ولا فرصة لمجتهد المهم أن تكون خادماً .. وكان كذلك يقضى ١٨ ساعة يومياً فى أمانة الحزب بروض الفرج مما اضطر رؤساءه لإنذاره ثم تحويله للشئون القانونية، ومن ثم وقف راتبه وصدر له القرار وهو على هذه الحال تقريباً وجاء يمارس أبشع ألوان النفاق الصحفى فخصص ٣٥ صفحة أسبوعياً للحزب من أصغر أمانة بالقاهرة وحتى محمد الغمراوى وعلى الدين هلال ومفيد شهاب ومحمد كمال و صفوت الشريف وجمال مبارك والهانم والرئيس ثم فرخنده حسن ومحمد أبو العينين وحرم زين العابدين بن على مما اضطرنى أن ألقى بالمجلة فى وجهه وأعتذر له عن عدم المشاركة فى هذه المهزلة الأسبوعية التى باتت حديث الزملاء و القراء ... وهو لا يخجل ولا يحمر له وجه ...! وهكذا ظل الإعلام كله يعزف فى منظومة واحدة: جمال .. جمال ولا صوت يعلو فوق صوت جمال وأمه ...! وبتنا فى أسف شديد و العالم من حولنا ينظر إلينا فى ابتئاس ويمصمص شفاهه حسرة على ما صار إليه إعلام مصر الشامخ وربما شماتة فينا .. ولكن الله سلم حتى إذا انتفض الشعب فى ثورة عظيمة طرد كل هؤلاء الخدم خارج مؤسساتهم وصحفهم وأفلتوا من الضرب بالحذاء بأعجوبة و قد وقفت بنفسى للزملاء الشبان فى آخر ساعة وقد خلعوا أحذيتهم لضرب المخلوع رفعت رشاد و قلت لهم على مسئوليتى لن يعود إلى مكتبه حتى يصدر القرار و طلبت منهم أن يلبسوا أحذيتهم وقلت للزميل زكريا أبو حرام

بحضور أستاذنا عبدالرازق حسين : يا زكريا بلغ رفعت لا يعود ولا يدخل المكتب من اللحظة وإلا فالزملاء سيضربونه بالحذاء وأعتقد أنه أبلغه.. نفس السيناريو تكرر في روزاليوسف وأعتقد أن عبدالله كمال طاله أكثر من حذاء و أما أسامة سرايا فقد استقر الحذاء على قفاه لحظات .. و في دار التحرير وقع محمد على إبراهيم مغشياً عليه من هول الإهانة .. وهكذا انتهت مهزلة الإعلام المصري بعدما غرقت السفينة ولعل ما حدث لعبد اللطيف المناوى وشاهده العالم على الهواء وهو يجرى فى حماية المجلس العسكرى و سوزان حسن التى أخرجوها ربما من ملابسها خير شاهد على فساد صفوت الشريف الشيطان الأعظم صاحب فكرة إفساد الإعلام بهذه الطريقة وبهذه الوجوه الشائثة التى لا عقل ولا فكر ولا قلم لها .. وها هى الثورة المباركة تلقى بهم فى مزلة التاريخ وبقينا وبقى الحق وبقيت المهنة لعلنا نستطيع أن نصلح ما أفسدوه وهو كثير جداً لعل أصعبه تخدير الشعب بوعود كاذبة من جمال مبارك بالرخاء والعدل مثلاً :

كلام فارغ

نشرت صحيفة أخبار اليوم تصريحات للوريث جمال مبارك يبشر بالرخاء والرفاهية ووظيفة لكل شاب ... وبقيناً يعلم ممتاز القط أنه مجرد كلام فارغ : قال جمال مبارك أمين لجنة السياسات بالحزب الوطنى إن الحزب يؤمن بضرورة أن تأخذ العدالة مجراها وفقاً للقواعد والأسس التى نص عليها القانون فى كافة القضايا ، مؤكداً أن هذا ينطبق على قضية مقتل المواطن الشاب خالد سعيد فى الإسكندرية خاصة بعد انتهاء النيابة العامة من تحقيقاتها وإحالة المتهمين إلى المحاكمة.

وأضاف أن الحزب يصر على محاسبة أى مخطئ فى إطار من العدالة والشفافية وسيادة القانون .

وقد تطرقت المناقشات خلال اجتماعات لجنة الشباب بأمانة السياسات وأمانتى الشباب والمرأة إلى عدد من القضايا التى يرى الأعضاء ضرورة إعطائها أولوية خلال الفترة القادمة ، وفى إطار إعداد البرنامج الانتخابى وأهمها قضايا

التشغيل وإيجاد فرص عمل للشباب ومكافحة الإدمان وتطوير الخدمات الشبابية والرياضية واستكمال سياسات التمكين السياسي والاقتصادى والاجتماعى للشباب والمرأة .

وأكد أمين السياسات أن احترام حقوق الإنسان هو أحد المبادئ الأساسية التى يتبناها الحزب وأفرد لها مكاناً بارزاً ضمن سياساته العامة ، مشيراً فى ذلك السياق إلى أن الحزب لا يقبل أى انتهاك لحقوق المواطنين ، ويصر على احترام كل مؤسسات الدولة لكافة حقوق الإنسان التى كفلها الدستور والقانون .

وأشار إلى الأهمية التى يوليها الحزب لتوسيع المشاركة فى صياغة البرنامج الانتخابى للحزب فى انتخابات مجلس الشعب القادمة ، بحيث يأتى البرنامج معبراً عن أولويات واحتياجات أكبر شريحة من المواطنين .

وقال جمال مبارك إن جهود الحزب لا تبدأ من فراغ بل تبنى على البرنامج الانتخابى الذى طرحه الحزب فى ٢٠٠٥ م وعلى السياسات العامة التى تم إعدادها وتبنيها على مدار السنوات الماضية ، وخرج الكثير منها إلى حيز التنفيذ من خلال الحكومة والحزب.

وذكر أن الاستثمار والتشغيل وخلق فرص عمل جديدة للشباب سيظل الشاغل الرئيسى للحزب فى السنوات المقبلة وللبناء على ما تحققت خلال السنوات الخمسة الماضية ، وأضاف أنه يرتبط بتحقيق هذا الهدف التعامل مع التحديات الخاصة بتأهيل الشباب لسوق العمل والتوسع فى برامج تدريب و تأهيل الشباب للدخول فى سوق العمل الذى أصبحت المنافسة من سماته الأساسية الآن ، وكذلك تشجيع روح المبادرة بين الشباب ونشر ثقافة العمل الحر الضرورية لخلق المزيد من فرص العمل ، كما يرتبط بهدف التعامل مع بعض المشاكل الخاصة بعلاقات العمل ، مما قد يتطلب دراسة إدخال تعديلات على قانون العمل الحالى..

هذا الكلام الذى سَوَّفه رؤساء التحرير هو بالأساس حقن مخدره للشعب لينكفى على جراحه وخيبة أمله بينما جمال يصعد سلم التوريث ووالده يسرق المياريات بمساعدة نجله علاء وأمه التى تحول كل المساعدات الأجنبية لجمعياتها المشبوهة

إلى حسابها الشخصى فهل انخدعنا ... ؟

حملة التطهير مستمرة

الزميل محمد عرفة كتب متابعة بالوفد جاء فيها:

انتقلت الثورة الشعبية الى مرحلة تصفية الحسابات داخل المؤسسات الإعلامية المصرية الحكومية (صحف ومجلات ووكالات أنباء) ، يقودها الصحفيون أنفسهم من داخل المؤسسات الحكومية الذين شنوا سلسلة انقلابات داخل عدد من الصحف والمؤسسات الرسمية ، على رؤساء التحرير من أعضاء لجنة السياسات بالحزب الوطنى الحاكم الذين استحوذوا على امتيازات ضخمة من الدولة وسخروا الصحف لدعم النظام ضد الشعب، مطالبين بعزلهم وطردهم وتعيين رؤساء تحرير آخرين بعد فضيحة وقوفهم مع الحزب الوطنى والمفسدين داخله ، ومساندتهم ضد الثورة الشعبية الحقيقية التى وصفوها بأنها "غوغاء" و"همجية" وتقودها جهات أجنبية أو لها أجندات خاصة .

وقد بدأ الانقلاب على رئيسى تحرير وكالة أنباء الشرق الأوسط وفى مؤسستى دار التحرير وروز اليوسف ، وأسفرت نتائجه الأولى عن طرد رئيس تحرير الوكالة وصحيفة المساء فى حماية الجيش ، أكدت حركة "صحفيون بلا حقوق" على دعوتها المثبات من زملائها بالصحف القومية المصرية بتأييد مطالب ثورة ٢٥ يناير ، والثورة على كل من أسمتهم بـ"مخبرى" رؤساء التحرير الفاسدين وطردهم من هذه الصحف التى يفترض أنها ملك للشعب ، تمهيدا لمحاكمتهم على إهدار المال العام ، وخيانة ثورة الشعب المصرى ، عبر ترويح أكاذيب عن استقرار الرئيس مبارك ونظامه ، وهو ما يخالف ميثاق الشرف الصحفى الذى يلزم الصحفيين بدقة النقل وشرط الضمير .

وثمنت الحركة الخطوة التى قام بها بعض الزملاء الصحفيين بتقديم بلاغات للنائب العام للتحقيق مع رؤساء تحرير صحف قومية بتهمة الثراء الفاحش ، وإهانة أخلاقيات مهنة الصحافة بالارتقاء فى حضن نظام مبارك، مطالبين النائب العام بمنعهم من السفر، داعية هؤلاء الزملاء الصحفيين الأحرار

بالاستمرار فى انتفاضتهم حتى يتم تطهير هذه المؤسسات الصحفية من العناصر الفاسدة التى تعبر عن نظام مبارك المخلوع شعبيا .

وأكدت حركة "صحفيون بلا حقوق" أنها تنظم وتشارك بقوة مع زملائها فى الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين لإسقاط مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين الحكومى الذى يدافع كل دقيقة عن نظام مبارك وتدعو كل الصحفيين إلى جمعية عمومية طارئة لطرد مكرم محمد أحمد وسحب الثقة من نقيب الحزب الوطنى "البائد" حسب وصفها، وانتخاب مجموعة من الزملاء لإدارة شئون النقابة حتى حلول موعد الانتخابات المقبلة ، نهاية العام الجارى .

كما طالبت "صحفيون بلا حقوق" الإعلاميين فى التلفزيون المصرى الرسمى بالثورة على سياسات الكذب والخداع التى يروجها هذا الجهاز "الفاسد" ، وتوسيع الإضراب عن العمل ، تأييدا لثورة ٢٥ يناير التى تطالب بإسقاط الرئيس مبارك ، لمنع بث التقارير والأخبار المخادعة التى تخالف حقائق المد الثورى فى ميدان التحرير وياقى الميادين المصرية ، مؤكدة أن كل المسئولين عن ترويج الأكاذيب عن الثورة الشعبية ، سوف يحاسبون حسابا عسيرا بتهمة خيانة ضمير وثورة الشعب المصرى.

وقد خرج رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير وكالة أنباء الشرق الأوسط عبدالله حسن، من مبنى الوكالة بوسط القاهرة، فى حماية قوة من الجيش المصرى ، بعدما حاول التصدى لمحاولة الانقلاب ضده بتقديم بلاغ -وصفه الصحفيون بأنه كاذب - للقوات المسلحة المصرية بأن هناك أعمال تخريب وتدمير ينفذها بعض العاملين بالمؤسسة الصحفية التى تعتبر إحدى المؤسسات الصحفية القومية ، فى حين كان الصحفيون ثاروا عليه بسبب تغطية الوكالة المنحازة للرئيس مبارك على حساب الثورة الشعبية ولم تلحظ قوة الجيش أى أعمال تخريب أو تدمير حسبا ذكر حسن، وتم تأمين خروجه بينما كان العاملون فى الوكالة يرددون هتافات معادية لرئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير.

وقال عزت شعبان مدير التحرير وعضو مجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط

إنه تمت دعوة جميع العاملين بالوكالة لعقد مؤتمر عام يشارك فيه كافة العاملين للنظر فى بند واحد فقط وهو سحب الثقة من رئيس تحرير الوكالة وعدد من أعضاء مجلس الإدارة وتشكيل مجلس حكماء لإدارة شئون الوكالة لحين تعيين صحفى آخر من أبناء الوكالة ، وطالب صحفىو وكالة أنباء الشرق الأوسط فى وقت سابق النائب العام بفحص الذمة المالية لرئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير عبد الله حسن وأفراد أسرته ومنعه من التصرف فيها .

وجاء انقلاب صحفىى الوكالة ضمن سيناريو بدأ بالعديد من الصحفيين فى الصحف الحكومية التى وقفت ضد الثورة الشعبية ونشرت معلومات مغلوطة عن سيطرة جماعة الإخوان وقوى أجنبية عليها ، حيث وقعت مظاهرات مشابهة ضد رؤساء تحرير ومجالس إدارات صحف ومجلات روز اليوسف والأهرام .

كما طالب مئات العاملين بمؤسسة دار التحرير من صحفيين وإداريين وعمال بمحاسبة قيادات المؤسسة من رئيس مجلس الإدارة وعدد كبير من رؤساء التحرير، وأعد أبناء المؤسسة قائمة بأسماء القيادات التى يطالبون بالتحقيق معهم ومحاسبتهم على ما أسموه فقدان المصداقية لدى الشارع المصرى والاستيلاء على أموال المؤسسة بدون وجه حق .

وتضم القائمة كلاً من على هاشم، رئيس مجلس الإدارة وعدداً من رؤساء التحرير هم محمد على إبراهيم، وخالد إمام، ومحمد نور، وشفيق السيد، وإبراهيم محمود، وأحمد عبد الخالق، ونسرى الصاوى، ومحمد حسن، وعلاء رمضان.

وقرر أبناء دار التحرير الاعتصام والمبيت أمام مبنى المؤسسة، وهددوا بمنع على هاشم رئيس مجلس الإدارة من الدخول، وهو ما أكده جمال عبد الرحيم، عضو مجلس الإدارة، كما اتفقوا على منع أى من قيادات المؤسسة من استخدام السيارات الخاصة بها والخروج منها على أقدامهم .

وطالب المحتجون بتشكيل مجلس تحرير وإدارة جديدة ينتخب من بين أبناء المؤسسة لإدارتها خلال الفترة القادمة، بحيث يشمل المجلس وجوهاً جديدة قادرة

على كسب ثقة الشعب المصرى فى الفترة القادمة لإصدارات دار التحرير التى كانت موالية للسلطة.

وقال شوقى الشرقاوى، رئيس قسم الأخبار بجريدة المساء، إنهم اتفقوا على تشكيل لجنة لإدارة الجريدة وتجميد مهام خالد إمام، رئيس التحرير، ومصممين على استكمال مطالبهم، بعدما اضطروا إمام للهرب أيضا من المؤسسة فى ظل انقلاب الصحفيين عليه.

وبدأت الصحف الحكومية الرسمية تنافس فى هجومها على الرئيس السابق مبارك ونظامه، الصحف الخاصة والمعارضة، وتنشر قصصا عن الفساد ومقالات لمسئوليها تندد بالممارسات السابقة فيما أسماه صحفيون محاولات للقفز من سفينة النظام السابق الغارقة إلى سفينة الثورة بعدما خسروا الرهان على النظام السابق الذى ظلوا يساندونه حتى تنحى الرئيس مبارك.

شلة جمال التى أفسدت مصر

لم تكن حفنة رجال الأعمال التى منحها جمال مبارك وزارتين برئاسة نظيف فى السنوات الاخيرة لحكم أبيه، مقابل أن يمنحوه تسوية مصر بالأرض فى سبيل تحقيق وراثة آمنة لكرسى الرئاسة.. هى كل طبقة رجال المال التى مولت مشروع وطموح جمال السياسى لخلافة أبيه، والذى كلف مصر، كما كلف الرئيس المخلوع ثمناً باهظاً.

هناك على بعد خطوات أخرى إلى "جمال" وأبعد كثيراً عن الأضواء.. وقف عدد من المقربين جداً لرجال أعمال "جمال" وشلته، التى يمثل كل منها عنوانا لفساد عصر مبارك ونجله.

"الوفد الأسبوعى" فتحت ملفات ثلاثة من أعضاء "شلة" جمال مبارك الذين منحوه قدرأ لا بأس به من أموالهم ودعمهم، فمنحهم قطعة من دم وثروة مصر.

عمر طنطاوى..

وكيل أعماله فى بيع ديون مصر

بدأ موظفاً صغيراً فى فندق كبير.. وأهداه "جمال" ميناء السخنة وأهدى شقيقه

٢٥٠٠ فدان بوادى النظرون.. كما تعرف على "خديجة" فى شركته.

كان عمر طنطاوى من أصدقاء جمال مبارك فى الجامعة الأمريكية فاستشهد بأنه "ابن بلد" ويلعب "بالبليضة والحجر" قصة صعود "طنطاوى" تتسم بالإثارة، فقد بدأ حياته موظفاً بسيطاً للاستقبال بفندق سميراميس بالقاهرة بعد تخرجه فى الجامعة كان يتقاضى راتباً كبيراً بعض الشيء إلا أن ذلك لم يكن ليؤهله للاستحواذ على مصنع نسيج ليصبح أكبر رجل أعمال فى هذا الشأن.

بدأ طنطاوى صعوده السياسى حين اختاره أحمد عز أميناً للحزب الوطنى بالسويس، إرضاء لجمال لما يعرفه من العلاقة الوثيقة بين الاثنين رغم أن طنطاوى لم يكن له أى ميول سياسية أو نشاطات فى هذا الشأن.

يعتبر عمر طنطاوى صديقاً مقرباً جداً من جمال مبارك فهو الوحيد من أصدقائه الذى ارتبط أيضاً بصداقة مع شقيقه علاء من خلال الفنان عمرو دياب.

كان طنطاوى يقضى ساعات سهر طويلة فى قصر العروبة حتى الصباح وأحياناً كان يسمح له بالمبيت، وهذه الميزة لم يفلها أحد من أصدقاء نجلى الرئيس ينافسه فى ذلك فقط حسين سالم الذى كان دائم السهر مع الرئيس مبارك الذى شاهد طنطاوى ذات مرة غاضباً وهو فى صحبة جمال فى غرفة المعيشة، فاستفسر عن سبب غضبه وأمر مدير مكتبه اللواء جمال عبدالعزیز بضرورة حل مشكلة طنطاوى التى انطوت على خلاف بين طنطاوى وريمون خليفة الذى كان يشغل منصب مدير فندق سميراميس وعلى الفور وجد مدير الفندق قوة من شرطة السياحة والآداب والضرائب تقف عند رأسه بالفندق فى محاولة لتأديب مدير الفندق الذى أغضب صديق نجل الرئيس.

لعب "طنطاوى" دوراً اقتصادياً خطيراً فى حياة صديقه الذى انتشله من الفندق الى العين السخنة، فى الوقت الذى عمل عاطف عبید مستشاراً اقتصادياً لجمال مبارك ما أتاح لطنطاوى الدخول فى عمليات شراء الديون الخارجية لمصر وبيعها للدولة مرة أخرى، حيث كان طنطاوى هو وكيل أعمال جمال فى ذلك الوقت،

وأصبح طنطاوى يمتلك طائرة خاصة بسبب تربيته من صداقته "للتوريت" بعد أن كان يركب سيارة فيات ١٢٧ وبقى فى الظل لا يعرف عنه أحد شيئاً حتى تفجرت أزمة سيناء - العين السخنة، ولحقه النائب محمد أنور السادات بعدة استجوابات داخل البرلمان تضمنت اتهامات واضحة، الاستيلاء على الميناء وإهدار المال العام لكن مصير هذه الاستجوابات كان ثلاثة فتحت سرور فى مجلس الشعب مجاملة لجمال مبارك.

ملا يعلمه أحد أن "طنطاوى" كان الرجل الخفى وراء إنشاء مصنع أجريوم وهو الذى اقترح على أحمد نظيف رئيس الوزراء السابق أن يكون المصنع فى دمياط، وكان يضغط بقوة من أجل وجود هذا المصنع، لأنه ببساطة كان يمتلك إحدى الشركات التى ساهمت فى دراسة واختيار بعض الأماكن المناسبة لإنشاء مثل ذلك المصنع الملوث للبيئة والذى تصدى له أبناء المحافظة فى ظل تخاذل المحافظ محمد البرادعى الذى تم تعيينه وزيراً فى حكومة شفيق مؤخراً.

تجاوزات طنطاوى كغيره من "شلة" نجل الرئيس لم تقف عند حد، فقد قام باستئجار بلطجية لضرب شباب ثوار التحرير فيما عرف باسم "موقعة الجمل" ظناً منه أن النظام لن يسقط إلا أنه استقل طائرته الخاصة وفر هارباً ليلة تتحى الرئيس مبارك.

لم ينس جمال صديقه عمر طنطاوى عند زفافه، فقد قام "الوريث السابق" بتجهيز شقة صديقه بكافة الأجهزة المنزلية والكهربائية ومجموعة من التحف الفنية، من نفقات قصر الرئاسة ويذكر أن جمال تعرف لأول مرة على زوجته "خديجة الجمال" فى شركة "الكيان" لاستصلاح الأراضى التى يمتلكها شريف طنطاوى شقيق عمر، وهى الشركة التى تقع فى ١٥ شارع الجزيرة الوسطى بالزمالك وهى نفس الشركة التى حصلت على ٢٥٠٠ فدان بوادى النطرون بأمر مباشر من جمال مبارك.

لم تقف المجاملات عند هذا فقد منع جمال فضيحة مدوية عن صديقه بعد أن قام حى قصر النيل بتحرير محضر شرطة ضد شركة "الكيان" حيث اتفق شريف

طنطاوى مع سلطان أدهم - نجل كمال أدهم مدير المخابرات السعودية السابق - على تأجيله شقياً بالدور العاشر بعمارة ٩ بشارع رستم بجاردن سیتی مقابل ٧٠ ألف جنيه شهرياً لتحويلها إلى مقر جديد للشركة وتولى المقاول أحمد مجدى تجهيز الشقق الخمس، إلا أن الحى قام بإغلاقها بالشمع الأحمر وحرر المحضر رقم ٦٥٨٤ لسنة ٢٠١٠ جنح قصر النيل وبدأت التحريات لمعرفة المسئول عن تلك الشركة، وكانت المفاجأة أن صاحب الشركة هو نفسه المقاول الذى قام بتجهيز الشقق الخمس.. فتم إغلاق القضية بتعليمات مباشرة من نجل الرئيس..
عمر مهنا..

همزة وصله مع واشنطن لإقناعها بالتوريث

بدأ موظناً بأحد البنوك وأصبح بصداقته أحد المحتكرين لصناعة الأسمت ثم رئيساً لبعثة طرق الأبواب التى تفاوضت مع الإدارة الأمريكية لسنوات لتمرير مشروع التوريث.

فى نهاية ٢٠٠٨ تقدم عدد من النواب بطلبات إحاطة حول عمل "بعثة طرق الأبواب" وحدود صلاحياتها فى الذهاب للولايات المتحدة والتفاوض بشأن المعونة الأمريكية بل والحديث عن خلافة الرئيس مبارك إلا أن رئيس لجنة العلاقات الخارجية مصطفى الفقى أعلن أنه تلقى رداً مكتوباً من رئيس البعثة يفيد بأن دورها جذب الاستثمارات وتنمية التبادل التجارى والاقتصادى باسم الحكومة المصرية.

كان هذا الرئيس هو عمر مهنا أحد أعضاء "شلة" جمال مبارك والذى عمل كهمزة الوصل بين القاهرة وواشنطن لتمرير عملية التوريث التى قضت عليها ثورة ٢٥ يناير، وهو واحد من مجموعة "البنك العربى الأفريقى" التى ضمت منذ عام ١٩٩٧ نخبة من الشخصيات التى لعبت دوراً ضخماً بل ومؤثراً فى الحياة الاقتصادية وهو عضو مجلس إدارة فى ذات البنك الذى تملك دولة الكويت ٤٩% من رأسماله ومصر ٤٩% بينما يملك المساهمون نسبة ٢% وبينهم جمال مبارك، وهو نفس البنك الذى تواجد فيه أحمد البردعى العضو المنتدب حتى تم طرده

عقب أزمة القروض الشهيرة التي كانت تخص فرع البنك في لبنان، وهي نفس المجموعة التي ضمت هانى سيف النصر طنطاوى رئيس الصندوق الاجتماعى للتنمية، وانبثقت عنها مجموعة أخرى تسمى "مجموعة البنك المصرى الأفريقى" الذى كان عمر مهنا عضوا منتدبا به وأسماء أخرى مثل حسام بدرأوى وشفيق جبر وقد تحاربوا جميعاً بعد احتدام أزمة المجموعة الأولى مع الجانب الكويتى.

سيطرة عمر مهنا باعتباره صديق جمال مبارك وزميله لفترة فى عضوية مجلس الإدارة على مقاليد الحياة الاقتصادية باعتباره صاحب خلفية بنكية إذ يعد مهنا من أنجب تلاميذ مدرسة القروض، كان يمثل شركة "لافارج" الفرنسية التي اشترت مصنع السويس للأسمنت الذى يسيطر على صناعة الأسمنت فى مصر واعتبرته النيابة العامة ضمن آخرين من المحتكرين لهذه الصناعة، بناء على تحويل جهاز حماية المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية ٦ شركات للنائب العام، تم اتهامها جميعاً بالاحتكار وتغريمها ١٠٠ مليون جنيهه وكان ضمنها السويس للأسمنت التي كانت المحرك الرئيسى للبورصة قبل صدور القانون ٩٢.

على خلفية تلك الغرامة توترت العلاقة بين الوزير رشيد محمد رشيد وعمر مهنا باعتباره أقرب الأصدقاء إلى جمال ولا يصح فرض مثل هذه الغرامات على مصانعه، وتدخل جمال بالفعل لفض الاشتباك بين مهنا ورشيد وأقنع جمال صديقه بأن تلك الغرامة "حاجة تافهة" لكن مهنا لم يترك رشيد يهنأ بهذا الانتصار فأوعز الى أحمد عز أن يتصدى بقوة لتعديلات قانون حماية المنافسة ومنع الاحتكار وهي المادة الخاصة بإعفاء "المبلغ" من العقوبة واستطاع عز ان يكسر شوكة "رشيد" فى مواجهة داخل البرلمان غاب عنها الأخير بحجة أنه كان يقضى إجازة فى أوروبا.

بعثة طرق الأبواب التي ترأسها "مهنا" كانت تلزم وزراء للخارجية وللمالية والعدل بحضور جلساتها للتفاوض فى كافة شئون مصر من المعونات إلى حماية الحدود الشرقية بعد اجتياح حماس لمعبر رفح، والغريب أن أحمد نظيف بصفته رئيس الوزراء كان يحضر اجتماعات هذه البعثة بالقاهرة كما كان يحضرها محمود

محيى الدين وزير الاستثمار ورشيد محمد رشيد وتضم هذه البعثة ٦ شخصيات برئاسة عمر مهنا ويتم انتخابهم من خلال أعضاء الجمعية العمومية للغرفة التجارية الأمريكية بالقاهرة البالغ عددهم ٦٢٠ عضواً.

السفير محمود أبو الذهب مساعد وزير الخارجية أكد مراراً أن بعثة طرق الأبواب ليس لها علاقة بوزارة الخارجية وأنها لا تتحدث باسم الحكومة، إلا أن ذلك لم يمنع من انتشار تلك البعثات إلى دول أخرى مثل أندونيسيا والصين والهند واسبانيا وبذلك تتعدى على عمل المكاتب التجارية في هذه الدول وتعمل دون مراقبة.

الدكتور ابراهيم الجعفرى عضو الكتلة البرلمانية السابقة للإخوان وأحد مقدمى طلب الإحاطة حول عمل البعثة تساءل: من الذى خول لعمر مهنا مناقشة المعونة والتسليح وصحة الرئيس ومن يحكم بعده فى إشارة الى تصريح "مهنا" الذى قال فيه إن البعثة نجحت فى إعادة وضع مصر فى دائرة الضوء الأمريكى. معلقاً: هل الضوء لا يأتى إلا من خلال أمريكا مشيراً إلى دوائر أخرى مثل أفريقيا وآسيا والعرب.

"الجعفرى" اتهم بعثة "مهنا" بأنها كانت تكتب تقارير "استخبارية" عن المجتمع المصرى كل عام مؤكداً أن هدف البعثة الأساسى هو سياسى وليس اقتصادياً.

عندما سافر جمال مبارك فى عام ٢٠٠٦ الى أمريكا وقابل مدير الأمن القومى ووزير الخارجية واجتمع مع جورج بوش فى المكتب البيضاوى، برر مهنا ذلك كله بأن جمال كان فى طريقه لتجديد رخصة طائرته الخاصة علماً بأن "مهنا" سبق جمال إلى واشنطن فى تلك الزيارة لتمهيد أجواء المفاوضات حول ملف "التوريث" مع المسؤولين هناك.

فى عام ٢٠٠٩ رفعت البعثة شعار "روابط أقوى فى الأوقات الصعبة" وقابل أعضاؤها ٦٧ نائباً بالكونجرس و١٤ نائباً بمجلس الشيوخ بمساندة سامح شكرى سفير مصر فى الولايات المتحدة حيث شرح السفير الأوضاع المحلية داخل أمريكا وتوجهات إدارة أوباما ونظراً لحساسية الموقف آنذاك والأزمة العالمية المالية التى

ضريت العالم ضمت البعثة التي حملت رقم ٢٧ ما يقرب من ٥٠ مشاركاً كممثلين عن الشركات الأمريكية الكبرى التي تعمل في مصر، وقام هؤلاء بترتيبات مهمة للقاءات البعثة بنواب المجلسين بناء على تعليمات من جمال مبارك بضرورة طرح وجهة نظره على الأعضاء الجدد في الكونجرس حيث قام عمر مهنا بترتيب تلك الزيارة في مارس ٢٠٠٩ وتناولت عملية "التوريث" صراحة تمهيداً لنقلها الى الرئيس باراك أوباما، وحققت هذه البعثة أهدافها حيث تأكد مبارك الأب و"الابن" أن فكرة تسليم السلطة لنجله ستتم عبر الدستور في الوقت الذي صرح الوزير المفوض أشرف الربيعي رئيس مكتب التمثيل التجاري بواشنطن وقتها بأن الوفد استطاع ان يرفع حجم التبادل التجاري بين البلدين الى ٨٤٠ مليون دولار وارتفاع حجم الصادرات المصرية غير البترولية بنسبة ١٢٪ للتغطية على مهمة بعثة "مهنا" التي كانت تنظم رحلات الحج على واشنطن لدعم توريث صديقه جمال.

معتز الألفى..

أول مموليه لشراء حكم مصر

بدأ حياته موظفاً في مجموعة "الخرافي" الكويتية.. وأجبر شركة مصرية على دفع ١,٥ مليون دولار لها دون حق عندما أصبح صديقاً لنجل الرئيس. مع خطوات جمال مبارك الأولى لعالم السياسة و"مساعدة" أبيه في حكم مصر كان إنشاء حزب سياسي مواز للحزب الوطني هو الفكرة المسيطرة على عقل جمال، بينما كان الممول الرئيسي لذلك الحزب هو أحد أعضاء شلة نجل الرئيس السابق.. معتز الألفى.

تحولت فكرة إنشاء الحزب إلى جمعية أهلية غير حكومية حملت اسم "جيل المستقبل" لتضم أسماء لم تكن بارزة في ذلك الوقت مثل أحمد عز وأحمد المغربي ورشيد محمد رشيد ومحمود محيي الدين وجلال الزوربا وعبد السلام الأنور رئيس مجلس إدارة "إتش إس بي سي" وشريف والي وهشام الشريف جمعهم أنهم رجال أعمال من الأوزان الثقيلة.

ترأس جمال مبارك إدارة الجمعية ومنح منصب نائب الرئيس إلى معتز الألفى

صاحب مجموعة أمريكانا الشهيرة ورئيس شركة تيزى أو شن للطاقة وصاحب توكيلات أخرى مثل "كنتاكي" و"هاينز" والعضو المنتدب للشركة القابضة المصرية الكويتية ورئيس مجلس إدارة شركة مصر للدواجن ونائب رئيس مجلس إدارة في شركة الدلتا للتأمين، بجانب عشرات من العضويات في القطاعات والاتحادات المختلفة فهو رئيس لجنة تطوير الموارد البشرية بالمجلس الرئاسى المصرى الأمريكى حتى عام ٢٠٠٤ وترأس اللجنة المالية فى أمانة سياسات صديقه جمال. وقع الاختيار على معetz الألفى لمنصب نائب رئيس الجمعية بعد أن قام عاطف عبيد بترشيحه للرئيس مبارك لدعم أنشطة جمال مبارك الحزبية والاجتماعية. أطلق المقربون من جمال مبارك لقب وزير مالية "الوريث" على معetz الألفى نظراً لأنه كان يصرف ببذخ على جميع الأنشطة التى تقوم بها جمعية جيل المستقبل بدءاً من دعم البرامج التمويلية المعروفة باسم اكتساب المهارات الأساسية التى يدفع الطالب مبلغ ٢٥٠ جنيهاً علماً بأنها تتكلف أكثر من ألفى جنيه فى ذلك الوقت منذ بدء عمل الجمعية فى ٩٨ على أن يتحمل الألفى تكاليف "الكورسات" المدعومة من شركات دولية عديدة مثل "مايكروسوفت" و"الكاتيل" و"أوراكل" بهدف واحد هو إرضاء نجل الرئيس.

بدأ معetz حياته موظفاً بمجموعة شركات جاسم الخرافى بالكويت، ثم عاد إلى مصر لينشئ شركة للصناعات الغذائية، وأسس شركة الدلتا للتأمين بتمويل من الخرافى وفى ٢٠٠٨ تم انتخابه ليشغل منصب نائب رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة ليصبح أول مصرى يشغل هذا المنصب منذ تاريخ إنشاء الجامعة، وذلك بدعم من مؤسسة الرئاسة نظير خدماته لنجل الرئيس.

هذا الدعم مكن معetz من الاقتراض من البنوك المصرية دون ضمانات سوى قربه من نجل الرئيس حيث بلغت هذه القروض ٢ مليار جنيه، ولا يعرف على وجه الدقة هل تم تسديد هذه المبالغ أم لا؟ حيث لم يفصح طارق عامر رئيس البنك الأهلى المصرى عن أى تسوية مع رجل الأعمال معetz الألفى، ومن المعروف أن طارق عامر عضو بأمانة السياسات وصديق لمعetz الألفى، جمع بينهما صداقة

نجل الرئيس.

حظى "الألفى" بالقوة والنفوذ المستمد من البيت الرئاسى واستطاع أن يكون إمبراطورية مترامية الأطراف.

ورغم أنه لا يهوى الظهور الإعلامى إلا أن واقعة حدثت عام ١٩٩١ ألقّت بظلالها عليه حيث كان هو بطلها بامتياز، ففى يناير ٩١ وقعت شركة الخرافى عقداً مع شركة النصر للمسبوكات على توريد إنتاج الشركة من المواشير إلى دول الخليج باستثناء الكويت فى مقابل حصول "الخرافى" على نسبة ٥% عمولة نتيجة التسويق للمنتجات شريطة تحقيق نسبة مبيعات تقدر بنحو ٥ ملايين دولار عن السنة الأولى، تصل للضعف فى السنة الثانية لكن شركة الخرافى لم تستطع تحقيق نسبة المبيعات المتفق عليها بل قامت بتسويق صفقة واحدة مقدرتها بنحو ٢٨ ألف دولار، بدلاً من ٥ ملايين دولار، وفشلت فى تحقيق المبيعات المطلوبة، وعلى الفور قامت النصر للمسبوكات بفسخ التعاقد بينما تظلمت "الخرافى" وطالبته بعمولة ١,٥ مليون جنيه عن مبيعات لم تتحقق، ولجأت إلى محاكم الإمارات التى قضت برفض القضية بناء على النسبة المطلوبة من الشركة فى التسويق ليظهر دور معتز الألفى الذى تدخل لرد المليون ونصف للخرافى بعد ضغطه على عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال وقتها حيث قام الألفى بإرسال خطاب لعبيد يطالبه بالتدخل الفورى لصالح الخرافى، والضغط على النصر للمسبوكات لتسديد المبلغ المطلوب وقاء لرجل الأعمال الكويتى الذى بدأ الألفى حياته فى مجموعته ثم مول بعض مشاريعه فى مصر فيما بعد وبدلاً عن فتح تحقيق فى هذه الواقعة ومعاينة الألفى وعبيد ساد التجاهل التام لواحدة من وقائع فساد شلة جمال مبارك.

أحمد البردعى..

ذراعه فى نهب أموال البنوك وتوزيعها على رجال الأعمال

بدأ تقريه من جمال بطموح بسيط أن يفوز بوظيفة كبيرة فأصبح ذراعه فى منح "الشلة" من أحمد عز إلى أبو العينين وبهجيت وراسخ قروضا بأكثر من ١٠ مليارات جنيه.. وجعله رئيساً لصندوق مصر للاستثمار أحد مصادر ثروة نجل الرئيس

المخلوع.

لم يكن رئيس بنك القاهرة السابق يتوقع أن صداقته بجمال مبارك ستفتح له أبواب الحظ على مصراعها وتحوّله إلى أحد أهم رجال القطاع المصرفي.. فكل ما كان يتمناه أحمد البردعى عندما اقترب منه نجل الرئيس أن ينال رضاه ويعين فى وظيفة بنكية براتب كبير.

تحول الرجل بمرور الوقت إلى ذراع لجمال مبارك يساعده فى تنفيذ سياساته فى البنوك ويتلقى أوامره بصرف قروض لرجال أعمال مقربين وتسوية قروض آخرين.. كان لا يتوانى فى تنفيذ أوامر نجل الرئيس الذى كان بمثابة تيممة الحظ قبل أن ينقلب عليه ويجبره على الخروج مرغما بعد تفجر ملف المخالفات فى بنك القاهرة.

بدأت علاقة البردعى مع جمال عندما عمل الأخير موظفا فى بنك أوف أمريكا.. لم تكن علاقتهما قوية فى البداية، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال، حيث تقرب البردعى إلى جمال بمشروع لتطوير قطاع البنوك عندما كان الأخير عضوا بمجلس إدارة البنك العربى الأفريقى.

ويبدو أن جمال اكتشف بعض المهارات الخاصة عند البردعى بجانب قدرته الهائلة على مدحه فقريه إليه وجعله أحد رجاله، خاصة حين صار الاثنان فى عضوية مجلس إدارة البنك العربى الأفريقى.

ومع صعود جمال السياسى وصل البردعى بسرعة الصاروخ إلى منصب رئيس البنك ثم تم تعيينه كرئيس لبنك القاهرة وسط اعتراض عدد كبير من المتخصصين.. لكنه لم يخيب ظن المعترضين وحقق فشلا ذريعا فى إدارة البنك بسبب المخالفات وكثرة المتعثرين خلال رئاسته، حيث وصلت محفظة الديون المتعثرة قبل أن يغادر البنك مكرها إلى ١٠ مليارات جنيه، اضطر جمال بعدها إلى التخلّى مؤقتا عن صديقه.

ساهم البردعى أثناء رئاسته للبنك العربى الأفريقى الذى مازال يحتفظ بعضوية مجلس إدارته فى منح عدد كبير من رجال الأعمال قروضا هائلة بالمليارات حيث

منح محمد أبو العينين وحده ٧٠٠ مليون جنيهه إلى جانب أحمد بهجت ومنصور عامر ومجدى راسخ صهر الرئيس المخلوع وعدد كبير من رجال الأعمال.. كما ساعد رجل الأعمال إبراهيم كامل وقام بجدولة ديونه لبنك القاهرة ومنحه أجلا للسداد، لعلاقته الوثيقة بنجل الرئيس.. بينما دخل فى حرب إعلامية مع بعض رجال الأعمال كان أشهرها حربه مع رامى لكح لأنه اتهمه بتدمير بنك القاهرة وإفساد الاقتصاد المصرى، وقال إن لديه أدلة تؤكد أن البردعى باع فيلته الخاصة ليسدد قرضاً حصل عليه عميل من البنك كما دخل فى حرب إعلامية مع مرتضى منصور بسبب نفس الاتهامات إلا أنه وبعد عدة أيام ترك البردعى بنك القاهرة ودخل فى عزلة إجبارية واختفى، قبل أن يظهر فى إحدى شركات التمويل المتناهى الصغر بمساعدة صديقه رجل الأعمال نجيب ساويرس الذى يمتلك معظم أسهم الشركة.

استعان جمال بالبردعى لإنشاء كيان مشبوه اسمه صندوق مصر للاستثمار الذى تم تأسيسه فى ٢٣ يوليو عام ١٩٩٦ فى مدينة لكسمبورج بالاشتراك مع رجل الأعمال إبراهيم كامل.. وتهدف الشركة إلى تحقيق أرباح متوسطة وطويلة الأجل من خلال الاستثمار فى أسهم الشركات التى يتم إدراجها فى سوق البورصة المصرية، وشغل إبراهيم كامل منصب رئيس صندوق مصر للاستثمار ثم استقال بعد ذلك ليحتفظ بالعضوية فقط ليخلفه البردعى فى رئاسة الصندوق الذى كان أحد مصادر ثروة جمال، قبل أن ينضم لمعاونة نجل الرئيس فى شركة انفيستمنت التى أنشأها لبيع ديون مصر.

يحتفظ البردعى إلى الآن بعضويته فى الحزب الوطنى فقد كان أحد أعضاء لجنة السياسات التى أسسها جمال لتمكين أصدقائه من الحزب وفرضهم بالقوة على الحياة السياسية فى مصر.

أحمد الزيات..

صديق جيمى الذى حوله إلى ملياردير اشترى "الأهرام للبيرة" بأمر من جمال مبارك بـ ٧٠ مليوناً فى صفقة مشبوهة وباعها بمليار و٧٥٠ مليون جنيهه.

ثروته ١١ مليار جنيه ويرفض سداد ٣ مليارات جنيهه اقتترضها من البنوك بأمر جمال مبارك.

يمتلك رجل الأعمال أحمد الزيات كوكتيلا من المؤهلات والمهارات الخاصة والتي جعلته قريباً إلى عقل وقلب جمال مبارك، فعلاقتها بدأت في عام ١٩٨٠ عندما كانا طالبين في الجامعة الأمريكية ولأن الزيات يعرف من أين يحقق المكاسب سعى منذ اليوم الأول إلى التقرب من جمال مبارك وفي خلال بضعة أشهر فقط أصبح من أهم أصدقاء جيمى وهو اللقب الذى أطلقه عليه ونشره بين شلة الوريث السابق.

وتخرج الزيات في الجامعة الأمريكية عام ١٩٨٤ مع جمال مبارك ولم تنقطع علاقتهما ولكنها ازدادت قوة حتى إن سوزان مبارك ملكة القصر أبدت اعتراضها في فترة من الفترات على تلك العلاقة خاصة أن الزيات زار القصر الرئاسى عدة مرات وتجول فيه بصحبة جمال مبارك.

لم يجد الزيات عملاً يحقق طموحه منذ تخرجه في الجامعة سوى مصاحبة جمال مبارك وبعد سفر الأخير إلى أمريكا للعمل في أحد البنوك هناك لم يجد بديلاً سوى العمل الخاص والاستثمار في مجالات الاستيراد والتصدير الذى حقق من ورائها الكثير خاصة أن جمال مبارك فتح له أكثر من طريق للاستيراد من أمريكا وقدم له مساعدات كبيرة خلال الأشهر التى قضاها هناك.

وبعد أن عاد جمال مبارك اقترب منه الزيات مرة أخرى طمعاً في الحصول على مكاسب أكبر وبالفعل نجح في أن يحصل على قروض من البنوك لتوسيع أنشطته بمساعدة نجل الرئيس وعرف الزيات طريق الملايين في ذلك الوقت خاصة أنه حصل على القروض بأجل سداد مفتوح ودون أى فوائد متراكمة وهو ما سهل له أن يزيد من استثماراته وبعد أن بدأ اسم جمال مبارك في الظهور على الساحة السياسية ومحاوله زرع فكرة التوريث ساندته في محاولة لرد الجميل وفي الوقت نفسه لزيادة استثماراته.

ويختلف الزيات عن أصدقائه في أنه فضل أن يعمل تحت الأضواء وفي العلن

وأن يحصل على خدماته من "جيمى" أمام الجميع حتى لا يقترب منه أحد وكأنه يريد أن تتضخم ثروته بطريقة واضحة للجميع وفى سبيل ذلك طلب من جمال مبارك أن يشتري شركة «الأهرام للبيرة» وهى الشركة الوحيدة فى مصر بل فى المنطقة العربية تاريخياً التى تنتج الخمر والبيرة منذ حوالى ١٠٠ عام ثم بدأت فى شراء شركة «كروم جنالكليس» المنتجة للخمر وما لبثت أن توسعت أكثر فقامت بشراء شركة «الجونة للمشروبات» عام ٢٠٠١ والتى أنشأتها عائلة ساويرس وأصبحت من أكبر الشركات التى تحقق دخلاً سنوياً يقترب من المليار جنيه ولم تكن تعاني من أى أزمات مادية وكانت شركة الأهرام للمشروبات قد خضعت للتأميم عام ١٩٦٢ فى عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وتعاونت فنياً مع شركة هاينكين الهولندية قبل انقطاعها عن مصر.

واشتري الزيات شركة البيرة المملوكة للدولة بدون أى إعلان أو حتى إجراء مناقصة للبيع بمبلغ ٧٠ مليون جنيه وهو مبلغ يساوى ٥% من قيمتها السوقية وذلك فى عهد رئيس الوزراء عاطف عبيد الذى بارك الصفقة وأمر بإتمامها بعد أن طلب منه جمال مبارك ذلك والغريب أن الزيات حصل على قروض بقيمة ٢٠ مليون جنيه من البنوك لإتمام الصفقة بعد أن وجد أن المبالغ التى يمتلكها لا تكفى وفشل فى الضغط على عاطف عبيد فى تمرير الصفقة بـ ٥٠ مليوناً فقط.

وخلال ٣ سنوات فقط حقق الزيات مكاسب هائلة من الشركة فاقت الملايين التى دفعها فى الصفقة بكثير وقام ببيع ٩٨% من أسهمها إلى شركة هاينكين الهولندية للبيرة بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار أى ما يعادل ملياراً و٧٥٠ ألف جنيه وذهب الفارق الرهيب فى الصفقة إلى جيبه فى فضيحة لو كنا فى دولة محترمة لكان أبطالها قابعين فى السجون الآن.

وتحقق نيابة الأموال العامة فى بلاغ جديد بشأن تلك الصفقة الآن ضد عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء الأسبق تتهمه ببيع شركة الأهرام للمشروبات بالمخالفة للقانون حيث كان من أحد شروط التعاقد أن يضخ الزيات مبلغ ٢٨ مليون جنيه أخرى بخلاف مبلغ البيع لتطوير الشركة وأن يحافظ على العمالة

ولكنه لم يحترم نصوص العقد ولم يضح أى أموال بل إنه قام بتسريح جزء كبير من العمالة المؤقتة بالشركة.

ومن شروط التعاقد أيضا عدم بيع الشركة إلى أى مستثمر أجنبى بعد ذلك وهو ما لم يلتزم به الزيات وقام ببيعها بمبلغ يفوق أضعاف صفقة الشراء.

ونقلت شركة البيرة الزيات من خانة رجال الأعمال إلى خانة المليارديرات، إذ وصلت ثروته الآن إلى ما يقارب من مليارى دولار أى ما يعادل ١١ مليار جنيه مصرى واحتل المرتبة الرابعة فى ترتيب أغنى رجال الأعمال فى مصر بعد أن كان يمتلك آلاف الجنيهات فقط عندما كان طالبا بالجامعة الأمريكية. والغريب أنه رغم تضخم ثروته يرفض سداد ديونه للبنوك التى وصلت إلى ٢ مليارات جنيه حصل عليها بمساعدة جمال مبارك ويرفض سدادها حتى الآن ولم يطالبه أحد بالسداد حتى أنه يعتبر تلك القروض ديوناً معدومة.

ولم تتوقف إمدادات جمال مبارك للزيات عند هذا الحد فقط، بل إنه اختاره عضواً بمجلس الأعمال المصرى الأمريكى والذى يضم مجموعه كبيرة من رجال الأعمال هدفها فى الأساس توسيع العلاقات والأنشطة الاقتصادية بين مصر وأمريكا ولكن الهدف الخفى هو مساعدة رجال الأعمال المنضمين إليه فى توسيع نشاطاتهم مع أمريكا لزيادة استثماراتهم وبالفعل حقق الزيات مكاسب هائلة من وراء مجلس الأعمال المصرى الأمريكى وزادت استثماراته مع أمريكا بدرجة كبيرة بعد ذلك.

ورغم المليارات التى حققها الزيات إلا أنه لم يكتف بذلك فقط وقام بوضع يده على مساحة ٤٢٠ فداناً على طريق مصر - إسماعيلية الصحراوى وحصل على أرض فى مدينة البحر الأحمر وبنى قصراً مكوناً من ثلاثة أدوار عليها.

عمرو متسى..

أول أصدقائه سقوطاً بتهم الاحتكار ونهب أراضى مصر

بدأ لاعباً صغيراً فى سوق الأسمدة بمساعدة والده أمين الفلاحين بالحزب الحاكم.. وانتهى محتكراً لـ ٤٠% من السوق إلى جانب الاستيلاء على ٥٠٠ فدان

فى القنطرة و٢١٦ فدانا فى الطريق الصحراوى و٢١ ألف فدان شرق القناة و١١ مليار جنيه من المال العام.. وكله بضمان جمال.

من دون مقدمات ظهر اسم رجل الأعمال عمرو منسى إلى العلن بقرار منع من السفر وتحفظ على أمواله على خلفية قضايا فساد ارتبطت بعهد مبارك الذى ذهب..

لم يكن كثيرون يعلمون قوة الرجل التى مكنته من السيطرة على سوق الأسمدة وخلق سوق سوداء لها ونهب أراضى سيناء، حيث حرص منسى على العمل فى الظلام، وأحاط نفسه بستاير سوداء تحجب الرؤية عنه وعن حجم استثماراته التى نمت وازدهرت بحكم علاقته القوية بجمال مبارك بوصفه أحد أصدقائه القدامى.

اختار منسى العزلة الإعلامية والبعد المؤقت عن شلة الوريث السابق والاكتفاء بمقابلته فى أوقات معينة طلبا للخدمات أول بحث طلب عاجل لنجل الرئيس وكبير الشلة.

لكن ثوره ٢٥ يناير أنهت هذه العزلة عن منسى، وبدأت فى إزاحة الستار شيئا فشيئا عن أنشطته ودوره فى "شلة" نهب مصر.

عمرو هو نجل أحمد منسى أمين الفلاحين بالحزب الوطنى ونائب الإسماعيلية السابق فى مجلس الشعب.. تعرف على جمال مبارك فى نهاية الثمانينيات من خلال عمر طنطاوى، وبعد عدة لقاءات بينهما توطدت العلاقات إلى درجة كبيرة ودخل منسى القصر الرئاسى للمرة الأولى بصحبة ابن الرئيس فى منتصف التسعينيات، وهى الميزة التى لم تكن تمنح سوى لأصدقاء جمال المقربين جدا.

وخلال سنوات قليلة تولى "منسى" إنشاء مشروع مبارك لشباب الخريجين بالإسماعيلية وكون لنفسه هو الآخر "شلة" خاصة للاستيلاء على أراضى الدولة، وبيعها بمساعدة بعض البلطجية، فى حماية جمال الذى أصدر أوامره بعدم الاقتراب من صديقه.

منسى استعان بوالده الذى شغل منصب رئيس الجمعية العامة لمنتجى الأسمدة

وعضو مجلس إدارة بنك التنمية والائتمان الزراعى للحصول على ألف طن من الأسمدة الزراعية بصورة دورية تحت ستار دعم شباب المزارعين بالأسمدة لخفض الأسعار وإنهاء السوق السوداء.

لم تذهب الأسمدة لشباب الخريجين بالطبع، وإنما لمخازن الخانكة وقلوب والقنطرة المملوكة لمنسى فى طريقها للبيع لكبار التجار فى مختلف المحافظات بأسعار مرتفعة بعد تعطيش السوق، ما رفع سعر الأسمدة بنسبة ٥٠٠% .

ازداد نهم منسى فتقدم بطلبات لوزارة الزراعة للحصول على كميات من الأسمدة لدعم مشروعه، ضامنا تلبية طلباته وفتح كافة الأبواب المغلقة بأمر جمال مبارك، لتجد هذه الكميات أيضا طريقها إلى التجار ما وسع رقعة السوق السوداء وجعل منسى محتكرا لنحو ٤٠% من سوق الأسمدة.

ويحسب ما كشفته التحقيقات التى تجرى الآن مع منسى فإنه حصل على حصص الأسمدة بناءً على تأشيرات حسين غنيمة مدير مكتب وزير الزراعة والمفوض من المهندس أمين أباطة وزير الزراعة السابق كما أن والده ساعده أيضا فى الحصول على حصص من السماد بعد أن أنشأ شركة وهمية للسماد وقام بتحويل حصصها إلى مخازن ابنه ومنها إلى كبار تجار السماد.

لم يقنع صديق جمال بهذه النسبة، فأباح لنفسه الاستيلاء على أراضى الدولة فاستولى على ٥٠٠ فدان فى القنطرة شرق وقام ببيع جزء منها لصالحه، كما أنشأ شركة للأراضى باسم "يراعم مصر" استولى من خلالها على أراضى شرق القناة، بموجب دعوى صحة توقيع بالتصرف فى أراضى زراعية بتأشيرة من وزير الزراعة السابق أمين أباطة رغم عدم اختصاصه فى التصرف، ليقوم منسى بعدها ببيع الأراضى لمجموعة من رجال الأعمال والمستثمرين.

"أباطة" خصص مساحة ٢١ ألف فدان لمنسى فى شرق قناة السويس بنسبة ٥% من قيمتها الحقيقية، فضلا عن قطع أراضٍ أخرى بخليج نعمة، قبل أن يستولى منسى على ٢٦٠ فدانا بطريق القاهرة الإسماعيلية الصحراوى من طريق آخر هو الاستعانة بالبلطجية، إلى جانب أراض هائلة فى سيناء أخذها بعقود انتفاع..

وكشفت التحقيقات الجارية عن أن منسى حصل على ١١ مليار جنيه من أموال الدولة دون وجه حق سواء من بيع الأسمدة في السوق السوداء أو الاستيلاء على الأراضي.

في عام ٢٠٠٩ نشب خلاف بين أحمد عز وعمرو منسى بسبب سيطرة الأخير على سوق السماد، وأدى هذا الخلاف إلى تراجع أسهم منسى عند جمال مبارك حتى أن عز عاقب والده وأسقطه في الانتخابات الماضية بدائرة القنطرة شرق، ما كان له أثر سيئ عند منسى الذي حاول التقرب إلى جمال مرة أخرى وإزالة الحواجز التي بناها عز له دون جدوى.

سيف الدين جلال..

محافظ العمولات والسمسرة

بدد ٩٠ مليوناً من الصناديق الاستثمارية.. وأهدر ١٠٠ مليون في مشروعات المخابز.

نصف مليون جنيه عمولة شهرية للمحافظ من المحاجر والمخابز والمجازر والمواقف والمرور والإسكان.. وبلاغات تطالب بمحاكمته.

السوايسة: اخلع بالتي هي أحسن.. وكفاية ما نهفته طوال ١١ عاماً.

ألا يكفى ١١ عاماً والنصف قضاها اللواء سيف الدين جلال محافظاً للسويس.. أذاق خلالها السوايسة العذاب أشكالاً وألواناً.. وانتشر الفساد وقننت الرشوة، وأصبح المال العام بلا صاحب، فلم يجد من يحميه من أيدي المسؤولين في السويس الذين تفتنوا في ضياعه وإهداره.

ألا تكفى المخالفات الرهيبة التي كشفها البلاغ الذي تقدم به الشرفاء من المحامين بالسويس إلى النائب العام لتقديم المحافظ للمحاكمة ومنعه من التصرف في أمواله.

ألا تكفى العمولات التي تقاضاها من خلال بيعه لأراضي السويس، واستغلال النفوذ والتريح من الوظيفة.

ألا يكفى أن السوايسة لا يريدونه محافظاً بعد فشله في إدارة شئونهم..

إن استمراره في موقعه كمحافظ يعنى استمرار الإضرابات في السويس..
 وصل اللواء محمد سيف الدين جلال إلى كرسى محافظ السويس قبل نحو ١١
 عاماً و٤ شهور.. ومنذ عام ١٩٩٩ وحتى الآن وهو أكبر عقاب لأبناء السويس.
 فر المحافظ ليلاً تحت جنح الظلام من غضب الشعب عقب اندلاع ثورة ٢٥ يناير
 في سيارة إسعاف نقلته من مكتبه بديوان المحافظة إلى استراحة فخمة لإحدى
 شركات البترول خشية تعرف المواطنين الغاضبين عليه في سيارته الفاخرة.

وعندما تعاضمت بعد يومين المظاهرات خشى المحافظ من تعرف المواطنين على
 مكان وجوده، ففر مرة أخرى إلى مخبأ حصين، وظل متشبثاً به ولم يذهب على
 الإطلاق منذ اندلاع مظاهرات الثورة يوم جمعة الغضب في ٢٥ يناير، وحتى يومنا
 هذا، إلى مكتبه بديوان المحافظة أو إلى استراحته بمنطقة بورتوفيق.

اضطر موظفو المحافظة إلى توصيل «البوستة» إلى محافظ السويس في مخبئه
 الحصين. وبلاشك كان لتنامى الفساد والخطايا والازدراء بالسويس وعدم
 محاسبة المسؤولين عنها وهي عديدة وتحتاج إلى مجلدات دافع كاسح لثورة الشعب
 العارمة منها واقعة قيام اللواء محمد سيف الدين جلال، محافظ السويس،
 بإصدار فرمان في يوليو عام ٢٠٠٢ بالموافقة على تخصيص مساحة حوالى ٤٨٠
 متراً مربعاً في قلب مدينة السويس بموقع متميز بحى الأربعين من أملاك هيئة
 السكك الحديدية تقدر قيمتها بحوالى عشرين مليون جنيه إلى أحد أصدقائه
 لإقامة منشأة كبرى على مساحة الأرض المخصصة لبيع السلع والمواد الغذائية،
 مقابل بدل انتفاع سنوى زهيد لا يتعدى عشرة جنيهات سنوياً على المتر المربع
 الواحد يدفعها صديق المحافظ، ويزعم تعويضه عن مكان كشك خشبى له للأمن
 الغذائى كان موجوداً بالقرب من المكان، وتمت إزالته نتيجة التطوير بعد رفع خط
 سكة حديد قطارات البضائع من داخل مدينة السويس.

واعترضت يومها بعض الجهات المعنية على فرمان لأن الأرض المذكورة ملك
 هيئة السكك الحديدية وليست ملك محافظة السويس. كما قام المحافظ في
 الوقت ذاته، بتعويض باقى أصحاب الأكشاك والمحال التي تمت إزالتها من المكان

نفسه بإعطاء كل منهم محلاً لا تتعدى مساحته ١٨ متراً مربعاً فى مكان متطرف بضواحي السويس!!

إن محافظ السويس قام بعد هذه الواقعة بفترة وجيزة بتعيين صديقه عضواً معيناً ضمن نسبة المعينين فى تشكيل الغرفة التجارية بالسويس عقب انتخابات الغرفة التى أجريت يومها!!

ثم سارع محافظ السويس بعد ذلك بإصدار تعليماته لأتباعه بديوان المحافظة لمنح صديقه مجدداً مساحة حوالى ألف متر مربع عن طريق التخصيص بمنطقة سكنية بأول طريق السويس . الإسماعيلية الصحراوى، لإقامة مجزر ومصنع للمواد الغذائية تقدر قيمتهما بحوالى ٦ ملايين جنيه بسعر المتر ثلاثة آلاف جنيه مقابل مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه بسعر المتر ١٠٠ جنيه على أقساط طويلة الأجل، تسدد على ٤٥ عاماً!!

وبعد حصول صديق المحافظ على مساحة الأرض الجديدة رفضت الهيئة العامة للطب البيطرى إصدار ترخيص المجزر المزمع إقامته على قطع الأرض لدواع بيئية لوجود المشروع داخل الكتلة السكنية، وعلى الفور أصدر محافظ السويس تعليماته بمنح صديقه قطعة أرض أخرى بالمساحة نفسها والسعر على الطريق نفسه وخارج الكتلة السكنية لإقامة مشروعه وحصل صديق المحافظ المحظوظ على الأرض الجديدة دون أن يرد للمحافظة الأرض السابق تخصيصها للمشروع ذاته، ليحصل بذلك على قطعتى أرض تقدر قيمتهما بحوالى ١٢ مليون جنيه بسعر واحد يبلغ نحو ٢٠٠ ألف جنيه يسدد على سنوات طويلة الأجل لإقامة مشروع واحد!!

وتحول صديق المحافظ المحظوظ من صاحب كشك خشبى متواضع يتضور جوعاً سبق اتهامه فى قضية اغتصاب إحدى العاملات وحملها منه وتزوج بها فى سراى النيابة لحفظ، الاتهام الموجه ضده إلى ملياردير يملك الأراضى والعقارات والأموال والسيارات.

وفى ظل الوضع الخاطئ الموجود فى ديوان محافظة السويس والذى يمكن

محافظ السويس من منح تخصيصات الأراضى لكل من هب ودب دون حسيب أو رقيب بالمخالفة للقواعد المنظمة تقدم مكتب خدمة المستثمرين بديوان عام محافظة السويس بكتاب صادر بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٤ إلى محافظ السويس، بضم مكتب خدمة المستثمرين إلى الهيكل التنظيمى لديوان عام محافظة السويس تنفيذاً لقرار رئيس مجلس الوزراء الصادر برقم ٢١٤ لسنة ١٩٩٦ وقرار محافظ السويس السابق الصادر برقم ١٥ لسنة ١٩٩٦ بشأن تفعيل مكتب خدمة المستثمرين مثل: سائر المحافظات ونقل صلاحيات تخصيص الأراضى من محافظ السويس إلى مكتب خدمة المستثمرين ليتولى المكتب بعضوية مسئولى الجهات المعنية المختلفة، كل فى نطاق اختصاصه لاتخاذ إجراءات تخصيص الأراضى المملوكة أو المخصصة للمحافظة للمستثمرين وفقاً لأحكام القانون وسحب تخصيصات الأراضى من المستثمرين غير الجادين كما هو معمول به فى دواوين محافظات الجمهورية للقضاء على أى مجاملات أو فساد.

وفى ظل هذه الأوضاع وغيرها تامت البطالة فى السويس بصورة خطيرة وامتد انتظار الدور فى شقق المحافظة لعقد من الزمن وتنامى الفساد فى كل مكان وتعددت إضرابات واعتصامات العاملين فى المصانع والشركات والجهات العامة والخاصة بالسويس، احتجاجاً على إجحافهم وفساد الإدارات بصورة يومية، وكثرت حوادث انفجارات مواسير الشبكات المختلفة لمياه الشرب ومياه الصرف الصحى.. وطفحت مياه الصرف الصحى من الآبار فى كل مكان بسبب سوء أعمال الصيانة والتطهير وتحولت شوارع السويس إلى مدقات ترابية نتيجة الفساد وسوء أعمال الرصف وإعادة حفر الشوارع يعد رصفها لعدم التنسيق المسبق بين المرافق المختلفة وصرف مياه الصرف الصحى على البحر مباشرة.

واستمر خط سكة حديد السويس - القاهرة والعكس خطأً فردياً منذ قيام خديو مصر بإنشائه منذ حوالى ٢٠٠ سنة حتى الآن وظل سوء قطارات الركاب والتي لا تصلح حتى لركوب الحيوانات، وتهددت الثروة السمكية فى البحر بسبب صرف مياه الصرف الصحى والصناعى فيها بدون معالجة وتدهور مستوى الخدمات

الصحية بالمستشفيات وتراكم جبال القمامة فى الشوارع وسوء حالة مياه الشرب وعدم ربط حوالى ٢٠ قرية بالقطاع الريفى بالسويس بشبكة الصرف الصحى العمومية بالمحافظة والتفاضى عن مخلفات تلوث البيئة للمصانع الموجودة داخل كردون مدينة السويس وعجز مرفق النقل الداخلى العام بالسويس وإهمال الحدائق العامة المحدودة الموجودة وفى ظل هذا الوضع المنهار وغيره كثير وكثير لم يتورع محافظ السويس عن الضغط على مسئولى مديرية التربية والتعليم بالسويس لدس سؤال فى امتحان إتمام الدراسة بمراحل التعليم الأساسى للفصل الدراسى الأول ٢٠٠٤/٢٠٠٥ على التلاميذ نجاء فيه: وهكذا تشدو السويس بالحن - المايسترو - سيف الدين جلال، محافظ السويس، فأصبحت يحق عروس البحر الأحمر!!

وقدم عدد من المحامين بالسويس بلاغاً إلى المستشار أحمد محمود، المحامى العام لنيابات السويس، ضد محافظ السويس للتحقيق فى واقعة بيع قطعتى الأرض رقم ٢٧ تنظيم أحمد شوقى البالغ مساحتها ٢٠٩٦,٥٨م^٢ والتي تم رسو مزادها على أحد المواطنين بجلسة ٢٠٠١/١٢/٢١ وكان مقرراً بناؤها خلال عامين، وإلا ستقوم المحافظة بسحبها وفق كراسة الشروط إلا أن المحافظة لم تتم سحبها برغم قيام المشتري بتسقيع الأرض ولم يتقدم بطلب ترخيص البناء إلا فى ٢٠٠٥/٤/٢ وحتى يبلغت قيمة الأرض الآن ١٦ مليون جنيه، وهناك واقعة بيع المحافظة أراضى منطقة الملاحة الجديدة بالسويس والتي شمل البيع فيها أن تسلم المحافظة الأرض بجميع المرافق ولم تقم بذلك وقام الملاك بتحمل النفقات، رغم سابق تحصيل المحافظة هذه النفقات وللتحقيق فى واقعة عدم وضع خطط من المحافظة لتقسيم أراضى منطقة الملاحة الجديدة، مما أدى إلى حرمانها من المساحات الخضراء دون مراعاة الجوانب الصحية والمعايير الجمالية.. وللتحقيق فى واقعة قيام محافظة السويس ببيع أراضى الدولة دون العرض أو الرجوع للمجلس المحلى، وللتحقيق فى وقائع تصرف المحافظة فى بعض الوحدات السكنية الشاغرة فى مدينتى فيصل والصبح والتي كانت مخصصة لبعض الشركات

والوقوف على ما انتهت إليه السبل القانونية لهذه الوحدات.. وللتحقيق في صحة وقائع بعض البيوع التي قامت بها المحافظة لصالح بعض الأشخاص بشكل صوري لقانون المناقصات والمزايدات لإضفاء الشرعية على إجراءاته المزايدة مثال قطعة الأرض التي تخصصت لمطعم سياحي على كورنيش البحر.. وللتحقيق في صحة واقعة تخصيص قطعة الأرض المتميزة، والتي تطل على البحر بوسط السويس لشركة سيراميك كليوباترا وصاحبها محمد أبو العينين، والتي تم إعدادها معرضاً للسيراميك دون الانتفاع بها كمرفق عام، وللتحقيق في واقعة قيام المحافظة بإسناد عملية نظافة المحافظة إلى شركة نظافة خاصة وإخلال الشركة بالتزاماتها وعدم اتخاذ الإجراءات القانونية التي تولدت عن هذه المخالفة، بالإضافة إلى المبالغ في تحصيل رسوم نظافة على فواتير الكهرباء.. وعدم انتفاع شعب السويس بهذه المبالغ على أرض الواقع، وانتشار القمامة في الشوارع وتعريض صحة المواطنين للخطر.. وللتحقيق في صحة وقائع تقديم خدمات ومرافق المحافظة من مياه وكهرباء وغيرهما لبعض الشركات الاستثمارية بالعين السخنة على الرغم من أن هذه الشركات والقرى السياحية ليس من حقها استغلال مرافق المحافظة إلا بأسعار تتناسب مع كياناتها الاستثمارية، وللتحقيق في صحة واقعة قيام المحافظة بالمساهمة في تخصيص أراضٍ لبعض رجال الأعمال في منطقة شمال خليج السويس وعلاقة هذا التخصيص بالمعايير والضوابط المنظمة ودور المحافظة في ذلك.. وللتحقيق في وقائع إسناد المحافظة تراخيص التشغيل لبعض الشركات والمصانع الملوثة للبيئة والتي تدخل في إطار الكتل السكنية بالسويس.. كل ذلك قيد التحقيق.

أيضاً للتحقيق في صحة وقائع عوائد عمولة الدلالة التي تقوم المحافظة بتحصيلها من مزادات بيع الأراضى لصالح مكاتب المثلثين المكلفة بالإشراف على عمليات البيع وضوابط صرف هذه النسب وهل يستفيد منها أى من أفراد الجهاز التنفيذي للمحافظة.. وللتحقيق في صحة بيع أراضى منطقة السحاب بمعرفة المحافظة لكبار المستثمرين لإقامة أبراج سكنية عليها رغم أنها كانت مخصصة

للإسكان الشعبى.. وللتحقيق فى واقعة إسناد عمليتى رصف طريق السويس - القاهرة الصحراوى وعملية الصرف الصحى للمدن الجديدة، لإحدى الشركات التى قامت بإسنادها من الباطن لأحد المقاولين بمجلس محلى المحافظة بالأمر المباشر.. وللتحقيق فى واقعة إنشاء كوبرى المشاة الواقع بجوار موقف سيارات أجرة الأقاليم لعدم استخدامه من قبل المواطنين لبعده عن ممر المشاة مما أدى إلى ضياع أموال الدولة لسوء التخطيط.. وللتحقيق فى طبيعة صناديق المشاريع الخاصة بمحافظة السويس، والوقوف على ميزانية هذه المشاريع وأوجه الصرف فيها ومدى مطابقة ذلك مع القانون خاصة أن ميزانية هذه الصناديق وصلت إلى حوالى ٩٠ مليون جنيه.

وطالب قطب السيد قطب أحد المحامين المتقدمين بالبلاغ المستشار عبدالمجيد محمود النائب العام بإصدار قرار احترازى بمنع اللواء محمد سيف الدين جلال محافظ السويس من السفر وتجميد أرصده وأسرته بالبنوك حتى انتهاء التحقيق والمحاكمة، نظراً لتضمن البلاغ مخالفات مالية وإدارية خطيرة أضرت مجدداً بالمال العام، ويكفى القول بأن المحافظ أهدر ١٠٠ مليون جنيه على مشروع المخايز، وقيامه ببيع الخبز المدعم المرتجع لحسابه، بالإضافة إلى تخصيص ٤٠% من إنتاج الخبز المدعم لبيعه فى المناطق السياحية بضعف ثمنه.

أيضاً استغل المحافظ نفوذه ووضع اسمه ضمن مجالس إدارات مشروع المحاجر والمخايز والمجازر والمواقف والمرور والإسكان وتحقيق مبالغ طائلة تزيد على نصف مليون جنيه شهرياً، فضلاً عن تحصيله عمولات من بيع أراضى المحافظة. وتستمر المخالفات عند قيام المحافظ بتخصيص قطعة أرض كبيرة على شاطئ البحر الأحمر باسم نجله لإنشاء قرية سياحية عليها.

كانت الأجهزة الرقابية قد تلقت بلاغات مماثلة من السوايسة بقيام كبار المسئولين فى السويس والحزب الوطنى بالمحافظة بإسناد العديد من العمليات الإنشائية بالأمر المباشر إلى شركات مقاولات وهمية، وإهدار عشرات الملايين من

الجنيهات.

عبدالجليل الفخرانى..

محافظ بدرجة فاسد

الأهالى هتفوا: يا فخرانى.. ارحل من الباب الورانى

محافظ الإسماعيلية باع أراضى المنفعة العامة للمستثمرين بملايين.. وأهدر الملايين على المستشارين.. وجامل محافظى السويس وبورسعيد بأراضى المحافظة.

٢٩ بلاغاً للنائب العام ضد المحافظ لإهداره ٧٧٣ مليوناً و٩٨٤ ألفاً من المال العام فى مشروع الإسكا.

خرجت المظاهرات فى الإسماعيلية منذ اليوم الأول لثورة ٢٥ يناير تطالب بإسقاط النظام الحاكم.. ورحيل اللواء عبدالجليل الفخرانى محافظ الإسماعيلية ليس بصفته رمزاً للنظام داخل المحافظة فقط وإنما تعبيراً عن رفض شعبى لممارسات المحافظ الذى أخرج المحافظة الهادئة من صمتها وجعل البسطاء قبل المثقفين يرددون هتافات «يا فخرانى يا فخرانى ارحل من الباب الورانى».

تولى اللواء عبدالجليل الفخرانى مهامه كمحافظ للإسماعيلية فى يناير من عام ٢٠٠٦ بعد شهر تقريباً من نتائج انتخابات مجلس الشعب قبل الأخيرة والتي سجل فيها الحزب الوطنى سقوطاً مدوياً عندما فقد مقاعده الستة وراحت المقاعد لصالح المعارضة والمستقلين.. لكن يبدو أن القيادة السياسية فى ذلك الوقت كان لها حسابات أخرى وأرادت أن تؤدب شعب الإسماعيلية الذى خرج عن صمته سنوات عديدة وأعلن تمرده فأسقط الحزب الحاكم فدفعت بالفخرانى ليتولى زمام الأمور فى المحافظة رغم بعده التام عن شئون الحكم المحلى.

التقارير الرسمية والجولات الميدانية تؤكد فشل الفخرانى فى إدارة شئون المحافظة وتدهور القطاع الصحى والخدمى فى الإسماعيلية خلال فترة توليه.. ليس هذا فحسب، بل إن التقارير الرقابية سجلت العشرات من وقائع الفساد فى عهد المحافظ حتى أنها دفعت العديد من القانونيين لإعداد ملفات مدعمة

بالمستندات تم تقديم العشرات منها للنائب العام تتهم المحافظ بالفساد المالى والإدارى والسياسى منذ أول يناير ٢٠٠٦.

ويبدو أن الفخرانى تخصص فى استغلال الأراضى الفضاء بالإسماعيلية وهذا ما كشفه العضو الوفدى حسام عبدالرحمن بمجلس محلى محافظة الإسماعيلية بقيام إدارة التخطيط العمرانى بالمحافظة يحصر جميع الأراضى الفضاء داخل كردون حى الشيخ زايد السكنى والمنطقة الخامسة والمخصصة للمنفعة العامة بين العمارات السكنية بالأحياء فى خطوة مرحلية لبيعها إلى عدد من المقاولين المنفذين لأعمال مشروع إسكان مبارك للشباب بمدينة المستقبل. وقال «حسام» إن المحافظة قامت ببيع مساحة فضاء بالمنطقة الأولى بحى الشيخ زايد لأحد المقاولين المختصين بتنفيذ مشروع إسكان مبارك بمبلغ تعدى الـ ٢٢ مليون جنيه، مشيراً إلى أن المساحة الفضاء المباعة مخصصة للملاعب المفتوحة لأبناء الحى. وفى نهاية العام الماضى كشفت جلسة محلى مركز الإسماعيلية واقعة قيام محافظة الإسماعيلية ببيع مساحات أراض مخصصة للمنفعة العامة تعدت مساحتها نحو ١٥ ألف متر مربع فى أماكن متفرقة لأحد المستثمرين بأسعار زهيدة دون الإعلان عنها، حيث وصل أقصى سعر لبيع المتر فيها لنحو ٥٠٠ جنيه للمتر، فى الوقت الذى تصل الأسعار فى هذه المناطق لأكثر من أربعة آلاف جنيه للمتر، واتهم المجلس التخطيط العمرانى بالمحافظة بالتلاعب وإهدار المال العام والتعدى على حقوق المواطنين. وأن المساحات المخصصة والتي تم بيعها كانت مخصصة لإقامة مدارس ومنشآت عامة.

الطابور الخامس

"ظاهر حلمى"

اسم لا يعرفه كثير من المصريين فلم يكن دوره فى منظومة جمال مبارك أن يكون شخصية عامة لكنه كان يلعب فى الظل خاصة خلال العشر سنوات الأخيرة.. اسمه بالكامل محمد ظاهر حلمى سمير حلمى ومحل ميلاده الجيزة ويسكن فى ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك ويعمل مستشاراً قانونياً وحاصل على

الدكتوراه .. كل البيانات السابقة مازالت قائمة عدا محل إقامته فنفس الطائرة التي هرب عليها وزير المالية وبعض الفاسدين إلى لندن كان ظاهر حلمي معهم .. كان ذلك بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١١ ... في الأيام الماضية تلقى سكرتير طاهر حلمي وكاتم أسراره المدعو صلاح الدين عبدالسلام خطاباً من الهارب يتضمن توكيلاً عاماً رسمياً موثقاً بلندن بتاريخ ٢١ مارس ٢٠١١ وذلك للتصرف بالبيع في ممتلكات طاهر حلمي ومنها فيلته بهايستندا بالساحل الشمالي والشقتين ٤ و ٦ شارع حسن صبرى بالزمالك خلف السفارة الألمانية .. المؤسسات الثلاث التي أنشئت بتعليمات جمال مبارك وأدارها طاهر حلمي من داخل عدة طوابق كائنة على كورنيش النيل وتحديد العقار ٢٠٠٥ الذي يطلق عليه البرج الشمالي للنيل سيتي المملوك لنجيب ساويرس ففى الدور السابع عشر يقع المركز المصرى للدراسات الاقتصادية والذي رسم كافة السياسات الاقتصادية فى مصر والتي بدأت بملف الخصخصة وجمع فيه كل رجال أمريكا المخلصين فى مصر وعلى رأسهم جمال مبارك ... المركز يضم ٢٣ شخصية منهم ١١ داخل سجن طرة الآن وآخرون هربوا وفئة ثالثة مستترة داخل مصر والقائمة تضم نجيب ساويرس وشقيقه سميح وناصر وشقيق جبر وفاروق الباز ومحمود محيى الدين وحازم حسن وجلال الزوريا وأحمد عز ومصطفى البلیدی الذى توفى داخل السجن ومصطفى خليل وأسعد سمعان وسمير حمزة وسميحة فوزى وعمر مهنا وأمين أباطة ومنير غبور ومعتز الالفى ورشيد محمد رشيد ويوسف بطرس غالى وأشرف وياسر الملوانى وظاهر حلمي والدكتور أحمد كمال أبوالمجد وأحمد نظيف وعاطف عبيد وإبراهيم كامل والذى كان رئيس مجلس إدارة المركز ومن الملاحظ أن وزارة أحمد نظيف المشكلة فى ٢٠٠٤ تشكلت من شلة هذا المركز الذى بدأ كجمعية مشهورة برقم ٢٨٥٦ بتاريخ ١٩٩٢ فى ١٢ شارع عبدالخالق ثروت ثم انتقل إلى البرج بكورنيش النيل والغرض من التأسيس كما هو مدون فى المستندات الخدمات الثقافية والعلمية ويضم متخصصين فى مجال المال والاقتصاد والتنظيم الإدارى مهمتهم دراسة الامور التى تتعلق بالاستثمار والتى تعوق تحرير الاقتصاد

وعلى الأخص الأمور المتعلقة بالضرائب والجمارك والتصدير وسوق المال وكل مهمة هؤلاء رسم السياسات الاقتصادية للحكومة المصرية ويعتمد المركز في تمويله على الوكالة الأمريكية.

وارتبط بالغرفة التجارية الأمريكية والتي تقع في الدور السابع بالبرج و يتراسها الدكتور عمر مهنا و طاهر حلمى الذى يعتبر حلقة وصل بين المؤسسات الثلاث التى نتحدث عنها وهما عضوان رئيسيان فى المركز المصرى للدراسات الاقتصادية وهى غرفة لاتخضع للغرفة التجارية المصرية أو وزارة التضامن الاجتماعى وتأسست فى مصر عام ١٩٨١ وكان أول رئيس لها الأمريكى جورج دباكى والذى جند من رجال الأعمال المصريين طابوراً خامساً لحماية المصالح الأمريكية فى مصر وبدأت العمل الفعلى عام ١٩٨٢ بتشكيل يضم ١٢٠ عضواً أما المؤسسة الثالثة فهى فرع مكتب بيكر آند ماكينز أكبر مكتب دولى للمحاماة فى العالم والمؤسس عام ١٩٤٩ بغرض تمثيل العملاء فى العقود الدولية عن طريق شبكة من المكاتب المنتشرة فى الدول وتضم ٥٢ مكتباً داخل ٣١ دولة من بينها مصر والذى يتولى أمره فى مصر طاهر حلمى والدكتور أحمد كمال أبوالمجد وسمير محمود حمزة الذى كان وكيل الشركات الأجنبية التى قامت بشراء مصانع وشركات القطاع العام وتولى المحامون الثلاثة عمليات تصفية العمال وإنهاء كافة الإجراءات بموجب التوكيلات التى حصلوا عليها من هذه الشركات وبلغ عدد التوكيلات فى هذا المكتب ٢ آلاف توكيل وارتبط عمل هذا المكتب بنشاط المركز المصرى للدراسات الاقتصادية والغرفة التجارية الأمريكية وشارك هذا المكتب فى تقييم العديد من الشركات التى طرحت للبيع فى القطاع العام مثل الاتصالات ومنها شركة نأيل أون لاین لخدمات البنية الرقمية الإنترنت والكهرباء والمياه وكان له الفضل فى تقديم المشاريع الخاصة برفع يد الحكومة عن الدعم مثل مشروع قانون التأمين الصحى وترافع المكتب لصالح شركة سوارس أكوستا بتوكيل رقم ٢١٥٢ لسنة ١٩٨٨ ضد الشركة العربية للتصنيع ومن بين المستندات التى حصلنا عليها وتؤكد تورط هذا المكتب فى عمليات الخصخصة لصالح الشركات الأجنبية

وتشريد العمال المصريين صورة محضر إيداع التوكيل الصادر من شركة سيفن الأمريكية لصالح سمير محمد حمزة المحامى لتمثيلها فى مصر أمام جميع الجهات الرسمية وثبت أن التوكيل مصدق عليه من قنصلية مصر بواشنطن برقم ١٠٤٠٦ بتاريخ ٣١ مارس ١٩٩٣ وتم عمل محضر الإيداع فى شهر عقارى قصر النيل برقم ٧٨٤ السنة ٩٣ ب وهناك صور لعدة توكيلات مودعة حررتها شركات أجنبية باسم أحمد كمال أبوالمجد وطاهر حلمى وسمير حمزة وآخرين لإنهاء إجراءات البيع.

الصعود إلى الهاوية

الجمالينيون.. سقطوا .. قالها دبلوماسى أوروبى عندما تلقى خبر إزاحة جمال مبارك عن موقعه فى الحزب الوطنى.. وهو تعبير واضح وصريح يؤكد الحال بصفة عامة.. لأن أهم ما أنجزته الثورة المصرية الجارية هو إسقاط جمال مبارك ورجاله.. بصورة مغايرة تماما لكل طلبات الثورة الأخرى.. والفرق أن قرار إزاحة جمال مبارك ورجاله جاء كرد فعل مباشر من السلطة على الثورة وبدون أن يطلب الثوار.. والملاحظ أن أول رد فعل كان إزاحة رجال الأعمال الوزراء جميعا.. ثم إعلان النائب العام عن منعهم من السفر وتجميد أرصدتهم.. وهو بذلك يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الدولة رأت من نفسها أن هؤلاء سبب ثورة الشعب فقامت من الهولة الأولى بإقالتهم وكأنها كانت تريد للمقيام بهذا الفعل دون أن يطلب منها.. لدرجة أن هناك من قال إن النظام أو الرئيس مبارك استفاد هو أيضا من الثورة بصورة مباشرة عندما تخلص من جمال ورجاله..

إذن اتفق شباب الثورة ومعهم معظم الشعب المصرى.. بل وياعتراف النظام أيضا على أن مجموعة رجال جمال مبارك كانوا وراء الفساد الذى شهدته الساحة المصرية وعانى منه الشعب بصورة فجأة على مدار السنوات الأخيرة ومنذ دخول جمال مبارك للساحة السياسية فى عام ٢٠٠٠.

وإذا كان خروج جمال مبارك من الحزب الوطنى عندما تم تغيير كل أعضاء هيئة مكتب الحزب الذى كان يحتل فيها جمال منصب الأمين المساعد وأمين لجنة

السياسات تعنى رسالة واضحة أنه لم يعد مطروحا أو مرشحا لمنصب أو لخلافة مبارك الكبير.. وإن عملية الخروج أيضا لها معان أخرى كثيرة بخلاف ما يخص جمال مبارك وحده.. لأنها تعنى أيضا خروج كل أعضاء لجنة السياسات التابعين له.. صحيح أن القرار لم يقض بذلك ولكنه يعنى ضمنا أن كل من كان يتبع جمال مبارك لم يعد له مكان فى الحزب.. إذا كتبت للحزب الحياة أصلا.. بعد خروج رئيسهم أو راعيهم وحاميهم.. وقبل أن نشرح ونفسر من هم رجال جمال مبارك وكيف كان يعيشون فى مصر ويتصرفون مع شعبها ومؤسساتها والعالم الخارجى أيضا.. نظل مع دلائل التغيير داخل مكتب الحزب حيث إن خروج أعضاء المكتب الكبار سنا وقيمة داخل الحزب.. يعنى سقوط الجناحين المتصارعين على امتلاك مصر منذ أكثر من عشر سنوات جناح الحرس القديم والحرس الجديد.. ولم تكن الحرب داخل الحزب فقط بين الحرسين ولكنها امتدت لتقسم مجلس الوزراء إلى جناحين متصارعين أيضا على من منهم يستطيع أن يسيطر على إدارة دفة الأمور.. ليس المعنى هنا إدارة مصالح البلاد والعباد ولكن كيف يستحوذ كل منهم على مصالحه ومصالح رجاله والسيطرة على القرار والنفوذ بصفة عامة.. وسبحان الله وبسهولة لم يكن أحد يتوقعها وقعت الصقور والحمام فى ضربة واحدة وصرخة واحدة من ميدان التحرير زلزلت الجميع وأفقدتهم توازنهم وتهاووا جميعا بدون مقاومة تذكر.. بل إن سقوطهم الفاضح ربما يكون سببا فى تواجدهم على قيد الحياة السياسية أو على هامشها لأنه لم يكن ليتصور أن يقوم أحدهم بعد الآن بأى دور سياسى داخل مصر ينال رضا الشعب او حتى رضا أى حزب..

الغريب أن اختفاء جمال مبارك لم يبدأ مع الثورة الرائعة لشباب مصر ولكنه بدأ منذ ثورة تونس.. فقد كان ملحوظا عدم ظهور جمال إعلاميا منذ الإعلان عن ثورة التونسيين واختفى تماما من نشرة الأخبار والاجتماعات العلنية مع قيادات الحزب والوزراء.. وهذا دليل أكيد على أن مبارك الأب كان يعلم بصورة قاطعة أن ابنه ومن حوله سبب كبير فى تدمير المصريين وسيكونون السبب الرئيسى أيضا فى أى تدمير يقع داخل مصر.. والأولى أن يختفى عن الأعين حتى يزول الأثر الرهيب

للثورة التونسية في نفوس المصريين.. ولكن لحظ الاثني السيئ لم يمض كثير على الثورة التونسية إلا وخرجت ثورة المصريين الشرفاء بصورة لم يتوقعها أحد لا في الداخل ولا في الخارج.. ويكفى أن هناك عتايبا داخل الإدارة الأمريكية موجها لأجهزة الاستخبارات على أنها لم تتوقع قيام الثورة في مصر من حيث الوقت والكيفية.. لذلك أصيبوا جميعا بالصدمة ولم يستطع أحد أن ينصف الآخر.. بل كان كل منهم يسعى إلى إنقاذ رقبته وحسب..

ونعود لرجال جمال مبارك الذين كانوا هم وهو أول وقود للثورة على يد مبارك الأب.. وهم كثيرون وكثيرون جدا.. لأنه جلبهم خلفه من أكثر من جهة ومصدر.. ومنذ أن بدأ يعمل كمصرفي ثم كرجل أعمال.. وبالتالي فهم جميعا رجال أعمال من نوعه.. التفوا حوله وخلفه بداية من وجوده في جمعية جيل المستقبل كرئيس لها.. كان معه كل من معتر الألفى نائب رئيس الجمعية.. أحمد المغربي عضو مجلس إدارة " تولى وزارتي السياحة والإسكان في حكومة أحمد نظيف".. أحمد عز عضو مجلس إدارة " أمين التنظيم في الحزب الوطني وأشياء أخرى كثيرة".. جلال الزوربا عضو مجلس إدارة.. رشيد محمد رشيد عضو مجلس إدارة "وزير التجارة والصناعة السابق"، هشام الشريف عضو مجلس إدارة.. والملاحظ أن معظم أعضاء مجلس إدارة الجمعية أصبحوا فيما بعد وزراء ورجال يتحكمون في مصير الدولة..

ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لرجال الأعمال الذين داروا في فلك ابن الرئيس من خلال مشاركتهم معه في مجلس الأعمال المصري الأمريكي من أبرزهم: رجل الأعمال جلال الزوربا.. وأحمد الزيات رئيس شركة بيرة الأهرام.. وبالطبع كان أحمد عز موجوداً أيضاً في هذا المجلس ولم لا.. وقد قرر أن يكون ظل ابن الرئيس حتى يحقق ما يريد وقد فعل كل ما يمكن أن يحلم به إلا أن ثورة شباب مصر قضت على أحلامه.. نتركه الآن وسوف نعود إليه بعد أن نستكمل شلة ابن الرئيس في مجلس الأعمال ومنهم أحمد البردعي رئيس البنك الأهلي والبنك المصري الأمريكي.. رؤوف غبور رئيس مجموعة شركات غبور.. شفيق جبر.. محمد لطفى

منصور.. معتز الألفى.. حسام بدرأوى الذى تولى منصب أمين عام الحزب الوطنى وأمين لجنة السياسات بدلا من صفوت الشريف وجمال مبارك..

وإذا كان جمال مبارك قد استطاع أن يجلب رجاله معه فى جمعية جيل المستقبل ومجلس الأعمال الأمريكى.. فقد نجح أيضا فى تجميعهم فى لجنة السياسات بالحزب الوطنى مضيفا إليهم الكثير والكثير من رجال الأعمال.. خاصة أنه قد قرر أن يتولى رجال الأعمال مقاليد الأمور فى السلطة على أمل.. كما كان يعتقد.. أن يحولوا الوزارات الحكومية إلى قلاع تجارية وإدارية ناجحة مثل منشآتهم الخاصة.. ولكن اتضح الحقيقة فيما بعد وتأكد أن الهدف لم يكن مصلحة مصر ولكن كان يسعى كل طرف إلى تحقيق مصالحه على حساب البلد وأهلها..

فقد كانت الصورة التى استقرت فى ذهن المواطن المصرى عن رجل الأعمال عموما سلبية للغاية خاصة بعد موسم "الهف واجرى" خاصة فى فترة حكومة عاطف عبيد التى تدور حولها الكثير من شبهات الفساد حاليا.. هذه الحكومة التى ازدهرت فى عصرها ظاهرة الاقتراض من البنوك بدون ضمانات حقيقية ثم الهروب إلى الخارج وربما العودة مرة أخرى بمساعدة آخرين ولم لا والجميع يتقاسمون الكعكة ما عدا أصحابها الغلابة.. هذه الظاهرة هاجمها الإعلام كثيرا واستطاعت ان تلفت النظر إليها وبالتالي تحجيم الظاهرة إضافة إلى تغيير نظرة المجتمع لرجل الأعمال حيث أصبح متهما فى نظر الجميع.. وهى نظرة محقة باستثناء الشرفاء من رجال الأعمال وهم قلة.. وهو مالم يعجب السادة الكبار وقرروا أن يستولوا على كل شئ وأن يتحكموا فى كل شئ مهما كان الثمن..

وبدأوا بدخول المعتز السياسى من أوسع أبوابه.. فمن لم يستطع أن يلحق بقطار ابن الرئيس انتظر قطار مجلس الشعب والسعى وراء حصانته وأبهته.. ونجحت خطتهم وأصبحت مقاليد الأمور فى أيديهم بعدما استولوا على الحياة التشريعية والتنفيذية فى وقت واحد.. إضافة إلى أنهم سيطروا على الحياة الاقتصادية وبالتالي فقد دانت لهم مصر، وأصبحت ملكا خاصا لهم.. وفى نفس الوقت استطاع جمال مبارك أن يمدد قدميه وأن يمتن النفس بحكم مصر ولم لا وكل

شئ أصبح مهيباً.. فهو ابن الرئيس وسوف يستفيد من وجوده فى السلطة والأضواء وسواء جاء ذلك اليوم أو غدا فإنه الرئيس القادم يسانده أهم رجال أعمال مصر الذين يدينون له بالولاء وأشياء أخرى كثيرة.. ولا شك فقد اجتمع داخل لجنة السياسات بالحزب الوطنى وتحت رئاسة ابن الرئيس عدد كبير من رجال الأعمال وانضم إليهم المزيد.. وكفى أن بعض الدراسات أشارت إلى أن ثروة ٤٢ عضوا من أعضاء لجنة السياسات تقدر بـ ٢٠ مليار دولار وخدمهم جمعوها من وراء تزواجهم بالسلطة وعلاقتهم بجمال مبارك.. يمتلك أحمد عز وحده منها حوالى ٦٠ مليار جنيه جمعها فى سنوات قليلة.. عموما لقد انضم أعضاء جدد للجنة السياسات إضافة إلى الأعضاء الذين جاءوا مع جمال مبارك وأشهرهم: أحمد جمال الدين موسى الذى عين وزيرا للتعليم فيما بعد .. وأمين مبارك.. أنس الفقى وزير الإعلام السابق.. حسام بدرأوى الذى عين أمين عام الحزب الوطنى.. رشيد محمد رشيد.. شفيق بغدادى.. شفيق جبر.. طارق كامل وزير الاتصالات - طاهر حلمى.. عبد المنعم سعودى.. محمد فريد خميس.. محمد أبوالعينين.. محمود محيى الدين وزير الاستثمار السابق.. نادر رياض.. عمرو عزت سلامة عين وزيرا للتعليم العالى بعد ذلك.. منصور عامر.. محمد هانى سيف النصر.. هشام طلعت مصطفى قبل حكايته مع سوزان.. الدكتور يوسف بطرس غالى وزير المالية السابق.. ورجل الأعمال الشهير الدكتور إبراهيم كامل الذى كان يترأس فريق العمل لتصعيد جمال إلى كرسى الرئاسة، وقد سبق ونشرت الصحف توليه تمويل حملة ترشيح جمال ودفع الملايين من أجل ذلك ورغم نفيه إلا أنه كان أهم عراب لتولى جمال الرئاسة مع باقى أعضاء الفريق وأهمهم عز ويوسف بطرس ومحمد كمال.. وإذا كان كل هؤلاء أو معظمهم على الأقل قد فشلوا فى تحقيق أى نجاح جماهيرى يذكر بل إنهم كانوا جميعا سببا مباشرا فى سخط وغضب الشعب المصرى من القيادة على جميع صورها.. فإنهم أيضا كانوا سببا مباشرا فى قيام ثورة الشباب الرائعة وسقوط النظام الحالى وإن كان لم يدفن بعد.. ربما الأيام الباقية من وجوده على قيد الحياة هى حكمة مفادها ألا

ينذهب هؤلاء مثل أى مستئول مخلوع بدون حساب كما جرت عليه العادة فى مصر قبل ذلك.. وقد تم بالفعل الإعلان عن منع بعضهم من السفر وتجميد أرصدهم فى البنوك بناء على البيان الذى صدر من النائب العام الذى يقضى بمنع عدد من الوزراء السابقين ورجال الأعمال من السفر خارج مصر وتجميد حساباتهم.. وقد شملت القائمة كلا من أمين لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب، أحمد عز، الوزير السابق للسياحة زهير جرانة، ووزير الإسكان السابق أحمد المغربى، ووزير الداخلية السابق حبيب العادلى، بالإضافة إلى عدد من الوزراء السابقين وعدد من رجال الأعمال.

وذكر النائب العام فى بيان له أن النيابة العامة كانت تجرى تحقيقاتها فى بلاغات عدة "تناولت هؤلاء المسئولين بشأن جرائم الاستيلاء وتسهيل الاستيلاء على المال العام والإضرار به والغش"، وقررت فى سبيل استكمال التحقيقات ونظراً للظروف الحالية اتخاذ "إجراءات احترازية" ضد من شملتهم التحقيقات، وأن هذه الإجراءات اتخذت "حفاظاً على المال العام ومصالح البلاد" وإلى حين إنهاء التحقيقات معهم.

وبما أننا فتحنا ملفات هؤلاء باعتبارهم أعضاء فى لجنة السياسات وأنهم كانوا مسئولين عن رسم سياسات الدولة كوزراء ومسئولين كبار.. فالأولى أن يتم فتح ملفات جمال مبارك بصفته رئيساً لهؤلاء جميعاً وأميناً للجنة السياسات التى كانوا ينتمون إليها.. خاصة أنه كان أول من أطيح به من الحزب واللجنة.

وإذا كان أحمد عز الرجل الذى كان يمتلك كل شئ ويفعل كل ما يريد فى الحزب والسياسة والاقتصاد ينال الآن النصيب الأكبر من غضب المصريين بمختلف فئاتهم كونه الفاعل الأول لما حدث فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة التى خرجت نتيجتها بصورة سخرية لم يسبق لها مثيل.. فإنه أيضاً كان الرجل الأول لجمال مبارك.. حيث كانت العلاقة فيما بينهما تختلف كلية عن علاقة جمال مبارك بغيره من أعضاء لجنة السياسات أو الحكومة بصفة عامة.. وأول مرة رأيت فيها أحمد عز وجمال مبارك كانت أثناء استعدادتهم للانتخابات الرئاسية

الماضية فى عام ٢٠٠٥ ورأيت بعينى كيف يتعاملان معا فى علاقة شخصية تخرج عن إطار أى عمل رسمى.. ولا يمكن أن يفعل أحمد عز ما فعل داخل الحزب أو فى القطاع الاقتصادى إلا بموافقة جمال مبارك ومباركته لكل ما فعل.. ولا يمكن له أو لأى شخص آخر أن يدعى أو يزعم أن أحمد عز كان يتصرف بعيدا عن موافقة الجميع كبيرا وكبيرا جدا.. ويكفى أن أول كلمة قالها الرئيس مبارك بعد الانتخابات الأخيرة أنها تمت بطريقة سياسية غير مسبوقة مادحا سياسة أمين التنظيم فى تجريد مجلس الشعب من أى أحد يمكن أن يعارض أو حتى يكبح تحت الثقبه.. فالأولى قبل أن يحاسب أحمد عز أن يحاسب على الأقل رئيسه المباشر جمال مبارك.

والحديث عن الریط المباشر بين عز وجمال ضرورى خاصة عندما نعلم أن أحمد عز هو الوحيد الذى تقدم ضده خلال أيام قليلة جدا ١٢ ابلاغاً للنائب العام بخلاف ما سيأتى خلال الفترة القادمة.. ويكفى ما قاله النائب السابق والصحفى مصطفى بكرى فى بلاغه للمحامى العام حيث اتهم عز والدكتور أحمد نظيف، رئيس الوزراء السابق، والدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء الأسبق، والدكتور يوسف بطرس غالى وزير المالية السابق، والدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان الأسبق، والدكتور هانى هلال وزير التعليم العالى، والدكتور طارق كامل وزير الاتصالات بتخصيص ١٢٧ فدانا فى منطقة الشيخ زايد لإنشاء جامعة خاصة لحساب جمعية أسسها أحمد نظيف وأقام عليها جامعة النيل.

ووجه بكرى اتهامها خاصا لعز بأنه استطاع عن طريق استخدام النفوذ وبمساندة عناصر بارزة فى السلطة بالاستيلاء على نسبة ٢٨، ٥٠% من أسهم شركة الدخيلة للحديد والصلب بالإسكندرية، بعد تخريبه الشركة عام ٢٠٠١ عن طريق خفض إنتاج كميات حديد التسليح بوصفه رئيساً لمجلس الإدارة.. وفى عام ٢٠٠٥ كانت نسبة شركة العز فى أسهم الدخيلة قد وصلت إلى حوالى ٣٩، ٢٩% ووصلت فى عام ٢٠٠٦ إلى أكثر من ٥٠%.

وطالب بكرى بالتحقيق فى كيفية احتكار أحمد عز وحده لنسبة ٦٧% من إنتاج

الحديد والتلاعب فى الأسعار والتحكم فيها بطرق غير مشروعة، مما تسبب فى إلحاق خسائر فادحة للمواطنين، مؤكداً أن ثروته وصلت الآن إلى أكثر من ٦٠ مليار جنيه على الأقل بسبب هذه الممارسات..

ويعد بلاغ بكرى ضد عز بداية للغيث..

إذن المطلوب أن تكون أمين الجهات الرسمية المستقلة على كل من وجهت له اتهامات بالفساد واستغلال الأموال العامة وإهدارها.. والضرب بيد من حديد على من يثبت ارتكابه لأى من هذه الجرائم حتى لا يضيع دم شهداء ميدان التحرير هدرا.. أما حكاية وزير الداخلية السابق حبيب العادلى فهى حكاية أخرى أكبر بكثير من حكاية أحمد عز لأن معظم أفراد الشعب المصرى أصبح لهم عنده ثأر لن يتنازلوا عنه مهما حدث مع النظام ومهما سارت الأمور معه.. المهم الآن أن تكون عين لنا على الحرامية والفاستدين وعين على الحدود حتى يقترب منها أحد من الداخل للهرب أو من الخارج للطمع.

شلة الفضائح

لا تزال فضائح رجال النظام والحزب الوطنى تتوالى على مسامع وأبصار الشعب المصرى الذى ما إن بدأ يفيق من صدمة تورط رجل الأعمال هشام طلعت مصطفى عضو لجنة السياسات بالحزب بشكل مباشر فى قتل مغنية لبنانية على أرض إماراتية، معرضاً العلاقة بين مصر والإمارات لانتكاسة كبيرة فى وقت كانت مصر بحاجة شديدة لاستقرار تلك العلاقات، إلا وتفجرت قضية جديدة لرجل أعمال آخر من هذا الحزب الذى امتلأت أركانه بعشش "الفساد" وفاحت رائحتها لتزكم أنوف جميع المصريين.. إنه محمد فريد خميس عضو مجلس الشورى عن الحزب الوطنى وصاحب شركات "النساجون الشرقيون" الذى أثبتت تحقيقات النيابة معه مؤخراً تورطه فى تقديم مبالغ مالية كبيرة على سبيل الرشوة لقاض يشغل نائب رئيس مجلس الدولة مقابل إصدار أحكام لصالحه فى بعض القضايا، وعندما ينزلق القضاة إلى مستنقع الرشاوى، فإن ذلك دليل على قرب تدمير الوطن وانتهياره على يد شرذمة من الفاستدين واللصوص.

ولا يسعنا إلا أن نشكر الحزب الوطنى لتوضيح المعنى الحقيقى للفكر الجديد..
ووسائل العبور إلى المستقبل!!

فى الوقت الذى أفلت فيه رجل الحزب الحاكم "ممدوح اسماعيل" من الإدانة بعد حكم القضاء بتبرئته من دم أكثر من ١٠٠٠ مواطن لقوا حتفهم غرقاً فى عبارته "السلام ٩٨" والتي أثبتت التحقيقات وجود عيوب قاتلة بها فضلاً عن امتناع ممدوح اسماعيل عن إرسال فرق لإنقاذ الضحايا وهم فى عرض البحر، رغم تلقيه إشارات استغاثة من أكثر من جهة.

وفى الوقت أيضاً الذى كانت فيه فضيحة رجل الأعمال المقرب من جمال مبارك وعضو لجنة سياسات "حزبه الوطنى" هشام طلعت مصطفى" فى أوجها وعلى أشدها فاتحة ملف الجنس والفساد والنفوذ فى صفوف رجال نظام حسنى مبارك، كان هناك رجال أعمال "وطنى" آخرون يسقطون بعد أن فاحت رائحة فسادهم وتجاوزت كل الحدود.

لا تزال قضية "هشام طلعت مصطفى" الذى قام بالتحريض على قتل المغنية اللبنانية "سوزان تميم" تتوالى فيها مفاجآت جديدة تثبت مدى تجبر وتكبر هذا الرجل الذى أعماه نفوذه الكبير داخل الوطنى وحماية مبارك ورجاله له وأمواله الطائلة ليرتكب جريمة أساءت لسمعة مصر ومكانتها فى العالم بعد أن أصبحت القضية مثار اهتمام الصحف ووكالات الأنباء العالمية الكبرى، ولتؤثر بالسلب على علاقة مصر بدولة شقيقة مثل الإمارات العربية المتحدة التى دائماً ما تفتح أبوابها للمصريين الذين يتمتعون بحب الشعب الإماراتى العظيم، وذلك إرضاء لنزواته مع امرأة حتى ولو دفع كل أموال الدنيا للفوز بها.. أو الانتقام منها.

الوقائع الجديدة التى تكشف فى قضية "هشام طلعت مصطفى" جاءت فى الحوار الذى أجرته صحيفة "صندأى تايمز" مع رياض العزاوى الملاكم العراقى الكبير.. وزوج القتيلة سوزان تميم.

فقد كشف العزاوى فى حوارهِ أن هشام طلعت مصطفى كان يلاحق سوزان تميم تليفونياً أينما وجدت، مطالباً إياها بالعودة إلى أحضانهِ مقابل ٥٠ مليون دولار،

وإلا قتلها مقابل مليون دولار. وثمان العودة أو القتل كان سيدفع بالطبع من جيوب الشعب المصري. إلا أن سوزان تميم التي كانت بصحبة زوجها العزاوى فى بريطانيا حينذاك رفضت طلبه وصارحت بذلك زوجها الذى تقدم بالفور ببلاغ إلى الشرطة البريطانية مطالباً إياهم بحمايتها لأنها تتعرض لتهديدات بالقتل من رجل مصرى، إلا أن الشرطة البريطانية لم تحرك ساكناً واكتفت بتركيب جرس إنذار بشقة سوزان تميم، وأخبرتهم أن هشام طلعت مصطفى شخصية "بارزة" فى النظام المصرى وليس من السهولة توجيه اتهام له بذلك!!

وقالت الصحيفة إن الزوجين عاشا ١٨ شهراً من "الخوف" فى لندن، مشيرة إلى أنه التقى المطربة اللبنانية "الجميلة" فى متجر هارودز بلندن منذ عامين، وأنها كانت تتلقى وقتها تهديدات بالقتل، ومن ثم عرض عليها أن يحميها، ومن ثم ضارا متقاربين، ثم تزوجا العام الماضى.

وقال العزاوى: "سوزان أخبرتني أنه اتصل بها، وقال لها إنها إذا تركتني وذهبت للزواج منه، فسوف يدفع لها ٥٠ مليون دولار، أما إذا رفضت فسوف يقتلها بمليون دولار".

وقالت الصحيفة إن العزاوى أكد أن هشام طلعت مصطفى اتصل به وهو فى منزله فى حى نايتبريدج بلندن، وهدده بالقتل وقتلها ما لم يعطه "الفتاة"، ثم أضاف العزاوى أن رجلاً اتصل به، وقال إن طلعت أرسله كى يقتله فى بريطانيا.

وأكد أنه قدم بلاغاً هو وزوجته لشرطة "متربوليتان" وأنها قدما شريطاً يسجل عديداً من التهديدات التليفونية، من بينها مكالمة للقاتل المحترف، مشيراً إلى أن الشرطة البريطانية قامت بترتيبات لتركيب جرس إنذار فى شقتهما.

وقال العزاوى إن زوجته سوزان ذهبت ذات مرة إلى ضابطة الشرطة التى تتابع قضيتها، وقالت لها: "أنا اليوم حية"، لكننى قد أكون غداً ميتة، فلمإذا لا تستطيعون مساعدتى؟، بينما ردت عليها ضابطة الشرطة بأن هشام طلعت مصطفى هو "شخصية حكومية بارزة" فى مصر.

ونقلت الصحيفة عن متحدث باسم شرطة سكوتلانديارد البريطانية قوله إنه

يجرى الآن تحقيق بالمزاعم التي تحدث عنها العزاوى، لكنه قال إنه لم يقع أى عمل جنائى على صلة بالقضية فى المناطق التى تخضع للسلطة البريطانية، وقال العزاوى إنهم أخبروه بأن حادث القتل وقع فى الخارج، ولكن - والكلام للعزاوى - القضية بدأت فى لندن.

التساجون للفساد

وبينما تتوالى فضائح رجل جمال مبارك هشام طلعت مصطفى، إذا بالشعب المصرى المسكين يفجع بفضيحة مزدوجة أخرى لرجل آخر من رجال الحزب الحاكم أو الحزب "الفاستد"، وهو رجل الأعمال محمد فريد خميس عضو مجلس الشورى وصاحب شركات "التساجون الشرقيون" الذى قام بشكل غير مباشر عن طريق اثنين من محاميه بتقديم "رشاوى" قدرت بمبالغ طائلة لقاض يشغل منصب نائب رئيس مجلس الدولة مقابل قيام الأخير بإصدار أحكام قضائية لصالح محمد فريد خميس فى بعض القضايا!!

وقد كشفت التحقيقات التى أعلنت عنها بعض الصحف أن نائب رئيس مجلس الدولة كان يتوسط لدى قضاة آخرين لإصدار الأحكام لصالح محمد فريد خميس، وأن نيابة أمن الدولة أمرت بتشكيل لجنة لحصر القضايا التى صدرت فيها أحكام لصالح "خميس" من مجلس الدولة.

وتبدأ تفاصيل القضية فى منتصف مايو الماضى، حيث وردت معلومات لهيئة الرقابة الإدارية تفيد بقيام محاميين بعرض مبالغ مالية على سبيل الرشوة لقاض بمجلس الدولة مقابل إصداره أحكاماً لصالح موكل المحاميين، وقامت هيئة الرقابة الإدارية برصد تحركات المحاميين وتبين تقابلهما أكثر من مرة مع قاض بالمجلس فى أكثر من مكان.

ويعد استئذان نيابة أمن الدولة والحصول على إذن من المجلس الخاص بمجلس الدولة، تم إجراء تسجيلات بين المحاميين والقاضى الذى تبين أنه المستشار أحمد عبداللطيف، نائب رئيس مجلس الدولة.

بعد ٢ أسابيع من التسجيلات.. قام فريق الرقابة الإدارية بزرع كاميرات فى

محل أسماك شهير بشارع جامعة الدول العربية، كان من المقرر أن يتقابل فيه المحاميان مع المستشار ليتسلم مقدم مبلغ الرشوة. وتم ضبط المتهمين الثلاثة متلبسين بالضوت والصورة، وتبين أن المبلغ المضبوط ٧٠ ألف جنيه، على أن يحصل القاضى على ١٣٠ ألف جنيه أخرى بعد إصدار حكم لصالح موكل المحامين.

ألقت هيئة الرقابة الإدارية القبض على المتهمين الثلاثة وتحرر محضر الواقعة، وأحيلوا إلى نيابة أمن الدولة العليا للتحقيق معهم، أنكر القاضى المتهم فى تحقيقات النيابة تلقيه رشوى من المحامين لإصدار أحكام لموكلهما، وادعى أن المبلغ المضبوط يخص المحامين ولم يتسلمه منهما، وقال إن رجال الرقابة الإدارية ضبطوا المبلغ فى حقيبة كانت على كرسى بينه وبين المحامين،

وأكد القاضى المتهم أن المبلغ المضبوط لم يكن فى حوزته.. واجهت النيابة القاضى بتسجيلات صوتية أجرتها الرقابة الإدارية بينه وبين المحامين، فقال القاضى إن الصوت الوارد فى التسجيلات ليس صوته ولكنه يشبهه قليلاً. واعترف القاضى بأنه يعرف المحامين كمئات المحامين الذين يترددون عليه فى المحكمة.

واستمعت النيابة لأقوال المحامين، فقال الأول "مدحت أبوالفضل" إنه يعمل مستشاراً قانونياً لدى رجل الأعمال الشهير محمد فريد خميس وينهى له عدداً كبيراً من القضايا المنظورة أمام المحاكم. وفجر المحامى مفاجأة فى تحقيقات النيابة عندما اعترف بتقديم مبالغ مالية على سبيل الرشوة للقاضى "أحمد عبداللطيف" مقابل إصدار الأخير أحكاماً لصالح "خميس".

وأضاف المحامى فى التحقيقات أنه كان يحصل على مبالغ الرشوة من رجل الأعمال ليسلمها إلى القاضى، وكانت تلك المبالغ يتم تسجيلها فى دفاتر شركاته على أنها أتعاب محاماة، واعترف المحامى فى التحقيقات بأن ضابطاً يدعى "إسلام" هو الذى توسط له عند القاضى، وهو الذى عرفه عليه قبل أكثر من ٥ سنوات. وأشار المحامى المتهم إلى أن القاضى كان يحصل على مبالغ مالية على

سبيل الرشوة لإنهاء قضايا كانت تتظر لدى مستشارين آخرين بالمجلس. وقال المحامى إنه عندما كان يسأله عن كيفية إنهاء القضايا المنظورة فى دوائر أخرى، كان يرد: "دى بتاعتى أنا ليس لكم صالح بها" وأكد المحامى فى التحقيقات، أنه عقب كل حكم كان يصدر لصالح رجل الأعمال، كان يجرى الاتصال به ليبلغه بنصه، وأشار إلى أنه فى إحدى المرات اتصل المحامى بخميس وأبلغه بنص حكم، إلا أن خميس لم يعجبه نصه، فأمر المحامى بالعودة مرة ثانية إلى المجلس وتعديله.

واعترف المحامى بأنه وزميله رأفت السلمى "المتهم الثالث" كانا يجلسان بصحبة القاضى المتهم داخل مطعم الأسماك الشهير مقابل إنهاء قضية كانت منظورة فى مجلس الدولة لصالح رجل الأعمال، وأن المبلغ المضبوط كان عبارة عن مقدم رشوة وأن المبلغ المتبقى ١٢٠ ألف جنيه كان سيتقاضاها القاضى بعد صدور الحكم.

وروى المحامى المتهم الثالث "رأفت السلمى" التفاصيل نفسها التى رواها زميله، وأكد أن خميس كان على علم بتلك الوقائع، وعن القضايا التى كانت تصدر فيها أحكام لصالح "خميس"، وقال المحامى إنها كانت عبارة عن أحكام لإنشاء شركات سياحية وإعادة أموال كانت وزارة المالية قد حصلتتها من شركات رجل الأعمال.

وكالمعتاد.. المجرم ينضى

واستدعت نيابة أمن الدولة رجل الأعمال "محمد فريد خميس"، للاستماع لأقواله فى الاتهامات المنسوبة إليه، بعد أن حصلت على إذن من مجلس الشورى، وفى التحقيقات أنكر خميس كل تلك الاتهامات وقال إنه لا يعرف شيئاً عن وقائع الرشوة التى قالها المحاميان، واعترف بمعرفته بالمحاميين المتهمين، وأكد أنه كان يستعين بهما فى بعض القضايا عن طريق مكتب المحاماة الخاص بشركاته.

وأضاف خميس فى التحقيقات أنه ليس فى حاجة لدفع مبالغ رشوة تصل إلى نصف مليون جنيه كما قال المتهمان، للحصول على أحكام قد تعيد له مبالغ أقل من مبالغ الرشوة، ونفى خميس ما قاله المحاميان عنه من أنه كان يغير فى نصوص الأحكام بالتليفون كما ادعى المحاميان.

وفى نهاية التحقيقات قررت النيابة حبس القاضى والمحامين على ذمة التحقيقات وجددت لهما، وفيما يتعلق برجل الأعمال فقد أمرت بإخلاء سبيله على ذمة التحقيقات بكفالة مالية، وأمرت النيابة بتشكيل لجنة لحصر القضايا المتعلقة به لدى مجلس الدولة والتي صدرت فيها أحكام لصالحه، لفحصها ومعرفة ما إذا كان صدر فيها أحكام بالمخالفة للقانون من عدمه.

وأكدت مصادر أمنية وبرلمانية، أن مجلس الشورى رفع الحصانة عن فريد خميس فى تلك القضية، على الرغم من أن رئيس المجلس صرح فى الصحف بأن هذا الخبر ليس صحيحاً، وكان مجرد إذن بسماع الأقوال فقط. كما نفى محمد فريد خميس تلك الاتهامات المنسوبة إليه، وأكد أنه بعيد تماماً عن تلك القضية ولم يدفع يوماً جنيهاً واحداً على سبيل الرشوة لإنهاء خدمات أو الحصول على أحكام لصالحه.

قال مصدر قضائى إن المحامين المتهمين، قد يكونان اعترفاً بتقديم الرشوة أو التوسط فيها للاستفادة من نص القانون "١٠٧" الذى يعفى الراشئ من العقوبة فى حالة اعترافه بالواقعة.

النفاق الصحفى الحكومى لرجال الوطنى مستمر

ومن ناحية أخرى، ورغم تقجر تلك المصائب داخل الحزب الوطنى وأخذ رجاله فى "الإنكشاف" على حقيقتهم أمام الشعب، إلا أن الصحف الحكومية والمسماة كذباً بـ"القومية" استمرت فى حملة التلميع والنفاق لرأس الأفعى كبير لجنة السياسات جمال مبارك. الذى أوضحت معلومات مؤكدة أنه حاول حماية رجله هشام طلعت مصطفى من المساءلة القانونية فى جريمته الأخيرة، إلا أن وقوع الجريمة على أرض إماراتية وتحفز السلطات الإماراتية فى هذا الأمر حالاً دون ذلك بعد أن تخلى عنه مبارك حتى لا تسوء علاقته بدولة الإمارات.

نواب النقوط وتواب سميحة

فتحت قضية أكياس الدم الفاسدة ملف نواب الحزب الوطنى الذين تورطوا فى عدة قضايا فساد سابقة وتذكرنا أحداث هذه القضية بما أطلقه الرأى العام على

فضائح نواب الوطنى نواب قروض ونواب نقوط ونواب كيف ونواب سميحة لتتضم قضية نواب أكياس الدم الفاسدة إلى أخواتها من الفضائح، ولكن السؤال الملح الذى شغل بال الرأى العام طوال الفترة الماضية ، لماذا تقترن الفضائح وقضايا الفساد بنواب الحزب الوطنى بالتحديد؟ .

لا تتكرر قيادات الحزب الوطنى أن السبب الرئيسى فى كراهية المصريين لحزبهم سببه الأساسى هو تورط العديد من النواب فى قضايا فساد هزت الرأى العام وجعلت من اسم الحزب الوطنى مرادفًا لمعنى الفساد والمحسوبية ، فذكر أحد التقارير التى أصدرها تقرير الأداء البرلمانى فى عام ٢٠٠٥ أن ٢٢ ٪ من نواب الحزب الحاكم بمصر متهمون فى قضايا فساد وسجل نواب الوطنى ملء بالمهازل وكان أبرزها هذه القضايا . .

قضية نواب القروض التى أصدرت فيها محكمة أمن الدولة العليا حكمها على ٢١ متهمًا من بينهم أربعة من أعضاء مجلس الشعب . ممن ينتمون إلى الحزب الحاكم . بعقوبات تتراوح بين الأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عامًا إلى الحبس سنة مع وقف التنفيذ بعد قضية نواب القروض وهى قضية شغلت الرأى العام المصرى لمدة خمس سنوات .

كما فجرت جريدة الوفد عام ١٩٩٠ ، قضية " نائب الكيف " وأكدت من خلال المستندات التى حصلت عليها الوفد أن " عايد سليمان " تاجر مخدرات ومسجل جنائياً تحت رقم ٨٦ فئة " أ " بقسم مخدرات السويس وأن أرباح تجارته من المخدرات تقدر بنحو ٣٠٠ مليون جنيه ، وأنه انضم للحزب الوطنى وترشح للانتخابات ودخل المجلس لحمايته من المساءلة القانونية !! واصدرت محكمة الجنايات بعد ذلك حكماً ب١٥ سنة على نائب الوطنى الهارب بتهمة الاتجار فى المخدرات !

ومن نائب " الكيف " إلى نائب " النقوط " خليفة على حسنين ، وأطلقت عليه الصحافة هذا اللقب بعد واقعة شهيرة ، فأثناء قيام وفد من مجلس الشورى . الذى كان هو أحد أعضائه . بزيارة مدينة الغردقة وداخل قاعة الملهى الليلى الملحق

بالفندق فوجيء أعضاء الوفد بالسيد النائب يتناسى صفته الموجود بها داخل مدينة الغردقة ويرقص مع الراقصة ويلقى عليها بالأموال التي تعدت قيمتها الألف جنيه التي حاول التهرب من دفعها لصندوق مجلس الشعب سابقا .. لذا لقب بهذا اللقب بعدما أحاله المجلس للجنة التقييم وفقا للمادة ٣٠٥ من لائحة المجلس وتقرر حرمانه من حضور جلسات المجلس دورة برلمانية كاملة !

وعلى الرغم من علم قيادات الوطنى أن خليفة على حسنين يدير مرقصا فى ضاحية حلوان التى يمثلها فى مجلس الشورى ، وسبق له أن دخل السجن بعد أن صدم فتاة بسيارته وهو يغازلها أثناء سيرها بالشارع ، إلا أنه حصل على ٨٠ ٪ من أصوات المجمع الانتخابى للحزب الوطنى ليصبح ممثلا للحزب الحاكم فى انتخابات الشورى فى ذلك الوقت ، ومنى بهزيمة ساحقة من منافسه القيادى العمالى عبد الرحمن خير!!

وبعد سلسلة من المهازل ، ظهر للرأى العام ما أطلقت عليهم الصحف " نواب سميحة " فقد قضت محكمة جنايات القاهرة ببراءة جريدة الأحرار من تهمة سب وقذف ثلاثة نواب من أعضاء الحزب الوطنى ذى الفكر الجديد، وأدانتهم محكمة جنائيات شمال القاهرة فى حيثيات حكمها عندما تيقنت هيئة المحكمة من خلال مناقشة الشهود والاعترافات أن النواب الثلاثة مارسوا بالفعل الرذيلة.. مقابل مبالغ مالية كبيرة !!

وتأتى قضية نائب أكياس الدم الفاسدة المتهم فيها النائب هانى سرور وكيل اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب وعضو أمانة لجنة السياسات لتكامل فضائح نواب الحزب الوطنى. وأشار النائب البرلمانى سعد عبود ، أن اقتران الفساد بنواب الحزب الوطنى ، أمر طبيعى إذا علمنا أن رجال الأعمال هم فى نفس الوقت رجال السلطة ، وأنهم يوظفون هذه السلطة لتحقيق مكاسبهم الخاصة ، وعلى الرغم من أن دستور ٧١ يحظر فى مادته رقم ٩٥ على العضو البرلمانى التعامل بالبيع والشراء مع أجهزة الدولة ، إلا أن نواب الوطنى بالتحديد يلتفون حول هذا النص الدستورى وكلهم دون استثناء يتعاملون مع الدولة فى كل الصفقات

والمناقصات، كما كان يفعل إبراهيم سليمان عن طريق الدخول في مناقصات باسم شركة تتبع له بالأساس ولكنها لا تحمل اسمه بالطبع !
ونوه عبود إلى أنه طالب بتكوين لجنة لتقصي الحقائق من أعضاء مجلس الشعب لتكشف ما تعجز النيابة عن كشفه ، خاصة فيما يتعلق بعلاقة وزارة الصحة و تورط مسؤوليها في هذه القضية .

الدكتور نبيل عبد الفتاح الباحث السياسى المعروف ، علل الارتباط بين نواب الفساد وانتمائهم للحزب الوطنى ، على أنه نتيجة طبيعية للتشكيلات الاجتماعية الموجودة فى مجلس الشعب والتي تمثل قطاع رجال الأعمال على وجه الخصوص .
وقال : إن جزءاً كبيراً من الذين قاموا بارتكاب بعض الجرائم المصرفية وقضايا فساد أخرى كانوا يريدون الوصول بأى ثمن لعضوية مجلس الشعب للهروب من الأجهزة الرقابية والنيابة العامة بالتحديد، وهذا يفسر المبالغ الضخمة التي ينفقها رجال الوطنى على الانتخابات .

وأضاف عبدالفتاح أنه لا يمكن الفصل بين هذه الظاهرة وظاهرة التضامن الأتوماتيكى بين غالبية أعضاء الحزب الوطنى وبين أى نائب يتورط فى قضية فساد ، مما يؤكد على غياب التقاليد البرلمانية السليمة وهو ما ظهر فى حالة هانى سرور .

سليمان باع مصر يا اولاد !!

عاش المصرى قديماً وحديثاً تدور حياته ومعاشه حول تراب مصر وأرضها الطاهرة التي أودع الله فيها أسرار الخير والنماء .. فترى الفلاح وهو يفخر بأثر حبات التراب ترصع جبينه من أثر العمل وترى الشعراء وقد قدحوا زناد قريحتهم للتغنى بتراب مصر الذى هو أغلى من ذهب الدنيا كلها، كما ترى الفنانين يتبارون فى الإبداع وهم يشخصون فيلم الأرض الشهير ليظل دعوة وتذكرة للمصريين أن يقدسوا تراب مصر وألا يفرطوا فى شبر منها مهما كان الثمن.. وقد كان ، فعلى مدى عقود طويلة ظل المصرى . وسيظل . فى رباط . إلى يوم القيامة دفاعاً عن أرض مصر وتشهد الحقائق التاريخية أن أبطال مصر البواسل قدموا دماهم

وأرواحهم فداء لتراب مصر ليظل حراً ألياً، وما ملحمة أكتوبر ١٩٧٣م الأخيرة عنا ببعيد ، ولعلها آخر ما شهدنا من بطولات المصريين الذين أذاقوا اليهود المحتلين ويلات الإهانة والهزيمة حتى تحررت سيناء هذا الجزء الأعلى من أرض مصر لما أودع الله فيه من كل الخيرات والثروات.. وأصبح الشعب يتفنى بتحرير أرضه أملاً أن تقيض عليه بخيراتها بعد إصلاحها وتعميرها.. لكن عصابة مبارك وأولاده كان لها رأى آخر... أرض مصر ليست للمصريين وإنما لكبار اللصوص وعتاة المجرمين المتاجرين بدماء الشعب وبرز من بين العصابة أخطرهم... محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان محترف الإجرام الذى انتهى فى زمن قياسي من توزيع أرض مصر فى كل محافظة، لا يستثنى واديا ولا جبلا، على عصابة مبارك وأولاده من الإسكندرية إلى أسوان بثمن بخث دراهم معدودات.. وكان نصيب جمال وعلاء وصهريهما مذهلاً فلقد بسط محمود الجمال صهر جمال يده على ٤٠ ألف فدان... لا غير !!

ومجدى راسخ صهر علاء مثله تقريباً وكل رموز الفساد زكريا عزمى وصفوت الشريف وحبيب العادلى وحسن عبد الرحمن.. كل العصابة استفادت من مبادرة محمد إبراهيم سليمان لتوزيع مصر على كبار اللصوص وأصدقائهم فى الخليج وحينئذ وقف الشعب ينظر فى حسرة إلى تراب بلده المنهوب وينتظر يوماً يساق فيه المجرمون إلى الزنزانة ورداً.... وقد كان ...

أول الغيث

حبس سليمان ٨ سنوات

أودعت محكمة جنايات القاهرة برئاسة المستشار عاصم عبد الحميد نصر، حيثيات حكمها فى قضية الفساد والإضرار بالمال العام الشهيرة إعلامياً بقضية أرض سوديك التى قضى فيها بمعاقبة كل من وزير الاسكان الأسبق محمد إبراهيم سليمان بالسجن المشدد ٥ سنوات وإلزامه برد حوالى مليار و٢٠٠ مليون جنيه.

أكدت المحكمة فى حيثيات حكمها التى جاءت فى ٥٠ صفحة أنه بعد الاطلاع

على أوراق القضية وتقارير اللجان الفنية التي شكلت لفحص تلك القضية وسماع أقوال شهود الإثبات قد ثبت في عقيدتها أنه لما كان من المقرر قانوناً أنه لا يلزم في الأدلة التي يعول عليها الحكم أن ينبئ كل منها ويقطع في كل جزئية من جزئيات الدعوى بل يمكن أن تكون الأدلة في مجموعها توحيه مؤدية إلى ما قصده الحكم منها ومنتجة في اكمال اقتناع المحكمة واطمئنانها إلى ما انتهت إليه ولا يلزم لصحة الحكم أن يكون الدليل الذي تستند إليه المحكمة صريحاً مباشراً في الدلالة على ما تستخلصه المحكمة منه . بل لها أن تركز في تكوين عقيدتها عن الصورة الصحيحة لواقعة الدعوى واستظهار الحقائق القانونية المتصلة بها إلى ما تخلص إليه من جماع العناصر المطروحة بطريق الاستنتاج والاستقرار وكافة الممكنات العقلية ما دام استخلاصها سليماً ولا يخرج عن الاقتصار العقلي والمنطق .

وأضافت المحكمة أنه خلال الفترة من عام ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٥ قام المتهمون من الأول إلى الرابع بصفتهم موظفين عموميين حصلوا لغيرهم بدون وجه حق على منفعة و ربح من عمل من أعمال وظائفهم بأن تفاوضوا عن اتخاذ إجراءات فسخ عقد تخصيص جهة عملهم لقطعة أرض مساحتها ٢٥٠٠ فدان بمدينة الشيخ زايد لشركة سوديك التي يمثلها المتهم الهارب مجدى راسخ لإخلاء تلك الشركة بالتزاماتها المالية الواردة بالعقد لعدم سدادها نسبة ١٠٪ من الدفعة المقدمة رغم تكرار جدولتها والتي تستوجب فسخه و استرداد كامل الأرض . بل تبين أنهم قاموا فقط بسحب مساحة ٨٨٥ فداناً من إجمالي المساحة المخصصة على مرحلتين الأولى ٦٢٠ فداناً والأخرى ٢٦٥ فداناً . وذلك من خلال قيام وزير الإسكان الأسبق المتهم بتوجيه تلك التعليمات والأوامر لباقي المتهمين قاصدين من ذلك تزييح صهر الرئيس السابق مبارك من خلال ترك له المساحة المتبقية البالغة ١٧٥١ فداناً . وهو ما حقق له ربحاً مالياً بلغ ٩٧٠ مليوناً و ٧٠٠ ألف جنيه . وأنهم قصدوا من ذلك التصرف تزييح المتهم الهارب والإضرار بالمال العام .

وأضافت المحكمة أن المتهم الخامس عزت عبد الرؤوف الحاج رئيس الإدارة

المركزية للشئون العقارية بهيئة المجتمعات العمرانية قد أغفل بناء على تعليمات صادرة له من المتهم الأول محمد إبراهيم سليمان عرض الشروط الواردة بعقد تخصيص الأرض لشركة سوديك عمدا وهو ما مكن المتهم الهارب من التصرف فى الأرض بما يزيد مساحتها عن مليون متر مربع بما يوازى ٦٢٤ فداناً تقريبا رغم عدم اكتمال المرافق الداخلية لها . كما تبين أيضا قيام المتهم الاول إبراهيم سليمان بإعفاء المتهم الهارب من سداد مبلغ ١٣ مليوناً و ٨٦٩ ألفاً و ٧٦٣ جنيهاً قيمة رسم التنمية الشاملة فى حين أن كافة الشركات التى خصص لها أراض بتلك المنطقة لم يعف أى منها من سداد ذلك الرسم . وأوضحت المحكمة بأن المتهم الهارب قد استولى على المال العام من خلال تقدمه بطلبات رسمية لباقي المتهمين لتخصيص تلك الأرض له ولإعفائه من سداد رسم التنمية الشاملة .

وأوضحت المحكمة أن الدفع الذى أثاره دفاع المتهم الأول محمد إبراهيم سليمان الخاص بعدم دستورية القرار الوزارى الصادر من المتهم الأول بفرض رسم تنمية شاملة عام ١٩٩٥ فإن المحكمة ترى أنه تم إلغاء هذا القرار بموجب قرار وزارى صادر من وزير الإسكان اللاحق للمتهم عام ٢٠٠٦ وأن الحكم الذى صدر لصالح شركة الأمم للتنمية العقارية بالإعفاء قد طعن عليه من قبل هيئة المجتمعات العمرانية .

وانتهت المحكمة فى آخر حيثيات حكمها أنها أخذت مع المتهمين ما عدا الأول إبراهيم سليمان والسادس مجدى راسخ بقسط من الرأفة فى نطاق الحق المقرر لها طبقاً للمادة ١٧ عقوبات مع إلزامهم جميعاً بالمصروفات الجنائية عملاً بالمادة ٣١٢ من قانون الإجراءات الجنائية مع إيقاف تنفيذ العقوبة المقضى بها على المتهمين الثانى والثالث والرابع إيقافاً شاملاً .

كما أودعت المحكمة حيثيات حكمها فى قضية الاستيلاء على أراضى الدولة والمال العام والمتهم فيها أيضاً محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان الأسبق ورجلى الأعمال يحيى الكومى و عماد الحاذق «هارب» والتى حكمت فيها المحكمة بمعاقبة وزير الإسكان الأسبق بالسجن المشدد ٢ سنوات وإلزامه برد مبلغ ١٤ مليوناً و ٩٢

ألفا و ٤١٢ جنيتها وتغريمه مبلغا مساويا لمبلغ الرد . و ثانيا بمعاقبة كل من يحيى الكومى وعماد الحاذق بالحبس لمدة سنة واحدة مع الشغل وإلزام الكومى برد مبلغ ٤ ملايين و ٢٧٤ ألفا و ٥٢٥ جنيتها وتغريمه مبلغا مساويا لمبلغ الرد وإلزام الحاذق برد مبلغ ٧ ملايين و ٩٨٩ ألفا و ٧٠٠ جنيهه وتغريمه مبلغا مساويا لمبلغ الرد .. وأمرت المحكمة لهما بإيقاف تنفيذ العقوبة لهما شاملة لأى عقوبة تبعية وجميع الآثار الجنائية المترتبة على الحكم... لإتهام الأول سليمان بأن حصل لنفسه بدون حق على ربح ومنفعة بأن وافق على تخصيص قطع أراض سكنية بمناطق متميزة بأسماء أفراد أسرته منها ٢ قطع أراض باسم نجله القاصر شريف وقطعة باسم زوجته وأخرى باسم نجلته دينا بما يجاوز عدد قطع الأراضى السكنية المسموح بتخصيصها للأسرة الواحدة .. كما وافق على تخصيص أراض للمتهمين الآخرين البالغ قيمتها المالية ٢٢ مليوناً و ١٢٥ ألفاً و ٩٨٢ جنيتها بالمخالفة للقانون من أجل تربيحهم و اشترك معه رجلا الأعمال بأن ساعدا وزير الإسكان الأسبق بمدته بطلبات تخصيص قطع الأراضى .

وأشارت المحكمة إلى أنه بعد الاطلاع على أوراق القضية قد ثبت فى يقينها أن الجريمة ثابتة قبل المتهم الأول وفقا لما ثبت من دلائل وردت بتقارير اللجنة الفنية وما شهد به أعضاؤها أمام المحكمة حول مخالفة تخصيص قطع الأراضى السكنية السابق بيانها للقواعد والقرارات الصادرة عن اللجنة العقارية الرئيسية المتعلقة بحظر ازدواج التخصيص بما يكون ما خصصه المتهم الأول لنفسه ولذويه من مساحات زائدة تفوق قيمتها السوقية السعر المخصصة به مما يمثل منفعة وربحا تحصل عليهما المتهم بدون حق.

وأضافت المحكمة أنه ثبت أيضا أن المتهم محمد إبراهيم سليمان قد أقر بالتحقيقات التى أجراها أحمد حسين رئيس نيابة الأموال العامة بإشراف المستشار على الهوارى المحامى العام الأول للنيابة أنه أصدر التوجيهات الخاصة بحظر ازدواج التخصيص بمدينة القاهرة الجديدة والتى صدرت بموجبها قرارات اللجنة العقارية الرئيسية والتى تضمنت ذلك استنادا لما تلاحظ له من تزايد

طلبات التخصيص المقدمة بشأن الأراضى الكائنة بالمدينة بقصد المضاربة . كما قرر المتهم بتقديم الطلبات الخاصة بباقي المتهمين إليه ومسئوليته عن الطلبات الخاصة بزوجته وأبنائه .

مهندس الفساد أحمد عز

من الملهى إلى البرلمان

لا يمكن أن ننهى الحديث عن شلة الفساد التى صنعها جمال مبارك أو صنعتها وعصابة تجريف مصر أرضاً وشعباً وتاريخاً من غير أن نذكر مهندس الفساد أحمد عز، هذا الشاب الذى ينتمى لأب اسمه عبد العزيز عز وهو ضابط سابق طرد من الخدمة بالقوات المسلحة بعد اتهامه بسرقة مهمات " ميرى " .. وأم عز ليست مصرية خالصة فقد ذكرت صحيفة الغد لسان حزب الغد أنها إسرائيلية الأصل تعرف عليها الضابط عبد العزيز عندما كان يخدم فى غزة .. وتزوجها ولما أحيل للتقاعد مطروداً امتهن تجارة الخرقة فى محل صغير بالسبتية.. فى هذه الأثناء كان أحمد عز طالباً بالإعدادية ثم حصل على الثانوية العامة والتحق بكلية الهندسة ولضيق ذات اليد وقلة الدخل والحاجة إلى مصروف عمل أحمد عز طبالاً وعازفاً فى فرقة طيبة الموسيقية التى كونها حسين الإمام نجل المخرج حسن الإمام تقدم فقراتها فى الملهى الليلية للسكرارى وبنات الليل .. !!

ويصعوبة حصل أحمد عز على شهادة الهندسة بجامعة القاهرة وظل متخبطاً فى حياته لا ملامح لمستقبله تبشر بالخير حتى تقابل مع جمال مبارك وجمعهما ليالى الأناجى والفرقة فتوطدت الصداقة حتى أصبح واحداً من أسرة مبارك، وبهذه المناسبة أدخله جمال مجلس الشعب حتى تم تشكيل لجنة السياسات الفاسدة فعينه جمال أمين التنظيم خلفاً لكمال الشاذلى الذى مات حسرة وكمداً بسببه وعضواً باللجنة ومن هذه الساعة بدأ الزواج واللعب باقتصاد مصر ومستقبلها، وقام أحمد عز برفض عن نفسه أيام الفقر والعوز ويتاجر مع جمال فى دم الشعب وقوته فلم تمض سنوات حتى أصبح ملك الحديد والسيراميك بعد أن اكتملت إمبراطوريته مجموعة شركات عز الصناعية التى تضم شركات عز

الدخيلة للصلب وهى فى الأصل الإسكندرية الوطنية للحديد والصلب وعز لحديد التسليح بمدينة السادات ومسطحات الصلب بالسويس والبركة بالعاشر من رمضان وعز للتجارة الخارجية والجوهرة للسيراميك ... وأصيب الشعب بصدمة وخيبة أمل من أين لهذا الشاب كل هذه الشركات .. متى عمل ومتى ادخر ومتى كوّن ثروته التى تجاوزت ٥٠ مليار جنيه تضمن له ٥,٢ مليار جنيه أرباحاً سنوية .. وبحصافة المصرى أدرك المصريون أنها التجارة المحرمة المشتركة بين عز وجمال.

ومهندس التزوير

لم يقف فساد أحمد عز عند تجريف الاقتصاد وتدمير المصانع الوطنية للحديد والصلب و مص دمء الشعب وفرض أسعار احتكار جبرية للحديد حتى قفز من ٢٥٠٠ للطن الواحد إلى ٨٩٠٠ جنيه للطن !!

الشعب يئن وعز يرقص تحت قبة البرلمان يتحدى برئاسته للجنة الخطة والموازنة، وأخيراً جاءت الفرصة الذهبية ، فالقد انضم لفريق التوجيه رغم أنف صفوت الشريف وتقدم عليه وسحب معظم أوراقه من يده واستعد لممارسة مهامه كأمين تنظيم للحزب الوطنى الذى سيدير انتخابات ٢٠١٠ م ..

وفرض عز نظريته وفكرته وانتهت الانتخابات باكتساح الوطنى فى أبشع عملية تزوير شهدتها مصر وربما بالعالم أجمع بلا خجل ولا موارد .. اشترك فى الجريمة حبيب العادلى وزير الداخلية وحسن عبد الرحمن مدير جهاز أمن الدولة وحفنة من أشرار القضاة الذين باعوا ضمائرهم وخانوا أمانتهم .. كل هذا من أجل الوصول إلى الهدف .. توريث جمال عرش أبيه قبل خلع له ذلك أن تكون الأغلبية المطلقة لشياطين عز فى البرلمان، وفى مايو ٢٠١١ م تنفذ خطة التوريث بإعلان مرض حسنى مبارك مرضاً يمنعه عن ممارسته مهام الرئاسة فيشكل مجلس رئاسى مؤقت فوراً برئاسة فتحى سرور ويرشح البرلمان والحزب جمال للرئاسة وتزور الانتخابات فى أقل من شهر يتسلم جمال بعدها عرش مصر ليموت الشعب غيظاً وكفناً وأموت أنا حسرة وحقداً!!!

ولكن الله سلم..

وكانت جريمة التزوير لانتخابات ٢٠١٠ م شرارة الثورة تضرم النار في مشاعر وكرامة المصريين الذين أحرقتهم نار الإهانة من أحمد عز الذى تصدر المشهد السياسى وزور إرادتهم ومص دماءهم فتريص الشعب بالنظام حتى كان يوم ٢٥ يناير فخرج ثائراً فغاضباً فمنادياً: يسقط حسنى مبارك والشعب يريد إسقاط النظام وفى أقل من ١٨ يوماً سقط نظام مبارك وجمال وعز والعدلى وسائر العصابة وزج بهم إلى السجون، وفى أسعد لحظات عاشها المصريون قضت محكمة جنايات القاهرة فى ١٥ سبتمبر ٢٠١١ م بالسجن المشدد لأحمد وربيبه عمرو عسل لمدة ١٠ سنوات وتغريم كل منهما ٦٦٠ مليون جنيه يحيا العدل .. والبقية تأتى !!

المجرم

العدلى .. مستر إكس

أخطر مجرم فى عصابة جمال مبارك .. أقول جمال لأن حسنى مبارك رئيس الجمهورية فقد زمام القرار والمبادرة منذ عشر سنوات على الأقل .. فقد تقدم به العمر وحاصرته الهانم سوزان وجمعت حولها معظم رموز النظام وكلهم أدركوا أن إشارة منها كفيلة بمحاكمتهم والزج بهم فى غياهب السجن !! حبيب العدلى أدرك هذه الحقيقة منذ أن كان مديراً لمباحث أمن الدولة فى ٥ فبراير ١٩٩٥م فتعقب الإسلاميين والمعارضين وكل من يقف حجر عثرة فى سبيل حسنى مبارك وامتلاأت السجون والمعتقلات بالآلاف المسلمين الموحدين من التيارات الإسلامية بمحاكمات صورية ظالمة وحتى بدون محاكمات بموجب قانون الطوارئ فى هذه الأثناء تقرب العدلى من جمال وانضم إلى شلته بمباركة الهانم والدته وما أن وقعت مذبحه الأقصر فى نوفمبر ١٩٩٧م حتى أقصى حسن الألفى وزير الداخلية وتدخل جمال بمساعدة الهانم أمه لتعيين حبيب العدلى وزيراً للداخلية خلفاً لحسن الألفى ومضى المجرم مستر إكس يطارد الإخوان والسلفيين وكل التيارات الإسلامية حتى عجت بهم زنازين السجون وامتتع عن تنفيذ أحكام القضاء فى الإفراج عن بعضهم خاصة الجهاديين الذين قضوا عقوبة المؤبد فى قضية اغتيال الرئيس الشهيد

محمد أنور السادات وأمعن العادلى تسانده الصحافة المشبوهة فى تعقب الحركات الاحتجاجية فى مصر وقمعها حتى تجرأ ضابط على ضرب أحد القضاة بالحذاء أمام نقابة الصحفيين .

وفى كل موقعة تباركه سوزان وتدعمه حتى ظهرت تباشير التوريث حينئذ لمعت عينا العادلى وقد وجد ضالته المنشودة ليظل وزيراً مدى الحياة أو نائباً للرئيس فى حال توريث جمال ومن ثم ربما يصل إلى العرش كما فعلها زين العابدين بن على وزير داخلية تونس عندما انقلب على رئيسه بورقيبة .. وأقنع العادلى سوزان أن الداخلية برجالها وأشاوسها قادرون على حماية جمال وطموح جمال بل ومستقبل جمال وبدأ يجهز جيشاً مدرباً فى أمريكا على القتال والقنص تحسباً ليوم تشخص فيه الأبصار ويثور بعض الشعب ضد جمال أو أبو جمال ... وكسب العادلى الرهان وأصبح رقم واحد مكرر فى أصدقاء جمال خاصة أن تسريبات وصلت إلى القصر أن رجال الجيش المصرى العظيم ضباطاً وجنوداً وقادة لا يوافقون على توريث جمال عرش مصر .

نساء العادلى من مصر إلى لبنان

أقنع العادلى جمال ابن الهانم أنه قادر على قمع أى تمرد وأى حركات معارضة خاصة أن الفرق القتالية عادت من أمريكا بقدرات عالية وأسلحة قنص متقدمة.. يكفى أن يقوم الرئيس بتحييد المشير طنطاوى وعلى الداخلية قتل الشعب فى حال ثورته.. وصدقوه وأطلقوا له العنان وتربع العادلى على عرش الداخلية ملكاً متوجاً وليس مجرد وزير وبدوره أعطى إشارة البدء لمساعديه لمطاردة كل كل من تسول له نفسه أن يعارض التوريث وبقي له من الوقت ما يسمح له بمطاردة النساء والضغط عليهم للطلاق أو تحقيق نزواته وشهواته فانطلق يطارد الزميلة الصحفية إلهام شرشر زوجة أشرف السعد وطارده حتى هرب خارج مصر وطلقها وتزوجها ومن قبلها نساء ومن بعدها نساء ١٠ نساء فى ١٠ سنوات آخرهن شابة لبنانية عمرها ٢٠ سنة أرهقت شيخوخته وهو الذى جاوز عمره ال ٧٠ سنة ومازال يطارد النساء تحت حماية جمال والهانم أمه وحرصاً على مستقبله وتأمين ما بقى منه

وضع العادلى يده على آلاف الأفدنة التى أهداها له محمد سليمان أو اشتراها بملايين أو وضع يد كمحمية البرلس التى تزيد مساحتها عن ٢٠ فدأنا آلت ملكيتها إلى السفاح من غير أن يدفع جنيهاً واحداً ... وهو فى كل هذا فى حماية جمال والهائم أمه على وعد أن يستمر العادلى مخلصاً حتى تتم عملية التوريث بنجاح ..!!

وتحقيقاً لوعد الله " ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم " فقد جاء اليوم الموعد واكتملت ثورة المصريين فى يناير ٢٠١١ م وأسرع العادلى يختبئ فى غرفة عمليات سرية ليدير أشرس معركة مع الشعب المصرى قتل فيها نحو ألف شهيد دهساً تحت عجلات المركبات أو قنصاً بأسلحة أمريكية متطورة وفقد مئات الثائرين عيونهم بطلقات القناصة المديرين ورغم وحشية جنود العادلى انتصر الشعب وهزم الداخلية وكسرورها وحطم كرامتها المزعومة كما كسر شوكتها وأقيل العادلى من منصبه فى ٢١ يناير ٢٠١١ م وفى ٢ فبراير أصدر النائب العام قراراً بمنعه من السفر وقامت الشرطة العسكرية بإلقاء القبض عليه و إيداعه السجن لمحاكمته بجرائم عدة منها جرائم التريخ واستغلال النفوذ وفيها صدر حكم القضاء فى ٥ مايو ٢٠١١ م بالسجن ١٢ عاماً و ما زال يحاكم بجرائم قتل المتظاهرين والشعب يطالب بإعدام العادلى

بأمر سوزان وجمال:

العادلى يصور أشرطة جنسية

لأمراء عرب ومشاهير سياسيين ومبارك يستمتع

حبيب العادلى نسخة من القواد صفوت الشريف فى براعة تجنيد النساء والتنجست بموافقة مبارك ، العمليات القذرة وثقها الكاتب الصحفى عماد فواز فى كتاب وثائقى بعنوان " حبيب العادلى فى غرفة جهنم " وثائق التنظيم السياسى السرى بوزارة الداخلية.

وثائق تنشر لأول مرة فى ستة فصول وهى ٤٥ وثيقة من أمن الدولة تؤكد انتهاك حريات وخصوصية المواطنين وتحقيق مكاسب لصالح عائلة مبارك.

قال مؤلف الكتاب إنه حصل على هذه الوثائق من موظف مدنى بمباحث أمن الدولة احتفظ باسمه.. عندما نشرت عام ٢٠١٠ إحدى الوثائق التى تؤكد مراقبة أمن الدولة للمرشحين للرئاسة وهى وثيقة (لاطوغلى جيت) ٢٠١١ . وقد تم احوالى لنيابة أمن الدولة بتاريخ ١٢ يناير ٢٠١٠ بتهمة نشر مستند كاذب.. واستمر التحقيق معى لمدة يومين فى القضية رقم ١٠١٤ . وأثناء التحقيق عجز جهاز أمن الدولة عن إثبات التزيف وهو فى حد ذاته دليل على صحة المستندات.. كما قدم اللواء "حمدى عبد الكريم" مساعد وزير الداخلية السابق ومدير الإدارة العامة للإعلام والعلاقات العامة والشئون القانونية بياناً أكد فيها أن هذه الوثيقة سليمة وأن المعلومات التى بها صحيحة وتم تسريبها من إدارة مباحث أمن الدولة بمدينة نصر وسوف يتم التحقيق مع المسئول عن التسريب.. ولكنها تعتبر مخاطبات تستخدم فى المكاتب الداخلية بين الضابط وغير مختومة بخاتم شعار الجمهورية.. وبهذا الخطاب تم الإفراج عنى.. ويسقط جهاز أمن الدولة بمدينة نصر فى مارس ٢٠١١ بعد ثورة يناير ودخل المواطنون إلى المقر تبين للعالم كله ما كان يحدث فى جهاز أمن الدولة، واعتبر يوم اقتحام الجهاز شهادة براءتى من تهمة تزيف وتأكيدياً لمستندائى التى نشرتها بالكتاب.

بداية حبيب العادلى فى مباحث أمن الدولة

واحتراف التجسس والتنصت

وكان عمل العادلى فى (القسم العربى) بإدارة المباحث العامة - جهاز مباحث أمن الدولة - ومهمته التجسس والتنصت على الجميع ، وكان العادلى يعتمد فى عمله على تجنيد النساء، وكان بارعا فى تجنيد النساء داخل قصور وقيلات العرب المقيمين فى مصر.. سواء كن خادمات أو مديرات منازل أو مربيات أطفال أو زوجات وشقيقات الشخصيات المراقبة. وقام بتأسيس (القسم الفنى)، وهو قسم معنى بمراقبة هواتف المعارضين والشخصيات العامة والدبلوماسيين والواقدين المقيمين فى مصر وخاصة اللاجئيين السياسيين، وتفرعت أقسام أخرى من القسم الفنى أهمها (قسم شئون الأحزاب) و(قسم التحركات الخارجية) و(قسم شئون

الجامعات). وصلت شهرته إلى الرئيس مبارك الذي كرمه ومنحه نوط الامتياز مكافأة له على جهوده في تطوير جهاز مباحث أمن الدولة.

نظريات العادلى فى المراقبة والتتصت..

أقنع العادلى جميع الوزراء الذين عمل تحت سلطتهم بأن أساليب التتصت وانتهاك حريات وخصوصيات المواطنين أمر طبيعى وضرورى لحفظ أمن البلاد، وهو أمر لا غنى عنه فى جميع أجهزة المخابرات والأمن الوطنى بجميع دول العالم حتى دول الحريات والديمقراطية، وتسمى هذه القاعدة (work outside the box) وترجمتها بالعربية (العمل خارج نطاق الصندوق). اتبع العادلى سياسة (الانفلات الأمنى واللاهذوء) باستخدام البلطجية لافتعال التوترات الأمنية والسيطرة عليها فى الوقت المناسب.

وكان صفوت الشريف هو المحرك بالنسبة لحبيب العادلى، وكان يحدد له الأشخاص المراد وضعهم تحت المراقبة، أو بالمصطلح الأمنى (ركوب هواتفهم)، وكانت العلاقة بين صفوت الشريف وحبيب العادلى قد توطدت لأبعد درجة، وكانا يسهران بشكل شبه يومى فى شقة مملوكة لزكريا عزمى بمنطقة الدقى، لزوم الفرفشة والتسلية والتحدث حول تقارير المراقبة وما جاء بها وما يتم التوجيه به من تكاليف جديدة.

«غرفة جهنم» فى مباحث أمن الدولة..

تحتوى هذه الغرفة على أرشيف من المستندات والفيديوهات والتسجيلات الصوتية التى تمت بموافقة أعضاء التنظيم السرى وهم حبيب العادلى وسوزان مبارك وعلاء مبارك وجمال مبارك وأحمد عز وزكريا عزمى وصفوت الشريف . ثلاثة أماكن فى مصر تحت مسمى (غرفة جهنم) الأولى فى مباحث أمن الدولة بمدينة نصر وهى غرف تشبه فى شكلها "الدكان" مليئة بالأرفف والأدراج، التى امتلأت بالتسجيلات وأشرطة الفيديو والتقارير الخاصة بالمراقبين، هذه الغرفة جزء من إدارة المساعدات الفنية التى تم تجهيزها على أحدث طراز فندقى، بتكلفة قدرها " ٧١ مليون جنيه" - معونة أمريكية بالكامل - منها حوالى ٥٠ مليون

جنيه للأجهزة والمعدات والباقي تم إنفاقه على الإنشاءات والديكورات، وتم تزويدها بأحدث موديلات الأثاث والفرش، وتم تقسيمها -كما هو مبين بالصور- إلى وحدات للضباط "رؤساء الوحدات" ووحدات للمديرين ووحدات للمراقبين على الأجهزة، ووحدة الاستقبال أو صالون الانتظار أو الاستماع واستيرادها من الولايات المتحدة الأمريكية. لتكون جاهدة لضيافة صفوت الشريف وأحمد عز وجمال مبارك وزكريا عزمى والثانية بمجلس الشورى بمكتب صفوت الشريف والثالثة بمقر رئاسة الجمهورية بمكتب زكريا عزمى .

أساليب القسم الفنى للتتصت على المواطنين

أما القسم الفنى أو مكان تواجد الأجهزة التى يعمل عليها الضباط والأفراد فتسمى "إدارة المراقبة والمتابعة" وهذه الإدارة مقسمة إلى وحدات، بكل وحدة خمسة أجهزة أو أكثر، يجلس على كل جهاز أمين شرطة ويتولى رئاسة كل وحدة ضابط - برتبة صغيرة - وكل جهاز بالوحدة يتم توصيل من ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ خط عليه ويتولى الجهاز التقاط المكالمات فور دق جرس الهاتف لدى الشخص المراقب ويقوم بتسجيلها أوتوماتيكيا ثم يشير الجهاز عن طريق رسالة على الشاشة الأم بوجود اتصال مسجل مع الإشارة لاسم الشخص المراقب، وبالتالي فإن كل وحدة من وحدات الإدارة تتولى مراقبة من ٧٥٠٠ إلى ١٥ ألف شخصية، ويوجد بالإدارة حوالى ألفى وحدة تكفى لمراقبة حوالى من ٥ إلى ٢ ملايين شخص، ويتم الاحتفاظ بالتسجيلات المهمة فقط بعد سماعها من قبل الأمناء المكلفين بالاستماع، ومسح الباقي، ثم تعد ثلاثة تقارير كل يوم بعد انتهاء كل وردية من قبل رئيس الوحدة بأهم المكالمات الواردة فى فترة نوبتجيته ورفعها لمدير الوحدات ليرفعها لمدير الإدارة ومنه إلى مدير إدارة مباحث أمن الدولة ومنه لوزير الداخلية، وتتفق هذه الإدارة سنويا حوالى من ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليون جنيه.

تقسيم الشخصيات للمراقبة على حسب رموز "أ، ب، ج"

تقسيم الشخصيات للمراقبة إلى فئات "أ، ب، ج" الشخصيات (الألف) مثل المرشحين شعبيا لرئاسة الجمهورية ونواب المعارضة بمجلس الشعب ورؤساء

الأحزاب ونواب الإخوان وأعضاء مكتب الإرشاد وقيادات الإخوان، وهؤلاء لا يتم تفويت مكالمة تخصصهم دون تفرغها نصياً، وفي الغالب يتولى مراقبتهم وحدتها مراقبة ويتم تسجيل جميع المكالمات.. أما الفئة "ب" فهي نواب الحزب الوطني وقياداته والوزراء والسياسيون والمثقفون الموالون للحكومة وهذه تتولاها حوالى أربع وحدات، ويتم عادة تسجيل المكالمات والاحتفاظ بها لكن التقرير الخاص بها يتم كتابته بشكل ملخص ومختصر، وإذا لم تحمل المكالمة شيئاً مهماً لا يتم إعداد تقرير عنها.. أما الفئة "ج" فهي فئة الشخصيات العامة والصحفيين ورؤساء النقابات وغيرهم من الشخصيات التي يحرص حبيب العادلى على ألا يغيبوا عن سمعه وبصره لكنهم غير خطرين أمنياً ولا يمثلون إزعاجاً للقصر.

محاوير عمليات التنظيم السرى

التنظيم السياسى السرى كان يعمل على محورين، الأول هو المراقبة والتنصت، وهذه المهمة تتم فى مقر إدارة المساعدات الفنية بالمقر الرئيسى لجهاز مباحث أمن الدولة بمدينة نصر، أما المحور الثانى فهو القيام بعمليات الاغتيال والتفجير وصناعة التوتر، وتتم فى إدارة التخطيط والتفويض بالتنظيم بمقر أمن الدولة بجابر بن حيان، والشخصيات الذين يتم التكليف بمراقبتهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم (أ) تتم مراقبة هواتفه (الثابت والمحمول) وأيضا يتم ملاحظته وتتبع تحركاته عن طريق المخبرين والمرشدين، والفئة (ب) تتم مراقبة هواتفهم الثابتة والمحمولة فقط إلا فى بعض الحالات تتم مراقبة مكتبه أو منزله فقط بحيث يتم رصد الزوار أو المترددين عليه كما فى حالة الأحزاب والجماعات المعلوم مقاراتها. وقد برز دور التنظيم السياسى السرى عام ٢٠٠٥ مع موعد مع أول انتخابات رئاسية.

مبارك يهوى مشاهدة الفيديوهاوات

هذه المكالمات والفيديوهاوات تستهوى مبارك جداً، وكان يشاهد هذه التقارير كطقس يومى يمارسه وهو يتناول طعام الإفطار، ويجلس إلى جواره زكريا عزمى، بدون الملاحظات ويشرح لمبارك ما يستدعى التوضيح، وكان مبارك يعتمد على

تقارير حبيب العادلى اليومية ويشجعه عليها ويقول عليه انه يعرف "دبة النملة" فى مصر .

أما جمال مبارك وأحمد عز وصفوت الشريف فكانوا يستمعون ويشاهدون تسجيلات المراقبين فى مقر التنظيم السياسى السرى بالإدارة العامة لمباحث أمن الدولة بمدينة نصر وكان العادلى يستضيف جمال مبارك ورجاله للاستماع ومشاهدة التسجيلات مرة أو مرتين كل أسبوع، وكانت (غرفة جهنم) الموجودة بجهاز مباحث أمن الدولة تحتوى على ملفات لا حصر لها، تخص جميع الموظفين الكبار بالحكومة والشخصيات العامة والنجوم والمعارضين والمؤيدين وجميع أعضاء الهيئة العليا فى جميع الأحزاب بما فيها الحزب الوطنى وجميع قيادات التيارات السياسية والدينية.

سرحريق مجلس الشورى

العادلى حرق مجلس الشورى للتخلص من ارشيف صفوت الشريف بتعليمات من سوزان مبارك حيث بدأت حرب خفية بين كل من صفوت الشريف وحبيب العادلى على الأرشيف الخاص بكل منهما، فكان صفوت الشريف ينوى إعدام أرشيف العادلى وأصبح بمصر غرفتا جهنم ، واحدة يملكها صفوت الشريف فى مجلس الشورى، والثانية يملكها حبيب العادلى، لكن العادلى تمكن عام ٢٠٠٨ من التخلص من غرفة جهنم الخاصة بصفوت الشريف بمكتبه بمقر مجلس الشورى المصرى بوسط القاهرة. فقد أخذ العادلى تعليمات من سوزان مبارك بالتخلص من أرشيف صفوت الشريف بعد شكوى الأمراء العرب لسوزان مبارك عن استغلال الشريف لها فطلبت من العادلى سحب فيديوهات الشريف، وعندما أرسل بلطجية لافتحام مكتب الشريف بالشورى لم يستطيعوا الوصول فأعطى العادلى أمراً للبلطجية بحرق المجلس كله..!

أشهر ملفات غرفة جهنم لصفوت الشريف

أشهر ملفات غرفة جهنم التى تم تسريبها كان (C D) رجل الأعمال حسام أبو الفتوح مع الراقصة دينا، وكذلك نسخة أخرى لحسام أبو الفتوح مع سكرتيرته،

وهذه الملفات تم تسريبها من غرفة جهنم الخاصة بصفوت الشريف بسبب منافسات تجارية بين أشرف صفوت الشريف وبين حسام أبو الفتوح وانتهت المعركة لصالح أشرف الشريف وإلقاء حسام أبو الفتوح في السجن.

مبارك يطلب دخول الإخوان المسلمين لجلس الشعب

ندما رفض مبارك التدخل الخارجى فى سياسة مصر الداخلية وقتها أقنعه صفوت الشريف بأن يستخدم الإخوان المسلمين كفضاعة للغرب وأمريكا، خاصة بعد أن تنامت حالة الرعب من الإسلاميين التى خلقها الإعلام لدى المواطن الأوروبى والأمريكى وتصوير المسلمين على أنهم إرهابيون وسفاكون للدماء، وعلى طاولة مستديرة بقصر الرئاسة جلس مبارك وصفوت الشريف وزكريا عزمى وجمال مبارك وكمال الشاذلى، لرسم خطة إخراس الغرب، وغلق ملف تدخل الغرب وأمريكا فى شئون مصر خاصة نقد تضيق الحريات وتمديد قانون الطوارئ.

أول عملية استثمارية نفذها للتنظيم السرى

وكانت أول عملية استثمارية يستغل فيها جمال مبارك التنظيم، كانت عملية كشفها وثيقة سرية خاصة بالتنظيم تشير إلى حصول جمال مبارك، على نحو ٢٠٠ مليون جنيه عمولة، بنسبة ١٠ فى المائة، من عمليات بيع خمسة مصانع لإنتاج الأسمنت مملوكة للدولة بمبلغ ٢ مليارات جنيه. وقد تم بيع المصانع لشركة «إيسيك» ضمن برنامج خصخصة القطاع العام، الذى قاده رئيس الوزراء الأسبق عاطف عبيد، ليحصل هو الآخر على نسبة ٥ فى المائة لنفسه (بحسب الوثيقة) مقابل إتمام الصفقة بأقل من ربع القيمة الحقيقية للمصانع الخمسة، رغم أنها كانت رابحة.. أوضحت الوثيقة، وهى عبارة عن مذكرة لمراقبة عبيد، أنها تمت بناء على طلب من جمال مبارك لمعرفة الخطوات التى يقوم بها عبيد لإتمام الصفقات وضمن التزام التفاوض بشأن نسبته من الصفقة، والمستند منسوب إلى التنظيم السياسى السرى بوزارة الداخلية، ومؤرخ بتاريخ ١٩ يونيو ٢٠٠١ قبل إتمام الصفقة بثلاثة أشهر، للعرض على السيد الوزير باعتبار أن اللواء حبيب العادلى وزير

الداخلية .

لماذا كل هذا؟!

على وجه اليقين فهذه كلها جرائم ثابتة ينبغي أن يحاكم عليها كل الأطراف سوزان وجمال والشريف وعزى وفى مقدمتهم حبيب العادلى بل ينبغي أن يحاكم بسببها حسنى مبارك الذى سمح بانتهاك الخصوصيات والحرمان تحت زعم الأمن القومى بينما ذلك مخالفة صريحة وانتهاك فاضح لحقوق الإنسان.. وأسلوب رخيص فى الابتزاز وتركيع المسئولين والوزراء والمعارضين والسياسيين وكبار الضيوف العرب حتى الأمراء منهم.. والآن يستفيد العادلى من هذه الأشرطة المهرية إلى سويسرا للضغط على الحكام العرب والأمراء للاستفادة من أى تبرئة أو عفو لمبارك وإلا سيفضحهم.

.. الشعب يريد إعدام العادلى

جمال تجارته وثروته

الحديث عن ثروة جمال مبارك لا ينفصل عن الحديث عن ثروة شقيقه علاء وأمه سوزان ووالده حسنى بحال من الأحوال .. فالأسرة كلها تكلف فريق عمل متكامل متعاون لنهب مصر وتجريف ثرواتها من غير استثناء، فالوالد تاجر سلاح وشريك لحسين سالم فى بيع مصر لإسرائيل وأمريكا وجمال يتاجر بديون مصر ويتربح ثم يئن علينا أنه يضحى من أجلنا فإذا ما تعب من رائحة أرباح تجارة الديون انتقل إلى تجارة الحديد مشاركة مع أحمد عز والأرض مع إبراهيم سليمان والقصور مع حسين سالم وأصبح جمال وشقيقه علاء شريكين فى كل توكيل عالمى أو محلى وكل شركة مهما صغرت حتى قهوة عم سيد السكران بالعباسية ربما كان جمال شريكاً فيها أو شقيقه، وتندر الشعب وتفكه و أطلق نكاته يسخر من الرئيس و أولاده مثلاً :

- الرئيس يعاتب حسب الله الكفراوى وزير الإسكان والتعمير : إنت مزعل جمال

ليه يا حسب الله؟!

- حسب الله : والله ياريس جمال بيه طلب شقة فى العاشر خصصت له وطلب

شقة فى ٦ اكتوبر خصصت له لكنه طلب منى يفتحهم على بعض!

ويضحك الشعب ويسخر ويرسل بلاغات لمن يهمله الأمر إنه شايف كل تحركات العائلة وهى تسرق مصر لعله يمنع أو يدفع عن مصر الضرر وعاد الشعب يطلق نكاته: خرج مبارك يتفقد محافظات مصر فى جولة مسرحية .. فكلما سأل عن صرح عظيم ما هذا؟.. قالوا ده مصنع جمال يا ريس..

- وإيه المنتجع ده فندق جمال ياريس.. وإيه المنتجع ده؟

ده إنما اتجاز جمال يا ريس

- فيضحك مبارك من قلبه ...

عفريت جمال ده ..

قدر يعمل كل ده من مصروفه

ولم يتحرك أحد ضد جشع الرئيس وأولاده وزوجته التى أنشأت عشرات الجمعيات الأهلية وفتحت أبواب التبرعات المحلية والدولية وبلغت ملايين الدولارات لم يصل منها دولار واحد لجمعية واحدة حتى مكتبة الإسكندرية التى ترأست مجلس أمنائها زوراً وبهتاناً بدون استحقاق لها ، تصرفت سوزان فى تبرعاتها كأنها ملكية خاصة وحولت كثيرا منها لحسابها حتى قامت الثورة فى ٢٥ يناير ٢٠١١ م فتم ضبطها متلبسة بسرقة ١٠ ملايين دولار من تبرعات المكتبة وأجبرت على ردها فوراً. لم يكن علاء مبارك أقل نهما من عائلته فقد أعطى ظهره للسياسة وأقبل على التجارة المحرمة محلياً ودولياً فتاجر فى كل شىء .. كل شىء حتى أعراض المصريين.

حكاية علاء

مع الإدمان وتحطيم شريهان

وقد لا يعلم كثير من الناس أن علاء مبارك مر بأخطر تجربة فى الإدمان فقد جرفته شلة السوء من أصدقائه وبعض الساقطات إلى مستنقع الإدمان .. ليس الحشيش ولا الأفيون وإنما الهيروين ، وضاع علاء أو كاد يضيع ويقيت له شمة وَيخرج من سباق الحياة، حينئذ اتخذت أمه قراراً بعلاجه فى بريطانيا وبالفعل تم

الاتفاق مع إحدى المصحات المتخصصة، قام بالاتفاق الفريق حسن أبو سعده سفير مصر فى لندن آنذاك وسافرت سوزان بصحبة علاء وعادت بعد أيام بعدما انتظم فى العلاج ..

تروى هذه القصة السيدة المذيعة القديرة سهير الأترى حرم السفير الفريق حسن أبو سعده بوضوح وكنت صديقاً مقرباً لها - ولا أزال - فلما تخطاها صفوت الشريف فى التعيين كرئيسة للتليفزيون عام ١٩٨٨م حزنت و غضبت وأشاء وجودى معها لمناقشة بعض مشاكل برنامجى على القناة الثانية «الدين والحياة» - سألتنى تفتكر.. تخطونى ليه؟.

طيب إذا كان ده قرار صفوت الشريف.. ليه الهانم سوزان ما تدخلتش هيا نسيت جمالى معاها؟.. عارف يا تهامى والله العظيم كنت بشتغل دادة لابنها جمال ما هو كان مدمن ؟... .. والهانم سلمته لى فى لندن.. كل يوم الساعة العاشرة صباحاً أصبحبه للمصحة وأعود به فى الثالثة عصرًا.. كل يوم يا تهامى لما هد حيلى..!

قلت لها سأدعو لك بالكعبة وستكونين رئيسة للتليفزيون، وقد كان وعاد جمال بحد ٣ سنوات من لندن وقد تعافى بعض الشئ وأمر أبوه بأن يشغله فى أى بيزنيس سريع المكسب ليعرف حلاوة الثراء وشغله أو حاولوا بينما كان هو مجنون شريهان الفنانة الاستعراضية الشهيرة التى قدمت فوازير رمضان بنجاح ساحق بعد نيللى وظل يطاردها داخل استوديوهات التصوير ويأخذها عنوة بعد وقف التصوير والمخرج فهمى عبد الحميد يلطم الخدود ويشق الجيوب بعد أن تخرج شريهان مع جمال من ماسبيرو فى الثانية صباحاً... وظل يطاردها حتى أحست بالخطر فحاولت الانسحاب من حياة جمال فكان عقابها حاداً مروعاً فقدت فيه شريهان مستقبلها الفنى والصحى تماماً....

تاجر الديون

كما قلت جمال تاجر فى كل شئ وتريح من كل شئ الأرض والعرض والدماء والديون والعمولات، وتذكر-التقارير الاقتصادية ان مصر بعد حرب الخليج خرجت

بتسوية ١٤ مليار دولار من ديونها كمكافأة على تحرير الكويت حصل جمال مبارك على عمولة ٧ مليارات منها.. منتهى الوطنية والتفانى فى حب مصر!!
لكن تبقى جريمة الاتجار فى ديون مصر أسخفت الجرائم وأثقلها على النفس لأنها تعنى ببساطة الاتجار بعرض مصر..!

الدكتور صلاح جودة مدير المركز المصرى للدراسات الاقتصادية يرصد هذه الجريمة فيقول: تجارة الديون وشراؤها ببساطة تتمثل فى أن تقوم الدولة الدائنة ببيع الصكوك بأسعار رخيصة للدولة المدينة، حيث تعلم أنها لن تستطيع أن ترد إليها الدين كاملاً وهنا قام كل من جمال مبارك وإبراهيم كامل بشراء الصكوك بنسبة تخفيض تبلغ ٤٠ فى المائة، ورغم علم رئيس الحكومة عاطف صدقى، ورئيس البنك المركزى إسماعيل حسن، ويسرى مصطفى وزير الاقتصاد بهذا الأمر إلا أن الحكومة والبنك المركزى كانا يعتمدان هذه الصكوك بنسبة ١٠٠ فى المائة، وبالتالي يحصل كل من جمال مبارك، وإبراهيم كامل على نسبة الـ ٤٠ فى المائة وكانت تصل أحياناً إلى ٦٠ فى المائة، واستمرت التجارة فى الديون الخارجية لمصر فى الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥.

حتى وصل حجم الأرباح التى حققها جمال مبارك وإبراهيم كامل وبعض الشخصيات القليلة التى كانت تساعدهما إلى حوالى ٣,٥ مليار دولار. وعندما علم شخص اسمه أحمد صلاح الدين بأن هذه التجارة مربحة لهذا الحد، وكان يمتلك فى مصر شركة لتجارة حديد التسليح قام من خلال علاقاته ببعض الشخصيات المهمة فى إيطاليا بشراء جزء من مديونية مصر لديها، بما يعادل ١٢ مليون جنيه مصرى، وأخذها بنسبة خصم ٣٥ فى المائة، وعندما طالب الحكومة والبنك المركزى بأن يحصل على النسبة كاملة، كما كان يفعل جمال مبارك وإبراهيم كامل رفضت الحكومة، لأنه لم يكن ابناً للرئيس ولا رفيقاً له ووصل الأمر إلى أن الحكومة رفضت الاعتراف بهذا الدين، ليضطر «صلاح الدين» فى النهاية لبيعها إلى إبراهيم كامل بأسعار زهيدة، وأصيب على إثر تلك المشكلة «صلاح الدين» بالشلل وتدهورت حالته الصحية إلى أن توفى.

الرفض كان بدافع من جمال وشريكه إبراهيم كامل تأكيداً على أن تلك المنطقة محرمة ومحجوزة فقط لكامل ونجل رئيس الجمهورية، وفي المقابل كانت مكافأة د. عاطف صدقى بالموثوق في رئاسة الوزراء لمدة تسع سنوات، كما استمر د. يسرى مصطفى وزيراً للاقتصاد لنفس المدة.

عمولة الكويت

في العام ١٩٩١ كان هناك عرض من البنك الدولي والمؤسسات الدولية في نادي باريس بأن يتم تخفيض ١٤ مليار دولار من مديونية مصر وبالفعل تم الإعلان عن تخفيض ٧ مليارات دولار، بينما الـ ٧ مليارات الأخرى تتفاوض عليها جمال مبارك حتى يأخذ عمولته منها، وكان هذا العرض بعد وقوف مصر مع الكويت في حرب الخليج الثانية، التي دارت بين العراق والكويت، حيث إن تخفيض وتسوية تلك الديون بمثابة المكافأة لمصر على وقوفها مع الكويت في حرب الخليج الثانية ضد العراق.

وفكرة المتاجرة في ديون مصر جاءت من خلال شركات توظيف الأموال، فعندما أعلنت الجرائد القومية الكبرى في مصر عن الاتحاد القائم بين رجل الأعمال المعروف أحمد الريان، وأشرف السعد في مايو ١٩٨٨ وكانت رؤوس أموالهما مبنية على أسس إسلامية، اجتمع حينها عاطف صدقى رئيس الوزراء وزكى بدر وزير الداخلية وقتها، ومحمد حسن فحج النور الذي كان يرأس هيئة سوق المال من أجل مواجهة هذا الاتحاد بين السعد والريان وخرجوا بقانون "تلقي تنظيم توظيف الأموال" رغم أنه لا توجد شركة منذ وضعه إلى الآن تلتزم به لشروطه القاسية. وكانت شركة الهلال لتوظيف الأموال تأتي في المرتبة السادسة من ضمن شركات توظيف الأموال على مستوى العالم، وكان يرأسها المهندس محمد عبدالهادى كمال حسن، وهو شخص مثقف ويتمتع بعلاقات واسعة مع عشر دول أفريقية من بينها «ناميبيا»، ومحمد عبد الهادى هذا هو من فكر في تجارة الديون الخارجية في الفترة من ١٩٨٥ وحتى ١٩٨٨ من خلال شراء الديون المستحقة على مصر لدولة ناميبيا التي تجمعها برئيسها علاقة جيدة. فكان يقوم بواسطة شركة الهلال لفسيل

الأموال التي يمتلكها بتجميع أموال المصريين واستثمار ٢٥ في المائة منها داخل مصر، وتوجيه الـ ٧٥ في المائة الأخرى في تجارة الديون الخارجية، وكان يحقق أرباحاً طائلة، واستمر الأمر هكذا إلى أن تم القبض عليه في ١٩٨٨ والتحقيق معه في ١٩٩٠ وهنا درست الحكومة ورئيس وزرائها هذه المتاجرة ودفع د. عاطف صدقي بإبراهيم كامل لكي يزور «عبدالهادي» في السجن، ليفهم منه قصة المتاجرة في الديون الخارجية، وعرض عليه أن يخرج من السجن ويمارس نشاطه المعتاد مقابل نسبة ٢ في المائة على أن يأخذ هو وجمال باقى الأرباح، لكنه رفض فبقى في السجن لمدة ١٢ عاماً ومن هنا جاءت فكرة المتاجرة بالديون الخارجية لمصر، حيث اقترح إبراهيم كامل المتاجرة في الديون الموجودة فعلياً على مصر، وساعده يسرى مصطفى، وعاطف صدقي، وإسماعيل حسن، وزودوه بكل المعلومات اللازمة لذلك. وخلال تلك الفترة لم يكن أى فرد يعلم شيئاً عن جمال مبارك سوى أنه يعمل في إنجلترا في «بنك أوف أمريكا».

في ١٩٩٤ أجرى نقيب الصحفيين في ذلك الوقت مكرم محمد أحمد حواراً مع الرئيس السابق مبارك في مجلة المصور، بمناسبة أعياد ٦ أكتوبر، وسأله عن أن هناك شائعات تقول إن جمال يتاجر بديون مصر، فأجابه مبارك: «هو بيتاجر بالديون لصالح مصر»، وكان إبراهيم كامل هو من علم جمال المتاجرة في الديون وليس أحمد عز، حيث أن بداية لقاء جمال مبارك مع أحمد عز كانت في ١٩٩٧.

كما أن يوسف بطرس غالى، يعد الشخصية الثانية التي علمته التجارة بعدما فرضه صندوق النقد الدولي على مصر، وعمل وقتها مستشاراً للمتابعة لدى رئيس الوزراء عاطف صدقي في ١٩٩٤ ويحكم منصب غالى كان أحياناً يتابع مع جمال مبارك عملية المتاجرة بالديون، كما كان يساعده بعلاقاته الواسعة بحكم عمله السابق في صندوق النقد الدولي، وقبل أن يعود جمال إلى مصر في ١٩٩٦ أسس غالى شركة «ميد إنفست منت» التي جمعتها مع إبراهيم كامل وحسين سالم بتعليمات من مبارك لخبرته في التجارة بأوروبا، وكان رأسمال تلك الشركة موجوداً في مقاطعة لوجان بسويسرا ووصل إلى ٥٠ مليون جنيه استرليني دفع

حُصصه إبراهيم كامل، وحسين سالم، بينما كان جمال شريكاً لأنه ابن رئيس الجمهورية بحصص مهداة من سالم وغالى. وعاد بعدها بالفعل جمال مبارك إلى مصر واستقر بها منذ ٣ يناير ١٩٩٦ قبل تشكيل وزارة الجنزورى بيوم واحد، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة فى صعود جمال مبارك فى مجال "البيزنس" قبل أن يتجه للعمل السياسى.

بيان الكسب غير المشروع رسمياً

أصدر المستشار عاصم الجوهري مساعد وزير العدل لشؤون جهاز الكسب غير المشروع بياناً تفصيلياً للرأى العام، يرد فيه على المعلومات التى ذكرها الدفاع عن علاء وجمال مبارك (نجلى الرئيس السابق حسنى مبارك) تعقيباً على ما أعلنه الجهاز مؤخراً من أنه تلقى من السلطات السويسرية ما يفيد امتلاكهما لأرصدة مالية تقدر بما يعادل ٢ مليار جنيه.

قال الجوهري، إن ثروة جمال وعلاء ٣٥٢ مليون دولار وأن علاء يملك ٣٠٠ مليون وجمال ٤٤ مليون دولار فى بنك، و٨ ملايين فى بنك "تانتى".

وأشار إلى أن جمال وعلاء يمتلكان حصة فى شركة «يونيون قبرص»، وحصة شركة «أيجيب بون»، وشركة efg بالإضافة إلى محفظة أوراق مالية مباحة من إحدى الشركات المالية للسمسة.

وقال إن خديجة زوجة جمال مبارك لديها أرصدة ببنك "إتش سى بى سى (٣٥ ألف يورو).

وأكد المستشار عاصم الجوهري رئيس اللجنة القضائية لاسترداد الأموال المصرية المهربة فى الخارج أنه لا توجد شبهة انتهاك لسرية التحقيقات التى يجريها جهاز الكسب غير المشروع فى شأن مبلغ ٣٥٢ مليون دولار المودعة ببنوك سويسرا من جانب علاء وجمال مبارك.

وأشار إلى أن الإعلان عن امتلاكهما لذلك المبلغ مرجعه إصدار أمر بمنعهما ووالدهما الرئيس السابق حسنى مبارك ووالداتهما سوزان ثابت وزوجتيهما هايدى راسخ وخديجة الجمال وأبنائهما من التصرف فى كافة أموالهم المنقولة والسائلة

والعقارية بتاريخ ١٦ أكتوبر الماضى، وهو الأمر الذى يصدر علنا بإحالة للجهات المختصة للتنفيذ على نحو ينفى تماما شبهة إفشاء وقائع سرية عن التحقيقات التى يباشرها جهاز الكسب غير المشروع معهما.

وأضاف المستشار الجوهري - فى مؤتمر صحفى - أن أمر منع التصرف فى الأموال والممتلكات الذى يصدر من جانب جهاز الكسب غير المشروع تخطر به جهات الشهر العقارى فيما يتعلق بالعقارات، والبنوك وفيما يتعلق بالأموال السائلة، وذلك إعمالا لموجبات أمر المنع من التصرف عملا بالمادة العاشرة من قانون الكسب غير المشروع، وأنه قد تم بالفعل إخطار تلك الجهات.

وعالميا

نشر الموقع الإلكتروني لشبكة إيه بى سى نيوز news abc تقريراً حول ثروة آل مبارك، قدرها بما يتراوح بين ٤٠ و ٧٠ مليار دولار، حسب أغلب المصادر. موضحاً أنه قد تم جمعها بصفة أساسية من عقود التسليح، عندما كان مبارك ضابطاً فى القوات الجوية، ثم قام فى النهاية بتوزيع استثماراته على عائلته عندما صار رئيساً فى عام ١٩٨١ بحسب خبراء.

ونقل الموقع عن أمانى جمال، أستاذ العلوم السياسية فى جامعة برينستون، قولها إن تلك التقديرات تتسق مع التقديرات الخاصة بالثروات الهائلة التى يمتلكها زعماء بلدان الخليج. وأوضحت: "تراكمت أرباح المشروعات التجارية من خدمته فى القوات المسلحة وفى الحكومة إلى ثروته الخاصة.. فقد كان هناك الكثير من الفساد وتحويل للموارد العامة إلى المنافع الشخصية فى هذا النظام".

واستطردت أن معظم الأصول التى يمتلكها مبارك توجد فى بنوك خارج مصر، وعلى الأرجح فى المملكة المتحدة وسويسرا. وأوضحت: "هذا هو النمط الذى يعمل وفقاً له الحكام المستبدون فى الشرق الأوسط حتى يضمنوا ألا يتم أخذ ثرواتهم عند انتقال السلطة.. فهم يخططون لهذا".

كما استطاع مبارك وزوجته وابناه تجميع ثروة عن طريق عدد من الشراكات التجارية مع الأجانب، بحسب كريستوفر ديفيدسون، أستاذ سياسات الشرق

الأوسط، في جامعة دورهام بإنجلترا. موضحاً أن القانون المصرى يتطلب أن يمنح المستثمرون الأجانب للشريك المحلى ٥١% من أسهم الشركة فى معظم المشروعات. وقال ديفيدسون إن الأرقام الخاصة بثروة أسرة مبارك (١٧ ملياراً لمبارك نفسه، و١٠ ملايين لابنه الثانى جمال، و٤٠ ملياراً للأسرة) هى مجرد تقديرات "فبالطبع، حسابات البنوك فى سويسرا سرية، لذا لا يمكننا الوصول للصورة كاملة".

ومن جانبه قال علاء الدين الأعصر، مؤلف كتاب: الفرعون الأخير: مبارك والمستقبل الفامض لمصر فى عصر أوباما، إن آل مبارك لديهم العديد من القصور فى مصر، بعضها تركه الرؤساء السابقون والملك، والأخرى بناها بنفسه. وأضاف: "مبارك يعيش حياة مترفة بامتلاكه للعديد من المنازل فى أنحاء البلاد". ويقدر الأعصر ثروة آل مبارك بما يتراوح بين ٥٠ و٧٠ مليار دولار. وأضاف: "جمال وعلاء شريكان فى الشركات التجارية والصناعية الكبرى فى مصر، وهم من الناحية العملية لا يساهمان بشئ". واستطرد: "لدى الابنين أسهما فى سلسلة مطاعم تشيليز (فى مصر) ووكلاء شركات هيونداى وسكودا لصناعة السيارات، وشركة فودافون للاتصالات، والعديد من الفنادق الفخمة.

ويحسب تقرير مركز آى إتش إس جلوبال إنسايت، تمتلك عائلة مبارك أملاكاً فى لندن وباريس ومدريد ودبى وواشنطن ونيويورك وفرانكفورت.

وأشارت الشبكة فى تقرير لها: لكى نتفهم دوافع الشباب المصريين للثورة يجب علينا أن نأخذ فى الاعتبار الأرقام المتعلقة بتمسيتهم إلى المجتمع ونسبة البطالة لديهم. وتشير التقارير إلى أن نسبة الشباب تحت سن ٢٥ عاماً فى مصر تبلغ ٥٢% ومن بينهم ٢٥% عاطلون عن العمل.

برلمانيا

صرح النائب البرلمانى بمجلس الشعب أنور عصمت السادات بندوة مركز العدالة الاجتماعية أن ثروة جمال مبارك بالمملكة المتحدة - لندن - وقبرص تفوق ٧ مليارات دولار.. وقال: سافرت مع وفد برلمانى مصرى إلى لندن وقبرص وجنيف بتكليف رسمى من رئاسة مجلس الشعب للبحث والتحرى عن ثروات أبناء مبارك

وتأكدنا بما لا يدع مجالاً للشك أن جمال مبارك - وحده - يشارك في صناديق استثمار ومشروعات تجارية تقدر بـ ٧ مليارات دولار تقريبا.

صحفيا

نشرت مجلة آخر ساعة المصرية تحقيقا مصورا تحت عنوان:

منجم السكرى شاهد على سرقة آل مبارك.

أهم ماجاء فيه على لسان حمدي القاضى رئيس قرية البضائع بمطار القاهرة وبعض العاملين بالمنجم:

كميات الذهب التى يتم جلبها من منجم السكرى بمرسى علم بالبحر الأحمر لتصديرها إلى كندا بهدف تنقيتها لا تعود إلى ميناء القاهرة الجوى مرة أخرى وأنه خلال الفترة الماضية خرجت كميات كبيرة من الذهب الخام عن طريق الجو إلى كندا لتنقيتها ودمغها بالدمغة العالمية، لكنها لم تدخل البلاد عن طريق الجو، كما لم يتم الإعلان عن عودتها مرة أخرى للبلاد عن طريق الموانئ البرية أو البحرية.

وأضاف أنه رغم صدور قرار بحظر تصدير الذهب المصرى، إلا أن القرار تم إلغاؤه مرة أخرى وعادت الأمور إلى طبيعتها، وكل ما يلزم شحنات الذهب للخروج من البلاد هو موافقة مصلحة الدمغة والموازين، وهيئة الثروة المعدنية بوزارة البترول، وهو ما تم بالفعل على جميع الشحنات التى خرجت من مطار القاهرة الدولى عن طريق قرية البضائع.

يشار إلى أن شحنات كبيرة ومتعددة خرجت من ميناء القاهرة الجوى بشكل دورى على مدار الشهور الماضية كان من بينها شحنة بوزن ٥٠٢ كيلوجرامات، تبعتها شحنة أخرى بوزن ٤٠٠ كيلو، وتم شحنها مباشرة إلى كندا عبر الخطوط الجوية الفرنسية، وغيرها من الشحنات بأحجام متقاربة.

ومنذ الإعلان عن منجم جبل السكرى عام ٢٠٠٥ وتأكيد سامح فهمى وزير البترول السابق والمحبوس على ذمة قضايا فساد مالى بعد الثورة أن جبل السكرى نقلة اقتصادية كبيرة فى مصر ورغم إعلانه مرارا وتكرارا أن إنتاج منجم السكرى

سوف يكون عام ٢٠٠٩ . انتظرنا وجاء عام ٢٠٠٩ ولم تظهر بوادر جبل السكرى ولم نسمع عن أى ذهب خرج منه وتم التكتم على الموضوع لدرجة أنه منع النشر أصلا عن هذا المنجم لكن يحزننى فعلا أن شركة سنتامين مصر المحدودة تعلن أنه تم صب أول قطعة ذهبية من مشروع ذهب السكرى يوم الجمعة ٢٦ يونيو ٢٠٠٩ . وذلك على صفحة الويب الخاص بالشركة . وفى مصر لم يحتفل شعب مصر بهذا الإنجاز الذى يضع مصر على مصاف الدول المتقدمة اقتصاديا ومر إنتاج أول قطعة مرور الكرام ورفض المسئولون الاحتفال بإنتاج أول قطعة ذهبية خوفا من أن يعلم الشعب ذلك ويطالب بحقه فى ذهب السكرى والدليل أننا نجد جبل السكرى منطقة محظورة على أى مواطن مصرى قبل الثورة وبعد الثورة .

كانت بداية الأزمة فى جبل السكرى عندما دخل العاملون فى منجم السكرى لاستخراج الذهب بمرسى علم فى إضراب مفتوح عن الطعام حتى يشعر بهم أولو الأمر للسيطرة على المنجم وإنقاذ ثروة مصر من النهب .

وقد صرح أحد العاملين بالمنجم بأن مطالبهم ليست شخصية بالمرّة وإنما صرختهم للمسئولين سواء كانت وزارة البترول والثروة المعدنية أو قوات الجيش لتولى أمر المنجم الذى يحتوى على ثروة ربما تضع مصر فى ترتيب الدول الأكثر غنى فى الشرق الأوسط على حد قوله . ما أثار الريبة لدى العاملين هو رؤيتهم لسيارات تأتى ليلا ثم تغادر دون أن يعلموا وجهتها ولا حتى سبب مجيئها، وزاد رعبهم على ثروة مصر من الذهب أن اكتشفوا بالصدفة صورة لمجموعة من العمالة الأسترالية التى تدير المنجم بجوار عرق ذهب ضخّم ولا يعلم أى من العاملين المصريين عنه شيئا مما يثير مخاوفهم من وجود عمليات نهب منظم للمنجم .

وقال العمال المصريون إن المنجم بدأ إنتاجه منذ سنتين ويبلغ طول الجبل ٥٠٠ متر وحفر بعمق ١٨٠ مترا بالإضافة إلى الذهب الموجود داخل عمق الأرض وأن الشركة المتعاقدة مع وزارة البترول أسترالية وأقل راتب لأى أجنبى لا يقل عن ٢٠ ألف دولار ، ومصروف جيب ٢٠٠ جنيه يوميا وكذلك لهم سلطة الدخول لكل

منطقة فى المنجم دون المصريين الذين لا يستطيعون الدخول إلا لمناطق معينة لا يتعدونها، وهذا مايشير الشك لدى العاملين المصريين .

والسكرى يستخرج منه يوميا فى المتوسط ذهب قيمته مليار دولار ولهذا كان عمر سليمان يندب ويقول إن خسائر مصر يوميا مليار دولار أثناء الثورة وتم إنشاء مصنع للذهب فى جبل السكرى وتكلفة المصنع ٢٠٠ مليون دولار وبدأ الذهب فى هذه المناجم منذ عام ٢٠٠٥.. وقد بدأ الإنتاج ضعيفا وكان ينتج ذها قيمته سنويا ١٠٠ مليار دولار ومع افتتاح توسعات واستيراد آلات حديثة تطور الإنتاج من بداية عام ٢٠٠٩ وأصبح المصنع ينتج سنويا ذها قيمته ٣٥٠ مليار دولار. ولا دولار يدخل خزينة الدولة أو الموازنة العامة والإنتاج المعلن عنه يقدر بالأوقيات وليس بالطن وبحسب ما تقوله الدولة أنها أنتجت أقل من طن ذهب منذ بداية افتتاح المنجم حتى اليوم سعر طن الذهب ٥٠ مليون دولار.

وتكلفة مصنع السكرى ٢٠٠ مليون دولار على أساس أننا شعب ساذج سنصدق أن حسنى مبارك سينفق ٢٠٠ مليون ويستفيد من وراهم بخمسين مليونا ويخسر ٢٥٠ مليون دولار.

وتقارير أخرى نشرت فى أمريكا تقول إن المخابرات الأمريكية رصدت إجمالى المبالغ والثروات التى تم تهريبها من مصر خلال أيام الثورة وحتى اليوم وقدرتها بمائتين وخمسين بليون دولار.

نادر موسى رئيس جمعية المغتربين فى أمريكا تكلم عن نفس الموضوع عدة مرات وأعلن أن ماتم تهريبه من ثروات مصر لبنوك أمريكا وحدها منذ الثورة وحتى اليوم يتجاوز ٢٥٠ بليون دولار، المبلغ خرافى ويستحيل أن يخطئ الأمريكان فى تقدير ثرواتها المسروقة وإلا أصبحوا أضحوكة فى كل الدنيا.

٢٥٠ بليوناً لو وزعت بالتساوى فسوف يحصل كل مواطن مصرى على ٢٠٠ ألف دولار نصيب كل رجل أو امرأة أو طفل أو عجوز أو رضيع سواء مسلم أو قبطى أو مؤمن أو كافر هو ٢٠٠ ألف دولار.

والسؤال: كيف يخرج الذهب من مصر؟

عندما سألنا المسؤولين لماذا يتم شحن الذهب للتنتقية خارج البلاد وخصوصا (كندا) ولماذا لا تتم تنقيته في مصر؟ خرجت تصريحات مصطفى كمال مندوب مصلحة الدمغة والموازين الذى يحضر عملية صب وشحن الذهب بأنه لكي تتم تنقية الذهب داخل مصر يشترط أن توجد ٦ مناجم على الأقل تنتج إنتاجا حقيقيا. وفى هذه المرحلة يوجد مندوبو مصلحة الدمغة والموازين لأخذ عينات من كل سبيكة وتحليلها فى معمل الشركة واستخراج شهادة بنتائج التحليل.

وصرح أيضا أحمد إمام، مندوب مصلحة الدمغة والموازين أن سبيكة الذهب يتم وزنها ثلاث مرات قبل أخذ العينة وبعدها وهى قائمة كذلك يتم ختمها بثلاثة أختام ثم تأتى بعد ذلك إجراءات شحن وتأمين الذهب الذى تقوم به شركة أمانكو وهى الوكيل المصرى لشركة بريمكس العالمية للتأمين ترافقها قوات من شرطة مرسى علم والجيش والأمن القومى وتستخدم فى سبيل ذلك سيارة ألمانية الصنع مصفحة ضد الرصاص والأسلحة النارية.

الجارديان:

ونشرت صحيفة "الجارديان" البريطانية أن إجمالى ثروة عائلة الرئيس حسنى مبارك يمكن أن تصل إلى ٧٠ مليار دولار نقدا بالبنوك السويسرية، والبريطانية، والأمريكية، بالإضافة إلى ملكيتها لعقارات فى لندن، ونيويورك، ولوس أنجلوس، بالإضافة إلى منتجات على البحر الأحمر، معظمها من فرض شراكة جبرية على الشركات الأجنبية.. كما أشارت تقارير دولية، إلى أن ثروة عائلة الرئيس مبارك تتراوح ما بين ٤٠ و ٧٠ مليار دولار.

ونقلت الصحيفة عن محللين بالشرق الأوسط، قولهم إنه بعد ٢٠ عامًا فى الحكم، فإن الرئيس مبارك كان يحصل على مئات الملايين من الدولارات من صفقات استثمارية، ومعظم تلك الأرباح كانت تحول إلى حسابات سرية فى بنوك أو يتم استثمارها فى أصول وفتادق.

ابحث مع الشعب

أموال آل مبارك.. فى جيوب «الطرف الثالث»

وفى نافذتها حكاية من مصر كتبت الزميلة ثناء رستم:

• فى ٧ فبراير ٢٠١١ نشأت فكرة إنشاء المجموعة المصرية خلال أسبوع التحدى لاسترداد ثروة مصر وأعلن عنها وقتها الأمين العام للمجموعة د محمد محسوب ومعه د. حسام عيسى ود. فؤاد رياض والمستشار علاء قطب وغيرهم من رجال القانون وعدد من الفنانين ونجحت المجموعة بمساعدة المصريين فى الخارج وبعض المسئولين من بعض الدول التى يهملها ألا تتهم بالتستر على جريمة نهب أموال المصريين من أن تقوم فرنسا بقرار تجميد أموال المسئولين المصريين المتهمين بالفساد أو التابعين لنظام مبارك واتخذ قرار التجميد فى ١٤ فبراير ٢٠١١ ونجحت المجموعة فى جمع ما يقرب من ٦٠٠ مستند تؤكد على سرقة أموال مصر هذا إلى جانب نجاح المجموعة فى الكشف عن وجود أرصدة لمبارك ورموزه بلغت ٤٥٠ مليون فرنك سويسرى إلى جانب حسابات فى لندن وقبرص .

كانت المطالب وقتها شديدة الوهج وكانت مساحة التفاوض هائلة فمبارك قد تم خلع ونظامه تهاوى وأموال مصر المنهوية تحتاج لمن يطالب بها، وأبدى العديد من الدول بفعل الانبهار بالثورة المصرية استعدادها لرد الأموال والكشف عنها بعد تشكيل اللجان المتخصصة، ومع الوقت وخروج مبارك إلى شرم الشيخ والشهور التى فصلت ما بين إقامته فى شرم وتقديمه للمحاكمة بدأ كثير من خيوط هذه الثروات تختفى مع الوقت إلى جانب ما تردد عن خروج زوارق من محل إقامة المخلوع فى شرم محملة بالأموال والذهب واختباء كثير من الثروات بين حسابات واستثمارات بعض الأمراء المحبين لمبارك وأبنائه وما قيل عن تردد سوزان ثابت على قصرها بالعروبة بعد التنحي وخروجها بعدد من الصناديق المغلقة واحتفاظها بكل مجوهراتها التى يصل تقديرها إلى حوالى ٥٠ مليوناً لا يعرف أحد من أين أتت بها ولم تتعرض للحظة واحدة من مجرد الشعور بالخوف من مصادرتها كما حدث مثلاً مع أمراء العائلة المالكة بعد ثورة ٥٢ فى مصر وتم مصادرة مجوهرات العائلة وهى نفس الثورة التى بسببها كان مبارك بعدها بسنوات حاكماً لمصر ولكنه

نجا ومعه أسرته حتى الآن من خسارة كل ما جمعه من الشعب المصرى الذى بسببه حمل لقب أفقر شعب به أغنى رجال فى العالم.

ما كان يحلم به المصريون من استرداد أموالهم المنهوبة لحل مشكلات البطالة لم يكن سوى وهم كبير فلم يضع أحد فى الاعتبار وجود متواطئين مهمتهم إخفاء آثار الأعياب مبارك، فالطرف الثالث المسئول عن قتل المتظاهرين يبدو أنه هو نفسه الذى يتولى عملية إخفاء أموال مبارك ونظامه البائد. وبحسب بعض التقديرات وصلت البطالة إلى مستويات مرتفعة فنسبة عدد الشباب تحت سن ٢٥ تبلغ ٥٢% من عدد تبلغ نسبة البطالة بينهم ٢٥% هذا بجانب الفقراء فى مصر وسكان العشوائيات الذين لم تصل إليهم الثورة حتى الآن حتى ولو بالوعد ووضع خطة ما لتحسين أحوالهم وفكرة استرداد الأموال المنهوبة من الطغاة هى فكرة ليست خرافية ونجحت بعض الشعوب التى أزاحت الطغاة فى تحقيقها والفرق الوحيد بيننا وبينهم أن الثورة والمسئولين عليها نفذوا بالفعل ووضعوا فكرة استرداد أموالهم المنهوبة فى المقام الأول فدولة مثل إيران تحملت أهوالا لاسترداد ما نهبه الشاه من أموالها والذى بلغ فى وقته ٢٤ ملياراً، استردت منها ١٧ ملياراً فى وقت قصير نسبياً واستمرت مطالبتهم بالباقي، كما أن شيلى والأرجنتين استردتا ما كان الديكتاتور بونشيه والحكام العسكر قد نهبوه من أموال، فالأمر ممكن وكل ما يحتاج إليه هو توافر الإرادة الحقيقية لدى المسئولين للمطالبة بالأموال المنهوبة.

ولكن لماذا تأخرت المطالبة بها ؟

وجهت سؤالى للدكتور محمد محسوب عميد كلية الحقوق بجامعة المنوفية وأمين المجموعة المصرية لاسترداد أموال مصر وهى مجموعة أهلية بدأت عملها يوم ٧ فبراير أثناء الثورة ورد قائلًا: هذا السؤال يوجه للحكومة المصرية فنحن كمجموعة قمنا بجهود من أجل الكشف عن الأموال واستردادها فقمنا بمخاطبة الدول بشكل مباشر من أجل تجميد أموال المسئولين السابقين وطلبنا من القانونيين والمصرفيين المصريين فى الخارج الكشف عن أرصدة مبارك ومساعدتنا فى تتبعها قبل وبعد الثورة واستقبلنا بالفعل كمية هائلة من المستندات يتم التحقق منها وكان

من بينها وثيقة تزعم قيام مبارك بإيداع كمية من معدن البلاتينيوم الخام الذى يدخل فى صناعة الذهب الأبيض قدرتها وثيقة البنك السويسرى بـ ١٤ مليارا و ٩٠٠ مليون دولار ، كما أن هناك وثيقة أخرى يجب التحقق منها من تلقى مصر لقرض من أمريكا بقيمة ٢ مليار دولار اختفى من قوائم البنوك المحول عليها بين الأعوام ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩.. كما توجد وثيقة تزعم تحويل مبارك لمبلغ ٦٢٠ مليار دولار إلى "بيتر سكويرز" ربما من أمواله وأموال بعض القادة العرب وهناك معلومات أخرى تؤكد وجود عقارات وأملاك هائلة لعائلة مبارك فى ألمانيا تديرها شركة عقارات فرنسية من بينها مبنى مؤجر لوزارة الخارجية الألمانية ومبنى آخر فى مقاطعة بريمن .

وكان أغرب ما كشفت عنه المجموعة هو الشخص الوهمى " ناجى جورج شحاته" ، الذى اعتمدت عليه أسرة مبارك فى نقل أموال الأسرة بعد أن صدر له جواز سفر سليم ومسجل وهو يقوم بنقل الأموال من بنك إلى آخر وكانت آخر عمليه له تحت هذا الاسم هى تحويل ٥ مليارات دولار من بنك إلى آخر حتى استقر المبلغ فى أحد البنوك الهولندية وكشفنا عن تهريب حسين سالم لمبلغ ٥٠٠ مليون دولار أثناء الثورة وهو ما قال به مؤخرا الأستاذ "هيكل" عن قيام حسين سالم بالخروج بعدة صناديق تحتوى على ٤٥٠ مليون يورو بطائرتة من شرم الشيخ وتوجه بها إلى أبو ظبى ومنها إلى أسبانيا.

• وبقى السؤال: هل حقا ستعود أموال الشعب؟

بكل أسف وحسرة كشف مسئول بريطانى رفيع المستوى عن عدم وجود أى طلب من الخارجية المصرية أو سفارتها بلندن بتجميد أى أرصدة محتملة للرئيس المخلوع حسنى مبارك أو عائلته أو أى مسئول مصرى آخر.

وقال وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط إن ما اتخذته الحكومة البريطانية من إجراءات للحفاظ على أموال الشعب المصرى كان تصرفا تلقائياً .

ويوضح التصريح الرسمى البريطانى تجاهل الخارجية المصرية تكليف النائب العام لها رسمياً بإجراء الاتصالات الدبلوماسية لتجميد أى أرصدة محتملة لعدد

من الشخصيات. وبحسب مصادر مطلعة فإن دولا أوروبية تابعت خلال الأيام الماضية أرصدة أكثر من مائة رجل أعمال مصرى وأيضا عدد من كبار المسئولين المصريين السابقين والحاليين، وقدرت المصادر أصول وأموال من خضعوا للمتابعة بأكثر من مائة مليار دولار موزعة على البنوك الأوروبية.

وتناقش جهات بريطانية رسمية الوضعية القانونية لأملاك عائلة مبارك على أراضيها، إذ يقيم الابن جمال فى منزل فخم بأحد أرقى أحياء لندن مكون من ستة طوابق ويتعدى سعره ١٠ ملايين جنيه استرلينى، أى حوالى ١٧ مليون دولار، ومن المحتمل أن تتم مصادرته لصالح الدولة المصرية إذا أثبتت القاهرة أن الثمن الذى اشترى به حصيلة عمليات تريخ على حساب المال العام المصرى.

وقال مسئول رفيع بمكتب مكافحة الاحتيال البريطانى إن المكتب يتعقب أرصدة عائلة كل من الرئيسين المخلوعين حسنى مبارك وزين العابدين بن على، وكذلك عدد من رجال الأعمال وكبار المسئولين فيهما، وأنه سيتخذ إجراءات التحفظ عليها بناء على طلب رسمى من العاصمتين مدعوما بوثائق الاتهام، تمهيدا لإعادتها للملكية البلدين.

يا ١٠٠ ندامة

لم تتجاهل الخارجية المصرية وحدها تكليف النائب العام باتخاذ ما يلزم من إجراءات دبلوماسية مدعومة بالمستندات القانونية لاسترداد أموال الشعب المنهوبة بالبلدين إذا أضفنا رجال الأعمال الهاريين والمسجونين إلى قائمة اللصوص.. لكن ثمة أطرافاً أخرى تواطأت وتفاعست وتناست أن فى مصر ثورة ولهذا لم نسترد دولاراً واحداً حتى الآن وقد نجح مبارك وآله فى تهريب ثروة العمر حتى الحفيد الرابع عشر إن قدر له وهو ما كان يعمل من أجله قبل التوريث وبعده.. المهم ألا تقلت الثروة من أيديهم.. ولم تقلت!!

يقول اللواء مجدى الشافعى مدير الإنتربول :

ضاعت صرخاتنا فى الهواء سدى ونحن نطالب النظام بسرعة عقد اتفاقيات مع الدول الأجنبية وخاصة بريطانيا فيما يختص بتبادل تسليم المجرمين لكن

النظام كان على وعى بنهايته فحرص على أن تبقى بعض الأبواب مفتحة أمام من تطوله يد القضاء وكان اختيار بريطانيا مقصوداً فبريطانيا لا يهملها إلا جلب رؤوس الأموال إلى أراضيها وأما تسليم المجرمين فشان لا يعينها.. ويقول اللواء مجدى الشافعى: بكل أسف نقدم نتائج تحرياتنا عن الأشخاص فى العواصم العالمية للخارجية المصرية على أمل أن تتحرك للمطالبة بتسليمهم ولكن هيئات هيئات لما توعدون.. لغز خطير.. وتصرف أخطراً!

ويعد كل هذا لا يملك الشعب المصرى إلا أن يرفع أكف الضراعة ويقول حسبنا الله ونعم الوكيل

وأخيراً أذكر بهذه المعانى الحكيمه :

ثلاث من كن فيه كن عليه:

المكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

البغى يا أيها الناس إنما بغيتكم على أنفسكم

نكث العهد ومن نكث فإنما ينكث على نفسه

وكلها فعلها مبارك وزوجته وأولاده...

النهاية عادلة.. والدرس عظيم

قالوا لنا وسمعنا من قديم الزمان: مهما طال الليل لا بد من طلوع الفجر.

ولكل ظالم نهاية..! واتبع من هذا كله قول الله تعالى: ولا تحسبن الله غافلاً

عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم..."

وقال جل وشأنه: «وأملئ لهم إن كيدي متين»

وهكذا ظل مبارك وأسرتة يبغون فى الأرض بغير الحق بغياً وعدواناً حتى إذا

أدركه الفرق وأجبر على التنحي بعد ثورة الشعب العظيمة فى ٢٥ يناير فسلم

واستسلم فى ١١ فبراير بعد معركة فاصلة انتصر فيها الشعب وانهزم مبارك

وأولاده وزوجته وعصابته الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور.. ونسوا

أن الله تعالى قال: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم

قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس».

ويعد القصور ورفاهية المنتجعات العالمية ومتعة إذلال الشعب وابتسامات الغرور أمام عدسات المصورين انتهى الأمر بحسنى وعائلته عدا سوزان - لماذا؟ لا أعرف - إلى ظلمات السجون وخلف شباك أقباص المحاكمات وظهر المارد مستلقياً في ضعف وخزى وعار على ظهره وعادت زوجته إلى شقة البداية بميدان الحجاز وانهارت اعصاب الشريف وسرور وعزى وعز وهشام طلعت في السجن ونظر بعضهم إلى بعض في السجن ولسان حالهم يقرأ: «فقال الذين اتبعوا إلى الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار " ولعل بعضهم يعض أصابع الندم ويقول: يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ... يا ويلتا ياليتنى لم أتخذ فلان خليلاً . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً، وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً».

النهاية إذن:

عادلة بما وعد الله والدرس عظيم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والقرآن كان ولا يزال ينبه: لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى.. فهل من مدكر؟



